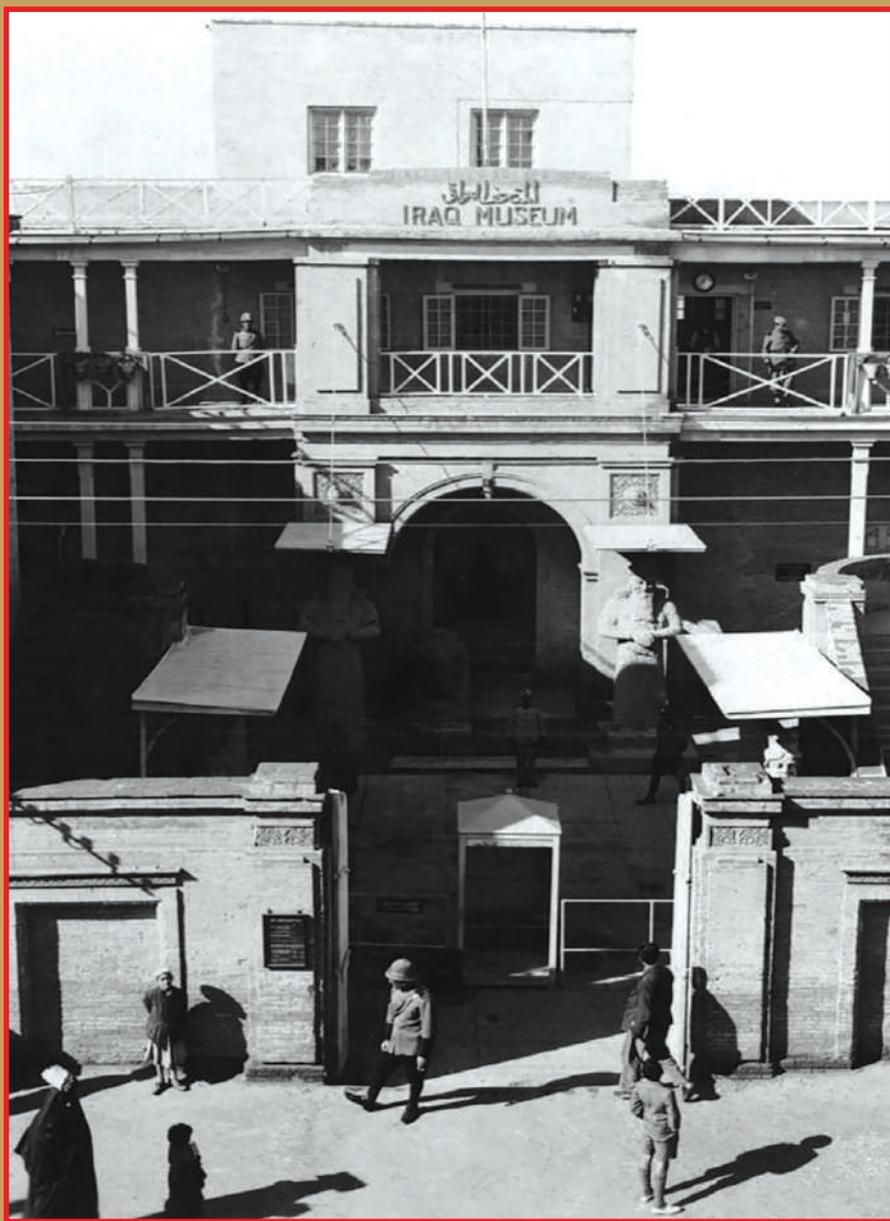




مجلة العراقية والاشرف في الوثائق

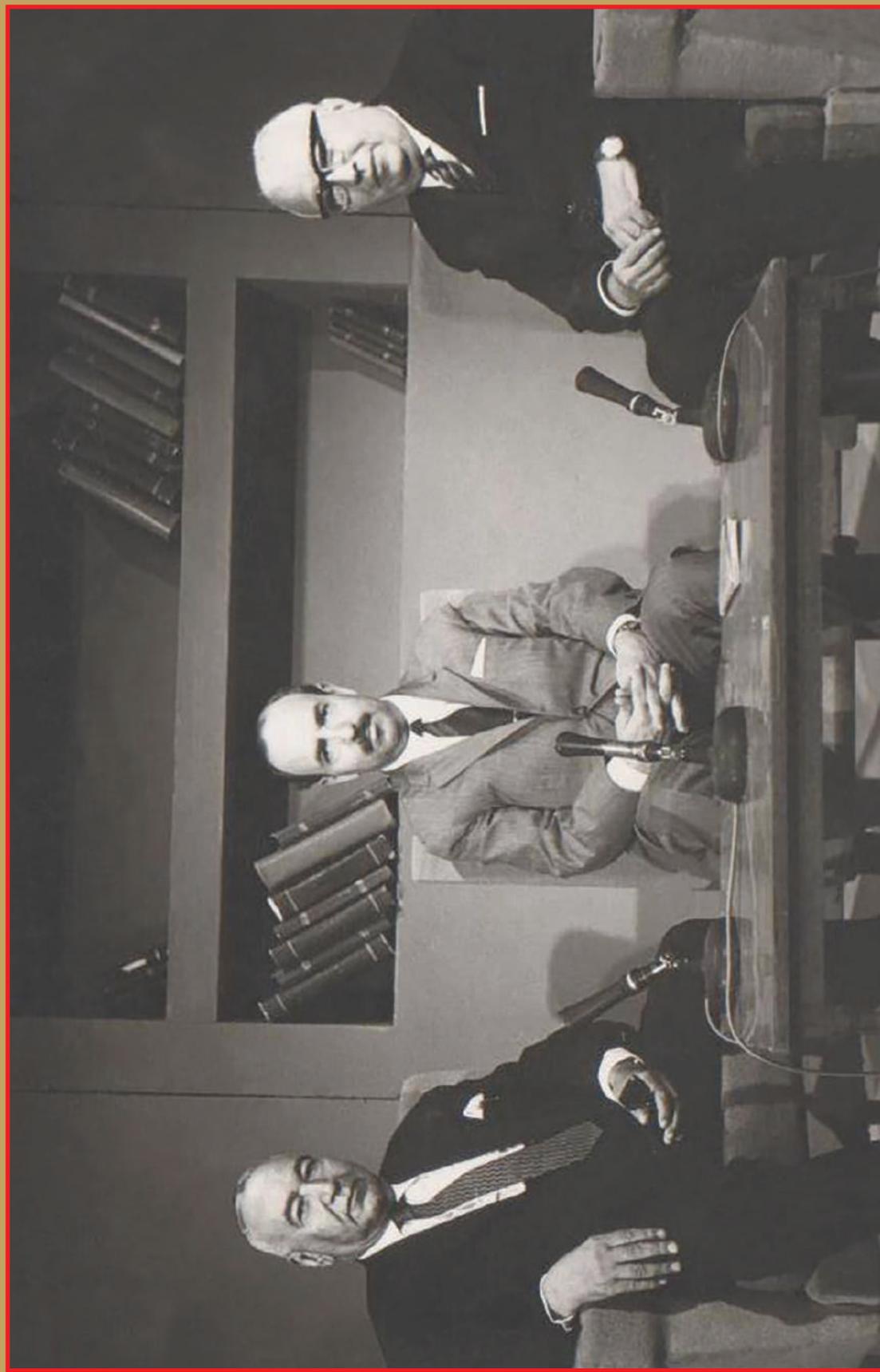
مجلة فصلية وثائقية مصورة تُعَدُّ بالتراث والتوثيق وتصدر عن اللجنة القومية للبحوث الفكرية والثقافية

العدد الخامس عشر - السنة الرابعة ١٤٤٣-٢٠٢١ - الإعتاد في قاعة الصحفيين العراقيين ١٧٥٧



١٥

مجلة فصلية وثائقية مصورة تُعَدُّ بالتراث والتوثيق وتصدر عن اللجنة القومية للبحوث الفكرية والثقافية



برنامج الندوة الثقافية التي يديرها الراحل سالم الألوسي مع جعفر الخليبي والشاعر أنور شاؤول - ١٩٧٠م

ذِكْرُ الْأَشْرَفِ الْأَنْبِيَاءِ

مَجْلَدٌ فَصَلِيَّةٌ وَتَأَقِّيَّةٌ مُصَوَّرَةٌ تُعْنَى بِاللَّاتِ وَالْتَوَيْفِ
تَصَدَّرَ عَنِ الْعَتَبَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ قِسْمِ الشُّؤُونِ الْفِكْرِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ

المشرف العام

سَيِّدُ أَحْمَدُ الصَّافِي

رئيس التحرير

سليم الجبوري

كربلاء المقدسة، باب بغداد، (مجمع الإمام العسكري عليه السلام - ط ٣)

هاتف: ٠٧٧١٦٦٦٦١٤٧ / Email: arshefbaghdad@gmail.com

التنفيذ والإخراج الطباعي: حيدر مهدي

المحتويات

- ٦..... جعفر الخليلي.. شاهدٌ على العصر
 سليم الجبوري
- ١٤..... مكتبة الكونجرس... المكتبة الأكبر في العالم
 خالد عزب
- ٢٢..... الكتابة... هي الحياة.....
 حنا مينة
- ٣٩..... زمن الكتابة وكتابة الزمن ..
 عبد الكريم برشيد
- ٥٨..... الذاكرة الذهبية.. المكتبة الوطنية للمملكة المغربية
 عبد الرحيم العلام
- ٧٩..... الثقافة العربية وعصر المعلومات
 نبيل علي
- ٩٦..... الكُتَّاب والقُرَّاء.. علاقة متوترة.....
 مصطفى ناصف

-
- مجلة الحيرة وأثرها الفكري في النجف الأشرف ١٠٧
- هلال كاظم حميري
رسول نصيف جاسم
- صورة بغداد في التراث..... ١٦٠
- أ.د. حسين علي محفوظ
- تخطيط مدينة بغداد عبر العصور التاريخية ١٨٤
- د. صبري فارس الهيتي
- الكتابة السومرية ٢١٩
- أ.د. زهير صاحب
- الصناعات الشعبية في العراق ٢٢٨
- هادي منعم حسن
- الحوار بين الحضارات والخصوصيات الثقافية ٢٤٢
- فوزية العشماوي
- فيضانات وأحداث.. نهر دجلة ٢٥٦
- د. علي العكيدي

٢٦٥..... قصة اكتشاف درة تاج حضارة وادي الرافدين

د. أكرم محمد عبد كسار

٢٧٤..... أور.. مدينة النبي إبراهيم ﷺ

فؤاد يوسف قرانجي

الجمعية الجغرافية المصرية أقدم جمعية علمية عربية تضم متاحف..

٢٨٦..... وكتباً نادرة وخرائط تاريخية..

خالد عزب

٣٠٧..... خانات بغداد من القرن التاسع وحتى مطلع القرن العشرين

برهان نزر محمد علي المياح

٣٤١..... جعفر الخليلي شاهد على العصر (ملف خاص)

المراسلات الرسمية بين العتبات المقدسة والوزارات

٤٥٨..... العراقية (القسم الثالث)

جعفر الخليلي.. شاهدٌ على العصر

سليم الجبوري

في زقاقٍ من أزقة النجف القديمة حيث القباب الذهبية والمآذن الشامخة والشناشيل التراثية ومركز الاجتهاد والشعر فتح الأديب الراحل جعفر الخليلي عينيه في مدينة النجف الأشرف وفيها نشأ وترعرع بين مجالسها ورنين بيوتها المعتمة ببحر العلوم وجواهر الكلام وسفينة النجاة والعروة الوثقى وكتب أجداده التي تخصصت في الطب الشعبي.

عاش الخليلي طفولته النجفية وذاق طعم العبقرية في كنف أسرته العلمية التي ينحدر منها العلماء والأدباء والأطباء إضافة الى بيئته الغنية بالشعر والأدب.

ولطفولة الخليلي عالمٌ خاصٌ من النباهة والذكاء والمشاكسة، وكان يتميز من بين أقرانه بفراسته وشجاعته وهو في بداية طفولته، مما جعل الآخرين ينتبهون الى حدة ذكائه وفطنته، ومن الطرائف في طفولة الخليلي يقول الراحل مشكور الأسدي: من ذكرياته أنه حدّثني مرّة عن طفولته وهي أنّ أطفال محلّته في النجف قد جعلوه - لجرأته - رئيساً عليهم في (حربهم) مع (المحلّات الأخرى)، وكان أولاد المحلّات في بعض الأحياء يغزوا بعضهم البعض. وفي إحدى الغزوات التي قام بها الخليلي وجماعة من أبناء محلّته وهي محلّة (العمارة) على محلّة (الحويش) خرج عليهم جمعٌ من سكّان الحويش وكان أغلبهم من البنّائين وفي أيديهم (آلات وأدوات البناء) ووقعوا بهم ضرباً، إلا أنّ الخليلي استطاع التخلّص بحيلة وهو أنّه لم يهرب بل مثل دور المتفرّج المستطرق الذي لا علاقه له بهذا الغزو..! فانطلت الحيلة على هؤلاء

ولم يمسه بسوء.

ومن الحوادث التي مرّت به في الصغر عندما كان طالباً في المدرسة وما يزال يذكرها بألم، أنّه رأى زميلاً له يسرق بعض الأدوات المدرسيّة وكثيراً ما كانت تقع مثل هذا ولم يُعرف السارق، فأخبر الخليلي المعلّم ثمّ مدير المدرسة وكان من نتيجة ذلك أن طُرد التلميذ السارق وظلّ ضمير الخليلي يؤنّبهُ لأنّه كان سبب ذلك الطرد وحرمان الطالب من المدرسة وليس غيره. وإنّه ليذكر الحادث ويحسّ بالكثير من وخز الضمير أن يكون السبب لحرمان الطالب وإن كان مستحقاً للعقاب.

من هو الخليلي:

هو جعفر بن الشيخ أسد الله بن علي بن الميرزا خليل النجفي، ولد في النجف عام ١٣٢٢هـ - ١٩٠٤م وقد أرّخ ولادته الراحل الشيخ حسين العاملي:

عوّذت مولوداً أتى لشيخنا الشيخ أسد
من كلّ كيدٍ كايدي وحاسدٍ إذا حسد
يا فرحةً ما جاءنا بمثلها قبل أحد
إن قيل من؟ أرّخ: (الشبل من ذاك الأسد)

ونشأ الخليلي في مدينة النجف الأشرف مدينة العلم والدين والأدب في عام ١٩٠٤م، وكان والده من الشخصيات العلميّة والأدبيّة في مدينة النجف الأشرف، وقد تولّى جدّه الحاج مولى علي الخليلي وعمّ أبيه الميرزا حسين

الخليلي المرجعيّة الكبرى والحوزة في النجف الأشرف، وعرفت مدرستا الخليلي الكبرى والصغرى في منطقة العمارة أتمها من أشهر المدارس وأكبرها حيث درس فيها علماء كبار مثل العلامة جمال الدين الأفغاني وغيره.

جعفر الخليلي شخصيّة عراقية فذة وعلمٌ من أعلام الفكر والأدب وقامة شامخة من قامات التنوير والتجديد، جمعت الصحافة مع أكابر الفكر في العراق ولبنان ومصر ورائد القصّة العراقية المتجذّرة من أعماق النفس الإنسانيّة، وسطرّ علاقاته الاجتماعيّة في كتابه النفيس (هكذا عرفتهم) الذي تحدّث فيه عن خواطر أشخاص عاشوا بعض الأحيان لغيرهم أكثر ممّا عاشوا لأنفسهم، وقد تحدّث عن أهمّ الشخصيات الدينيّة والأدبيّة في العراق ولبنان وسطرّ أروع التجارب والقصص مع هذه الرموز المهمّة.

للخليلي تاريخٌ طويل في مسار العمل الموسوعيّ وقد برع في موسوعته (العتبات المقدّسة) التي بلغت اثني عشر جزءاً، وشاركه فيها لفينفٌ من الباحثين والمؤرّخين من أبرزهم مصطفى جواد وحسين أمين وصفاء خلوصي ومحمد بحر العلوم وتعدّ موسوعته اليوم من المصادر المهمّة في تاريخ المدن والعتبات المقدّسة.

الخليلي مصدر من مصادر النهضة الأدبيّة في العراق وأحد مصادرها المميّزة، جمع بين التاريخ والشعر والتعليم والصحافة وامتاز بموسوعيّته وعلاقاته مع رموز الفكر والأدب في العراق والوطن العربيّ.

الخليلي مدرسة النجف المتنوّعة العابرة الى آفاق الثقافة والتراث عاش

طوال حياته باحثاً عن الهوية والإنسان والمواطنة، وكرّس أغلب مشاريعه الثقافية الى تأصيل التراث والمعاصرة والاستفادة من جواهرها.

الصحف التي أصدرها :

- الفجر الصادق عام ١٩٣٠ في النجف الأشرف.
- الراعي عام ١٩٣٤.
- الهاتف عام ١٩٣٥.

مؤلفات الخليلي :

- ١- يوميات، الجزء الأوّل، خواطر وسوانح وملاحظات يومية.
- ٢- يوميات، الجزء الثاني، خواطر وسوانح وملاحظات يومية.
- ٣- الضائع، قصّة فتى ضاع من أهله ثلاثين سنة.
- ٤- في قرى الجنّ، عرض للحياة المثالية الواقعية في قصّة مطوّلة.
- ٥- من فوق الرابية، مجموعة قصص من حياتنا العامّة.
- ٦- أولاد الخليلي، ٢٦ قصّة من حياتنا العامّة.
- ٧- هؤلاء الناس، مجموعة قصص عابرة.
- ٨- حديث القوّة.
- ٩- مجمع المتناقضات، قصص مختلفة النوازع يؤلّف بينها التناقض.
- ١٠- اعترافات حوادث مروية على شكل العظة والعبرة.
- ١١- عندما كنت قاضياً، عروض للأحوال الشخصية من زواج وطلاق

ووقف وميراث

- ١٢- تسواهن.
- ١٣- التمور العراقية قديماً وحديثاً.
- ١٤- على هامش الثورة العراقية.
- ١٥- كنت معهم في السجن.
- ١٦- مقدّمة للقصة العراقية.
- ١٧- آل فتلة كما عرفتهم.
- ١٨- نفحات من خمائل الأدب الفارسي.
- ١٩- العوامل التي جعلت النجف الأشرف بيئةً شعريّة.
- ٢٠- ما الذي أخذ الشعر الفارسي من العربيّة والشعر العربي من الفارسيّة.
- ٢١- هكذا عرفتهم ٧ أجزاء.
- ٢٢- جغرافية البلاد العربيّة.
- ٢٣- حبوب الاستقلال.
- ٢٤- السجن المطلق.
- ٢٥- خيال الظلّ.
- ٢٦- حديث السعلی.
- ٢٧- موسوعة العتبات المقدّسة ١٢ جزءاً.

وفاته:

وافته المنية في دولة الإمارات العربيّة المتّحدة، دبي عام ١٤٠٠هـ-

١٩٨٠م ودُفن فيها، وقد رثاه الدكتور الشيخ أحمد الوائلي بأبيات:

طواك الردى سفراً فعش في كتابه	كبير المعاني رائعاً كلُّ ما به
ولا تخش أن يغتالك الموتُ فكرةً	فليس يموتُ الفكرُ رغمَ احتجابه
ومثلك مَنْ إن أمَّهُ الموتُ ردهً	خضيلاً وصبَّ الخصبَ فوق يبابه
فوجهٌ إذا ما غابَ تبكيه ساعةً	ووجهٌ تملُّ العمرَ بعدَ غيابه
طوى القبرُ أحبابي فعانقتُ قبرهم	أهيمُ لدى أنقاضه وخرابه
أبا هاتفٍ إن أبعدوك عن الحمى	فربَّ بعيدٍ معني في اقترابه



مكتبة الكونجرس...
المكتبة الأكبر في العالم

خالد عزب

«المكتبة الأكبر والأكثر تكلفة والأكثر أماناً في العالم» نقشت هذه العبارة على قبة مبنى توماس جيفرسون البناية الرئيسية لمكتبة الكونجرس التي تعتبر من المعالم البارزة في واشنطن حيث تبلغ مساحتها ٣٩ هكتاراً، وطول رفوفها ٨٥٦ كيلو متراً، تضم ١٣٠ مليون مادة مختلفة منها ٢٩ مليون كتاب، ومواد مطبوعة بـ ٤٦٠ لغة وأكثر من ٥٨ مليون وثيقة، وتعد أكبر مرجع في العالم للمواد القانونية والخرائط والأفلام وغيرها...

أسست هذه المكتبة في العام ١٨٠٠م لتخدم أعضاء الكونجرس الأمريكي، بدأت بمقتنيات قدرت آنذاك بخمسة آلاف دولار، يعود الفضل في إنشائها للرئيس توماس جيفرسون الرئيس الثالث للولايات المتحدة الأمريكية، كان متعدد المواهب: كاتباً، دبلوماسياً، قانونياً، ومهندساً، إنه تنوع في المواهب التي اجتمعت في سياسي فريد، ولفرط الإعجاب به اختاره الرئيس الثاني جون آدمز نائباً له. أصدر جيفرسون أول قانون يعرف دور المكتبة على النحو الشامل الذي تقوم به اليوم.

مباني المكتبة :

ظلت المكتبة ملحقة بمبنى الكونجرس منذ إنشائها، وتوسعت في قاعات المبنى الذي أحرقه الإنجليز في ٢٤ أغسطس ١٨١٤م، فقدت المكتبة مقتنياتها فعوذتها في ٣٠ يناير ١٨١٥م بشراء مكتبة توماس جيفرسون لتعوض جانباً مما افتقدته، لكنها ظلت جزءاً من مبنى الكونجرس، في عام ١٨٥١م تعرضت مكتبة الكونجرس لحريق كبير، ودمرت النيران ما يقرب

من ٣٥ ألف كتاب من إجمالي ٥٥ ألفاً كانت تقتنيها. كان سبب الحريق عيباً في أحد المداخل، عرض توماس والتر على الكونجرس خطة لبناء جناح جديد للمكتبة بمواد غير قابلة للحريق، افتتح في ٢٣ أغسطس ١٨٥٣ م في حفل كبير جعل الصحافة تطلق على هذا الجناح «أكبر جناح في العالم». في عام ١٨٦٥ م حصل أنسروت راند سبفورد Answorth Rand Spofford أمين المكتبة على موافقة الكونجرس على إضافة جناحين للمكتبة، يعود الفضل لسبفورد في إصدار قانون الإيداع الذي يضمن حق المؤلف في عام ١٨٧٠ م، الأمر الذي يتطلب إيداع نسختين من كل كتاب في المكتبة التي عدت المكتبة الوطنية للولايات المتحدة الأمريكية، أدى القانون إلى تدفق سيل من المقتنيات المختلفة على المكتبة، وهذا ما جعل سبفورد يواجه نقصاً في الأرفف، لذلك قام بإقناع الكونجرس بضرورة نقل المكتبة إلى مبنى جديد، وبالفعل نال الموافقة على اقتراحه.

- مبنى جيفرسون:

كان من الطبيعي أن يثار جدل حول المبنى الجديد الذي لم يقر تخطيطه إلا عام ١٨٨٦ م، على غرار بنايات عصر النهضة الإيطالي وفقاً للتصميم الذي أعده كل من جون سمثير وبول بليز John L. Smithmeyer and Paul J. Pelz، لم ينجز هذا المبنى إلا في عام ١٨٩٧ م. عرف هذا المبنى باسم مكتبة الكونجرس أو المكتبة الرئيسية حتى تمت تسميته مكتبة توماس جيفرسون في ١٣ إبريل ١٩٧٦ م في حفل أقيم في ذكرى ميلاد جفرسون بحضور الرئيس

جيرالد فورد. عند افتتاحه كان يمثل الروح الأمريكية الجديدة وشكل رمزاً وأثراً قومياً للدولة الأمريكية، فقد بذل في زخرفته جهد ٥٠ فناً ونحاتاً أمريكياً، البناية تعد بصدق الأكثر إخلاصاً للثقافة الكلاسيكية بشكل فاق كل ما تمتعت به المكتبات الأوربية الشهيرة.

- مبنى آدمز:

في عام ١٩٢٨م بناءً على طلب من أمين مكتبة الكونجرس هيربرت بتان، وافق الكونجرس على شراء الأراضي التي تقع شرق المكتبة الرئيسية لبناء ملحق جديد للمكتبة، في عام ١٩٣٠م تم اعتماد ميزانية لبنائه وبناء نفق يربط بينه وبين المبنى الرئيسي ولإضافة جناح بالجهة الشرقية للمبنى الرئيسي، يخصص للكتب النادرة. صممت هذا المبنى شركة Pierson Swilson بالاشتراك مع المهندس الاستشاري ألكسندر بول تروبردج Alexander Buel Throwbridge على الطراز الكلاسيكي البسيط، تم افتتاح المبنى في ٢ ديسمبر ١٩٣٨م وفي ٣ يناير ١٩٣٩م افتتح للجمهور. تميزت أبواب المبنى بالشخصيات التاريخية التي نفذت بالبرونز لتحكي جانباً من التاريخ الإنساني وقد نفذها النحات لي لوير Lee Lawrie. في عام ١٩٨٠م حمل المبنى اسم جون آدمز ثاني رئيس للولايات المتحدة.

- مبنى ماديسون:

مازالت مكتبة الكونجرس تنمو حتى اضطر ممفورد L. Qunicy

Mumford لتقديم دراسات لإنشاء بناية ثالثة في عام ١٩٥٧م، حصل على موافقة على البناء عام ١٩٦٥م، ووضع حجر الأساس في عام ١٩٧٤م، إلا أنه لم يفتتح إلا في ٢٠ نوفمبر ١٩٨١م بحضور الرئيس رونالد ريغان.

سمي المبنى باسم جيمس ماديسون الرئيس الرابع للولايات المتحدة، الذي يعد الأب الشرعي للدستور والحقوق الشرعية.

نحت النحات والتر هانكوك Walter Hancock تمثالاً لماديسون ونحت على الجدران المحيطة بالتمثال ثمانية أقوال مقتبسة من كلام ماديسون عن الحرية والتعلم والمعرفة.

مقتنيات الكونجرس:

باختصار تعتبر مكتبة الكونجرس أكبر مكتبة في العالم، والمرجع الأول لمعظم المراجع، تضم ١٣٠ مليون مادة، منها ٢٩ مليون كتاب ومواد مطبوعة بـ ٤٦٠ لغة، و٥٨ مليون وثيقة، تعد الأكبر في العالم من حيث مقتنياتها من الخرائط والأفلام وغيرها. يقبل عليها الزائرون من كل أنحاء الولايات المتحدة ومن الدنيا كلها، فينب جنباتها جماع العطاء الفكري والثقافي والفني للبشرية عبر الحقب التي تعاقبت عليها.

امتلك الرئيس توماس جيفرسون أول مصحف مترجم في العالم عام ١٧٦٥م، ويعتقد مارك ديمنش رئيس قسم المؤلفات في مكتبة الكونجرس: «أن الرئيس جيفرسون اشترى المصحف لأنّ دراساته القانونية كانت كثيراً ما

تشير إلى القرآن كمصدر للتشريع الإسلامي». ويرى مارك: «أن جيفرسون كان رجلاً مستنيراً ولم يكن غريباً في ذلك الوقت على مستنير مثله أن يسعى للتعرف على الفلسفة الأخلاقية للديانات الأخرى».

الترجمة التي اقتناها جيفرسون، ترجمها جورج سيل، وهي أول ترجمة للقرآن من العربية للإنجليزية مباشرة، فالترجمات الإنجليزية التي سبقته كانت تنقل عن القرآن الكريم المترجم إلى اللغة الفرنسية، مما أحدث خللاً في هذه الترجمات، يعرف المصحف المترجم في مكتبة الكونجرس باسم «مصحف جيفرسون».

في قسم الشرق الأوسط وإفريقيا كتبت على الأبواب أسماء أهم المدن العربية، يضم القسم ٣٠٠ ألف كتاب باللغة العربية ولغات الشرق الأوسط الأخرى. يقع هذا القسم في مبنى توماس جيفرسون، الذي يضم قاعة آسيا وقاعة أوروبا ومركز التوثيق الياباني، بينما خصصت قاعة القراءة الرئيسية في المبنى لقسم العلوم الاجتماعية والإنسانيات، ومن أقسام هذا المبنى قاعة الميكرو فيلم وقاعة الكتب النادرة والمجموعات الخاصة، ويضم مبنى جيمس ماديسون قاعات القراءة حول إفريقيا والخرائط ومكتبة القانون والسينما المتحركة والأفلام التليفزيونية، وقاعة الدوريات والصحف، وقاعة الفنون التطبيقية وقاعة الطباعة والصور.

يضم مبنى جون آدمز قاعة الخدمات المرجعية التجارية، وقاعة العلوم والتكنولوجيا.

تضم مكتبة الكونجرس أكبر مكتبة متخصصة في القانون في العالم ففيها حوالي ٢, ٤ مليون مصنف. يعود هذا إلى أن دور المكتبة الذي أسست من أجله هو خدمة أعضاء الكونجرس كمكتبة مرجعية لهم. هكذا أراد الأمريكيون تأسيس دولتهم وفق قواعد علمية تخدم المصالح العليا لدولتهم، تضم المكتبة أيضاً أندر مجموعة من المخطوطات في العالم، وأكبر مجموعة من أوائل المطبوعات الأوربية، أبرزها أندر مئة كتاب للأطفال في العالم، منها أيضاً أصغر كتاب في العالم حجمه ١ / ٢٥ بوصة يتم تقليب صفحاته بدبوس صغير، كما أن بالكونجرس أكبر كتاب في العالم يحتوي على صور بالحجم الطبيعي للطيور الأمريكية.

وتضم المكتبة أيضاً ٢, ٥ مليون تسجيل صوتي، العالم كله بمعارفه بين جدران هذه المكتبة التي تتطور يوماً بعد يوم لتظل على قمة مكتبات العالم، فهل ندرس هذه التجربة لكي ننافس هذه الدولة العظمى في مجال توظيف المعرفة لخدمة مصالحنا العربية وليس لترفيف الكتب على الأرفف دون أن نقرأها.



الكتابة... هي الحياة

حنا مينة

لم أكن أتصوّر، حتى في الأربعين من عمري، أنني سأصبح كاتباً معروفاً، فقد ولدت، كما هو معروف عني، بالخطأ، ونشأت بالخطأ، وكتبت بالخطأ أيضاً لنبدأ بالكلام عن حياة الطفولة، هذه التي أصبحت بعيدة جداً الآن، وكل ما أذكره عنها أنني بدأت رحلة التشرد وأنا في الثالثة من عمري، وهذه الرحلة، من حيث هي ترحال مأساوي في المكان، عمرها الآن سبعون عاماً، أما رحلتي في الزمان، فهي أبعد من ذلك، وستبقى ما بقيت، بسبب أن التأمل، التلفت، الاستشراف، تمثل الوعي الأول للوجود، وكل هذه الذكريات التي تنثال في الخاطر، أصبحت مرنقة الآن، وأنا ألعنها لأنها تغتالني بلا رحمة.

والدتي اسمها مريانا ميخائيل زكور، وقد رُزقت بثلاث بنات كنّ - بالنسبة لذلك الزمان - ثلاث مصائب، عانت منهن الكثير الكثير، فالوسط الفقير إلى حد التعاسة، كان يشكّل عقلية سلفية بالغة القسوة، وقد تعاون هذا الوسط، وما فيه من ظلم ذوي القربى، على إذلال والدتي، باتهامها أنها لا تلد إلا البنات، وكان المطلوب أن تلد المرأة الصبيان، وفي الأقل الأقل، أن تلد صبيّاً بعد بنت، لكن القدر شاء أن تحمل وتلد البنات الثلاث بالتتابع، الأمر الذي كان يحمل إليها مرارة الشقاء، بالتتابع أيضاً.

وستقول لي أمي، حين أكبر: «اسمع يا حنا! أنت ابن الشحادة، فقد شحدتك من السماء، منذ تزوجت أباك، وفي كل مرة كنت أحمل فيها، كانت السماء تعاقبني، فأرزق ببنت، أنا التي كنت أسأها الصبي، أسأها أنت، وأنت لم تأت إلا في الحمل الرابع، الذي بكيت فيه من الفرح، بينما كنت، قبل ذلك،

أبكي من الحزن. لقد منحني السماء إياك بعد طول انتظار، وطول معاناة، لكن المنحة كانت، حتى مع الشكر، منحة مهددة بالأمراض، والخوف عليك منها، ثم الدعاء إلى الله، في أن تعيش، كرمألي، حتى لا أعيش الخيبة من جديد، وهذا ما حدث، فقد ولدت عليلاً، ونشأت عليلاً، وكان الموت والحياة يجومان حول فراشك، الذي كان طراحة على حصيرة في بيت فقير إلى حد البؤس الحقيقي، كنت شمعة تنوس ذبالتها في مهب ريح المرض، وكنت أسأل الله، وأنذر النذور، وأسأل الريح، بكل ما في الابتهاج من ضراعة، ألا تنطفئ الشمعة التي كنتها، حتى لا أفجع فجيعة تودي بي إلى القبر، وشاء الله، سبحانه وتعالى، أن تعيش، في قلب الخطر، وهذا الخطر، لازمك حتى الشباب، وعندها تحوّل من خطر الموت إلى خطر الضياع، في السجون والمنافي، هذه التي أبكتني بكاء مضاعفاً، خشية ألا أراك، وأنت تعطي نفسك للعذاب في سبيل ما كنت تسميه التحرر من الاستعمار الفرنسي، وتحقيق العدالة الاجتماعية!».

هكذا ولدت في قلب الخطر، وترعرعت في جوف حوته أيضاً، وناضلت ضد هذا الخطر بلا هوادة، فكان المبدأ الذي شجبت عليه، عاملاً أساسياً في شفائي الجسدي والنفسي، لذلك قلت يوماً، بعد أن صرت كاتباً: «أنا كاتب الكفاح والفرح الإنسانيين» فالكفاح له فرحه، له سعادته، له لذته القصوى، عندما تعرف أنك تمنح حياتك فداء لحيوات الآخرين، هؤلاء الذين قد لا تعرف لبعضهم وجهاً، لكنك تؤمن، في أعماقك، أن إنقاذهم

من برائن الخوف والمرض والجوع والذل، جدير بأن يضحى في سبيله، ليس بالهناءة وحدها، بل بالمفاداة حتى الموت معها أيضاً.

إن وعي الوجود عندي، ترافق مع تحويل التجربة إلى وعي، وكانت التجربة الأولى في حي (المستنقع) الذي نشأت فيه في اسكندرونة، مثل التجربة الأخيرة، حين أرحل عن هذه الدنيا، ومثل تجربة الكفاح ما بينهما، منذورة كلها لمنح الرؤية للناس، لمساعدتهم على الخلاص من حمأة الجهل، والسير بهم ومعهم نحو المعرفة، هذه التي هي الخطوة الأولى في (المسيرة الكبرى) نحو الغد الأفضل.

تحقيق الإنسانية :

لقد تقضى العمر، في حلقاته المتتابعة، بشيء جوهرى لذي: هو تحقيق إنسانيتي، من خلال تحقيق إنسانية الناس، أنفقت طفولتي في الشقاء، وشبابي في السياسة، ولئن كان الشقاء قد فرض عليّ من قبل المجتمع، فعشت حافياً، عارياً، جائعاً، محروماً، من كل مباحج البراءة الأولى، فإن السياسة نقشت صورتها على أظفاري بمنقاش الألم، فتعلمت، مبكراً، كيف أصعد الألم الخاص إلى الألم العام، وكيف أنكر ذاتي، وأنتصر على رذيلة الأنانية، وكل إغراءات الراحة البليدة، التي توسوس بها النفس، فكان الإنسان في داخلي، إنساناً تواقاً إلى ما يريد أن يكون، لا إلى ما يُراد له أن يكون.

وكان المحيط الاجتماعي الذي نشأت فيه، بتام الكلمة، أمياً، متخلفاً، إلى

درجة لا تصدق، لم يكن في حيّ المستنقع كله، مَنْ يقرأ ويكتب، كان سكان هذا الحي، والأحياء الفقيرة الأخرى في مدينة اسكندرونة، يتلمّسون في الظلمة سيبلهم إلى النور، والذين ساعدوهم في ذلك كانوا المناضلين الأول، ضد الانتداب الفرنسي والإقطاع، وكان لي - وأنا فتى في الثانية عشرة من عمري - حظ التعرف على هؤلاء الحاملين المشاعل، وشرف الانتماء إليهم، والتعرّف إلى حقيقة الكلمة وشرفها من خلال إرشاداتهم، هذا المجتمع، في الطفولة واليفاعه والشباب، أعطاني تجارب لا تُنسى، أفدت منها في كفاحي بالقلم على امتداد حياتي الأدبية التي قاربت الخمسين الآن. وكى أختصر الكلام عن المحيط السياسي أقول: عرفتته، رافقتته، كنت قريباً من أبرز رجاله، منذ هجرة عائلتي من اللواء العربي (الاسكندرونة) إلى اللاذقية، وقبل ذلك بقليل، وبعد ذلك إلى الوقت الراهن، غير أن كفاحي، على الجبهة الثقافية، وما فيها من كرم الكفاح، قد جعلني أكتشف حقائق كثيرة، ومنذ وقت مبكر، لذلك تركت الانتماء الحزبي، منذ منتصف الستينيات، وكرّست حياتي للأدب، وللرواية تخصيصاً، وسأبقى كذلك، دون أن يعني ذلك نسيان الماضي، أو عدم الأمانة للمنطق، فأنا أعرف أن اليوم الذي أنسى فيه ناسي، أو أدير لهم ظهري، أو ينقطع جبل السرة الذي يربطني بهم، سيكون يوم توقيفي عن الكتابة، وتالياً عن الحياة.

ولندع الكلمات الكبيرة، فإنني لا أنسجم معها، رغم أن الحديث قد اضطرني إلى مقاربتها، فما أقوله لقرائي أنني ولدت في حيّ فقير بئس في

مدينة اللاذقية، وفي دار تتقاسم عائلات فقيرة غرفها، وقد اضطرت أمي إلى حرمانني من نصف حليبها، وبيع النصف الآخر إلى ابن عائلة ثرية كانت تعمل عندها، يُقال إن أخي في الرضاعة كان (جول فيتالي) وهو من الأغنياء الذين عاشوا حياة ترفه، ولم أر له وجهاً؛ لأنه ارتحل قبل سنوات. لقد صوّرت وضعي الصحي العليل في سيرتي الذاتية، ومنها تعرفون وضعي العائلي الغارق، حتى الاختناق، في حفرة شقاء تدافعناه، بكل ما نملك من إرادة، فلم يندفع! أمي وأخواتي الثلاث، عملن خادماً، عملت أنا الصبي الوحيد، الناحل، أجيراً، كذلك عمل الوالد، سليم حنا مينة، الخائب في كل أعماله ونواياه، حملاً في المرفأ، بائعاً للحلوى، وللمرطبات، مرابحاً في بستان قاحل إلا من أشجار التوت، ومربياً لدود القز، ثم عاود، بين كل هذه الأعمال وأثناءها، سيرته في الترحال، كأنه (موكل بفضاء الله يذرعه)، كان أبي رحمه الله، رحالة من طراز خاص، لم ينفع ولم ينتفع برحلاته كلها، أراد الرحيل تلبية لنداء المجهول، تاركاً العائلة، أغلب الأحيان، وفي الأرياف، للخوف والظلمة والجوع، ولطالما تساءلت: وراء أي هدف كان يسعى؟ لا جواب طبعاً، إنه بوهيمي بالفطرة، وقاص بالفطرة، يصنع من أي مشهد حكاية شائقة، وقد أفدت منه، في هذا المجال فقط، كان رخواً إلى درجة الخور أمام شيتين: الخمر والمرأة! لم يفز بالمرأة ولم يستمتع بالخمر. كان يسكر إلى درجة التعتة والسقوط والنوم حيث يسقط. لمجرد شرب كأس أو كأسين. يا للأب المثالي، الذي كافأته، في السنوات الخمس عشرة الأخيرة من عمره،

مكافأة حسنة، متجاوزاً عن كل ما ألحق بالعائلة من أذى، وليس في ذلك منة، بل واجب البنوة وحده.

متاهة الضياع:

من اللاذقية، حيث ولدت، تشرد الوالد، وجرّ العائلة معه، إلى متاهة الضياع، وهذا التشرّد فرض عليّ البحث عن اللقمة أولاً، وفرض عليّ، ثانياً، العمل الشاق في السياسة، وأمنيّتي، الآن، أن أتشرّد من جديد؛ لأنني أكاد أتعثّن بين الجدران الأربعة من مكنتي في الوظيفة، ومن مكنتي في البيت، الذي أعمل فيه وسط شروط لا إنسانية!

الرحلة، في الخطوات الأولى، انطلقت من اللاذقية إلى سهل أرسوز قرب أنطاكية، مروراً باسكندرونة، ثم اللاذقية من جديد، وبيروت، ودمشق، وبعد ذلك تزوجت، وتشردت مع عائلتي لظروف القاهرة، عبر أوروبا وصولاً إلى الصين، حيث أقمت خمس سنوات، وكان هذا هو المنفى الاضطراري الثالث، وقد دام، هذه المرة، طويلاً، حتى قارب العشرة من الأعوام، لم أكتب فيها حرفاً واحداً... فالنبته قلّما تعيش إلا في تربتها! هناك استثناءات كثيرة طبعاً، لكن غربتي، وهي مهنتي الشاقة، تختلف جداً، بسبب ما ترتّب عليّ من كدح لإعالة أسرتي، التي كان نصفها معي، والنصف الآخر في اللاذقية.

لقد تزوجت مريم دميان سمعان، أصلها من بلدة السويدية، مصب نهر

العاصي قرب أنطاكية، وكانت مقيمة في اللاذقية عندما التقيتها وتعارفنا بعد هجرة العائلة من اللواء العربي السليب، إنها إنسانة طيبة، شعبية، لم تتجاوز دراستها الصفوف الابتدائية، أي إنها مثلي من ناحية التحصيل العلمي، لكنها بذكائها الفطري، تفهّمت ظروف كمناضل سياسي ضد الانتداب الفرنسي قبل الزواج، كما تفهّمت ظروف بعد الزواج ككاتب، فوفّرت لي، في الحالتين، جوّاً أسرياً سعيداً، قوامه نكران الذات إلى حد التضحية، في سبيل إنشاء الأسرة، ومشاطرتي آلام الغربة، وتوفير الهدوء والصفاء اللازمين لي ككاتب، وإني مدين لها بنجاحي، وهذه مناسبة أتحدث فيها لأول مرة عن هذه الإنسنة الرائعة، التي كانت معي على الدهر، لا مع الدهر عليّ، وهذه ماثرة المرأة الرائعة دائماً، التي تتحلّى بصفات نبيلة، ومنها الصبر، والتدبير، والخلق الكريم، حتى أجد نفسي عاجزاً عن الكلام الذي يفيتها حقها، بسبب أنها تفانت، ولا تزال، لإسعادي، وللسهر على الأسرة في غيابي وحضوري.

إننا، هي وأنا، نقترّب من نصف قرن من الزواج الناجح، والفضل في نجاحه يعود إليها حصراً؛ لأنها تتيح لي حرية اكتساب التجارب من جهة، والمناخ الملائم للكتابة عن هذه التجارب من جهة أخرى.

رزقنا خمسة أولاد، بينهم صبيان، هما سليم، توفي في الخمسينيات، في ظروف النضال والحرمان والشقاء، والآخر سعد، أصغر أولادي، وهو ممثل ناجح جداً الآن، شارك في بطولة المسلسل التلفزيوني (نهاية رجل شجاع)

المأخوذة عن رواية لي بهذا الاسم، فأبدى مقدرة غير عادية، في أداء دور (مفيد الوحش) عندما كان صغيراً، وهذا المسلسل لقي إعجاباً مثيراً، وبث إلى كل أنحاء العالم، كما شارك بدور البطولة (شاهين) في المسلسل التلفزيوني المهم (الجوارح) وكلا المسلسلين من إخراج نجدت إسماعيل أنزور، هذا الإنسان الموهوب إلى درجة الإبهار.

لدينا ثلاث بنات: سلوى (طبيبة)، سوسن (مخدرة وتحمل شهادة الأدب الفرنسي)، وأمل (مهندسة مدنية) وقد تزوجن، ولم يتبعني على طريق جهنم: طريق الأدب!

شكاوى الناس:

بداياتي الأدبية الأولى كانت متواضعة جداً، فقد أخذت، منذ تركت المدرسة الابتدائية (هذه التي تعلمت فيها فكّ الحرف كما يقولون) بكتابة الرسائل للجيران، وكتابة العرائض للحكومة، كنت لسان الحي إلى ذويه، وسفيره المعتمد لدى الدوائر، أقدم لها، بدلاً من أوراق الاعتماد، عرائض تتضمن شكاوى المدينة ومطالبها، هنا كنت صدامياً ومنذ يفاعتي: إننا جياع، عاطلون عن العمل، مرضى، أميون، فماذا يريد أمثالنا؟ العمل، الخبز، المدرسة، المستشفى، رحيل الانتداب الفرنسي، مطالبة الحكومة، في فجر الاستقلال، أن تفي بوعودها المقطوعة لأمثالنا.

هذه كانت بدايتي، وقد دفعت الثمن؛ لأنّ المسؤولين، آنذاك، وجدوا

فِي مخلوقاً يطالب بقوة، بإلحاح، بجرأة، مع أمثاله، بما هو حق لهم، وماذا كنا نخشى؟ في السجن نجد اللقمة، وفي تحقيق هذا المطلب أو ذلك نلقى العزاء، ولم يكن لدينا ما نخاف عليه، لأننا، أصلاً، مخلوقات العالم السفلي.

بعد ذلك، وأنا حلاق في اللاذقية، كنت أبيع جريدة (صوت الشعب) الناطقة باسمنا ونيابة عنا، وعن المسحوقين من أمثالنا، كان ذلك خلال الحرب العالمية الثانية، وكنا ضد النازية، وضد الاحتلال الفرنسي، وضد آغواتنا، وقد تدرّجت، من كتابة الأخبار والمقالات الصغيرة، في صحف سوريا ولبنان، إلى كتابة القصص القصيرة.

بدأت حياتي الأدبية بكتابة مسرحية دونكيشوتية، صرخت فيها على كيني، غيرت العالم على كيني، أقيمت الدنيا ولم أقعدها، ضاعت المسرحية ومنذئذ تهيّبت الكتابة للمسرح، ولا أزال. القصص ضاعت أيضاً، لم أشعر بالأسف، وكيف أشعر به وحياتي نفسها ضائعة؟ المهم أنني لم أفكر، وأنا حلاق، وسياسي مطارد، بأنني سأصبح كاتباً، كان هذا فوق طموحي، رغم رحابة هذا الطموح، صدّقوني إنني - حتى الآن - كاتب دخيل على المهنة، وأفكر - بعد هذا العمر الطويل - بتصحيح الوضع والكف عن الكتابة، فمهنة الكاتب ليست سواراً من ذهب، بل هي أقصر طريق إلى التعاسة الكاملة. لا تفهموني خطأ، الحياة أعطتني، وبسخاء، يقال إنني أوسع الكتّاب العرب انتشاراً، مع نجيب محفوظ بعد نوبل، ومع نزار قبّاني وغزلياته التي أعطته أن يكون عمر بن أبي ربيعة القرن العشرين.

يطالبونني، في الوقت الحاضر، بمحاولاتي الأدبية الأولى، التي تنفع
النقاد والدارسين، لكنها، بالنسبة إلي، ورقة خريف سقطت!

وقد كنت، كما هو معروف، يسارياً وسأبقى، أما لماذا الأمر كذلك، فإن
هذه (اللمّاذا) في غير محلها! تصوّروا ابن العالم السفلي، العاري، الخافي، الجائع،
مثلي ومثل ناسي، ثم نكون في اليمين، الذي يتغذى أطفاله بالشيكولاته،
ويركبون الكاديلاك! مفارقة أليس كذلك؟!

مصاييح زرق:

الرواية الأولى التي كتبتها كانت (المصاييح الزرق) لكنني لم أفكر
بشرارتها، أهى حمراء أم زرقاء؟! وهل أنا نيرودا حتى تطلق قصائدي
شرارات؟! إنني بابا نوئيل أوزع الرؤى على الناس، كي أفتح عيونهم على
الواقع البائس، وأحسب أنني ناجح إلى حد ما، لأنّ كلماتي التي أكلت عيوني،
على مدى نصف قرن، لم تكن مجانية، لقد حرصت دائماً على شيئين: الايقاع
والتشويق! وكتبت لغائتين: توفير المتعة والمعرفة للقراء، وهذا سر نجاحي
الكبير، فلا أبوح به إلا للنشر! تأملوا!!

يقال إن البحر كان دائماً مصدر إلهامي، حتى إن معظم أعمالي مبللة بمياه
موجه الصاحب، وأسأل: هل قصدت ذلك متعمداً؟ في الجواب أقول:

في البدء لم أقصد شيئاً، لحمي سمك البحر، دمي ماؤه المالح، صراعي
مع القروش كان صراع حياة، أما العواصف فقد نُقشت وشماً على جلدي،

إذا نادوا: يا بحر!

أجبت أنا! البحر أنا، فيه وُلدت، وفيه أرغب أن أموت.. تعرفون معنى أن يكون المرء بحاراً؟ إنه يتعمّد بهاء اللجة لا بهاء نهر الأردن، على طريقة يوحنا! أسألکم: أليس عجبياً، ونحن على شواطئ البحار، ألا نعرف البحر؟ ألا نكتب عنه؟ ألا نغامر والمغامرة احتجاج؟ أن يخلو أدبنا العربي، جديده والقديم، من صور هذا العالم الذي هو العالم، وما عداه، اليابسة، جزء منه؟! البحار لا يصطاد من المقلاة! وكذلك لا يقعد على الشاطئ، بانتظار سمكة السردين. إنه أكبر، أكبر بكثير، وأنا هنا أتحدث عن البحار لا عن فتى الميناء! الأدباء العرب، أكثرهم لم يكتبوا عن البحر لأنهم خافوا معاينة الموت في جبهة الموج الصاخب. لا أدعي الفروسية، المغامرة نعم! أجدادي بحارة، هذه مهنتهم، الابن يتعلم حرفة أهله، احترفت العمل في الميناء كحمال، واحترفت البحر كبحار على المراكب.

كان ذلك في الماضي الشقي والماجد من حياتي، بعد ذلك، وفي الحرب العالمية الثانية، توقف العمل في البحر، اشتغلت في مهن كثيرة، من أجير مصلح دراجات، إلى مربّي أطفال في بيت سيد غني، كان يسومني العذاب مرّاً إذا بكى طفل، أو مرضت طفلة، إلى عامل في صيدلية، إلى حلاق، إلى صحفي، إلى كاتب مسلسلات إذاعية باللغة العامية، إلى موظف في الحكومة، مع كل ما تقوم به الوظيفة من تدجين بطيء، إلى روائي، وهنا المحطة قبل الأخيرة، أي قبل غزل الظلمة في حضن الثرى.

هذه المسيرة الطويلة كانت مشياً، وبأقدام حافية، في حقول من مسامير،
 دمي سال في مواقع خطواتي: انظر الآن إلى الماضي، نظرة تأمل حيادية،
 فأرتعش. كيف، كيف؟! أين، أين؟! هناك البحر وأنا على اليابسة؟! أمنيته
 الدائمة أن تنتقل دمشق إلى البحر، أو ينتقل البحر إلى دمشق، أليس هذا
 حلمًا جميلاً؟! السبب أنني مربوط بسلك خفي إلى الغوطة، ومشدود بقلادة
 ياسمين إلى ليالي الشام الصيفية الفاتنة، وحارس مؤتمن على جبل قاسيون،
 ومغرم متيم ببردی، لذلك أحب فيروز والشاميات.

روايات البحر:

هذا كله جميل، لكنني غريب في غربته، قولة أبي حيان التوحيدي، غريب
 عن البحر: بيتي، حديقتي، ملعبي، فكيف تكون الهناءة والحبيب الأزرق
 بعيد؟ تعويضاً أسترجع الماضي، أكتبه، أعوض بها هو كائن، عما كان، أهدم
 العالم وأعيد بناءه، أستحضر تجارب البحر، أشدها هولاً، أكتب وأكتب:
 ثماني روايات عن البحر، ولم أزل في المقدمة من هذا السفر الذي سيكتبه
 الآتون بعدي من الأجيال الشابة، إذا لم تكن قلوبهم من تراب!

أكره الطرق المعبّدة، دأبي اكتشاف المناطق المجهولة في أدبنا: البحر،
 الغابة، الجبل، الثلج، المعركة الحربية، البلدان البعيدة، النضال الوطني
 السري، الموت، الجنون، الشجاعة، البطولات الشعبية، الموروثات
 والمأثورات والصور الغريبة، أكره، أيضاً، نصفي العاقل، لماذا، نحن الأدباء
 العرب، في العقلاء جداً، ولماذا في القعدة؟ وأين الجنون والانتحار وعدم

الانتفاء؟ لا أحب الذين يستريحون على مؤخراتهم.

في أعمال الأدبية (٣٠ رواية حتى الآن) شخصيات كثيرة جداً: هناك عالم متكامل من مخلوقات متنوعة متباينة، على أرضية واقعية، تمتزج معها الرومانتيكية وتبلور في تصرفاتها والأقوال، (روائي واقعي رومانتيكي)، هذا هو عنوان دراسة الدكتورة نجاح العطار، التي نُشرت في (الطريق) و(المعرفة) ومجلات أدبية أخرى، ذلك أن الواقعية، كما ترى الناقدة الدكتورة العطار، تتسع وتستوعب، كل المدارس الأدبية.

أذكر هنا بطرفتين: أولاهما أنني كلفت صديقاً بأن يجمع لي أسماء شخصيات رواياتي، قبل أن أبدأ كتابة رواية (النجوم تحاكم القمر)، فقام بالمهمة حتى عجز عنها. قال لي: «هناك أكثر من (٥٦٠) شخصية، في عشر روايات فقط، فكم يكون العدد في الروايات العشر الأخرى؟ إنني، وأنا أقرأ الرواية، تستهويني الأحداث، فأنسى إحصاء الشخصيات، ويكون عليّ أن أعود من جديد، وهذا مالا أستطيعه»، يا للغرابة إن ضحكت طبعاً وقلت: «أنا تلميذ بالنسبة لأستاذي نجيب محفوظ، فكيف لو كلفك هو بما كلفتك أنا به؟».

متحف بشري:

الطرفة الأخرى أن أديباً من اللاذقية، هو الأستاذ سمير سكاف، قام بمحاولة من هذا النوع، دون تكليف طبعاً، وقد كتب إليّ، بعد أن أعياه

الجواب عن السؤال التالي: «من أي متحف بشري جئت بهذا الحشد من المخلوقات، الذين لا يشبه أحدهم الآخر؟! إنني أُلجأ إليك، وأنتظر الجواب!» ضحكت ولم أجب، أنا نفسي لا أعرف، وأحسب أن هذا السؤال من باب التعجيز، وأشهد أنني عاجز!

إذن، بمقياس كهذا، كيف أحصي الشخصيات الروائية التي تركت بصماتها في ذاكرتي؟ كيف أعد الشخصيات التي لم أكتبها بعد، والتي لا تزال حبيسة في طاسة رأسي، تدق على صدغيّ طالبة الخروج إلى النور؟ أحيلكم، في الجواب، إلى روايتي (النجوم تحاكم القمر)، و(القمر في المحاق)، ففيهما متحف مخلوقات أكبر بكثير من المتحف الذي سألني عنه الأديب سمير سكاف، عرفتم الآن، لماذا أنا معذب، ولماذا أفكر باعتزال الكتابة؟! إنها (ملهاة إنسانية) كاملة! وإنها لسخرية أن تحاكم الشخصيات الروائية مبدعها الروائي، بكل ما تعنيه المحاكمة، التي يتهم فيها المؤلف عناد الزكراوي بقتل ديمتريو، بطل (مأساة ديمتريو) ويُحكم عليه بالإعدام مع وقف التنفيذ، حتى يكمل كتابة ما تبقى من روايات وقصص! وهو، المؤلف، يصرخ ناشجاً: (نفّذوا! نفّذوا!) ذلك أننا، بعبارة واحدة، محكومون جميعاً بالإعدام مع وقف التنفيذ، حتى نواصل حياة الأديب العربي التي هي، مع التخفيف والرحمة، حياة تعاسة دراماتيكية بامتياز!

أحب أكثر شخصياتي. إنها منقوشة في الذاكرة. ليتها لم تكن كذلك، وليتني أصاب بفقدان الذاكرة حتى أنساها، مرة واحدة وإلى الأبد! تعرفون لماذا؟ لأنّ مصيرنا إلى الجلجلة، وعندئذ نصلب فنموت، ونُنزل صليبنا الذي

نحمله منذ أمسكنا القلم! هذا ليس من التشاؤم، فالمعروف عني أنني بائع تفاوض، إلا أن الكاتب، الذي يرى ما لا يراه الآخرون، يعرف أن كل إنسان يحمل صليبه في هذه الحياة، مع الفارق في حجم الصليب وثقله، فالمليونير، وبال دولار كوحدة نقدية، يحمل صليب الشره للاستزادة من جمع المال، بينما نحن، الأدباء الفقراء، وكذلك أبناء الشعب الذين مثلنا، نحمل صليب الرخص وراء اللقمة!

الإنسان ابن تاريخه الاجتماعي، والتاريخ حقبة ومراحل، ونحن الآن في مرحلة المجتمع الاستهلاكي، حيث النفعية عنوان كبير وبارز له، مع كل ما ينطوي تحتها من شرور وآثام، لكننا، في الوطن العربي مكتوب علينا أن نواصل الكفاح، في سبيل التحرير واسترداد الحقوق، وضد التطبيع الثقافي، وكل تطبيع، مع إسرائيل، التي تحتل أرضنا وتقتل وتشرد إخوتنا في فلسطين، وهذا الكفاح مجيد، وسيكون مجيداً أكثر، ومجيداً أكثر في مناخ الحرية التي يريدون وأدها، كما في حادثة التفريق الجائرة والظالمة بين نصر حامد أبو زيد والسيدة زوجته. الإبداع رسالتنا إلى العالم، به وحده نجابه التحديات الثقافية في الجوار وفي العالم، لكن الإبداع نبتة. تحتاج إلى الشمس، وهذه اسمها الحرية الفكرية.



زمن الكتابة وكتابة الزمن..

عبد الكريم برشيد

كنا - في زمن من الأزمان - نكتب بالقلم، وكان ذلك القلم من القصب. أي من نفس ذلك القصب البري والوحشي، والذي كان الراعي يصنع منه نايه ومزماره، وكان الصانع يصنع منه سلاله، وكان الفلاح يسيج به بيته وحقله.

بسيطاً في شكله كان ذلك القلم، ولكن وظيفته كانت خطيرة وساحرة ومدهشة. كان يشفي المرضى، ويحضر الغائب، ويقرب البعيد، وينقل الأشواق، ويطرد الجن من الأجساد المسكونة، ويعتقل الصور الشاردة والحالات الواردة والذكريات الهاربة، ويخطط الرسومات ويهندسها، ويلونها، وذلك بألوان نباتية برية، وأخرى مستخلصة من أحمر البيض، هكذا رأيت القلم لأول مرة.

رأيت في يد الفقيه في (الكتاب) وفي يد الكاتب العمومي في السوق، وفي يد من يشتغلون مع (المخزن) في (بيرو عراب)، فاحترمته، وعشيقته، وقدسته، ولحقتني منه شيء من الخوف مرة، وشيء من الرهبة مرة أخرى.

وعرفت لماذا أقسم الله بالقلم، ولماذا أمر نبيه الكريم أن يقرأ، ولماذا ربط العلم بالقلم، والقلم بالعلم. وفي البدء، كان اللوح وحده. كان كتابي ومكتبتي وشاشتي التي انظر إليها، وأأملها، صباحاً مساءً، والتي لم تكن إلكترونية، كما هي اليوم.

صقياً كان ذلك اللوح، وصافياً وطاهراً، كالسما في عز الصيف، وكان ذلك القلم القصبي حاضراً، يملك وحده القدرة على تأييد كل الفضاءات،

وملء كل الفراغات، وتسويد كل البياضات، وكنا نغمسه في المداد وفي الدواة، وكنا نغرسه - وكأنه السيف أو الرمح أو الخنجر - عميقاً في جراحاتنا النازفة، وكنا نتعجب، في براءة أو في خبث، كيف تكون كتابتنا على اللوح، أو على الأوراق البيضاء، أو على الجدران العذراء، تكون باللون الأسود، ولا تكون باللون الأحمر؟ وكيف لا تتخضب أصابعنا الكاتبة بالدم؟

اليوم تغير كل شيء، وأصبح العصر عصر الصورة، ودخلنا عتبة الكتابة بغير الأقلام وبغير المداد وبغير الدواة وبغير اللوح الذي كنا نكتبه صباحاً، ونمحوه عشية، ونجعل ما في السطور ينتقل إلى الصدور.

ذلك المحو إذن لم يكن محواً (كاملاً)، وذلك لأنه كان مسكوناً بالحفظ، وكانت ذاكرتنا العذراء والبيضاء كناشنا وكراستنا وكتابنا المفتوح على الحياة، في تعددها وتجدها، وتلوونها، وتداخل أشكالها وألوانها، ولهذا، فقد كان من الضروري أن يفرض التساؤل التالي نفسه:

- إلى أي حد يمكن لهذه الذاكرة أن تستوعب كل شيء، وأن تقبض على عقارب الساعة المجنونة والحمقاء؟

- وهل بإمكانها أن تستوعب الكلمات والعبارات والصور المتلاحقة والحالات المركبة والمشاهدات المتداخلة، والإشاعات المصنعة، والحكايات والمعتقدات والخرافات والاجتهادات والخيالات والشطحات الصبائية الغريبة؟

وكان لا بد من الورق، وذلك من أجل تدوين الأفكار واعتقالها، ومصادرتها، والرجوع إليها، وذلك للتواصل بها - ومن خلالها - مع المعرفة أولاً، ومع الذات ثانياً، ومع الآخرين ثالثاً، ومع الماضي رابعاً، ومع المستقبل خامساً، ومع كل العالم والكون بعد ذلك. يقول شاعر، هو ذو الرمة لراويته (أكتب شعري، فالكتاب أحب إليّ من الحفظ، لأن الأعرابي ينسى الكلمة، وقد سهر في طلبها ليلته فيضع كلمة في وزنها ثم ينشدها الناس والكتاب لا ينسى ولا يبدل كلاماً بكلام) من كتاب (الحيوان) للجاحظ.

الكتابة الضوئية :

في أواسط السبعينيات، دخلت عصر المكننة، من أبوابه الضيقة طبعاً، واشترت آلة طباعة صغيرة، وأملت عليها كل كتاباتي وكل مسرحياتي وكل بياناتي وحواراتي التي جاءت بعد ذلك، وقبل ذلك أيضاً. لقد رافقتني على امتداد ربع قرن، ولكنها اليوم موضوعة على الرف. إنها مجرد تحفة، تساوي عندي كل أموال الدنيا وكل كنوزها التي لا تقدر بثمن.

لقد دخلت أخيراً - كما دخل كل الناس قبلي - عصر الكتابة الضوئية، وأصبحت عبداً من عبيد الشاشة، إنني أجدها أمامي وقت الفطور، وساعة الغداء والعشاء، وفي الكشك الإلكتروني للبنك وعلى مكتبي أيضاً. وإنني، بمناسبة هذه القفزة (التكنولوجية) أتساءل:

- أهو تطور أم تفهقر، أن أنتقل من الكتابة بالقلم القصي إلى قلم

الرصاص، ومنه إلى الريشة والمداد وإلى القلم ذي الحبر الجاف وإلى آلة الرقن وضجيجها، وأن أصل أخيراً إلى الكتابة بالضوء؟

أول كتاب طبعته - على حسابي طبعاً - كان عبارة عن احتفالين مسرحيين هما (عطيل والخيل والبارود) و(سالف لونجة) وتم ذلك بمطابع فكيك بالدار البيضاء، في أواسط السبعينيات، وكانت الحروف رصاصاً يحترق في الفرن، وكان ذلك عقاباً لها؛ لأنها أحرقت قلوبنا وأصابعنا وأكبادنا قبل ذلك، وكان وزن الكتاب - وهو رصاص - في مثل وزن أوزار إبليس وكل ذريته من بعده، وذلك من بدء الخليقة إلى الآن.

و(سمعت) الجاحظ يقول (المعاني مطروحة في الطريق) وعرفت، أن تلك المعاني المطروحة في الطريق لا يمكن أن تؤسس إبداعاً حقيقياً، وقد يحدث - في كثير من الحالات - أن تقدم توليفاً للكلام، وأن يكون هذا الكلام شبيهاً بالشعر وما هو بشعر، وأن يكون شبيهاً بالثر وما هو بثر، وبهذا، فقد رحلت بعيداً بعيداً، بحثاً عن المعاني (الوحشية) وقمت بترويضها، وبأنستها، وبتقريبها من الناس ومن الحياة ومن المدينة ومن الساعة، وعرفت، أنه لا يمكن اختزال كل (العقل العربي) في ثنائية اللفظ والمعنى، وبهذا فإنني لم أفهم معنى قول الجابري بأن (العقل عقل يتعامل مع الألفاظ أكثر مما يتعامل مع المفاهيم) عابد الجابري - تكوين العقل العربي - دار الطليعة - بيروت - ط ١ - ص ٧.

إنه لا وجود لشيء يسمى العقل العربي، وكل ما هو موجود هو فعل

التفكير، وهو ينتج مفاهيم محسوسة وملموسة، مفاهيم يتداخل فيها اللفظ والمعنى، وبغير هذا (الزواج) تكون المعاني أشباحاً مجردة، ولا تكون لها علاقة بعالم الناس والأشياء.

الكتابة وقلق الوجود:

وأتساءل الآن:

هذه الكتابة التي نحيا بها - وفيها - كيف تبدأ؟ ومن أين تبدأ؟

كنا - في ذلك الزمن الرصاصي - نكتب ما نكتب، ونقرأه بصوت مرتفع، وكانت لذة الإنشاد في نفوسنا لا تعادها أي لذة، وكنا نثق بذلك الشاعر الضرير الذي قال (والأذن تعشق قبل العين أحياناً)، وزكى هذه القناعة في نفوسنا، أننا كنا جيل الحلقة وجيل الحكواتي الشعبي وجيل الراديو وجيل الفونوغراف، وجيل حكايات الجدات الشفوية...

في المسرح لا يكفي أن يكتب الكاتب بالكلمات فقط؛ وذلك لأن محطات الصمت قد تكون معبرة أيضاً، وقد يكون للظلام معناه، وللسكون مغزاه ولل فراغ بلاغته. يقول نوفاليس «إن أكثر الجرائم بشاعة قد لا تترك أثراً عند بعض الناس، وأن روح الإنسان قد تتأثر إلى الأعماق بتبادل النظرات، بفكرة غير متوقعة، بلحظة صمت» مالكم برادبري وجيمس ماكفرلن - ترجمة مؤيد حسن فوزي - (الحداثة) ج ٢، دار المأمون، بغداد - ١٩٩٠، ص ٢٩٥، ولقد حرصت دائماً، في كل كتابتي المسرحية، على أن أخطب

الأرواح قبل العيون، وعلى أن أعيد للكلمات سحرها وجاذبيتها، وعلى أن أبحث عن اللغة الفردوسية الأخرى، والتي ضيعها الإنسان، وضيع معها وجهه الحقيقي، واكتفى بالأقنعة الكرنفالية.

الخوف من الكتابة :

إنني أخاف من نفسي وأخاف عليها. أخاف أن تبع أجمل ما فيها مقابل السراب والزيف والخلاب. أخاف عليها أن تشيخ، وأن تهزمها الأيام والليالي. أخاف عليها من نشوة النجاح وحرقة الفشل. النجاح يفضي إلى الرضا وإلى مصالحة الواقع، أما الفشل فيؤدي إلى السخط وإلى معاداة العالم. إنهما طريقان مختلفان، ولكنها معا، يؤديان إلى المحطة نفسها، أي إلى الموت الحتمي، موت الإنسان المبدع بداخلي.

إن النجاح والفشل لا انظر إليهما من زاوية الجمهور - إقباله وعدم إقباله على ما أكتب - ولكن من زاوية الإبداع في ذاته، أي أن تحس الأشياء وتحياها، ثم لا تجد لها معادها الفني، ذلك هو الفشل الحق، إنني أخاف أن تخونني الكتابة، أي أن أفكر في شيء، وأن تترجم هي شيئاً مغايراً. أخاف أن تزيف إحساساتي وحالاتي، وأقف الآن لحظة لتساءل:

- هل نجحت أم فشلت - حتى الآن طبعاً - في أن أجعل حياتي حية في

الكتابة؟

إنني لا أجيب، لا بالنفي أو الإيجاب، لماذا؟ لأنني أكره الفشل الخالص،

ولا يستهويني النجاح المحض، وبالمقابل، فإنه لا شيء يرضيني إلا الفشل الناجح والنجاح الفاشل، وذلك ما حققته إبداعاتي عبر حياتي المسرحية.. إنني أعشق في الفضاء مركزه، وفي الكون شمسه، وفي الإنسان روحه، ولا تستهويني الأطراف البعيدة، ولا يغريني التطرف المجنون.

عندما كتبت مسرحية (سالف لونجة) ١٩٧٣ أحسست بأنها تجربة رائعة، وأنها جديرة أن أمنحها كل عشقي واحترامي. وعندما جئت لأكتب المسرحية التي بعدها، وجدتها تكبلني بسحرها، وتمنعني من الفعل والحركة والكتابة، وبذلك فقد كان لا بد من أن ينقلب حبي (عداء) وإعجابي تحدياً. ولولا هذا التحدي ما كان ممكناً أن أكتب مسرحية أخرى غيرها، ولولا (عدائي) النبيل ذاك، لكررت التجربة نفسها، ولقلدت نجاحي واستعدته تحت اسم جديد. لقد جاءت مسرحية (الزاوية) كبحت جديد وفضاء مغاير؛ وذلك لأنني حاولت أن أنسى مسرحيتي السابقة، وأن أسبح ضد تيارها الجارف والعتيق والقوي. ولقد كانت سباحة شاقة ومضنية، ولكنها مثمرة بكل تأكيد؛ لأنها حررتني من السكون، وجعلت حالاتي الجديدة تجد لها معادلاً مسرحياً جديداً. إننا لا نعيش اللحظة نفسها مرتين، ولا نحيا الحالة نفسها مرتين، ولماذا إذن، نعشق أن نكتب المسرحية نفسها مرتين؟ إن كل مسرحية تشكل تجربة خاصة، فهي عمر لا يشبه إلا نفسه، وإنني لا أو من أبدأً، أن يسير إبداع الكاتب دائماً في خط واحد، وأن يكون هذا الخط مستقيماً بالضرورة، وأن يكون أحادي الاتجاه وأحادي العين وأحادي اللون

وأحادي الحالة وأحادي الموقف، وأن يتم بشكل تصاعدي؛ وذلك لأن الحالات - في تحولاتها وتناسلاتها وتشعباتها وتفرعاتها - لا تصعد إلى الأعلى دائماً، فهي عبارة عن تفاعلات (كيميائية) وذبذبات وتموجات نفسية وذهنية وروحية، تموجات متحركة ومتغيرة بشكل مستمر ومتواصل، وبذلك فإنه من غير المعقول أن نقارن بين تجارب المبدع وأن نفاضل بينها؛ وذلك لأن كل مسرحية - من مسرحياته - تشكل بنية شبه مستقلة. إنها ولادة أخرى مضافة، ولادة لها شروطها الطبيعية التي أوجدتها، وإن المقارنة الحقيقية لا يمكن أن تكون إلا بين التجربة الحية والصادقة، وبين التجربة المصنوعة والمتصنعة، أما في غير ذلك فإنها لا تجوز أبداً.

التورط في الكتابة :

إنني لست أدري، كيف ومتى بدأت فعل الكتابة، وذلك لأنني - من غير أن أشعر - وجدت نفسي متورطاً في فعل غريب وعجيب يسمى الكتابة. لقد دخلت فضاءها وعالمها، كما يدخل المتعب فضاء النوم والحلم. ففي لحظة سحر وانجذاب - لا يمكن أن أحدها - وجدت نفسي غير نفسي والعالم غير العالم، والأشياء غير الأشياء، وأسأل الآن نفسي؟

- هل دخلت الكتابة أم دخلتني الكتابة؟

- هل لقيتها ولقيتني عند نقطة معينة؟

- وإن كان الأمر كذلك، فما هي هذه النقطة؟ وأين موقعها؟ وأين مبتدأ

أمرها، وأين منتهاه؟

- وهل تراني، أنا الذي أكتب هذه الكتابة حقاً، أم تراها هي التي تكتب

بي ومن خلال قلومي؟

إنني لا أملك سوى أن أجيب، شبه إجابة طبعاً، وأن أقول، وأن أكتب،
لست أدري، ولا أريد أن أدري؛ لأن هذا الغموض الغني - بأسراره الخفية
- يجعل من الكتابة سحراً أو جنوناً أو هذياً خلاقاً.

ولأنني لا أملك سوى أن أسأل، ولأن كل ثروتي تكمن في أسئلتني
المشاغبة، فإنني سأستمر في ممارسة لعبة التساؤل المشروع:

- هل يولد الكاتب كاتباً؟

- هل تكون الكتابة أولاً في حال الخفاء، لتنتقل بعد ذلك إلى حال

التجلي؟

في الكتابة أحاول أن أعرف بنية الجنون، وذلك بحثاً عن المدهش
والمرعب وعن الغريب والمثير، ويبقى أن أشير إلى أن اللعب مع الجنون فيه
مخاطرة كبيرة، وفي كل مخاطرة شيء من النجاة كما يقول النفري؛ وذلك لأن
الدخول إلى فضائه شيء، والخروج منه شيء آخر. إن الدخول إليه صعب
والخروج أصعب وأصعب. إن الأمر يتطلب شيئين متلازمين: كلمة السرّ
وسرّ الكلمة.

بين الانقطاع والتجدد:

ما الجديد لديك؟ أعترف أنه لا شيء يقلقني غير هذا السؤال، إنه السؤال/ التحدي، السؤال المفتوح على العدم؛ لأنه يهرب سؤالاً آخر غيره وهو، أما زلت حياً تكتب؟ وإن كنت كذلك، فأين شهادة الحياة؟ إن الجديد هو وحده الشهادة التي تثبت أن المبدع مازال حياً، أنه ينمو ويتجدد. إن الجواب بالنفي يعني الموت، الموت الأدبي والفني، والذي هو انقطاع عن فعل الوجود، والموت لا يكون فقط في توقف نبض الكتابة، بل وأيضاً، في تكرار الكتابات وفي استنساخها، أي أن يكرر اللاحق السابق، من غير أن يتجاوزه ويغاييره، ومن غير أن يضيف لحروفه حرفاً، ولأسفاره سفراً، ومن حسن حظي أنني ما زلت أحمل قلقي ورعبي بداخلي، وما زلت أحفظ بأسئلتي واندھاشي أمام الناس والأشياء. يقول محيي الدين بن عربي: «كل حال يدوم زمنين لا يعول عليه» فكل زمن له حال، وكل حال له مفعوله ومقوله ومكتوبه، وأتساءل الآن، مرة أخرى:

- الكاتب والكتابة متى يلتقيان؟ ومتى يفترقان؟

- وهل نقول إن الكتابة - تبدأ وتنتهي - بزواج الورق والمداد؟ أم نقول إنها تبدأ قبل ذلك، ولا تنتهي بعد ذلك؟

إن المبدع لا ينتهي إلا ليبدأ من جديد، ولا يخرج من تجربة، إلا ليدخل أخرى غيرها. إنه السندباد في رحلاته التي لا تنتهي. فقد يكون في صمته أبلغ من كلامه، وقد يكون في غيابه أكثر حضوراً، ففي حياة الكاتب - لا

شيء يفصل بين الكتابة والكتابة.. إن الكتابة اعتقال للآن. ويبقى أن نشير إلى أن هذه (الآن) غير ثابتة ولا ساكنة. إن زمن الكتابة قد يمضي، ولكن القراءة باقية ومتجددة باستمرار، وبهذا تتجدد الكتابة بالقراءة، وترحل عبر اللغات بالترجمة، والكلمة السعيدة هي التي تجد قارئها، ولا يهم أبداً أن يتم هذا اللقاء بعد ساعة أو بعد يوم أو بعد عام أو بعد قرون طويلة.

ففي الكتابة يهرب الكاتب من النسبي إلى المطلق، ومن الساكن إلى المتحرك. إنه في صراع دائم مع الزمن. إنه لا يمكن أن يؤجل إحساسه بالأشياء، ولكنه يملك أن يعتقل هذا الإحساس، ليحتفظ بحرارته وقوته وحيويته، وذلك ما حاولت - وأحاول دائماً - أن أقوم به، سواء في كتاباتي الإبداعية أو في كتاباتي النقدية والتنظيرية.

قلق على الكتابة :

لا شيء أصعب من الكتابة، ولا شيء أروع منها أيضاً. إنها احتراق بغير نار. احتراق القلب والأعصاب والأصابع التي تكتب. كل شيء فيها يبدأ بالخوف والقلق، وينتهي بالخوف والقلق أيضاً. تبدأ الكتابة من نقطة الصفر، أو بما هو قبل الصفر. تبدأ وأنت تجهل كل شيء. تدخل عوالم تجهلها، وتعشقها، وتخشاها. تدفع نحوها رجلاً وترد أخرى. ومع الأيام تولد فيك ومن حولك حياة أخرى، فتتعرف على شخصيات جديدة، شخصيات تفرض عليك أن تقترب منها، وأن تفهمها - كما هي - وحتى تفهمها، وتدرك بنيتها النفسية والذهنية، فإنه لا بد من أن تفكر كثيراً، وأن تعصر دماغك إلى حد الانفجار،

وأن تطعمها من دمك وعظمتك، وأن تجعلها تغتسل وتتطهر بعرقك.

وأنا أكتب مسرحياتي، يصاحبني عادة شعور غريب. شعور من يخاف الموت كل لحظة. إنني أخاف أن أموت قبل نقطة النهاية. يقلقني أن تبقى حالاتي وأوهامي معلقة في الفراغ المطلق، فلا هي تنتمي إلى الوجود ولا إلى العدم. ولأنني عشت اليتيم في حياتي - بكل ما فيه من قهر وظلم وضياع وأسئلة وجودية - فإنني أحشاه، بل أكرهه. إنني أخشى هذا اليتيم كثيراً، بالنسبة لأطفالي وبالنسبة لمسرحياتي معاً.

أخاف أن أمضي، قبل أن أرتب كل شيء، وأسوي كل شيء، وأنتهي من كل شيء. لأجل هذا فإنني أدخل دائماً في سباق جهنمي مع الزمن. أريد أن أصل قبله، أو معه على الأقل، وذلك حتى تصبح كلماتي داخله وليست خارجه، وأكون فاعلاً فيه، ومنفعلاً به، وشاهداً على مسرحياته، الضاحكة لحد البكاء، والباكية لحد الضحك.

وتنتهي المسرحية، وتتم الولادة، ومع ذلك يبقى السؤال يلاحقني:

- هل تنتهي المتاعب التي كانت، وبذلك ينتهي القلق المرعب، أم تراها تبدأ من جديد، وذلك بشكل آخر، مختلف ومغاير؟

لو كنت شاعراً أو قاصداً، لانتهت مهمتي مع انتهاء الكتابة، والتي هي فعل محدود في الزمن والمكان ولكنني مسرحي، والمسرحي تتعدد متاعبه وتتشعب، وتتجدد باستمرار، وبذلك فإنني، ما إن أفرغ من فعل الكتابة،

حتى أجد من يقترب مني، ويسألني:

- ما الجديد لديك أيها الكاتب؟

ولأن فرحة الإبداع أكبر من أن أخفيها، فإنني أبوح بسري، وأعلن عن الولادة الجديدة. أعطي اسمها ورسمها وبطاقة تعريفها، وما إن أضع أول خطوة في مشروع الفرحة، حتى يطرق بابي الطارقون من جديد، وأسأل:

- من بالباب؟

ليكون الجواب. أنا رفيقك المخرج - وكل المخرجين أصحابي وأحبائي ورفاق دربي - وقد جئتك طالباً ضيف الله، وأملّي أن تمنحني يد مسرحيتك المصونة. يا الله. إن رحلة العذاب مستمرة إذن، وإن الخوف مازال مقيماً إلى ما شاء الله. ويخرج النص من بين يدي. يغادرنى من غير أن يفارقني الشعور بالقلق، بل إنه يزداد عنفاً وحدة وقوة. حقاً، إنه لشيء فظيع أن أتحدث للناس - وأنا معهم - وأن يكون بيني وبينهم مترجم، فإن كان هذا المترجم صادقاً وأميناً، فأنا سعيد وابن سعيد، وأما إن كان خائناً ومزيفاً، فذلك هو الجحيم الذي ما بعده من جحيم. إن في المخرجين - المترجمين رجالاً من كل نوع وصنف، فيهم العالم والأمي والأمين والخائن، والشاعر والحرفي والجراح والجزار، والمبدع والخياط. وتبدأ عملية الإخراج، ومعها تبدأ مظاهر الفرحة.. الفرحة التي تضحك وتبكي، وتفرح وتخزن، وتسعد وتشقى. والتي قد تصل أحياناً إلى حد أن تنبت الشعر في رأس الأقرع، وأن تنطق الأخرس، ومع ذلك فإنني ألوذ بصمتي وأقول دائماً، إنني مسؤول فقط

عما كتبت.. ألا فليسأمرح الله بعض المخرجين. إن كل اجتهاداتهم تتلخص في عملية الحذف والبت.. حذف مشهد، حذف حوار، حذف كلمة، حذف شخصية، وأتساءل مخلصاً:

- لماذا هذا الحذف يا سادة يا كرام؟

ليكون الجواب: النص في حاجة لكتابة ثانية، وإلى تقطيع تقني، ولأنه أساساً كتابة أدبية، فهو في حاجة إلى أن يمسرر، وإلى استبعاد ما هو سياسي فيه، وما هو فكري وفلسفي، وما هو غامض وملتبس، وما هو صعب وما هو سهل، وما هو فوق وما هو تحت، وهذا حذفناه من غير لماذا، فقط لنمارس سلطتنا.

أليس للمخرج سلطة فوق سلطة المؤلف، وأكبر من سلطة الممثل والتقني؟ هذا عصر الدكتاتوريات، دكتاتورية العسكر، ودكتاتورية الناشرين ودكتاتورية المنتجين والممولين، ودكتاتورية السادة المخرجين. وبهذا، فعوض أن نتحرر بالكتابة الإبداعية، فإننا نجد أنفسنا - نحن الذين (اقترفنا) الكتابة - ضحايا قمع جديد، قمع بالفن وفي الفن وباسم سلطة الفن أيضاً.

إنه لا شيء أصعب من أن تمارس الخيانة أمام عينيك، وأن تكون موضوعها وضحيته وشاهدها وشهيدها.

فكثيراً ما أجد نفسي أمام مسرحية هي (مسرحيتي) إنها فعلاً تحمل توقيعي، ولكني لا أتعرف عليها، فالشخصيات فيها غير الشخصيات،

والحوار غير الحوار، والمشاهد غير المشاهد، ولأنني لا أسمح لنفسني بأن أجدش شعور الآخرين، فإنني أكتفي بأن أتألم - داخلياً - أتألم في صمت - بيني وبين نفسي، وأدع كتاباتي تصارع طواحين الأيام والليالي.

يبدأ الألم عندي من حضور التدريب، حيث أجد نفسي ضيف شرف على عرس احتفالي واغتيالي. هذا الحفل الطقوسي، قد يكون عرساً حقيقياً، في بعض الاجتهادات - وما أكثرها - وبفضل تلك الإشراقات والومضات - والموزعة هنا وهناك - فإنني ما زلت أكتب، رغم كل مخاطر الكتابة.

إنني أحب أن أحضر التدريبات المسرحية وأخشاها - في الوقت نفسه - كما إنني أرحب دائماً بفكرة مناقشة المسرحية مع المخرج والممثلين والتقنيين. ولقد لاحظت أن أغلب المخرجين يضايقهم اشتراك الممثلين في هذا الحوار. لماذا؟ لأن الممثل كالعسكري، عليه أن ينفذ الأوامر فقط، ينفذها كاملة، من غير أن يناقشها، أو أن يعرف معناها ومغزاها.

في التدريب أعيش تجربة الإبداع من جديد. أعيش فعل الكتابة مرة ثانية أو ثالثة أو رابعة أو عاشرة.

أعيش التوقف عن الكتابة أو إعادتها واستعادتها. أعيش لحظة التعرف على الشخصيات والمواقف من خلال الممثلين. إنني أستعيد الاندهاش في اندهاشهم، وأعثر على انفعالاتي التي ضيعتها. إنني معهم، ومن خلاهم، أستعيد الزمن الضائع، أي زمن الكتابة، والذي هو زمن القلق وزمن الحلم وزمن الوهم وزمن الانفلات من قبضة اليومي. إنني أستعيده بكل حالاته

ومقاماته، أستعيده حاراً كما كان، ومرعباً كما كان، وجميلاً كما كان، وقاسياً كما كان. في مدينة الخميسات - من ١٩٧١ الى ١٩٧٥ سكنت ذات المؤلف وذات المخرج معاً. كنت المتحدث والمترجم، وبذلك فقد كان عليّ أن أعيش كل عمر المسرحية، ابتداء وهي فكرة، أو وهي حالة إلى أن تصبح حفلاً يجياه الناس معي. يومها كان خوفي مضاعفاً؛ لأن المسؤولية كانت أكبر وأخطر. ففي الكتابة أتعامل مع ذاتي، ولكنني في الإخراج أتعامل مع الذوات الأخرى. وبذلك كان عليّ أن أبحث داخلها وخارجها، وذلك حتى يمكن أن نعطي عطاء واحداً موحداً. إن الممثل هو الجسد، وبذلك فقد كان عملي، هو أن أكتب هذه المرة بالأجساد، إن السؤال الذي ظل يلاحقني يومها كان السؤال التالي:

- كيف أجعل الممثلين يتمثلون عالم المسرحية، وأن يندمجوا في فضاء هو جزء من زمني الكائن، والممكن معاً، وأن يعيشوا معي التجربة نفسها، وأن يقتسموا معي الحالات نفسها؟

ومن أجل تحقيق وحدة في الرؤية وفي الإحساس وفي العالم المتخيل، فقد أشركتهم في خوفي وقلقي.. قلقي في المسرحية، وقلقي على المسرحية.

الكتابة بالكلمات:

ساعة عرض مسرحياتي أين أكون؟ داخل الحفل أو خارجه؟

إن ذاتي - في ذلك البرزخ الزمني - تصبح ذاتين، وحالي يصير حالين. أصبح الناظر والمنظور والذات والموضوع والفرجة والمتفرج. إن الواحد

بداخلي يتعدد، والمحدود يتمدد، والقديم يتجدد، والفاعل يفعل، والمقيم يرحل، وبذلك أصبح أكبر من حجمي وأطول من قامتي، وأثقل من وزني، ويعذبني وجودي، وتصبح الثواني في حجم الدقائق والدقائق في ثقل الساعات.

في أثناء عمر الحفل المسرحي يتتابني الشعور بالخوف المركب.. الخوف ممن؟ أو الخوف على من؟ إنني أخاف الجمهور بالقدر الذي أعشقه، أخافه لأنه سلطة عمياء وغاشمة. فهو مرة يجابي برفق، ومرة يظلم بقوة. وتحاول أن تجد جواباً معقولاً لرضا الجمهور أو لسخطه فلا تجد شيئاً. الجمهور لغز محير، وهو كتلة أسرار مغلقة وغامضة، يكون كريماً أحياناً، وليس لكرمه منطق معقول، ويكون بخيلاً أحياناً أخرى - من غير وجود مقياس موحد. إنه منطق اللامنطق.

يضايقني كثيراً أن أتخذ لي مكاناً بين الناس ساعة الحفل المسرحي. إنني أخشى أن تتفرج عليّ العيون، عوض أن تحيا المسرحية، وأن تشغل بالصانع بدل أن ترى الصناعة. إنني أخشى أن تكون المسرحية مسرحيتي، وألا أجد فيها نفسي. وبذلك تحسب عليّ خطأ، وتنسب إليّ ظلماً. وأكون بذلك بين بين. فلا أنا المبدع الحق، ولا أنا واحد من الجمهور.



الذاكرة الذهبية..

المكتبة الوطنية للمملكة المغربية

عبد الرحيم العلام

يتوافر المغرب على شبكة مكتبية واسعة، مهمة وغنية، تغطي التراب الوطني، منها فضاءات مكتبية عمومية، وأخرى تابعة، إما لمعاهد أو لمؤسسات أكاديمية، أو لجهات أجنبية.. وكلها فضاءات تساهم، بشكل أو بآخر، في دعم المشروع التنموي للبلاد، والتحرك الثقافي ونشر المعرفة، وتحقيق الإقلاع الثقافي، ونشر تقاليد القراءة، وتقديم الخدمات التوثيقية والعلمية لمختلف شرائح القراء والرواد.

إذا كانت المكتبة الوطنية للمملكة المغربية اليوم، هي أكبر فضاء مكتبي بالمغرب، فثمة فضاءات مكتبية أخرى، لا تقل أهمية وتأثيراً واستقطاباً لروادها، من مختلف الشرائح والاهتمامات الثقافية والعلمية، من قبيل «الخزانة الحسنية» بالرباط، و«مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية» بالدار البيضاء، و«خزانة القرويين» بفاس، و«الخزانة العامة والمحفوظات» بتطوان، و«مكتبة عبد الله كنون» بطنجة، وغيرها من الخزانات والفضاءات المكتبية والوسائطية، المنتشرة في مجموعة من المدن والقرى المغربية، من بينها فضاءات مكتبية تابعة لمراكز ثقافية عربية وأجنبية «مصرية وسعودية وعراقية وفرنسية وألمانية وإسبانية وإيطالية، وغيرها».

في البدء كانت (الخزانة العامة) :

تعود فكرة إنشاء خزانة عامة عصرية للكتب بالمغرب إلى سنة ١٩١٢. غير أن تحقيقها فعلياً، لم يتم إلا في سنة ١٩٢٠، حيث عين الأستاذ دوسينغال

«الفرنسي» محافظاً للخزانة العامة بالرباط، هو الذي يعود له الفضل في وضع نظامها الأساسي، وفهرسة رصيدها الوثائقي، المتكون أساساً من مخطوطات ومطبوعات، إلى جانب كتب معهد الدراسات المغربية العليا، وكان مقرها بمدينة الرباط.

في سنة ١٩٢٤، ستنتقل «الخزانة العامة» إلى مقر جديد بالرباط. وفي سنة ١٩٢٦، ارتقت الخزانة العامة إلى وضعية مؤسسة عمومية، حيث عهد إليها بجمع الوثائق المتعلقة بالمغرب، وإتاحة الإطلاع فيها لعموم المهتمين، كما عهد إليها بمهمة جسيمة أخرى، وهي تلقي وثائق الإدارات وحفظها، وهكذا أصبحت بحق الخزانة العامة للكتب والوثائق.

أودع في الخزانة العامة رصيد ثان من الكتب، عبارة عن محتويات مكتبة المؤسسة التي عرفت بالمعلمة العلمية بالمغرب، بعد أن وقع حلها عام ١٩٢٠. بعد ذلك، اغتنى رصيد الخزانة العامة بمجموعات ووثائق الخواص، من أمثال الهبة ماء العينين، والفقير الحاج المختار بن عبد الله، ووثائق النادي الألماني بطنجة، ووثائق الحاكم العام ج. كلوزيل، والموظف الفرنسي بالجزائر أوكوستان بيرنار، وقنصل فرنسا ليريش، والمراقب المدني لوگلي، وميشو بيلير، رئيس البعثة العلمية بالمغرب.

استمر تزويد رصيد الخزانة العامة بفضل الإيداع القانوني، الذي أحدثه القانون الصادر عام ١٩٣٢، وأيضاً بفضل الشراء والهبات والتبادل. وخلال خمسة وثلاثين عاماً من عمر الخزانة العامة، في عهد الحماية الفرنسية،

تجمع رصيد يمثل ذاكرة ذلك العهد، كما يتجلى ذلك من نصوص تشريعية، وتقنيات، وتحريات، وإحصاءات، ودراسات، ومقاربات مختلفة، همت بلاد المغرب عامة، من حيث جغرافيته وسكانه وثوراته وثقافته وتاريخه.

في بداية الاستقلال، دخلت إلى الخزنة العامة مجموعات مهمة، كماً وكيفاً من المخطوطات، كان مصدرها خزانات بعض الزوايا والمساجد وخزانات خاصة، مثل مجموعة عبد الحفي الكتاني، ومجموعة باشا مراكش السابق، التهامي الكلاوي.

عين بدير دو سينيفال «١٨٨٨-١٩٣٧» أول محافظ للخزنة العامة عام ١٩٢٠. وهو الذي وضع التصميم الداخلي للبنية التي حلت فيها الخزنة، وهو أيضاً من حدد قواعد الفهرسة والتصنيف للخزنة، كما أصدر البليوغرافيا الوطنية لأول مرة. وفي سنة ١٩٢٧، عين فونك برنيطانو، مكان دو سينيفال.

بعد الاستقلال، تولى في مهمة محافظ الخزنة العامة السادة: عبد الله الرگراگي، ومحمد بلعباس القباج، ومحيي الدين المشرفي، وعبد الرحمن الفاسي، ومحمد بنشريفة، وأحمد التوفيق، وأخيراً إدريس خروز.

عين السيد إدريس خروز، مديراً للمكتبة الوطنية للمملكة المغربية عام ٢٠٠٣، وهو أستاذ التعليم العالي في العلوم الاقتصادية بكلية الحقوق، بجامعة محمد الخامس بالرباط، وهو أيضاً سكرتير عام لمجموعة الدراسات والبحوث حول البحر الأبيض المتوسط، ونائب رئيس اللجنة التنفيذية لمركز

شمال - جنوب، التابع للمجلس الأوربي من أجل الاستقلال والتضامن بلشبونة من ١٩٩٧ إلى ٢٠٠٣، وعين عضواً في المجلس الإداري للمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية بالرباط. نشر إدريس خروز العديد من الدراسات العلمية في قضايا الشراكة الأورومتوسطية، ورهانات العولمة، والجهوية، والتغيرات الاقتصادية بالمغرب، وغيرها من الدراسات والأبحاث، المنشورة في المغرب وخارجه.

المقر الجديد للمكتبة الوطنية للمملكة المغربية :

إثر افتتاح المكتبة الوطنية للمملكة المغربية عام ٢٠٠٨، أصبح من الممكن القول إن حلم المغرب بتشييد مكتبة وطنية قد تحقق، بعد عقود من الانتظار، قبل أن تتجسد الفكرة، وتبرز المعلمة شامخة، في قلب العاصمة الرباط، وبذلك أصبح المغرب يتوافر على مكتبة وطنية كبرى، بمواصفات عالمية وعصرية، بفخامتها وأناقتها، وبشكلها الهندسي البديع، وبطاقتها الاستيعابية الكبيرة.

شيدت المكتبة الوطنية على مساحة ٥٥ ألفاً و٧٦٦ مربعاً، ويبلغ الجزء المغطى منها ٨٣٢, ٢٠ متراً مربعاً، يشغل فيه الزجاج والخشب مجالاً مهماً، إلى جانب الإسمت المسلح، وقد ساهمت دول أجنبية، إلى جانب المغرب، في تجهيزها «فرنسا واليابان وإسبانيا وحكومة الأندلس وألمانيا». وتكمن أهمية موقع المكتبة، في كونها محاطة بفضاءات ومؤسسات أكاديمية ورياضية وفنية، وبحدائق ومعالم حضارية وتاريخية... وبذلك انتقلت محتويات المكتبة

الوطنية من فضاء وبنية تاريخية وتقليدية إلى فضاء حدائي، جديد ومتطور، سواء في شكله الهندسي والمعماري، أم في طريقة تدبيره، وتوظيف أجنحته وتحديثها.

وقد جاء تشييد المبنى الجديد للمكتبة الوطنية، في إطار توجه جديد للدولة المغربية، ولحكومتها، سعياً منها لتحويل مدينة الرباط من مجرد عاصمة إدارية إلى عاصمة ثقافية بامتياز، انصب بالأساس على إطلاق عديد المشاريع والأوراش دفعة واحدة، بغية إضفاء طابع تحديثي وثقافي على العاصمة الرباط، همت بالخصوص ببنائها التحتية، سواء عبر الشروع في إعادة تهيئة ضفتي نهر أبي رقراق، عبر خلق فضاءات سياحية وترفيهية وعمرانية جديدة، أم عبر بناء المسار الطرقي للترامواي، الرابط بين المدينتين الجارتين «الرباط وسلا»، وبناء «المتحف الوطني للأثار وعلوم الأرض»، و«المسرح الوطني» و«متحف الفن المعاصر»، و«متحف الحلي والألبسة»، وإنجاز «حديقة الحيوانات الوطنية»، إلى جانب تشييد «مكتبة وطنية للمملكة المغربية».

وفي هذا الصدد، يقول إدريس خروز، مدير المكتبة الوطنية للمملكة المغربية:

«انتقلت المكتبة الوطنية للمملكة المغربية إلى موقعها المتميز الجديد المنصهر في عمران عاصمة المملكة، والذي يعكس بحق طموحاتها. لذلك، فإن هدفها السامي هو وضع المعرفة في متناول القراء والطلبة والباحثين.

إن من الاهتمامات الكبرى للمكتبة الوطنية، التي ما فتئت تفتتح على العالم، التعريف بالتراث الوطني ونشره لتجعل منه حقلاً للتنوير الثقافي والمعرفي.

وتندرج تنمية الرصيد الوثائقي للمكتبة ضمن ثقافة المواطنة والديمقراطية والإنسية العالمية. فالمعلومات والرقمنة والأنشطة الثقافية تنخرط كلها لخدمة هذا المسار الذي نريده جماعياً.

إن الرهان الأساس بالنسبة للمكتبة الوطنية للمملكة المغربية هو المساهمة إلى جانب مؤسسات أخرى وفاعلين آخرين في بناء وتشيد مغرب حدائقي وديمقراطي.

الفضاءات الداخلية للمكتبة :

تتوافر المكتبة الوطنية على مرافق مختلفة، وعلى مجموعة من الفضاءات والمختبرات والأروقة الحديثة والأنيقة، سواء تلك الموجودة في الطابق تحت الأرضي، أو تلك التي يضمها الطابق الأرضي، أو باقي الطوابق العلوية، منها فضاء الاستقبال العام، الذي يشكل العتبة الأولى لزائر المكتبة، ويحتوي على مكتب للاستعلامات، ويقدم للزائر معلومات عن مختلف مصالح المكتبة، ومكتبة للتسجيل والانخراط، وقاعة للمؤتمرات والأنشطة الثقافية، تتسع لأكثر من ٣٠٠ مقعد، وقد أصبح الطلب عليها كثيراً ومتزايداً، إلى درجة أصبح من الصعوبة إيجاد موعد فارغ لاستغلالها، وقاعة للمعارض

الفنية، وأخرى للتنشيط والتكوين، وقاعة لجمعية أصدقاء المكتبة الوطنية.

كما تتوافر المكتبة على مدخل رئيسي، يحتوي على مكتب استقبال وتوجيه ومراقبة المنخرطين وزوار المكتبة، بالإضافة إلى فضاء خاص بالمعاقين، وآخر خاص بالمكفوفين، وهو فضاء متخصص موجه لفاقدي وضعاف البصر، حيث يسمح لهذه الشريحة من الرواد باستعمال وسائل متخصصة للاطلاع على الأرصدة الوثائقية المتاحة «مكبر للحروف، نظام معلوماتي خاص، طابعة بطريقة براي»، وفضاء آخر خاص بالدوريات، وضع رهن إشارة رواده عشرة آلاف عنوان، تغطي جل المعارف والعلوم بلغات مختلفة، وجناح خاص بالملصقات والخرائط وبطاقات البريد القديمة، ويوفر رصيماً غنياً، مكوناً من ٤٠٠٠ خريطة ورقية وتصميم، و١٣٤ خريطة إلكترونية، و٨٠٠٠ صورة فوتوغرافية، إضافة إلى ٤٠٠ صورة على الزجاج، و١٢٠٠ صورة منقوشة، ويحتوي على معدات وأجهزة ضرورية لتداول الوثائق السمعية البصرية وفضاء للحوامل السمعية البصرية والرقمية والمصغرات الفيلمية، وفضاء لولوج المطبوعات، وجناح للمخطوطات والكتب والوثائق النادرة، يضم أماكن للعرض والبحث والتناول، ويوفر أكثر من ٢٥٠,٠٠٠ وثيقة تراثية للرواد تحت الطلب «مخطوطات، مطبوعات حجرية، كتب نادرة ومعاصرة»، وفضاء القراءة للعموم، يستوعب في طابقه «السفلي والعلوي» أكثر من ٩٠,٠٠٠ مجلد حديث الصدور، منظمة تنظيمياً موضوعاتياً، وهو فضاء مجهز بأحدث التجهيزات والمقتنيات

العصرية، وكونه يطل على فضاءات خضراء تتوسط المكتبة وتحيط بها، بما يجعل منه فضاء مناسباً للمطالعة والقراءة والتأمل. إضافة إلى مخازن للحفاظ على التراث الوثائقي والثقافي، وفضاء لمعالجة الوثائق، ويحتوي على مختبر للرقمنة والتصوير، ويندرج هذا المشروع الطموح في إطار حفظ التراث الوطني والتعريف به، حيث تمت رقمنة أكثر من ٢٠,٠٠٠ وثيقة.

فكما تم استغلال الطابق تحت الأرضي بتخصيصه للمختبرات، من قبيل مختبر الترميم، ويستخدم فيه نوعان من الترميم، يدوي وآلي. ومختبر التصوير والاستنساخ، ومختبر الرقمنة، وفضاء للمخازن، فقد تم تهيئة سطح المكتبة ليكون ملائماً لاستغلاله ثقافياً بما يناسب مساحته وموقعه، دون أن ننسى، هنا، برج المكتبة في امتداده نحو السماء، بطوابقه الأحد عشر، تزين قمته لوحة تشكيلية بديعة تتداخل فيها الألوان وتتلاقى فيها الحروف العربية والأمازيغية واللاتينية في وثام حضاري تام، بما يؤشر على خاصية الإبداع والمعرفة، وعلى تمسك المغرب بهويته، وانفتاحه على ثقافات العالم.

مهام المكتبة :

تتولى المكتبة الوطنية القيام بالمهام التالية:

- جمع ومعالجة وحفظ ونشر الرصيد الوثائقي الوطني، وكذا المجموعات الوثائقية الأجنبية التي تمثل مختلف معارف الإنسانية.
- العمل على تشجيع وتيسير سبل الإطلاع على المجموعات الوثائقية

والمعلومات البييلوغرافية المتوافرة لديها.

- العمل على التنسيق والتعاون مع إطار الشبكة الوطنية للمكتبات.
- المشاركة في الأنشطة العلمية الوطنية والدولية، والإشراف على برامج البحث ذات العلاقة بمهامها وبالرصيد الوثائقي المتوافر لديها.

العلاقات الخارجية للمكتبة :

تستند استراتيجية المكتبة الوطنية للمملكة المغربية، فيما يتعلق بعلاقاتها الخارجية، إلى بناء أواصر تعاون عميقة، متينة ومستدامة. كما أنها تتمفصل في توسيع وتنويع شركائها على المستويين الوطني والدولي؛ حيث إن إنشاء شركات منتجة، متميزة، تتسم بالاستمرار، لا يمكن أن يكون إلا ثمرة التفاهم والتناغم المتبادلين، والوضوح التام والرعاية المشتركة والمتواصلة.

من هذا المنظور، تتطلع المكتبة الوطنية للمملكة المغربية، بصفتها مؤسسة تتمتع بصيت وطني ودولي، إلى إثارة وربط وعقد علاقات فاعلة، سواء مع شبكات مهنية، ثقافية أو علمية، أو مع نظيراتها من مكتبات وطنية لدول شقيقة وصديقة.

ويعكس هذا الخيار الاستراتيجي إرادة المكتبة الوطنية في توحيد جهودها، ودعم شبكتها الوطنية والدولية على حد سواء، ومضاعفة شركائها. فهي واثقة اليوم من أن فعاليتها تكمن في التشاور، وأن إشعاعها لن يمتد إلا من خلال التشارك؛ كما أنها مقتنعة تماماً، أكثر من أي وقت مضى، من أن العزلة في عهد العولمة والثورة التكنولوجية الحديثة لا يمكن أن يكون إلا موقفاً ذا

انعكاس سلبي على الأدوار المنوطة بها.

من هنا، اختارت المكتبة الوطنية للمملكة المغربية أن تلتزم مع شركائها بكيفية منظمة، مبنية على أسس واضحة، وذلك من خلال بروتوكولات، أو اتفاقيات، أو مذكرات تفاهم.

هكذا، ساهم الجمع بين الاستراتيجية السالفة الذكر والمنظور الجلي لمشروع المكتبة الوطنية، في نجاح العلاقات الخارجية للمؤسسة، وفي تألقها، والتي توجت خلال السنوات الخمس الفارطة بعقد مجموعة من الاتفاقيات مع شركاء محليين ودوليين.

وفي هذا الإطار، تدرج، على سبيل المثال، اتفاقية التعاون العلمي والتقني بين المكتبة الوطنية للمملكة المغربية ومكتبة الإسكوريال بمدريد التابعة لمؤسسة التراث الوطني الإسباني، وبموجبها سيتم العمل على تصوير جميع المخطوطات العربية والمغربية الموجودة في مكتبة الإسكوريال بمدريد، والتي يبلغ مجموعها ٣٢٧ ألفاً و ٦٦١ مخطوطاً، وإعداد نسخة منها على الميكرو فيلم، لتصبح متوافرة للاستعمال العلمي في المكتبة الوطنية للمملكة المغربية.

عدا ذلك، عملت المكتبة الوطنية على تفعيل اتفاقات الشراكة والتعاون والبحث، التي تجمعها مع عدد من نظيراتها في مصر وفرنسا وبلجيكا وكندا وكوريا الجنوبية وبلغاريا وبولونيا واليابان، عدا الدعم الذي تتوصل به المكتبة الوطنية من بعض الوكالات الأجنبية، كالوكالة الإسبانية للتعاون

الدولي والتنمية.

مجموعات المكتبة :

تمتاز المكتبة الوطنية للمملكة المغربية بغنى رصيدها وتنوعه، هذا الذي يتوزع بين المجموعات المتخصصة، والمجموعات المهداة، والمطبوعات الحجرية، والمخطوطات، والدوريات، والمجلات، والجرائد، والحوامل السمعية البصرية، إضافة إلى الحوامل التقليدية المتمثلة في الكتب.

وتشكل المجموعات محور اهتمام المكتبة الوطنية، إن على مستوى تأهيلها، بمعنى معالجة وصيانة وتنمية رصيدها الوثائقي، أو على مستوى تداولها عبر الوسائط الممكنة، سواء في فضاءات المكتبة، أم خارجها، من خلال البوابة الإلكترونية.

تتأسس استراتيجية المكتبة الوطنية، بهذا الخصوص، على جملة دعائم جوهرية، منها:

- توفير رصيد وثائقي متنوع، يعنى بالذاكرة الوطنية، وفي الوقت ذاته الانفتاح على المعارف الإنسانية.
- تطوير الوسائل الضرورية للمعالجة والترميم والرقمنة.
- تحسين الخدمات وفق الشروط والمواصفات اللازمة.
- نشر وتداول مختلف المجموعات الموجودة في المكتبة الوطنية.
- تأطير العنصر البشري بالمكتبة الوطنية وتكوينه تكويناً، يساير من خلاله

التطور الحاصل في المكتبات الوطنية العريقة.

الكتب:

تتوافر المكتبة الوطنية للمملكة المغربية على رصيد مهم وغني من الكتب المطبوعة، يوجد من ضمنها عدد من المصنفات النادرة. وتتوزع هذه الكتب حسب أهميتها وفق ثلاثة أصناف:

الصنف الأول:

ويضم الرصيد الذي يمكن الإطلاع عليه في قاعة القراءة بالمناولة، بعد ملء بطاقة خاصة بذلك. ولضرورة المحافظة، أصبح الإطلاع على كتب هذا الرصيد خاضعاً لشروط خاصة تراعي طبيعة الكتاب، من حيث الشكل والمحتوى، وأيضاً المستوى العلمي للقارئ. كما تجدر الإشارة إلى غنى هذا الرصيد وندرته، مما استدعى سن سياسة رقمنة مجموعة مهمة من هذا الرصيد، لإتاحته إلكترونياً للباحثين، جله كتب جميلة، مصورة.

الصنف الثاني:

يتكون من المجموعات المهداة من طرف شخصيات وطنية لها صيتها الفكري والثقافي والعلمي. كما يمكن الإشارة إلى المجموعات التي انضمت إلى ما كان يسمى الخزانة العامة في فترات متلاحقة، منذ تأسيسها سنة ١٩٢٦، ومن ذلك مجموعات كل من «محمد بن

جعفر الكتاني»، و«عبد الحفي الكتاني»، و«التهامي الكلاوي»، و«إبراهيم الكلاوي»، و«محمد حسن الحجوي» و«محمد المقرئ».

أما المجموعات المهداة في السنين الأخيرة، فنذكر منها خاصة «مجموعة محمد أبي طالب»، وتضم حوالي ١٤٠٠٠ كتاب، ومجموعة «الدكتور أحمد رمزي» وتتألف من حوالي ٧,٠٠٠ كتاب، ومجموعة «الدكتور عز الدين العراقي» وتشمل دفعتها الأولى ٦٠٠ مؤلف، ومجموعة «محمد الحمداوي» ومجموعة «إدمون عمران المالح» ومجموعة «الدكتور عبد الكريم العمري» ومجموعة أسرة واعزيز «الطاهر ومحمد».

الصنف الثالث:

ويهم الكتب المخزنة بشكل نهائي، والمتعلقة بنسخة من المؤلفات المودعة بالمكتبة الوطنية، بموجب الإيداع القانوني الصادر منذ سنة ١٩٣٢. عملت إدارة المؤسسة في السنين الأخيرة على جمع كل الرصيد المتعلق بالتراث الوطني، قصد خلق مخزن الإيداع القانوني، والذي يحتوي حالياً على ما يفوق ٢٢,٠٠٠ عنوان.

الدوريات:

تعتبر من أهم الدخائر التي تزخر بها المكتبة الوطنية، سواء من حيث الكم أو الكيف ومن ثم فإن تدبيرها يتطلب مجهوداً خاصاً، نظراً للواردات اليومية لأعداد العناوين الموجودة وظهور عناوين جديدة. ومن هذا المنطلق،

فإن مصلحة الدوريات، وإيماناً منها بدور المجلات والجرائد في البحث، ولأجل تلبية كل الطلبات، قامت بمجهود جبار، تمثل في تنظيم المخازن وترتيب محتوياتها بكيفية علمية دقيقة.

وكتيجة عملية لهذا المجهود، فقد تم حصر عدد العناوين التي تزخر بها المكتبة الوطنية في أكثر من ١٠,٠٠٠ عنوان. ويمتد مخزون المؤسسة من بداية القرن ١٩، مع ارتفاع ملحوظ في عدد العناوين التي ظهرت خلال ثلاثينيات القرن الماضي. أما مواضيعها فتشمل كل الفنون والمعارف الإنسانية وبكل اللغات، خاصة الفرنسية والعربية، والإسبانية، والإنجليزية.

بالإضافة إلى ضرورة تنمية هذا الرصيد والمحافظة والصيانة والمعالجة الفكرية التي يتطلبها، فإن سياسة المؤسسة ترمي إلى الانفتاح على المجلات الإلكترونية العالمية، لإتاحتها لجمهور القراء والباحثين في مخادع مخصصة لذلك.

المخطوطات:

يتوافر المغرب على رصيد وثائقي مهم من التراث المخطوط، يعكس عمق الاهتمام بالمقروء لدى المغاربة عبر تاريخهم: إنتاجاً وصناعةً ومعرفةً. ويتميز هذا التراث بغناه وتنوعه، سواء على المستوى المعرفي أم على المستوى الجمالي. بل ظل دوماً ذاكرة المغرب بامتياز، عند الخاصة والعامة على حد سواء. وذلك على الرغم مما تعرض له هذا المخزون من تلف وضياع وسرقة.

ورغم ذلك، فإن الرصيد الوثائقي للتراث المخطوط في المكتبة الوطنية يصل إلى ٣٢, ٠٠٠. ومن بين نوادير هذا التراث، المصاحف المحفوظة بالمكتبة الوطنية، ويعود بعضها إلى القرن السابع الهجري، كتب بعضها على رق الغزال، وأخرى بماء الذهب، بخط مغربي، ومشرقي، وكوفي، وأندلسي.

ومن نوادير المخطوطات المتوافرة في المكتبة الوطنية كتاب «التفهيم في أوائل صناعة التنجيم لأبي الريحان محمد أحمد البيروني، وكتاب «العز والرفعة والمنافع للمجاهدين بالمدافع» لإبراهيم بن أحمد غانم بن زكريا الأندلسي، وكتاب «التصريف لمن عجز عن التأليف» للزهراوي، و«كتاب الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب» وكتاب «البرصان والعرجان والعميان والحوالان» للجاحظ، وكتاب «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض، وكتاب «المحكم في اللغة» لابن سيده، وغيرها من المخطوطات النادرة.

عدا ذلك، تتوفر المكتبة على مجموعات خاصة لأرصدة وثائقية، وتتكون

من:

- مجموعة الخرائط والتصاميم: يحتوي هذا الرصيد على مجموعة من الأنواع من الخرائط، تغطي مجموع التراب المغربي والمغاربي، وكذا العالمي، من بينها: الخرائط الطبوغرافية، تصاميم التهيئة، أطاليس، بالإضافة إلى أن المجموعة تضم خرائط تاريخية مهمة تهم ميادين ومناطق مختلفة من المغرب.

- مجموعة الصور الثابتة: تمثل هذه المجموعة صوراً عن مدن وقرى

مغربية، ومعالم أثرية، كما تمثل العادات والتقاليد «الحلي، الملابس»، ومجموعة من الأحداث التاريخية والاجتماعية والثقافية.. وأغلبها يعود لفترة الاستعمار الفرنسي بالمغرب.

- مجموعة التحف والميداليات: وتشتمل على مجموعة محدودة تضم الميداليات، واللقى الأركيولوجية، وإسطرلاب، تكتسي قيمة تاريخية، إثنولوجية وجمالية مهمة.

- المجموعات السمعية - البصرية: ظلت تنمية الرصيد الوثائقي بالمكتبة الوطنية، في صيغتها القديمة «الخزانة العامة للكتب والوثائق» محصورة على الحامل الورقي دون غيره من الحوامل الأخرى، وذلك يعود إلى غياب تصور شامل ومنسجم، إضافة إلى غياب الموارد المادية، وانعدام الموارد البشرية المؤهلة.

لكن، وبحلول سنة ٢٠٠٤، أصبح بموجب القانون المتعلق بالإيداع القانوني، الحق للمكتبة الوطنية للمملكة المغربية في استقبال وتدبير الإيداع القانوني الخاص بمختلف الحوامل الورقية وغير الورقية، الصادرة داخل المغرب، وستتحسن هذه الوضعية بالشروع في استقبال وثائق سمعية بصرية ومتعددة الوسائط.

انطلاقاً من هذه المعطيات، بادرت المكتبة الوطنية إلى خلق مصلحة خاصة تعنى بالمجال السمعي البصري، تستجيب للاستراتيجية التي اعتمدها المؤسسة لتحديث مرافقها، وأيضاً ليصبح هذا المرفق عاملاً محركاً

ومؤثراً في مستقبل المؤسسة، سواء على مستوى تحديث بنياتها، أم على مستوى تنويع وإغناء الأنشطة والخدمات التي يستفيد منها عموم زوار المكتبة.

التنشيط الثقافي للمكتبة :

جانب أساسي ما فتئت المكتبة الوطنية توليه، منذ افتتاحها، المزيد من الاهتمام، في انفتاحها غير المشروط على عدد من المؤسسات الثقافية، والمنظمات والقطاعات الثقافية، المحلية والأجنبية، وخصوصاً فيما يتعلق بتنظيم الملتقيات والندوات والمحاضرات واللقاءات الثقافية، والمعارض التشكيلية، والأماسي الإبداعية، وتقديم العروض السينمائية، وحفلات توقيع الكتب، وعروض الرقص والحفلات الموسيقية. فضلاً عن ذلك، احتضنت قاعة الندوات الكبرى بالمكتبة مراسيم افتتاح عدد من المهرجانات والمؤتمرات الكبرى.

وقد يصعب اليوم، ولو عبر هذه المدة القصيرة التي تفصلنا عن تاريخ افتتاح المكتبة الوطنية الجديدة، والتي لا تتعدى سنتين، حصر عدد ونوع الأنشطة الثقافية والفنية التي نظمتها المكتبة الوطنية في مختلف فضاءاتها الداخلية، في استقطابها مختلف شرائح المثقفين والمفكرين والكتاب والأدباء، والفنانين، في مختلف مجالات الكتابة والإبداع، وبلغات مختلفة.

يصرح لنا السيد إبراهيم إغلان، رئيس قسم التنشيط الثقافي والتواصل بالمكتبة الوطنية: «منذ أن تم الافتتاح الرسمي للمقر الجديد للمكتبة الوطنية للمملكة المغربية (١٥ أكتوبر ٢٠٠٨)، ونحن نحاول أن نجعل من هذا

الفضاء الثقافي مجالاً للحوار المعرفي الرصين، إلى جانب الأدوار الكلاسيكية المعروفة لأية مكتبة وطنية.

كان الرهان صعباً في البداية، بحكم تراجع دور الفضاءات الجامعية التي كانت دوماً تلعب الدور الطلائعي لإنتاج المعرفة وتداولها ومساءلتها، فكان اختيارنا - كمؤسسة عمومية - الانحياز إلى العقلانية، وفتح قنوات تواصلية مع جمعيات ثقافية، ومع مثقفين وأدباء، يبحثون بدورهم عن فضاء حر، لطرح قضاياهم وأفكارهم. فكان لزاماً علينا أن نطرح السؤال التالي: ماذا نريد من المكتبة الوطنية؟

نريدها أن تركز ديمقراطية القراءة وأن تكون فضاء للمعرفة والحوار والجدل والسؤال، وأن تساهم في الحفاظ على الذاكرة الوطنية، وأن تنمي مواردها الوثائقية، البشرية والرمزية، وأن تنخرط في القضايا الراهنة على الساحة الوطنية والدولية، وأن تنشر قيم المواطنة والديمقراطية والحدثة.

وبما أن القراءة تعتبر عاملاً أساسياً لبناء مجتمع المعرفة، بل عاملاً مؤثراً في التنمية البشرية، وبما أن المكتبة الوطنية للمملكة المغربية فضاء لممارسة فعل القراءة، فكان لا بد من الاشتغال على مختلف المقاربات، لتوفير الشروط الضرورية للقراءة، أي تهيئة فضاءات ذات معايير ومقاييس عالمية، وتشجيع القراء على الاستفادة من كل الخدمات التي تقدمها المكتبة، ومحاولة إحياء الرصيد الوثائقي النادر الذي تتوافر عليه المكتبة، من خلال تنظيم أنشطة ثقافية متنوعة، حتى لا تصبح المكتبة مقبرة للكتب.

من هذا المنطلق، برمجنا مجموعة من الأنشطة الثقافية الموازية لفعل القراءة، تهدف بالأساس إلى فتح نقاش حقيقي حول «القراءة»، كمشروع مجتمعي، مع مختلف الفعاليات ذات العلاقة، من كتاب وناشرين ومجتمع مدني، ومؤسسات معنية بالشأن الثقافي على المستوى المحلي والجهوي والوطني».

ويكفي أن نشير، على سبيل المثال، إلى عدد من الأنشطة الثقافية التي نظمت بالمكتبة، ولقيت تجاوباً كبيراً مع جمهورها، من قبيل: ملتقيات ابن رشد، و«المهرجان الدولي للفيلم حول حقوق الإنسان»، وتخليد اليوم العالمي للشعر، ومحاضرة الفيلسوف الإيطالي ستيفانو كونتسي، و«ندوة الرحلة العربية في أفق عام»، و«المهرجان الدولي لسينما المؤلف»، وندوة «المغاربة في القرن العشرين»، وندوة «التحولات الاجتماعية بالمغرب»، وأمسية الشاعر الشيلي لويس أرياس مونثو، وندوة إحياء الذكرى الأولى للمخرج الكبير يوسف شاهين، وغيرها من اللقاءات الثقافية والفنية الكبرى... وهي أنشطة تبرز مدى انفتاح المكتبة الوطنية للمملكة المغربية على مختلف مجالات الفكر والمعرفة والأدب والفن، بما يجعل منها اليوم معلمة حضارية وثقافية وفنية كبرى، ومفخرة للمغرب وللعرب كافة.





الثقافة العربية وعصر المعلومات

نبيل علي

حقاً.. نحن نواجه عالماً زاخراً بالمتناقضات، يتوازي فيه تكتل دوله مع تفتت دويلاته، ولا يفوق نموه الاقتصادي إلا زيادة عدد فقرائه.

أولاً: العرب وحوار الثقافة والتقانة :

١- نهايات وما بعد يأتي في البداية، ليكن حديث النهاية. وليس ثمة تناقض في ذلك مع عصرنا هذا الذي نسعى هنا إلى تمثله، عصر يلهث فيه قادمه يكاد أن يلحق بسابقه، وتتهاوى فيه النظم والأفكار على مرأى من بدايتها، وتتقدم فيه الأشياء وهي في أوج جدتها، عصر تتآلف فيه الأشياء مع أضدادها. فالمعرفة - على سبيل المثال - قوة والقوة أيضاً معرفة، معرفة تفرزها هذه القوة لخدمة أغراضها وتبرير ممارساتها وتمير قراراتها.

ياله من مخاض عسير حقاً، ذلك الذي تمر به البشرية وهي على اعتاب مجتمع المعلومات، ومع رهبة الولوج إلى هذا العالم المغاير المثير والمخيف، يجلو حديث النهايات وما البعديات (أمثلة لنهايات: نهاية التاريخ - نهاية الدولة - نهاية القومية - نهاية المدرسة، أمثلة لما بعديات: ما بعد الصناعة - ما بعد الحداثة - ما بعد الكتابة - ما بعد البترول).

٢- عن ظاهرة الإنترنت: نظراً إلى التطور السريع لشبكة الإنترنت، فسبيلنا إلى استيعاب الظاهرة هو تعقب توجهاتها المحورية، من المنظور الثقافي - المعلوماتي، التي من أهمها من وجهة نظر الكاتب:
(أ) من المنتدى العلمي إلى سوق التجارة الإلكترونية: كانت الإنترنت

- في بداية نشأتها - بمنزلة المنتدى العلمي للربط بين المؤسسات الأكاديمية كالجامعات ومراكز البحوث، وسرعان ما أدركت القوى الاقتصادية التقليدية المزايا العديدة لهذه الشبكة، يكفينا منها هنا قدرتها الفائقة على ربط مصادر الإنتاج بمنابع الطلب، وكونها وسيلة فعالة لنقل بضائع صناعة الثقافة، عبر طرق معلوماتها الفائقة السرعة.

لقد سيطرت التجارة الإلكترونية على الإنترنت، وأصبحت بنيتها الأساسية رهناً بما يقدمه تجارها من دعم في صورة إعلانات مباشرة وغير مباشرة. وعلينا نحن العرب ألا ندعن إلى استقطاب الشبكة نحو أمور التجارة الإلكترونية، أو اعتبارها مجرد مقهى للدردشة وساع للبريد الإلكتروني، وأن نتمسك بمهمتها الأصلية في توفير موارد المعلومات اللازمة للإسراع من عملية التنمية الشاملة والمستدامة في وطننا العربي.

(ب) من تبادل البحوث إلى تسليع الثقافة: تسعى المؤسسات الاقتصادية إلى إكساب المنتج الثقافي والإبداعي طابع السلعة التجارية، وبالتالي إلى إعادة تشكيل المؤسسات الثقافية في قالب النمطي للتصنيع والتنظيم الاقتصادي. كما هو معروف تقوم صناعة الثقافة على ثلاثة مقومات رئيسية هي: المحتوى content الذي يمثل مواد التصنيع المعلوماتي ومعالجة المعلومات التي تمثل أدوات الإنتاج، وشبكات الاتصالات التي تمثل قنوات التوزيع. وفي هذا الإطار، علينا أن نضع نصب أعيننا أن أهم مقوم في تلك الثلاثية هو ذلك الخاص بالمحتوى، والذي يعني في حالتنا موارد تراثنا الرمزي، من نصوص وموسيقى

وأفلام وقواعد بيانات، وكذلك الطاقات الإبداعية الخلاقة القادرة على إبداع المحتوى الجديد.

(ج) من النصوص إلى التناص، ومن الخطية إلى التشعب: أتاحت تكنولوجيا معالجة النصوص آلياً أدوات فعالة للحرث طويلاً وعرضاً في متن النصوص، وتحليل مضمونها، وهكذا تم تحرير النصوص من قبضة تلك الخطية linearity الصارمة التي فرضها عليها جهود الورق وثبوت الطباعة؛ فليست النصوص كما تبدو - في ظاهرها - تلك السلاسل المتعاقبة من الحروف والكلمات والجمل والفقرات، بل هي - في جوهرها - شبكة كثيفة من العلاقات المنطقية والتركيبية والموضوعية. وهي العلاقات التي تتجلى في صور مختلفة من القرائن اللغوية، معجمية وصرفية وتركيبية ونحوية ودلالية ومقامية. حتى يمكننا تتبع مسارات هذه الشبكة من العلاقات، استحدثت تكنولوجيا معالجة النصوص ما يعرف بتكنيك (حلقات التشعب النصي hypertext) لقد قضى هذا التكنيك على خطية السرد النصي؛ حيث يمكن من خلاله الربط بين أي موضع وآخر داخل النص أو الوثيقة، ويمكن كذلك الربط بين الوثائق الإلكترونية لاقتفاء مسارات تناصها inter textually.

(د) من الباحث البشري إلى الوكيل الآلي الذكي: لقد فتحت الإنترنت بوابات الفيضان المعلوماتي على مصاريعها؛ لتصبح مشكلة الإفراط المعلوماتي، أو حمل المعلومات الزائد information overload، من أخطر المشاكل التي نواجهها حالياً. وأصبح في حكم المؤكد استحالة التعويل على الوسائل البشرية وحدها لمسح الشبكة دورياً بحثاً عن

المعلومات المطلوبة، وكان لا بد من أتمتة هذه العملية؛ وذلك باللجوء إلى ما يسمى بالروبوت المعرفي knowbot، أو البرمجي softbot، بصفته (وكيلاً ألياً) يحال إليه القيام بهذه المهام الروتينية الشاقة، وعلى ما يبدو، فنحن لن نواجهه، في معركتنا الثقافية الضارية على ساحة الإنترنت، أفراداً ومؤسسات فقط، بل جيوشاً جرارة من روبوتات المعرفة تقتحم علينا مواقعنا عبر الشبكة، وعلينا أن نفكر من الآن: كيف نحصن مواقعنا من هذا (التطفل الإلكتروني)، ونحرس تراثنا بحيث لا ينهب في غيبة منا من قبل (زوار الليل الجدد).

ثانياً: ثقافة اللغة (منظور عربي - معلوماتي) :

١- اللغة: ذلك الشائع المجهول: يزخر العالم بآلاف اللغات، وكل لغة تحمل العالم في جوفها. واللغة هي الهواء الذي نتنفسه، وهي حولنا تحيطنا من كل حذب وصبوب، فهي وسيلتنا لإدراك العالم، وواسطتنا التي تحدد المسافة بيننا وبين واقعنا. وأداة تعاملنا مع هذا الواقع، ونظراً إلى شيوعها وشموليتها، فهي مسؤولية الجميع: مسؤولية المجمع والجامع، ومؤسسات التربية وأجهزة الإعلام والمنظمات الثقافية. يقول أهل النسبية اللغوية: «لغتي هي عالمي، وحدود لغتي هي حدود عالمي»، وهو نفسه ذاك العالم الذي انتزعه محمود درويش ممن أرادوا أن يسلبوه إياه، فاضين عليه أن يفارقه، حاملاً معه (لغته) تحمل معها (عالمه). لقد قرر شاعر الأرض السلبية أن يكون (وطنه هو حقيبة سفره)، وليس هناك خير من اللغة زاداً لسفره هذا، فاللغة هي الذات وهي الهوية، وهي

أداتنا لكي نصنع من المجتمع واقعاً. اللغة العربية - بلا شك - هي أبرز ملامح ثقافتنا العربية، وهي أكثر اللغات الإنسانية ارتباطاً بالهوية. يقر الجميع أننا نعيش أزمة لغوية طاحنة، تفشت حتى كادت تصبح عاهة ثقافية مستديمة.

ويعكس جهد الإصلاح اللغوي في القرن الماضي، وخطابنا اللغوي الراهن، قصور معرفتنا بلغتنا، ويرجع ذلك إلى أسباب عديدة، من أهمها في رأي الكاتب:

- عدم إلمام الكثيرين لدينا بالجوانب العديدة لإشكالية اللغة، حيث يقتصر تناولنا هذه الإشكالية - في أغلب الأحوال - على الجوانب التعليمية والمصطلحية.

- قصور العتاد المعرفي لمعظم منظرينا اللغويين، بعد أن أصبحت مسألة اللغة ساحة ساخنة للتداخل الفلسفي والعلمي والتربوي والإعلامي، بل التكنولوجي أيضاً.

- خطأ التشخيص لدائنا اللغوي، فتارة يوجه الاتهام إلى مدارسنا، وتارة إلى مجامعنا، وتارة أخرى إلى إعلامنا، بل وصل الأمر بالبعض إلى إدانة اللغة العربية نفسها؛ تحت زعم أنها تحمل بداخلها كوامن التخلف الفكري والعجز عن تلبية مطالب العصر. وبإله من اتهام جائر لهذه اللغة الإنسانية العظيمة.

٢- تعاضم دور اللغة في عصر المعلومات: تلعب اللغة في مجتمع المعلومات دوراً أكثر خطورة عن ذي قبل، ويمكن إرجاع ذلك إلى عدة أسباب

رئيسة هي:

(أ) محورية الثقافة في منظومة المجتمع، ومحورية اللغة في منظومة الثقافة: أكدت اللغة، بفضل المتغير المعلوماتي كونها محور منظومة الثقافة بلا منازع في الوقت نفسه، ونتيجة لذلك، فقد أصبحت معالجة اللغة آلياً بواسطة الكمبيوتر هي محور تكنولوجيا المعلومات، خاصة أن اللغة هي المنهل الطبيعي الذي تستقي منه هذه التكنولوجيا أسس ذكائها الاصطناعي، والأفكار المحورية للارتقاء بلغات البرمجة.

(ب) الأبعاد اللغوية لظاهرة العولمة: سواء كانت العولمة وفاقاً أم صراعاً، فللغة - في كلتا الحالتين - شأن خطير. فإن كانت (وفاقاً)، فاللغة ذات شأن جليل في حوار الثقافات. أما إن كانت العولمة (صراعاً). فقد جاءت الإنترنت لتفتح بوابات الفيضان أمام تدفق معلوماتي هادر تطغى عليه اللغة الإنجليزية، وهو الأمر الذي أثار الفرع لدى جميع الأمم غير الناطقة بالإنجليزية.

(ج) تواصل لغوي أوسع نطاقاً وأكثر تنوعاً: تشير جميع الدلائل إلى أن التواصل عن بعد، عبر الوسيط الإلكتروني، سيقبل مفهوم التواصل اللغوي الذي اعتدنا عليه رأساً على عقب.

ثالثاً: ثقافة التربية (منظور عربي - معلوماتي):

١- عن التربية وأهميتها: يشهد التاريخ، قديمه وحديثه، على محورية التربية في صنع الإنسان وبناء المجتمع. وقيمة الإنسان هي حصاد معارفه، وحضارة المجتمع - بدورها - هي المحصلة الجامعة لمعارف أبنائه التي وهبتها إياهم التربية، ولم يكن هذا الحديث عن أهمية التربية أخطر

مما هو عليه الآن، والبشرية تغامر بمصيرها، مندفعة صوب مجتمع المعلومات. وإزاء هذا الوضع الإنساني الفريد، تعالت الأصوات تنادي بثورة اجتماعية شاملة على جميع الأصعدة، وثورة التربية - كما قيل - هي شرط لكل ثورة. وكما أنه لا خلاف على الأهمية الاجتماعية للتربية، فليس هناك - في المقابل - وفاق على طبيعة علاقة التربية بالمجتمع؛ فتارة هي المحرك الدافع لمجتمعها، وتارة أخرى هي ذلك الخاضع المستكين لأهواء من يقبض على زمام الأمور في المجتمع.

وأزمة مجتمعنا العربي المتفاقمة هي - في جوهرها - أزمة تربوية كما خلص إلى ذلك عبد الله عبد الدايم، وليس لنا سوى التربية مخرجاً لانتشال أمتنا العربية من أزمتها الراهنة.

٢- الغايات الأساسية لتربية عصر المعلومات: تسعى كل فلسفة تربوية إلى تحديد غايات التربية، وعليها أن تجيب، في شأن ذلك، عن سؤالين محوريين:

السؤال الأول: لماذا نعلم ونتعلم؟

السؤال الثاني: ما مواصفات الإنسان نتاج التربية المنشودة؟

وقد أورد تقرير اليونسكو (التعليم ذلك الكنز المكنون) الغايات الأربع لتربية عصر المعلومات والتي صاغها على الوجه التالي:

تعلم لتعرف: تختلف عملية اكتساب المعرفة في عصر المعلومات عن سابق سيرتها قبله وذلك في أمور عدة أساسية هي: كيف تعرف؟ لا: ماذا

تعرف؟ - تكامل المعرفة واتساع نطاقها - مداومة اكتساب المعرفة من خلال التعلم مدى الحياة - الصمود إزاء تعقد معظم ظواهر الواقع في مجتمع المعرفة.

تعلم لتعمل: وهي غاية تتطلب التعامل مع عالم الواقع وعوالم الفضاء المعلوماتي cyberspace علاوة على سرعة التجاوب والقدرة على التحاور مع فصائل الكائنات الذكية من أصحاب (العقول السيلكونية) ذات الذكاء الاصطناعي، علاوة على التكيف مع أطوار العمل المختلفة: العمل عن بعد - العمل الجامعي - والعمل في أثناء التنقل أو الحركة.

تعلم لتكون: يقصد بشعار (تعلم لتكون) تنمية الفرد بديناً وذهنياً ووجدانياً وروحانياً، والتي تتطلب إضفاء العامل الشخصي على عملية التربية وتنمية ملكة الحكم على الأمور وتنمية الشعور بالمسؤولية الفردية.

رابعاً: ثقافة الإعلام (منظور عربي - معلوماتي):

١- عن ثورة الإعلام والاتصال: الإنسان - كما قيل - حيوان اتصالي، ولا تقوم للمجتمع الإنساني قائمة دون نظام للاتصال، الذي اعتبره البعض شرطاً من شروط بقاء الكائن البشري. وتاريخ البشرية، من عصور نقوش الأحجار إلى بث الأقمار، يمكن رصده متوازياً مع تطور وسائل الاتصال التي تربط بين الأفراد والجماعات.

لقد ظن البعض خطأ أن إعلام عصر المعلومات ما هو إلا مجرد طغيان

الوسيط الإلكتروني على باقي وسائط الاتصال الأخرى، لكنه - في حقيقة الأمر - أخطر من ذلك بكثير؛ فالأهم هو طبيعة الرسائل التي تتدفق من خلال هذا الوسيط الاتصالي الجديد، وسرعة تدفقها وطرق توزيعها واستقبالها. لقد ساد الإعلام ووسائله الإلكترونية الحديثة ساحة الثقافة، حتى جاز للبعض أن يطلق عليها: ثقافة الميديا، وثقافة التكنولوجيا، وثقافة الوسائط المتعددة.

يعيش إعلامنا العربي صدمة إعلامية على مختلف المستويات: السياسية والتنظيمية والفنية، فليس بالأقمار الصناعية والقنوات الفضائية وأحدث المطابع الصحفية وحدها يحيا الاتصال في عصر المعلومات. وعلينا أن نقر بأننا لم نرصد بعد مسارات الخريطة الجيو - إعلامية الحديثة. لقد فقد إعلامنا العربي محوره، وأضحى مكبلاً بقيود ارتباطه الوثيق بالسلطة، تائهاً بين التبعية الفنية والتنافس السلبي على سوق إعلامية وإعلانية محدودة.

نستعرض في هذه الفقرة التوجهات الرئيسة لتكنولوجيا الاتصال من منظور ثقافي، والتي تشمل:

- من الإعلام إلى الاتصال: إنه التواصل بمعناه الواسع، الذي لا يقتصر على إبلاغ الرسائل، بل يتجاوز ذلك إلى مهام التعليم والتعلم والترفيه واسترجاع المعلومات، ويشمل - أيضاً - التراسل عبر البريد الإلكتروني، والتحاوور والتسامر من خلال حلقات النقاش وعقد المؤتمرات عن بعد.
- نحو مزيد من أجهزة المعلومات النقالة: فرضت الحياة العصرية على

الإنسان أن يظل على اتصال دائم ومباشر بمصادر معلوماته، وأماكن عمله ومعيشته؛ وهو الأمر الذي أدى إلى التوسع في أجهزة المعلومات النقالة، ومن المتوقع أن تنتشر هذه الأجهزة في كثير من البلدان العربية تماماً كما انتشر الهاتف المحمول. وسيظل التساؤل هنا: ما جدوى اقتناء هذه البدع من الأجهزة الإلكترونية النقالة إذا ما ظل استخدامنا إياها محصوراً في تلك الأمور الثانوية دون الاستفادة الحقيقية من إمكاناتها العديدة؟ خاصة في ظل الاندماج المرتقب بين التلفزيون والإنترنت والجيل الثالث من الهواتف النقالة.

خامساً: منظومة القيم والمعتقدات (منظور عربي - معلوماتي) :

١- عن هذا الفردوس المفقود: ما أشد ثقة العلم بنفسه، وقد ازداد غروراً وصلفاً بعد ما سجله من انتصارات، وتسرع التكنولوجيا خطاها تلهث. نراها تضيف كل يوم جديداً إلى رصيد إنجازاتها. لقد بدا لنا الكون وكأنه خاضع لفكرنا، تقوده إرادتنا لغايات محددة، واسترخينا تحت وهم يصور لنا العلم والتكنولوجيا قوة طوع أيدينا وتحت سيطرتنا، ويا له من وهم ساذج؛ فليس لنا اليوم حياة مستقلة بمنأى عن سيطرة هذه التكنولوجيا الأسرة. لقد قامت حياتنا المادية على تكنولوجيا غاية في النجاح، في حين تنس حياتنا الروحية تحت وطأة الخواء؛ فقد ألهتنا هذه التكنولوجيا بقدرتها الفائقة على إحداث التغيير، فنسينا ما بقي - وسيبقى دوماً - ثابتاً بداخلنا دون تغيير.

لا بد من أن يختلف موقفنا من علاقة الدين بالعلم والتكنولوجيا عن موقف الغرب منها؛ لعدة أسباب من أهمها:

- عدم حسم كثير من الأسئلة المتعلقة بعلاقة الدين الإسلامي بالحدثة.
- لا يمثل العلم والتكنولوجيا في العالم العربي، حالياً الثقل اللازم لكي يكون طرفاً متكافئاً في المعادلة الدينية العلمية.
- بينما يبحث الغرب عن قيم جديدة يواجه بها عصر المعلومات، نجد أن شاغلنا الأساسي، هو كيفية الدفاع عن قيمنا ضد الخطر الوافد عليها من الغرب.

٢- عن أسلمة المعرفة: يتردد كثيراً استخدام مصطلح (أسلمة العلوم)، إلا أننا فضلنا عليه مصطلح (أسلمة المعرفة)؛ حيث يتوسع البعض في نطاق الأسلمة ليشمل، بجانب العلوم الطبيعية والإنسانية، التكنولوجيا والفنون والفلسفة. يمكن القول بصفة عامة: إن هناك توجهين رئيسيين للأسلمة:

- التوجه الأول: وهو لا يفرق بين علوم الدين والدنيا، (فلا معنى في ديار الإسلام لمثل هذه التفرقة). وفي تصورنا، يمكن تفريع هذا التوجه إلى توجهين فرعيين: أحدهما، يتبنى فكرة أسلمة جميع فروع المعرفة انطلاقاً من الصفر، والثاني ينظر إلى أسلمة المعرفة نظرة انتقائية، تقوم على مبدأ العمل المزدوج؛ ترشيح المعرفة المستوردة مما يتناقض مع عقيدتنا وقيمنا من جهة، وتعزيزها بما تتطلبه هذه العقائد وتلك القيم، من جهة أخرى.

- التوجه الثاني: يفصل بين علوم الدين والدنيا، وتفرعه كسابقه إلى توجهين فرعيين، أحدهما يتبنى مبدأ: استيراد التكنولوجيا من دون الأيديولوجيا، والثاني يتبنى مبدأ حصر الأسلمة في نطاق العلوم الإنسانية دون العلوم الطبيعية.

سنناقش فيما يلي كلاً من هذه التوجهات الأربعة مسجلين - بداية - تحفظنا عليها جميعاً:

فيما يخص توجه الأسلمة الشاملة لجميع فروع المعرفة، فمن الواضح أنه أكثر توجهات الأسلمة طموحاً. يقوم توجه الأسلمة الشاملة، على أساس صلاحية الإسلام لكل مكان وزمان، وعلى أن الأصول الإسلامية الثابتة وحدها كفيلة بإحداث الثورة العلمية، وينطلق من اعتبار النص القرآني، مصدراً علمياً دقيقاً وشاملاً. ينطوي هذا التوجه على تناقضات عدة، مع نفسه ومع خارجه على حد سواء. يمكن تلخيصها على الوجه التالي:

- تناقض تاريخي: مع ما أكدنا عليه من قدرة الإسلام لغته ومعرفته وقيمه، على التعامل مع معرفة الآخرين واستيعابها، والتي تجلت بوضوح في أثناء الفتح الإسلامي.

- تناقض معرفي: فعادة ما ينطلق العلم من نظريات فلسفية جامعة، وليس لدينا من هذه الصروح الفكرية ما يمكن أن نقيم عليه علوماً خاصة بنا، ويخشى مع هذا إهدار الوقت والجهد في الاشتباك مع قضايا أولية سبق للفكر الإنساني أن حسمها بصورة قاطعة.

- تناقض مع معرفة عصر المعلومات: حيث تغفل الأسلمة الشاملة توجه هذه المعرفة المتزايد، نحو اشتغال الخاص في إطار العام، خاصة بعد أن وفرت تكنولوجيا المعلومات الوسائل العملية لدعم التنظير العلمي العابر للثقافات والتخصصات.

- وعلى الجانب العملي: أين هي تلك الموارد البشرية والمعلوماتية القادرة على اختصار ٢٥ قرناً من الفكر الفلسفي والعلمي في حقب قليلة؟ وهل تسمح لنا السرعة التي يتغير بها العلم الضخم لعصر المعلومات ذي الطابع المؤسسي بفسحة الوقت اللازم لإجراء تجاربنا المعرفية.

أما توجه أسلمة المعرفة انتقائياً فبالرغم من تقديرنا لدوافعه العملية، فإنه - أيضاً - توجه محفوف بالمخاطر؛ فالعلم بناء معرفي متكامل، يصعب أن نفتص منه دون أن نقوض بذلك بعض الأفكار الرئيسية التي قام عليها، خاصة مع إدراكنا أن الأمور الخاصة بالعقائد، عادة ما تقع في قلب النظرية، لا في أطرافها الهامشية (من الأمثلة على ذلك: نظرية الفلك، ونظرية التطور، ونظرية التاريخ، ونظرية اللغة، ونظرية علم النفس). فلو افترضنا - على سبيل المثال - أننا أخذنا علم البيولوجيا الجزيئية دون مفهوم نظرية التطور لتناقضها مع نظرة الإسلام إلى نشأة الإنسان كما يتصور البعض، فهذا الاقتصاص النظري يقوض الأسس التي قام عليها هذا العلم من أساسه.

أما توجه اقتناء التكنولوجيا دون الأيديولوجيا، فيبدو براقاً في مظهره، إلا أنه ينطوي على نظرة قاصرة للتكنولوجيا، حيث يقصرها على شقها الفني

فقط، دون المعرفي والتنظيمي والأخلاقي، خاصة - وكما أشرنا سابقاً - أن التكنولوجيا تكاد أن تصبح فرعاً من فروع فلسفة الأخلاق. فكيف يمكن لنا - على سبيل المثال - أن نقتص من الهندسة الوراثية جانبها الأخلاقي؟

أما توجه حصر أسلمة العلوم في مجال علوم الإنسانيات دون علوم الطبيعيات، فهو أكثر بدائل أسلمة المعرفة واقعية، وكذلك كيف أخذت الحضارة الغربية من حضارة الإسلام العلوم التجريبية وأسس المنهج التجريبي دون أن تأخذ توحيد الإسلام وقيمه وشريعته وفلسفته ونظرته إلى الكون. أما اقتراح أسلمة العلوم الإنسانية فهو توجه يحتاج إلى نظرة متأنية متعمقة.

سادساً: الإبداع الفني (منظور عربي - معلوماتي):

عن علاقة الفن بالتكنولوجيا: علاقة الفن بالتكنولوجيا علاقة ممتدة عبر العصور، من رسوم الكهوف ونقوش المعابد وكتابات ألواح الطين، إلى رسوم الكمبيوتر وفنونه الذهنية وعوالمه الخائلية. وهي علاقة غريبة الأطوار، تظهر العداء، وتبطن الوفاق.

إن الفن ينفر من مادية التكنولوجيا وبرامجياتها الصارمة، ويرى فيها تناقضاً جوهرياً مع ما يتحلى هو به من رهافة وحساسية، وكيف يهدأ للفن بال إزاء تكنولوجيا انتابها الغرور، فراحت تطأ بأقدامها الثقيلة أراضيها اللينة، وتسعى إلى محاكاة إبداعه، وتهميش دوره، تسلبه جمهوره، وتعبث بترائه ونتاج إبداعه.

وعلى النقيض مما أسلفناه، كثيراً ما ألهبت التكنولوجيا خيال المبدعين، فما إن تظهر تكنولوجيا جديدة؛ حتى تندفع طلائع الفنانين إلى استخدامها في مجالات فنونهم المختلفة.

لقد أسقطت تكنولوجيا المعلومات كثيراً من القيود التي تكبل الفنان، فحررت فنان التشكيل من قيود إطار اللوحة وثنائية أبعادها؛ حيث أصبح بإمكانه أن يرسم أشكاله في فراغ غير محدود ثلاثي الأبعاد...

كلمة ختام:

وفي النهاية، ليكن سؤال البداية: من أين نبدأ؟

قناعة الكاتب: إن البداية في التربية.. والمدخل إليها هو اللغة، وركيزة كليتها هي الثقافة، ثقافة المعرفة المتكاملة والإيمان الصادق، وكلاهما رهن بتوافر الحرية.

على قدرِ أهلِ العزمِ تأتي العزائمُ وتأتي على قدرِ الكرامِ المكارمُ
وتعظم في عينِ الصغيرِ صغارُها وتصغرُ في عينِ العظيمِ العظائمُ

(المتنبي)



المصدر: مجلة العربي، يناير ٢٠٠٦م.

الكتاب والقراء.. علاقة متوترة

مصطفى ناصف

كلمة الأدب تثير الحيرة في عقول بعض الدارسين، يتساءلون عما إذا كان هناك شيء خاص اسمه الأدب، الأعمال الفلسفية والتاريخية واللاهوتية والأخلاقية تتداخل فيما بينها، لكن كثيراً من الدارسين الآن لا يقرؤون الكتب العظيمة، يزعمون أنها ليست أدباً خالصاً!

تغلب علينا بعض الاعتبارات الأسلوبية، ومن ثم لا نتحدث عن جهود متفاعلة. إن الحدود ليست إلا تحكماً مؤقتاً متغيراً. من حقنا أن نفتح أخرى ثانية. كل شيء يغري بتجاوز مطالب فئة معينة تقيم لنفسها سلطة ذاتية، أليس من الأجدى أن نتصور بيتاً مشتركاً يتبادل أهله الحوار واللغة وتعدديات الخطاب وفجواته وإحالاته. هناك دائماً فرصة للقتال بين النصوص، نحن شركاء في نصوص مجهولة تحتاج إلى الكشف.

لدينا أبنية صغيرة تعكف على مسألة الاضطرابات وعدم الاستقرار، ولدينا طموحات تداخلية عبر تخصصات مختلفة، لدينا تداخلات القانون والسياسة والمحادثة والصرامة. لا نريد أن نتخفف من دراسة عبء إدارة الحياة وسط تخصصات ضيقة، ولا نريد تجاهل حقائق الحوار الذي نتداوله في المجتمع. التحقق الاجتماعي للحوار أمر مهم، نحن نتوقف أحياناً عند مستوى سطحي ثانوي أو مستوى ترفيهي أو مستوى بسيط.

إن فئات غير قليلة لا يعينها أمر التفاعل الاجتماعي وما يسميه علماء المسلمين باسم مصالح الأمة. إن كثيراً من الكادحين الفقراء ليس لديهم فرصة التفكير في أمر التفاعل. نحن نعلم أشياء دون أن نكثرث بغبية كثيرين

عن الحوار. نحن لا نشارك في الحوار. الأكاديميون أنفسهم معزولون، الناس عاكفون على أنفسهم، والناقد لا يعنيه التوجه العملي، تعنيه مثالية أدبية لا علاقة لها بكثير من ممارسات الحوار.

هذه الممارسات قد يهددها الطابع الصناعي الذي تُعد فيه بعض الأفكار، وتوزع فيه الأدوار، ويختار الأشخاص وفقاً لبعض المعايير، وربما تصدر التوصيات قبل أن تعقد الاجتماعات.

لا يشغل الأكاديميين أمر كثير من العلاقات الاجتماعية ذات الطابع الاحتفالي فضلاً عن غيبة حوار حقيقي مع ذاتنا، والاكتفاء بالمسابقة المنمقة، والغفلة عن التراجع والاستنزاف. شغلنا بعض الشعائر، وبرعنا في أن نعيش على وجهين، وتكاسلنا عن بحث التفاعل الغائب. نحن غالباً نتجاهل شؤون الحوار الفعلي وشؤون الأصوات المتعددة والاجتهادات المتنوعة المتنافرة، وشؤون الاتهام المتبادل، والشكوك والمخاوف المتبادلة، التي صنعت بواطن عقولنا. نحن نتشدد بحوار حضارات وحوار أديان قبل أن نحاور أنفسنا، وقبل أن نسيطر على زحام الخطاب. نحن نتكلم أكثر مما نعمل، وأكثر مما نصمت. لقد استهلكنا أنفسنا في الكلام الذي يبدد طاقة الفرد وطاقه الجماعة. نحن نعزف عن الاختلاط الحقيقي اكتفاءً بجمل قصيرة وعناصر متفرقة، النقاش قليل، وتعاملنا الحقيقي مع اللغة لا يلقي عناية واضحة. تعاملنا الدراسي مغرق في تخصصات أشبه بالعصية.

الخاصة والعامة قطيعة بلا جسور:

نحن لا نتفاعل، والقراءة عندنا قلّ أن تكون دربة على التفاعل والمشاركة القلقة، والريب في بعض الإجراءات التخصصية، فضلاً عن الريب في كلمات تدخل خفية في ثنايا كلمات. جنى على بعض الفئات طول اشتغالها بما تسميه الخيال والجمال. نحن جميعاً نتحدث عن مآزق جماعية دون أرق. والخاصة من الناس لا يملون من حديث مفرّغ من العلامات.

نحن نبرع منفردين، ولا نبرع مجتمعين، المختصون - كذلك - لا يسمعون أصوات غير المختصين. الخاصة تتحدث دون انقطاع عن قلة اشتغال الجمهور بالمصلحة العامة، لكن الخاصة لا تعلم عن الجمهور الكثير، الخاصة تهتم بطائفة من النصوص أكثر من اهتمامها بالبشر. النصوص الآن تكاد تنافسنا - وشؤون الكثافة الدلالية وفقد المرجعية والنزعة اللغوية بعامة لا تعني ألوف الألوف.

ما يعني النخبة ربما لا يعني الكثيرين، إننا نعمل، والمختصون يتكلمون، الخاصة تحاطب العامة بما لا تحتاج إليه العامة أحياناً. كثير من العامة يُعجبون بذكاء الخاصة ثم لا يطمئنون، بين الخاصة والعامة فجوة وريب متبادل.

الخاصة تعنيها الكتابات الجديدة، والعامة تعنيها الحلول العملية، الخاصة تتمتع بقدر من الانفصال والاعتراب، والعامة تعرف هذا معرفة جيدة.

الخاصة تحرص على البلاغة لكي تسوس العامة، والعامة ترى البلاغة فناً لا تتسع له حياة الكادحين، الغريب أيضاً أن الخاصة الآن تتنكر للإحساس

التاريخي الذي يجله الشيوخ من العامة.

ما يقوله الناس في المجتمع يخضع لتصفية الخاصة وأهوائها، الخاصة تحتكر لنفسها فكرة القوة والغنى، وهي الآن تمضي وراء التفكك وما إليه، هنا يتعجب العامة لكنهم لا يمضون في النقاش، كل فئة لها مصالح وقدرات على مقاومة فئات أخرى، لكننا قليلاً ما ندرس هذا. الخاصة - باختصار - تقدس الكتابة وقوة العبارة، لكن القراء يقرؤون بنصف عقولهم، عامة الناس بينهم وبين الكتابة واللغة مسافة، لكن الصفوة لا تدرس هذه المسافة ولا توقرها ولا تنظر إليها نظرة عادلة. تشكو الخاصة الآن من الخلل والاضطراب الذهني واللغوي، لكنها - مع الأسف - تبرئ نفسها. الخاصة تقول منذ زمن بعيد إن البلاغة هي الإيجاز، لكن خاصة هذا الزمن لا تقتنع بالإيجاز؛ لأن الإيجاز لا سلطان له. الخاصة تؤكد الفضول، وتعزو إليه كرامة. الخاصة لا تشفق علينا، لا أحد يعلمنا لغة بلا فن ولا ظواهر أسلوبية ذات أبهة. علم الخاصة باللغة العامة علم ضئيل. الخاصة تجر العامة جراً نحو التفنن، والخاصة تكسب الكثير؛ لأنها تقول ما لا يقوله الناس. الخاصة تفرض علينا فرضاً مصالِح أديبة ضيقة أحياناً.

الخاصة آخر الأمر (تتملق العامة)، وتضمّر شيئاً آخر. القراء يسعون إلى معرفة الخاصة لكن الخاصة لا تسعى بالحاح إلى معرفة ما يدور في قلوبنا وعقولنا.

العامة - مع ذلك - يوقرون الخاصة توقيراً كبيراً لكنهم الآن يتساءلون

فيما بينهم، أو يقولون في مجالسهم الخاصة أضعاف ما يعلنون.

إذا كان موضوعنا هو التفاعل، فإن ثمة صعوبات غير قليلة تجعل قلة من الناس تعطي وكثرة من الناس تأخذ أو تتردد دون ضجة. الخاصة لا تمل من الحديث خوفاً على نفسها، والعامّة من الناس يأخذون الآن كل شيء مأخذاً قريباً. لقد وقرت في النفوس بعض الاعتقادات اليائسة، وأخذنا نستمتع بالتلفزيون والراديو أخبار الرياضة والفنانين والمشهورين ودنيا الحوادث والطرائف، لكن في النفوس عزلة وانفصلاً، لا قوة أو حواراً. في قلوب الشباب وعقولهم قدرية أقوى مما شهدنا في أجيال ماضية، لكل واحد مشاكله وعالمه، أهدافه ومطامعه، لا وقت عنده للتفاعل. هذه الملاحظات نعرفها جميعاً، ولكن ما نعرفه جميعاً لا ندرسه ولا نتأمله بمعزل عن أهواء بعض الخاصة الذين جعلونا مادة أولية لحياتهم ونبوغهم وسلطانهم.

الكاتب قد يفترض أنه قائد ملهم مبعوث من السماء أو من المجتمع لتويرنا وإنقاذنا. الكاتب قد يفترض أن كتابته رسالة، وأن سماعنا لما يقول واجب مفروض، كل كاتب يتظاهر بالديمقراطية، ولكن هذه الديمقراطية لا تخلو من نرجسية، الكاتب الآن هو شيخ القبيلة أو المعلم، أو الناصح الأمين أو البدر الذي تحدث عنه البحري. الكاتب دان إلينا، لكنه شاسع عنا أحياناً. الكاتب يتصور أنه مفرط في الغلو، وضوؤه قريب منا نحن العامة، الكاتب إذن حاكم فريد يملك ما لا يملك الحكام. هذه التصورات لا غلو فيها ولا مبالغة.

قد يكون الكاتب لنفسه مملكة حصينة، قد يتحدث إلينا كل صباح أو كل أسبوع، قد يبسط علينا قوته ومهارته، آراءه وخواطره.

ذلك أنه يملك الحديث، ويملك الأذان أيضاً. العامة يعرفون هذا كله، لا يناطحونه، وربما لا يمارون فيه. ولكنهم يمضون لشؤونهم، وعلى لسانهم بسمه متواضعة واثقة. للعامة مكرهم المسالم الهادئ، هم غالباً لا يقرؤون، فإذا قرأوا اليوم أعفوا أنفسهم من القراءة غداً. العامة يرون الكتابة علامة النظام الاجتماعي، نتفق عليه ثم نثوب إلى أنفسنا. لا يزال أمر الانفصال والتنافس غير المعلن بين الكاتب والقارئ وغير القارئ محتاجاً إلى بحث وفكاهة وسخرية وتأمل.

لمن يكتب الكاتب الآن؟! سؤال ليس من السهل الإجابة عنه. الكاتب يكتب لنا جميعاً، أو يكتب لفريق دون فريق، أو يكتب لمن يحبونه ويسخطون عليه لمن يقتنعون به ومن لا يقتنعون. الكاتب - مع ذلك - في موقف حرج لا يجب أن يعترف به، فهو مضطر إلى أن يقول ما يجب، وأن يقول ما لا يجب. المطبعة لا ترحم ولا تقبل الاعتذار.

الكاتب إذن يبدأ بطلاً ثم يستحيل مكرهاً لا بطلاً، لكنه لا يصرح لنا بشيء من ذلك. يظل يدنو ويعلو، يرضى ويسخط، ويلبس كل يوم لبوساً. يستدرجنا ثم يسخر منا، ثم يعاود الكرة. القارئ وغير القارئ يعلمان هذا كله، وربما يحمدان الله على ما وهبا من حرية.

المهم أن القارئ والكاتب يتبادلان المحبة والسخط، يعرف كل منهما

صاحبه، وينكر كل منهما صاحبه. الحياة الحديثة قوامها تعقيد أمر الاتصال والانفصال، تعقيد الجمع بين الرفض والقبول، الكاتب والقارئ يتعاونان ويفترقان. الكاتب الآن في قبضة العامة لقد وقف موقف المتممي إلى الخاصة من الناحية النظرية، لكن قوة العامة تشتد يوماً بعد يوم، وهي الآن لا تسمح لكثير من الكتاب بالانفصال التام عنها أو العلو عليها. الكاتب إذن سلطان في ظاهر الأمر، تابع في الحقيقة من هذا الوجه أو ذاك. لكن الكاتب لا يرضى بهذا رضاً تاماً. إنه ينتقم لنفسه، ويعبث عبثاً حلواً أو مرأاً بالقراء. القراء يعلمون هذا علماً حسناً.

لكنهم لا يملكون أقلاماً ولا يعرفون فن الكتابة وهم يكتفون بالنظر العابر، وهم يتجاوزون هذا النظر. هم أيضاً يلعبون مع الكتاب، وهم لا يعرفون ما يعرفه الكتاب. الكتاب يفرحون بصداقة القراء، لكنهم لا يركنون لهذه الصداقة دائماً. كذلك القراء يفرحون بصداقة الكتاب، لكنهم أيضاً لا يثقون بها ثقة تامة في كل حال.

القارئ مستهلك ومنتج كذلك :

الكاتب سلطة مجتمع، وكل سلطة تثير فنوناً متعارضة من الاستجابات، والقارئ مستهلك له قوة الاستهلاك وأثره، وله أحياناً قوة الإنتاج وبراعته. القارئ قد يعتمد على نوع من المراوحة والسلبية القاتلة، والكاتب قد يكتب غير واثق من السمع، والقارئ يقرأ أو يعزف عن القراءة غير واثق من قوة أثره، ربما يسأم الكتاب من القراء، ويسأم القراء من الكتاب. والمجتمع قد

يتعثر في هذا المكر المتبادل الذي كان يسمى في العصر القديم باسم الأخذ من كل شيء بطرف. هذا هو تسخير القراء للكتاب، وهذا هو الكاتب الذي فرض عليه تمثيل كل الأدوار أو تقمص كل الشخصيات، أو تقليب المكياج دون انقطاع. هذا يعني أن الكتاب والقراء يجفون بعضهم بعضاً، حين يودّ بعضهم بعضاً.

الكاتب إذن لا يطمئن إلى القراء دائماً. الكاتب يراوغهم أحياناً عالماً بما يصنع، الكاتب قد يصارع القارئ، كذلك القارئ، الدور الذي يشترك فيه القراء والكتاب دور لا تضحية فيه ولا فداء، بل هو دور تجارة وربح وخسارة، وتعاقد على أن يصبر أحد الطرفين لصاحبه، وأن يتركه بعد قليل دون ندم.

أخشى ألا تكون الكتابة - في هذه الأيام - هي الممثل الرئيسي لثقافتنا؛ لأنّ للكتابة نصيباً لا يسلم له في سهولة. إننا نحفل، على الأرجح، بأشياء أخرى غير الكتابة على رأسها كرة القدم. كرة القدم تمثل نصاً مهيباً مكثفاً حركياً لا نصاً بسيطاً. كرة القدم نص يتألف من اللاعبين والمتفرجين والغلاة والمتعصبين، والأحاديث التي تدور بين الناس، وأخبار اللاعبين والجمهور، وضربات اللاعبين، والاختلاف أحياناً في تقديرها، وما يقال عن النصر والهزيمة، وما ينفق من الوقت والجهد لاستيعاب الكرة، واستيعاب الحياة الرياضية، وإذاعات وفضائيات الرياضة، وحياة اللاعبين في الداخل والخارج، وأجورهم وتعاقدهم فضلاً على المسيرات الحاشدة وصنوف

التعبير عن الإعجاب وازدحام الملاعب وطرائق الحكام.

كل ذلك يعني أن كرة القدم لغة تنافس الكتابة العادية، وتكاد تضيق عليها الطريق. هذا يعني أن المجتمع ربما لا يفرغ للكتابة والكتاب، ربما يتابعهم متابعة متقطعة ضئيلة لا حماسة فيها ولا خصومة ولا نقاش، ولا حيوية ولا تجمع. الناس يجتمعون حول الوسائط البصرية بأكثر مما يجتمعون حول كتابة وكاتب. الكتابة الآن ليست جزءاً حقيقياً من حياة معظم الناس، أصبحت الكتابة غريبة إلى حد ما. مغزى هذا كله أن الناس بدؤوا منذ بعض الوقت يستغنون عن الكلام واللغة، والكتابة والكتاب، والقراءة والقراء. هناك تفاعلات ثانية أكبر الظن أنها لا تدرس، يترفع عنها الخاصة، ولا يزيد هذا الترفع الناس إلا إصراراً واعتزازاً بنص الصورة. أخشى ألا تكون الكتابة والقراءة في حياتنا نصاً أصلياً قوياً. الكتابة والقراءة الآن أقرب أحياناً إلى ما نسميه (المتوتر) نعترف به من ناحية، وننكره من ناحية.



المصدر: مجلة العربي، أغسطس ٢٠٠٥ م.

مجلة الحيرة
وأثرها الفكري في النجف الأشرف

هلال كاظم حميري

رسول نصيف جاسم

نظرة في الواقع الفكري لمدينة النجف الأشرف:

شهد الثلث الأول من القرن العشرين أحداثاً تاريخية مهمة أثرت تأثيراً مباشراً في المجتمع العراقي، وأحدثت انعطافة كبيرة في توجهاته الفكرية، تفاعلت معها المدن المقدسة ولاسيما مدينة النجف الأشرف كونها أبرز مراكز المرجعية الدينية^(١)، كان أولها قيام الثورة الدستورية في إيران عام ١٩٠٥^(٢)، والتي دعت إلى أفكار جديدة تمثلت بحرية الرأي والأخذ بمبادئ الدستور وطالبت بنظام برلماني في إدارة الحكم^(٣). وإزاء تطور الأحداث وتسارعها، انقسمت مواقف أهالي مدينة النجف الأشرف إلى فريقين: فريق يدعم (الدستور) أو (المشروطة) وآمن بالتجديد و(الانفتاح) ومواكبة العصر والحرية والدستور، عُرف بجماعة (المشروطة) وفريق رفض مشروعية الدستور وعدّه منافياً لأحكام الدين، وحرّم قراءة الصحف وجعلها (بدعة ومفسدة)، وعمل على تقييد الحريات، عرف بأصحاب (المستبدة)^(٤)، والتزم الطرف ثالث (الحياد) مفضلاً عدم الانغماس بالسياسة والغوص فيها^(٥)، وأبرز اختلاف المواقف حراكاً فكرياً أسهمت فيه المنتديات الأدبية والمجالس الثقافية النجفية، التي تحولت بدورها إلى مراكز لبث الآثار الفكرية والأدبية والمفاهيم السياسية التي انتقلت إليها عن طريق مختلف المطبوعات والدوريات العربية ذات النزعة التجديدية والاصلاحية، كمجلتي (الهلال) و(المقتطف) وجريدة (المؤيد) المصرية^(٦). وتحول فيما بعد إلى صدام وصرع دموي عنيف^(٧).

وطراً تغيّر مهم وقرّ مناخاً إيجابياً أعقب الثورة الدستورية العثمانية عام ١٩٠٨، وإعلان الدستور^(٨) أنعش فكرة الأحرار وعزز العلاقة بين مؤيدي الثورتين الراض للاستبداد والمتناغم مع أجواء حرية الصحافة وحركة النشر والتأليف، التي اتسمت ملاحظها مع رغبة مثقفي النجف الأشرف في تأسيس المجلات والصحف، إدراكاً منهم لدورها الفاعل في نشر العلوم والمعارف ونقل الأخبار^(٩). فصدرت ثلاث مجلات وصحيفة واحدة، هي (العلم) و(الغري) و(درة النجف) وصحيفة (نجف أشرف)^(١٠)، حددت أهداف موضوعاتها في التخلص من الجمود ورواسب العادات البالية، والتأكيد على ضرورة (الانعتاق) و(تحديث المجتمع)، وتحقيق العدالة الاجتماعية والسياسية، وحثت على التعليم وتحصيله وعدته السبيل إلى تقدم البلاد العربية والإسلامية ورفيها، والدفاع عن حق الشعوب في مواجهة كل أنواع الاستعمار^(١١).

واجه الاحتلال البريطاني للعراق مواقف متصلبة، بإعلان رجال الدين في النجف الأشرف (الجهاد) والدفاع عن البلاد، مواقف كشفت عن رؤية واعية لطبيعة الخطر الذي يهدد البلاد الإسلامية^(١٢) فقد وجدوا في الاحتلال البريطاني جزءاً من مشروع استعماري كبير، طالما ارتفعت الدعوات في النجف الأشرف في التحذير منه ورفضه، على الرغم من غياب الصحف السياسية آنذاك في مدينة النجف.

ونتج عن انحسار حركة الجهاد وغياب الصحافة الملتزمة، وانسحاب

الجيش العثماني، تصدع العلاقة بين السلطات العثمانية، وسكان بعض المدن والعشائر، وإشاعة حالة من التمرد لدى قسم كبير من الأهالي^(١٣)، فقد كانت مدينة النجف الأشرف أول المدن العراقية التي أحست ثقل السلطة الاجنبية وأول من فكر بالتخلص من كل حكم أجنبي سواء كان من الأتراك أم البريطانيين^(١٤) مستغلة ما اختزنته من ثقافة سياسية تأكدت منذ قيام الثورتين الدستوريتين، وما رافقهما من أحداث، زادت وعي الشباب الوطني في المدينة التي صقلتها موجة (الحرية والديمقراطية) الآتية مع الحرب العالمية الأولى ورسختها^(١٥).

أدى ذلك إلى مواجهة أهالي مدينة النجف الأشرف قوات الحكومة العثمانية، وإعلان الثورة في أواخر آيار ١٩١٥، استمرت ثلاثة أيام سيطر خلالها الثوار على المدينة، واستسلم الجيش وطرده موظفي إدارة الدولة، وشكلت عوضاً عنهم حكومة محلية تنظم شؤون إدارة المدينة تزعمها قادة محلاتها الأربع^(١٦). وشكل قيام ثورة النجف الأشرف في عام ١٩١٨^(١٧) استمراراً للنهج الذي اتبعته في مقارعة السلطة الأجنبية فكانت أول مواجهة عسكرية مع الإنكليز، والشرارة الأولى لاندلاع الثورة العراقية الكبرى في العام ١٩٢٠^(١٨) وما أعقبها من تطورات سياسية مهمة وأساسية في تاريخ العراق المعاصر.

ظلت مدينة النجف الأشرف خلال ثماني سنوات خالية من الصحف، منذ توقف مجلة العلم عن الصدور في عام ١٩١٢، إلا أنّها كانت تستقبل

الصحف العراقية^(١٩) والعربية التي نقلت أخبار العالم وأحداثه كثورات الشعوب المصرية والأيرلندية والروسية، فتعرفت على المبادئ القومية في الوحدة والمصير المشترك^(٢٠)، وساهمت في شحذ الهمم، وأنعشت الروح الوطنية، وتفاعلت معها النخبة المثقفة، فبادرت إلى إصدار صحيفتي (الفرات والاستقلال)^(٢١) فكانتا نواة الصحافة العراقية الوطنية ولسان الثورة الناطق^(٢٢). فقد عبرت موضوعاتها عن أفكار جديدة شملت مختلف القضايا الاجتماعية والوطنية والقومية، والحقوق السياسية^(٢٣) وأدخلت لأول مرة فيها قواعد الاعلام العربي، ومبادئ الحرب النفسية^(٢٤)، وعلى الرغم من صغر عمرهما إلا أنّهما تؤلفان واحدة من (أنصع) صفحات الصحافة العراقية، وأهم حلقات حركة التحرر الوطني للشعب العراقي، وتجسيدا (لإرادة) فئة مؤثرة جديدة ظهرت فوق مسرح الأحداث، وقدر لها أن تؤدي دوراً كبيراً في التاريخ السياسي والفكري المعاصر للعراق^(٢٥).

وأبرزت السنوات التي تلت الثورة العراقية الكبرى، وتأسيس الدولة العراقية الحديثة^(٢٦)، تطورات اجتماعية واقتصادية وسياسية، كان لها أثر واضح في وضع العراق الداخلي، فقد نشأت جراء فسحة الحرية، الأحزاب السياسية وصدور قانون الجمعيات عام ١٩٢٢^(٢٧)، وظهرت نخبة مثقفة واعية تتحسس دور مسؤوليتها المتنامي في أساليب متعددة كانت الصحافة ميدانها الأساس؛ كونها وسيلة إعلامية وفكرية من شأنها تنشيط الحركة الفكرية وتعزيزها في المجتمع العراقي^(٢٨) انطبق ذلك على الصحافة النجفية

في عهد الانتداب البريطاني نهجاً وأسلوباً تمخض عنها إصدار صحيفة (النجف) الأسبوعية بتاريخ ١٧ نيسان ١٩٢٥^(٢٩) التي سلطت صفحاتها الأضواء على مشكلات المجتمع ومحاولة حلها وفقاً للمنظور الاصلاحى التجديدي، فضلاً عن معالجتها قضايا فكرية، وسياسية، انطلاقاً من مبدأ أمنت به أن الصحافة (علم واسع) و(ينبوع متدفق) و(فكر وقاد) حتى عدت الصحيفة إحدى وسائل ارتقاء الفكر والنهوض في النجف الأشرف^(٣٠).

ودفع استقرار الوضع السياسي في العراق، أدباء مدينة النجف الأشرف ومثقفوها إلى إصدار مجلة (الحيرة) لترافق صحيفة (النجف) وتعاضدها وتكون إضافة محمودة في التوجه الثقافي العام في المدينة.

لمحات من سيرة مؤسس مجلة (الحيرة) النجفية :

ولد عبد المولى الطريحي في مدينة النجف الأشرف عام ١٨٩٩، في إحدى دور محلة (البراق)^(٣١)، وهو من أسرة عربية عرفت بالعلم والأدب والزعامة الدينية^(٣٢)، والده عبد الرسول بن الشيخ نعمة بن الشيخ علاء الدين بن الشيخ أمين الدين بن الشيخ محيي الدين بن الشيخ محمود بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن الشيخ طريح بن فياض بن حيمة بن خميس ابن جمعة المسيلمي العزيزي الأسدي^(٣٣).

أما لقب (الطريحي) فيرجع إلى جد الأسرة الشيخ (طريح)^(٣٤)، استوطنت مدينة النجف الأشرف في القرن السادس الهجري/القرن

الحادي عشر الميلادي، فكان لبيئة المدينة الفكرية والعلمية الأثر الكبير في نشأة أبناء الأسرة، فبرز منها الفقيه والأديب والشاعر، منهم على سبيل المثال الشيخ فخر الدين بن محمد علي بن أحمد بن علي بن أحمد بن طريح المتوفى عام (١٠٨٥هـ - ١٦٧٤م) الذي عد من أعلام الفقه والحديث والتفسير واللغة في عصره ولديه الكثير من المصنفات الفقهية والأصولية فضلاً عن تفاسير ظلت متداولة حتى اليوم^(٣٥)، كما عرف عدد كبير من مشايخ هذه الأسرة من فقهاء وأعلام^(٣٦).

فقد أثر التراث المعرفي والفكري لأسرة عبد المولى الطريحي في نشأته التعليمية المبكرة، فاغترف من بحر العلوم الدينية، وفنون اللغة وآدابها، إذ عرف عنه بانغماسه في البحث والتأليف، وولعه باللغة العربية، ويعد أحد رواد التعليم في النجف الأشرف، والعاملين في الميدان التربوي^(٣٧)، وصقلت موهبته البيئة النجفية المثقفة التي أغناها ذلك التنوع الفكري الذي حمله طلاب العلم الوافدون إلى المدينة لطلب العلم والمجاورة^(٣٨) وترك انتقال الآثار الفكرية والأدبية من بلاد الشام ومصر ومن بلاد الإسلام الأخرى^(٣٩) بصمة واضحة في مسار حياته الأدبية. وأسهمت المنتديات الأدبية والمجالس الثقافية^(٤٠) في تكوين شخصيته المتطلعة إلى الأدب والخوض في الحوارات الفكرية والسياسية، فكانت نوادي للتربية والتهذيب^(٤١)، وأخرجت الشعراء والكتاب والصحفيين ممن أثروا في كتاباتهم المجال الثقافي في مدينة النجف الأشرف^(٤٢)، وبادر وسط هذا الجو إلى اكتساب المعرفة من

أهم وسائلها (الكتاب) فقد اطلع على كتب مكتبة أسرة (آل الطريحي)^(٤٣) المتنوعة، فبعثت في نفسه حب الكتابة والتأليف^(٤٤)، وولدت لديه الرغبة في تأسيس مكتبة خاصة به، جمع فيها مؤلفات نفيسة تعود إلى علماء وشيوخ آل الطريحي، ورفدها بكم من الكتب النادرة والحديثة، فتج عنها نواة مكتبة تساعده في الكتابة والبحث والنشر^(٤٥).

بادر عبد المولى الطريحي بمؤازرة ومساعدة صديقه الأديب والكاتب والصحافي جعفر الخليلي^(٤٦)، في تحرير مجلة (الحيرة) النجفية، فقد وظف خزينه المعرفي والفكري، ومقدرته في البحث والكتابة الصحفية، وسعة علاقاته وتعددتها في الأوساط الثقافية والاجتماعية لإعداد مشروع المجلة، ليثري الحركة الثقافية والفكرية، ويعززها في النجف الأشرف وعموم العراق، فكان رائداً من رواد الصحافة النجفية في دورها الثاني، مرحلة عشرينيات القرن العشرين^(٤٧).

وشرع في ضوء المعارف التي اكتسبها إلى كتابة مقالات تبنت نشرها بعض المجلات العراقية، كان معظمها عن أسر وشخصيات نجفية معروفة، ومقال واحد حمل عنواناً ذا مغزى (المطبوعات الحديثة في النجف) فجاء ذلك متناغماً ودوحة المحبة للبحث الذي صرف عمره فيه^(٤٨)، أي إن أكثر كتاباته كانت في التراجم والأسر، وكما مبين في الجدول التالي:

جدول (١): المجالات التي نشر فيها عبد المولى الطريحي مقالاته^(٤٩):

الصفحة	تاريخ صدورها	سنتها	العدد	موضوع المقال	مكانها	المجلة
١١٩	١٩٤٧	١	٦	الشيخ صادق الاطيمش	النجف	العدل
					النجف	العدل الإسلامي
١٣٧	أيلول ١٩٤٧	١	٧	الشيخ أحمد القفطاني		العدل الإسلامي
١٤٥	شباط ١٩٤٨	٢	١٢	السيد جعفر الخرسان الموسوي	النجف	العدل الإسلامي
٤٦٤ الى ٤٧١	١٩٢٩	٧		المطبوعات الحديثة في النجف	بغداد	لغة العرب
٧٩٨	١٩٢٩	٧		نسب آل الطريحي النجفيين	بغداد	لغة العرب
١٩٩ الى ٢٠٤	١٩٢٨	٣		الأسر الحسينية النجفية	بغداد	المرشد

ودفع إليه عدد من كتاب النجف الأشرف وأدبائها بعض مخطوطاتهم، ليعمل على تدقيقها وتصحيحها، وتحقيقها، وحرص على إخراجها كتباً منجزة طبع قسم منها^(٥٠)، كما طلب قسم آخر من الكتاب على أن تعزز كتبهم بمقدمات بقلمه^(٥١)، كما بذل جهداً في تأليف عدد من الكتب منها ما طبع مثل كتاب (فدعة الشاعرة أو خنساء خزاعة)^(٥٢)، وقسم ظل مخطوطاً، في

مكتبته العامة يتحين الفرصة لطباعتها.

وعقد العزم مع معاصريه من متنوري النجف الأشرف أمثال علي الشرقي، محمد مهدي الجواهري، ومحمد اليعقوبي على المشاركة في جمعية ثقافية تأخذ على عاتقها رعاية الحياة الثقافية والفكرية وتنظيمها في النجف الأشرف، بطبع نتاجهم الأدبي ونشره في الوسط الثقافي العربي، وتكون محطة يلتقي فيها أدياء النجف الأشرف مع أقرانهم العرب ممن يزور المدينة ويحل ضيفاً عليها^(٥٣)، فتكونت (جمعية الرابطة العلمية والأدبية)^(٥٤) بتاريخ ١٥ أيلول ١٩٣٢، وهي أول جمعية رسمية أسست في مدينة النجف الأشرف^(٥٥)، وعدت (دعامة الشعر النجفي) و(منبر لانطلاق حناجره)^(٥٦).

واكب في حياته معظم الأحداث المهمة التي تعرض لها العراق اجتماعية كانت أم اقتصادية أم سياسية، وعلى الرغم من ممارسته التعليم، الوظيفة التربوية التي أحبها، انكب في سنوات عمره الأخيرة على مطالعة الكتب والعناية بمكتبته وإنائها، حتى وفاته في ٢٢ تشرين الأول ١٩٧٥. وبوفاته فقدت مدينة النجف الأشرف، شيخاً تقياً وكاتباً وصحفيّاً هادئاً^(٥٧) ترك آثاراً.

نشأة مجلة الحيرة واتجاهها الفكري:

صدر الجزء الأول من مجلة (الحيرة) في يوم ٢٩ كانون الثاني عام ١٩٢٧م^(٥٨)، وجاء في ترويضها (مجلة شهرية علمية أدبية اجتماعية تاريخية

مدرسية سنتها عشرة أشهر^(٥٩)، صاحبها ومديرها المسؤول^(٦٠) ومحرر القسم الأدبي عبد المولى الطريحي، وأشرف جعفر الخليلي على القسم المدرسي وحرره^(٦١).

وظهرت بغلاف أسمر اللون وبالقطع الصغير وبأبعاد (١٩×١٣ سم) وكانت عدد صفحات العدد الأول والثاني منها (٤٠) صفحة، وأقدم مديرها المسؤول رغبة منه في رصانتها، على زيادة صفحاتها، فقد صدر العدد الثالث بـ (٤٨) صفحة^(٦٢).

كان مجمل أعدادها الصادرة ثلاثة فقط، انتظمت في أوقات صدورها، ووضع عددها الرابع قيد الطبع، ولم يصدر، وطبعت على ورق أسمر بما كان متوفر آنذاك^(٦٣)، التزمت المطبعة العلوية^(٦٤) أمر طباعتها^(٦٥)، وبذلت إدارة المجلة جهدها لإخراج موضوعاتها خالية من الأخطاء الطباعية، كما أن المجلة خلت تماماً من أي صورة سواء كانت لشخصيات أدبية أم سياسية، ويعود ذلك إلى أن ثمن استنساخها كان باهظاً، والى أن ارسالها إلى خارج العراق لاستنساخها يستغرق وقتاً طويلاً قد يؤدي إلى تأخير صدورها فضلاً عن ذلك أراد أصحاب المجلة الابتعاد عن المحاباة والالتزام بخط الاعتدال^(٦٦).

قسمت المجلة إلى قسمين، الأول اعتنى بالأدب وفنونه، وشغل (٢٠) صفحة من صفحاتها، وأخذ القسم المدرسي الحيز الآخر من مساحتها، وربما عدت مجلة (الحيرة) أول مجلة نجفية تخصص قسماً يعتني بطلبة المدارس^(٦٧).

حددت إدارة المجلة، قسيمة بدل اشتراكها السنوي في داخل مدينة

النجف الأشرف بـ (٨) ربيات^(٦٨)، وتضاف لها أجرة البريد لمن كان خارج المدينة، وقدمت خصماً خاصاً لطلبة العلم والمدارس، إذ أعفّتهم من ربع قيمة الاشتراك ليصبح (٦) ربيات لتشجيعهم على اقتنائها ومطالعة محتوياتها المعرفية والثقافية، وعدل بدل اشتراكها فيما بعد إلى (٦) ربيات بداية من الجزء الثاني^(٦٩). وحرصت إدارة المجلة على اهداء عدد من الأدباء والمكاتب والمدارس نسخاً منها مجاناً لتعميم الفائدة، فضلاً عن مبادلتها مع الصحف والمجلات العراقية^(٧٠).

أشار صاحب المجلة في مقال افتتاحي^(٧١)، إلى أهمية نهضة النجف الأشرف كنواة أولى في نهضة العراق فقد هيأت المدينة نفسها لتتلقى أسباب النهوض، واستعدت لـ (الارتقاء) إلى مصاف حواضر العالم المهمة^(٧٢)، (متسلحة بما ملك أبنائها من نضوج فكري واستعداد طبيعي) ومستمدة روحيتها من تشرفها بمرقد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وقديسيته، (ومن كونها مركز الحركة العلمية)^(٧٣) لفكر أهل البيت عليهم السلام واستقلاله، ومقر المرجعية الدينية وحرية قرارها^(٧٤)، وأضاف: وما اختيار (الخيرة) عنواناً للمجلة إلا لأنّ تلك المدينة واحدة من الممالك العربية صاحبة الإرث الحضاري^(٧٥) الذي يعيد إلينا حسب قوله (ذكريات تاريخ المناذرة)^(٧٦) المملوءة بالصبر والرجال الأفذاذ من الشعراء والنحويين ومنه نستمد العون والتوفيق^(٧٧).

وحددت المجلة في الجزء الأول خطتها في معالجة الموضوعات ورؤيتها

في المنهج الذي وظفته لنفسها في تغليب (المصلحة العامة) الغاية المنشودة التي لا تحيد عنها، وبينت أنها: (سالكة خطة رفق واعتدال)^(٧٨)، (زائغة عن الجمود، حائدة عن التطرف، خائضة غمار كل ما يقربها من الضلالة المنشودة) المصلحة العامة، متجنبه كل ما من شأنه (إثارة الضغائن وخدش العواطف ومساس الكرامات)^(٧٩)، (مرحبة بالنقد الحر النزيه.. ضاربة بكل ما لا يلائم خطتها وذوقها عرض الجدار)^(٨٠).

وناشدت المجلة أصحاب الفكر وحملة الأقلام الحرة من صحفيين وعلماء وأدباء وشعراء وكتاب، من أبناء العراق والعالم العربي، مساعدتها في إرسال نتائجهم الفكري والأدبي، وبما يتلاءم وخطة المجلة ومنهجها، ويسهم في إنارة عقول الشباب ويحقق (رقي المجتمع) ونهوضه^(٨١).

وحظي عنوان المجلة رضا عدد من الكتاب وتأييدهم كان من بينهم الشاعر والكاتب المتجدد علي الشرقي^(٨٢)، فقد كتب عن المدينة مقالاً حمل عنوان (الحيرة) بيّن فيه: «إذا عرفت شيئاً عن مبدأ العرب في العراق تعرف شيئاً عن الحيرة... وربما كان مبدأ وجود العرب في العراق وهبوطهم في الأرياف والسهول من سنة ٥٦٢ قبل الميلاد وذلك في عهد نبوخذ نصر الكلداني فقد... وجه حملاته على بلاد العرب، وجلب منها جماعات، فأسكنهم في مكان (الحيرة)»^(٨٣).

كما حملت عدة قصائد أرسلت إلى المجلة إعجابهم وتأييدهم وعدتها أكرم المجلات وأخيرها، بما أحيتته من مجد العرب السالف، وحذرت من

(الانحطاط) و(الذل) داعية إلى (الاصلاح) وأخذ العبر من الماضي^(٨٤).

وأشار محرر القسم المدرسي في المجلة إلى أن الغاية الأولى من فتح القسم هو تنوير أفكار الشباب وبث روح التربية والتعليم ونشر النافع من القضايا التاريخية والأخبار العلمية التي توسع نطاق معلومات الطالب وتزيد خبرة بأمور العالم آخذ بنظر الاعتبار الفروق الفردية ومدارك الطلبة وميولهم، ليتسنى لجميع الطلبة الاطلاع على مضامينها بيسر وفهم معانيها بسهولة^(٨٥).

التزمت المجلة منذ صدور الجزء الأول لها بتنظيم دقيق وإخراج فني واضح، حافظت من خلاله على بعض أبواب موضوعاتها بشكل ثابت ومحدد، فيما تخلت عن أبواب أخرى، وربما كان اختفاء هذه الأبواب مقروناً بما يصل المجلة من مقالات وموضوعات تخص أبواباً بعينها دون أخرى وهذا ما لاحظناه من خلال الموضوعات المنشورة في المجلة^(٨٦)، فعلى سبيل المثال أن باب (الآثار المنسية) كان أحد الأبواب الثابتة، جاء في تعريفه: (نضع في هذا الباب الآثار المنسيّة من علمية وتاريخية وأدبية)^(٨٧)، فيما أفردت المجلة في القسم المدرسي عدة أبواب ثابتة ظلت متمسكة بها طوال مدة صدورها^(٨٨)، منها على سبيل المثال باب (في عالم المدارس)، جاء في الإشارة (ينشر في هذا الباب كل ما يتعلق بالمدارس المشهورة في العالم من الأوضاع والسير والبرامج وكل ما يهم الطلاب معرفته من أحوال المدرسين والتلاميذ)^(٨٩).

تعددت الروافد التي استقت منها (الحيرة) موضوعاتها^(٩٠)، فقد خصها المحرر الأدبي فيها بمقالين افتتاحيين، عالج فيها قضايا متنوعة، كان

الشعور الوطني واضحاً في عباراتها^(٩١)، فضلاً عن تقديمه ديباجة لبعض الموضوعات المهمة^(٩٢) ووقف في اشارات عديدة له بين فيها وبحس أدبي عالٍ، توضيح معاني بعض الكلمات ودلالاتها وتصحيح أوزان جزء من القصائد التي نشرتها^(٩٣).

واعتمدت في اختيار موضوعاتها وانتقائها على مصادر شتى، كان أولها أقلام الكتاب والأدباء ممن تزخر بهم النجف الأشرف، وسواهم من أدباء العراق ومثقفيه واستقت جزءاً من موضوعاتها المنشورة عن مجلة (العرفان) الصيداوية^(٩٤) وغيرها من المجلات الفارسية^(٩٥)، فضلاً عن جملة من النصوص المعربة لموضوعات في اللغة الانكليزية^(٩٦)، زيادة منها في تنوع موارد معلوماتها بما يغني المجلة ويضفي عليها بعداً إنسانياً، كما أخذت بعض القصائد والأبيات الشعرية من كتابات كانت مخطوطة، منها على سبيل المثال كتاب (جلاء الفطنة) لشاعر الفرات الرقيق محمد مهدي الجواهري^(٩٧) على حد تعبيرها^(٩٨) وديوان الشيخ كاظم سبتي^(٩٩) الذي عدته أحد مشاهير شعراء النجف الأشرف^(١٠٠) ونشر مثقفون آخرون ولدوافع مختلفة باسماء مستعارة^(١٠١).

تجاوز انتشار المجلة سعة حدود مدينة النجف الأشرف، إلى عدد من مدن العراق بمدة قصيرة^(١٠٢) وهو دليل على ما لاقته من استجابة وقبول من مثقفي النجف الأشرف والعراق، فقد كتب أحمد حامد الصراف^(١٠٣)، بهذا الخصوص ما نصه: «لقد حمل إلي اليوم البريد «مجلة الحيرة» فتصفححتها

فألقيتها آية في البلاغة، وكيف لا، وهي تصدر في مدينة ضمت أحضانها أبطال الأدب، وفضاحل الفصاحة والبلاغة»^(١٠٤).

احتجبت (الحيرة) عن الصدور بعد جزئها الثالث من سنتها الأولى، وقد وقفت عدة عوامل وراء توقفها واحتجابها، كان في مقدمتها مشاق العمل الصحفي وما يرافقه من عقبات في متابعة الإخراج، ومشاكل الطباعة، والتوزيع وجباية الاشتراكات، والرد على المراسلات، التي أدركها صاحب المجلة ومحررها المدرسي، وما تتطلبه من جهد مضاعف ومؤهلات فنية ومالية^(١٠٥)، عجزت الإدارة في تخطيطها، وكان لقلّة مساهمة أصحاب الأقلام في النشر فيها، ومزاحمة الصحف والمجلات العراقية والعربية الوافدة من سوريا ولبنان ومصر، وما تحويه من أبحاث مهمة ومقالات طريفة وأخبار وصور جديدة عامل آخر في توقفها^(١٠٦).

وكان لقلّة التشجيع والمؤازرة، ومماثلة العديد من مشتركى المجلة في تسديد اشتراكها^(١٠٧) سبب آخر في توقفها على الرغم من النداء والرجاء الذي نشرته المجلة بضرورة تسديد بدلات الاشتراك^(١٠٨) بالسرعة الممكنة لغرض وحسب تعبيرها: (الاستمرار في هذا المشروع الحيوي)^(١٠٩) ولكن دون جدوى. مما سرع في توقفها وإنهاء مسيرتها الثقافية. وهكذا كان عمرها قصيراً شأنها في ذلك شأن الصحف والمجلات العراقية الفتية التي لا تستند على دعم حكومي رسمي ولا على إعانة الأحزاب لها^(١١٠) ولعل من المفيد أن نقبس تعليقاً من أحد أهم من كتب في تاريخ الصحافة العراقية جاء فيه:

«احتجبت عن الصدور.. لقلّة المؤازرين، مع أنها عاجلت موضوعات نفسية كانت جديرة بالتعصيد»^(١١١).

وحتى نقف على مضامين مجلة الحيرة، وجهودها في الميادين الثقافية المختلفة، لا بد من الكشف عن الموضوعات المتنوعة التي عاجلتها، فقد بلغت (٦١) موضوعاً، احتلت الدراسات الأدبية المختلفة الصادرة ما نسبته ٩٨، ٤٠٪ من مجموع موضوعاتها، وهو دليل على أن المجلة أخذت منحىً أدبياً متميزاً ثم الموضوعات الاجتماعية وشكلت ما نسبته ٦٨، ٢٧٪ وجاءت المقالات التاريخية بنسبة ٤٧، ١١٪ وكانت مهتمة بتاريخ بعض المدن والمناطق العراقية وتلتها الموضوعات العلمية والتربوية بنسبة ٨٣، ٩٪ لكل منهما، وكما مبين في الجدول الآتي:

جدول (٢): تصنيف الموضوعات التي عاجلتها مجلة (الحيرة)^(١١٣)؛

الجزء	الأدب	الاجتماع	التاريخ	العلوم	التربية	المجموع
ج ١	٧	٧	٢	٤	٣	١٦
ج ٢	٦	٥	٢	١	٢	١٦
ج ٣	١٢	٥	٣	١	١	٢٢
المجموع	٢٥	١٧	٧	٦	٦	٦١
النسبة	٤٠، ٩٨٪	٢٧، ٦٨٪	١١، ٤٧٪	٩، ٨٣٪	٩، ٨٣٪	

اتجاهات الحيرة المعرفية والأدبية:

اهتمت (الحيرة) بأسس قنوات البناء المعرفي والثقافي إذ أولت اهتماماً

ملحوظاً بموضوعات تعددت اتجاهاتها الثقافية وتنوعت منابعها المعرفية، فقد أفردت باباً اسمته (التقريض والانتقاد، ما يرد إلى المجلة من رسائل وكتب وصحف)^(١١٣)، قدمت خلاله تعريفاً عنها، وللوقوف على منهج المجلة في التعريف بالكتاب، نقتبس نصاً نشر من كتاب (الآيات البيئات في قمع البدع والضلالات)^(١١٤)، لمؤلفه كما وصفته العلامة الكبير وحجة الإسلام الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء النجفي^(١١٥)، صاحب كتاب الدعوة الإسلامية^(١١٦) جاء فيه: (كتاب نفيس... حسن العبارة متين الاستدلال، جدير بكل منصف اقتناؤه ومطالعتة، ومراجعتة، والاستفادة منه، لأنه من الكتب العلمية النافعة)^(١١٧). وهي بذلك قدمت خدمة لحركة التأليف والنشر في المدينة وساهمت في إنماء حب (الكتاب) والحرص في اقتنائه وتداوله بين القراء.

كما أولت المجلة اهتماماً واضحاً بالصحافة؛ لكونها أحد الروافد التي تخدم الحياة الثقافية في المجتمع، فقد قدمت لمجلتين بغداديتين اثنتين اللتين وردتا إليها أولها مجلة (الشرطي)^(١١٨) الفتية، وكتبت عن صدور العدد الأول منها: (مجلة فتية تهذيبية شهرية... لفائدة الشرطيين وتثقيف أفكارهم، اهدتنا إدارتها العدد الأول منها فوجدناه حاوياً لما رق وارق من الأبحاث الشيقة النافعة، ونحن نتمنى لها الدوام والاستمرار لتخدم الشرطيين أحسن خدمة)^(١١٩). وشرعت في الاتجاه نفسه في تقريض مجلة (المعرض)^(١٢٠) التي عدتها (من كبريات المجلات العراقية.. فألفناها آية في

الإبداع وحسنة في التجديد حاوية بين دفتيها أهم المواضيع الأدبية والعلمية والاجتماعية والحقوقية)^(١٢١).

ونشرت المجلة مقالاً عن تاريخ الصحافة أولته عناية خاصة لما للصحافة من أثر كبير في إشاعة الثقافة ومستجدات المعرفة، حمل عنوان (أقدم جريدة في العالم)، عدت فيه سبق الصين في الابتكار والصناعة الصحفية^(١٢٢) وريادتها على أوروبا، وبينت فيه عوامل تطورها، بما يتوافق مع أذواق العامة من الناس وينسجم مع أفكارهم^(١٢٣) فكانت أول مجلة في الصين باسم (كين بان)^(١٢٤)، يرجع زمنها إلى (١١٠٠ ق.م)، ولما ألفها الناس واتسع نطاقها، أخذت تصدر كل يوم منذ العام ١٨٣٠ م، ثم صدرت في كل يوم ثلاث مرات وبألوان مختلفة قبل أن تستعمل الجرائد الأمريكية والأوربية الألوان فهي (تصدر في الصباح بلون أصفر والظهر بلون أبيض وفي العصر بلون قاتم) ثم صدرت مجلة شهرية اسمها (تسين راو) يرجع تاريخها إلى (١٤٠ ق.م) وأشارت باستغراب يجلب الأنظار أنهما لم تعطلا ولم تقل (ثقة القراء) فيها^(١٢٥). وحسب ما كتبه المجلة في مقالها في القسم المدرسي.

وسلّطت المجلة (في سياق اهتمامها بالفكر) الأضواء على (الحركة الفكرية)^(١٢٦) وتأسّصها في مدينة النجف الأشرف منوهة بالجهود التي بذلها كبار رجال الأدب الناهضين في (رفعة) هذه الحركة واستمرارها، مما مكّنها في احتلال مركز (خطير في الآداب العربية)^(١٢٧).

واهتمت المجلة بالأدب وفنونه المختلفة بما يشكّله من قيمة ذوقية

وفنية، ترفع مدارك المثقف وتصلق مواهبه، ومن هذا المنطلق نشرت مقالة مهمة للشاعر محمد مهدي الجواهري حملت عنواناً له دلالة أدبية واضحة (نهضة الأدب النجفي) بيّن فيها مركزية النجف الأشرف في (الفكر والأدب)^(١٢٨)، وأثر بيئتها في بث روح التجديد في الشعر العراقي والعربي الحديث، الذي ارتبط أمر انطلاقتها بالاعتماد على تربيتها الروحية على خلاف ما تتذرع به الحكومات من أن التجدد، أتى مع الصحف والمعاهد والمدارس التبشيرية^(١٢٩)، من هذه التربية ظهر العلامة والأديب محمد سعيد الحبوبي^(١٣٠) أحد (نوابغ) العالم العربي، وطلیعة (المجددين) فيه، وأثنى صاحب المقال على (البذرة) التي سقاها الحبوبي من ينبوع شاعريته التي امتزجت برقة وانسجام مع (الأذواق والطباع) فانتجت (عقلاً ناضجاً) و(فئة حرة) تقود (تيار حركة التجديد) مبتعدة عن (الجمود) وقيود الشعر الموروثة^(١٣١). وأثارت هذه المقالة جدلاً أدبياً لا يخلو من الانتقاد، قاده أحمد حامد الصراف، موضحاً فيه أن الأدب يجب أن يحمل جديد (يوافق العصر) أن يكون (شجرة صالحة تثمر ثمراً) يثقف (العقول)، وأن يثير أمة كاملة ويسوقها إلى ميادين الحرب، أو (جنات السلام)^(١٣٢).

ونشرت المجلة للكاتب والصحافي المعروف رفائيل بطي^(١٣٣)، مقالة أشار فيها إلى الانعطاف المتواضعة في تطور و(انبعاث) الآداب العربية والتي تواكب سمات (الحرية)^(١٣٤) الزاحفة إلى المشرق وأيقظت (الهمم الراقدة) وأثارت الشواعر الجامدة، وتركت أبواب الشعر (الضيقة العتيقة) إلى

رحاب أساليب جديدة تحرك (الحياة في القلوب)^(١٣٥).

وكتب محرر القسم الأدبي في المجلة ترجمة للشاعر العراقي عبد الحسين الحياوي^(١٣٦) بحث فيها من بيئة النجف الأشرف المؤثرة في تكوينه الفكري والأدبي، التي جعلت منه شاعراً يتمتع بجزالة المعنى ويطفح رقة وعضوبة، حتى عد من مشاهير فضلاء المدينة وكبار أدبائها المعروفين^(١٣٧).

واهتمت المجلة واستمراراً لمنهجها بمتابعة حركة الشعر الجديد، في نشر عدد من القصائد الشعرية في أغراض مختلفة لا تخلو من نزعة وطنية، لعدد من شعراء النجف الأشرف والعراق والعرب المبرزين إذ بلغت (١٧ قصيدة) كان مجموع أبياتها حوالي (٢٥٠) بيتاً معظمه في الشعر العربي الحديث، مما يؤكد تمسك المجلة بروح العصر وحركة التجدد والحداثة^(١٣٨).

وفي إطار اهتمامها بالقنوات الأدبية وشّحت صفحاتها بأدب (القصة القصيرة)^(١٣٩) لقدرتة في إيصال الأفكار والموضوعات الاجتماعية التي تمس الجوانب التربوية مساساً مباشراً وتحاكي القضايا الإنسانية روحاً ومضموناً، فعلى سبيل المثال نشرت قصة ذات مغزى تربوي عميق بعنوان (الإرادة والأخلاق والعمل) بقلم نعمان ثابت^(١٤٠)، صيغت بلغة رقيقة تنسجم وعواطف النشء الجديد وتتناغم مع ميولهم وتثير فيهم (الثقة بالنفس) لبلوغ النجاح، ويخلق الطباع المحمودة، ونشرها في المجتمع وتدفع للمثابرة والجهد في الحصول على النفع العام الذي تتطلبه الحياة^(١٤١).

كما شملت القصة القصيرة أحداثاً تتعلق بالقهر الاجتماعي الذي

مثله (الفقر) و(المرض)، الذي لم تكن المجتمعات الأكثر حضارة ورقياً في منأى عنهما، فقد نشرت قصة للكاتب عبد الستار القره غولي^(١٤٢) حملت عنوان (الشعرة الذهبية) غلب عليها الوجه الإنساني، وكان الشقاء والفاقة الوجه البارز في أحداثها، والتضحية والوفاء وسيلتي التمسك بالحياة، ولح الكاتب أخيراً إلى الصراع النفسي والاجتماعي وما يحمله من تناقض حاد في الطبيعة الإنسانية بين قيم الخير والعطاء وبين الاستغلال والجشع^(١٤٣).

٢- اهتمامات الحيرة بالقضايا الاجتماعية :

أدركت المجلة أهمية البحث في الأوضاع الاجتماعية، فسلمت الأضواء على جملة مقالات تعلقت في هذا الجانب كان من بينها المقال الافتتاحي لمحررها المدرسي بعنوان (السعادة) المفهوم الذي يشغل جزءاً كبيراً طالما نظر فيه المفكرون طويلاً، في معنى (السعادة)^(١٤٤) ومكان وجودها وكيفية الحصول عليها، استعرض فيه أفكاراً متباينة وفقاً للآراء المطروحة فالسعادة ليست في الاستمتاع بالأهواء واستغلال الصدف ولا بامتلاك الثروة التي ربما تكون إحدى وسائل بلوغ السعادة، لأنها في المقابل تورث (الحرمان) لبعض أفراد المجتمع، السعادة الحقيقية في نظر الكاتب في أن تعود النفس على (العمل) وبذل (الجهد) فيه بما يخدم ويسهم في إعداد أمة قادرة على تحمل المسؤولية وبذلك تنال (راحة الفؤاد) والشعور بالسرور^(١٤٥).

ووقف محررها الأدبي عند معنى (الواجب الوطني) مذكراً بالواجبات المنوطة بالعامّة في المحافظة على كيان (الوطن) كل قدر (استعداداته وطاقته)،

وحدد واجبات الخاصة من رجال الإعلام والقلم، وأساتذة (الفكر) و(القانون)، السعي لتقويم معوج العامة، والاجتهاد بغية (ارتقائه) من وهدة (الذل) و(الخمول) ليعرج به نحو السعي، ونبه في الوقت نفسه إلى أن المسؤولية تقع على عاتق هذه النخبة الواعية، منطلقة من وازع الدين والضمير، ودافع (الوطنية)^(١٤٦) تجاه الوطن المقدس^(١٤٧).

والتفتت المجلة في مقال لها إلى جزء (عزيز) من أجزاء العراق، أرادت منه أن يتعرف عليه كل (فتى عراقي) حمل عنوان (نظرة في منطقة كردستان) سلط فيه كاتبه الأضواء على طبيعة أرضها التي وصفها بـ (خصبة التربة، غزيرة المياه، طيبة المناخ) وبين نشاط سكانها الاجتماعي والاقتصادي، وسيطرة رؤساء القبائل الذين لهم النفوذ والحكم المطلق، والتأثير المباشر على حياتهم^(١٤٨)، ولم يغب عن بال الكاتب الوقوف عند الحياة اليومية للأسرة الكردية، من زواج وفروض دينية، وأكد أن اقتصاد أهلها يعتمد على الزراعة والرعي، وفي أحيان كثيرة على شن الغارات على القرى والطرق القريبة، بغية النهب والسرقعة، إلا أنّهم مع ذلك يمتازون بالنخوة والغيرة وبذل النفس في سبيل أمانهم، وفي الجانب الأدبي لا تخلو مجالسهم من قصص البطولة الطويلة، المأخوذة من الأدب العربي والفارسي^(١٤٩) والتي عادة ما تقابل بإعجاب وهتاف الأكراد^(١٥٠).

كانت الدقة في عرض موضوعات المجلة سمة واکبت عملها منذ البداية، لاسيما وإنما عرضت بعض الصور الفريدة في العالم وهي لا تخلو

من الغرابة أو الطرافة، ففي موضوع بعنوان (كبرياء الملوك) جاء فيه: (يحكى أن ناصر الدين شاه أحد ملوك الفرس كان إذا أراد السفر من طهران إلى قبر الشاه عبد العظيم يرفع له أحد مرافقيه (الغرشة) ويظل يركض وراء عربة الملك والملك يدخن (غرشته) غير مكثرث بمرافقيه)^(١٥١).

وفي مثال آخر تحت عنوان (لا تعرض الكليات للبيع) جاء فيه: (عندما بدأت الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨ قدم أحد أنصار الحلفاء للجامعة (هرفورد) مبلغاً عظيماً يقوم ببناء صرح ضخم للكلية بشرط أن تعزل الكلية أستاذاً جامعياً ألمانياً، فردت إليه المبالغ وكتبت له ما يلي: أما كلية هرفورد لم تعرض للبيع بعد)^(١٥٢).

وكان الهدف الأسمى للمجلة من نشر هذه الموضوعات هي إثارة روح الحرية والوعي والتسامح عند الناس بضرورة مراعاة الجوانب الاخلاقية والتربوية وعدتها موضوعات سامية لا يمكن تجاوزها، وفي مقال متصل نصحت المجلة التلاميذ بحب المدرسة؛ لأنها تمثل طريقهم إلى المعرفة والعمل المثمر، في وقت وجهت النقد إلى الأغنياء الذين يضعون أولادهم في (المدارس الأهلية) بينما يبقى أولاد الفقراء لا حول لهم ولا قوة، لهذا أراد صاحب المقال أن يحس الأغنياء والفقراء بعظيم المأساة عندما قال: (أيها الضعيف أريد أن أجلسك بجانب ابن الوزير وحفيد الملوك وعلى كرسي واحد، وبيئة واحدة، وأسمع الأناشيد الدينية والأخلاقية والأهازيج الوطنية التي ترددها في الأزقة والكلمات الفارغة التي كنت تسمعها من

زملائك الأطفال)^(١٥٣)، ولغرض تبصير الأغنياء بضرورة استثمار أموالهم لصالح الشعب وفي أفضل القطاعات وأكثرها فائدة في جوانب الإنسانية من خلال المساهمة في بناء المدارس المجانية للطلبة، أعطت المجلة مثلاً يحتذى به (تأسيس المدارس المجانية في انكلترا)^(١٥٤) من قبل الميسورين ومنها مدرسة (فيفي الابتدائية)^(١٥٥) مقارنة بين تلك المدرسة وبين المدارس الأهلية في العراق.

وكتبت المجلة بالصحة فقد نشرت تحت عنوان (فوائد صحية) مقالات عدة وهي عبارة عن نصائح واسعافات أولية يتعلم القراء من خلالها المعالجات الفورية لحالات كثيرة من الأمراض^(١٥٦).

وقد أعطت المجلة مساكن المواطنين أهمية بالغة في نظرها؛ كونها تعد ملجأً مهماً يقضي السكان معظم أوقاتهم فيها وهو من الموضوعات الاجتماعية التي أكد عليها كتاب المجلة، فقد حرصت على نشر موضوع تحت عنوان (المساكن) والتي نوهت فيه إلى أن العالم يعاني من أزمة حقيقية في السكن، وربما وصل الحال حتى في الدول الأوروبية التي تدعي الحضارة والتطور العمراني والصناعي إلا أن بعض السكان يعيشون على العشائش والفئاة لا مأوى لهم ولا سكن يقيهم من حر الصيف وبرد الشتاء^(١٥٧).

وقارنت المجلة بين عادات الشعوب الإسلامية وغير الإسلامية فكتبت عن التقاليد المستغربة في العالم ومنها أكل لحوم البشر والعيش على الديدان والقمل في مناطق عديدة من روسيا، وهذا تريد أن تقول المجلة: إن العادات

والتقاليد الإسلامية تختلف تماماً عن عادات وقيم تلك الشعوب التي لم يصل إليها الإسلام مقارنة بالبلدان التي وصل إليها الإسلام وقالت المجلة: (كل هذه الأعمال المتردية في المجتمعات العالمية غير المسلمة ينظر إليهم البعض بأنهم أصحاب حضارة وتطور، بل يعدها البعض من المدنية)^(١٥٨).

ويبدو أن التمدن في نظر المجلة غير التمدن الذي يراه بعض العامة من الناس، والذي يعني أن التمدن تغير الذات الإنسانية، وليس تغير الأدوات لذلك استشهدت عنه في بيتين من الشعر وقالت:

إن الذي سميتموه تمديناً سيري وركن بنائه مهذور
بالكهرباء وبالبخار سما له عرش وفي هذين سوف يبيد^(١٥٩)

كما أن المجلة حرصت على تقديم كل ما هو جديد للقارئ الكريم وفيه متعة ولذة، ولهذا نشرت موضوعاً عن (الضحك) جاء فيه: (كثير من يحاولون جلب الضحك لأنفسهم بطرق مختلفة ووسائل عديدة لكثرة ما في الضحك من فائد عظيمة للرتتين والصحة)^(١٦٠)، كما نشرت المجلة مجموعة من الطرق للضحك والتسلية وطريقة شد انتباه القارئ فعلاً من خلال عرض موجز عن الغرائب في العالم^(١٦١).

كما أنها خصصت في نهاية القسم المدرسي مسابقة وجعلت لها هدية نقدية قدرها (٥) روبية^(١٦٢).

وأعتقد أن ما تنشره المجلة في هذا القسم فيه متعة وتسلية للقارئ وفائدة معلوماتية كبيرة فهي موسوعة حقيقية من العلوم والتاريخ، وإن المجلة تأخذ

القارئ في رحلة ممتعة فيها ما هو أدبي وتراثي ولا تنفك عن قراءة الموضوع الأول حتى تصل إلى أخير الموضوعات في كتاب منسق ومتنوع عدد صفحاته (٤٠) صفحة وهي مجموع صفحات العدد الأول من مجلة (الخيرة).

وقد أسهمت في جانبها المدرسي في بلورة الجانب الثقافي والعلمي وعلى نطاق واسع من الطلبة.

وما يُلاحظ على المجلة اعتناؤها بانتقاء الموضوعات التاريخية، ويرجع ذلك إلى اهتمام رئيس المجلة بهذا الجانب الحيوي إذ لا يخلو أي عدد من أعداد المجلة الثلاثة من موضوع أو أكثر من الموضوعات التاريخية ولا سيما موضوعات عن الآثار العربية والعراقية والآثار الإسلامية والعالمية وعادات لشعوب العالم وتقاليدهم.

وأول هذه الموضوعات التاريخية موضوعٌ عن مدينة النجف الأشرف من حيث أسماؤها التاريخية وأصل التسمية، بقلم الشيخ علي الشرقي وناقش المقال تاريخ عمارة وبناء قبر الإمام علي عليه السلام والمشاهير المدفونين بجوار هذا القبر. مؤكداً المراحل التاريخية التي مرت بها عمارة الصحن الشريف عبر أول بناء شيد في العصر الأول للدولة العباسية ومراحل تطور البناء في العهد العباسي (البويهبي) والذي توج باحتفالية كبرى حضرها النقباء والعلماء، حيث أقيمت القصائد والكلمات على الحضور ومن بين تلك القصائد قصيدة للشاعر الحسين بن الحجاج الذي يقول في مطلعها^(١٦٣):

يا صاحب القبة البيضاء في النجف من زار قبرك واستشفى لديك شفي

وعلى الرغم من أن المجلة لم تتم مشروعها الثقافي بسبب العراقيل التي وضعت أمامها إلا أنّها بحق حققت جزءاً من أهدافها وأشاد بها القاصي والداني لما قدمته من الموضوعات الثقافية ذات الصلة بـ (الإصلاح والتجديد والتوافق)، فكانت محطة للحوارات الثقافية بين الأدباء، كتب فيها نخبة من المثقفين العراقيين على مختلف مشاربهم وتوجهاتهم الفكرية والثقافية، فتلاقحت تلك الأفكار وانصهرت في بوتقة واحدة فكانت النتيجة هي إصدار مجلة (الحيرة).

الخاتمة:

إن موضوعات مجلة (الحيرة) القصيرة عمراً أعطت رسالة واضحة للقارئ أنها لم تكن عدداً مضافاً إلى المجلات النجفية والعراقية فحسب بل هي واحدة من الصحف التي أضافت للخط الفكري الذي رسمته مجلة العلم النجفية التي سبقتها في العام ١٩١٠ إذ مثلت الدور الثاني للمجلات النجفية الصادرة في عشرينيات القرن الماضي، وأرست قواعد في إصدار مجلات نجفية لحقتها في العقد الرابع، من خلال خطها الملتزم وديباجتها التي أكدت على الآداب والإصلاح والتجديد، وأعطت أهمية واضحة إلى الطلبة كونهم النواة الأولى لبناء المجتمع، إذ وضعت باب سمته (القسم المدرسي)، فانفردت عن مثيلاتها من الصحف الصادرة آنذاك بخطها الواضح في الإرشاد والتوجيه، لكي يكونوا أنموذجاً في بناء مستقبل واعد للوطن، وهي واحدة من سمات ترسيخ خط الحيايد بعيداً عن الانحياز

والتطرف، وإيماناً منها بحرية الرأي والرأي الآخر مع تأكيدها المستمر على احترام الحقوق الشخصية، لذا عدت موضوعاتها المنشورة في أعدادها الثلاثة ثروة أدبية تحقق للباحثين مرادهم في الوصول للحقيقة، إذ زادت من حجم الفائدة التي أضافتها إلى معارف القراء وهو دليل على أن القائمين على إعدادها انتخبوا خيرة كتاب تلك الحقبة، فكانت أنموذجاً للصحافة الملتزمة في دورها الريادي الأول.

ملحق رقم (١): كشف بأسماء الكتاب المشاركين في تحرير مجلة الحيرة للفترة ٢٩

كانون الثاني ١٩٢٧ لغاية ١ آذار ١٩٢٧

عدد المشاركات	الأسماء المستعارة	عدد المشاركات	الاسم الكامل
١		٥	عبد المولى الطريحي
١	ابن الحيرة	١٤	جعفر أسد الخليلي
١	م.ن	٤	علي الشرقي
١	ن. ثابت	٣	محمد مهدي الجواهري
١	س.ح	١	أحمد الموسوي الهندي
	م.ح	١٠	رفائيل بطي
		١٠	عبد المهدي الأعرجي
		١٠	عبد الستار القره غولي
		١٠	عبد اللطيف نوري
		١٠	فريد توما
		١٠	محمد حسن حيدر

		١	محمد الخليلي
		١	كاتب الطريحي

ملحق رقم (٢)

الجزء الأول **الحَيَّرَة** المجلد الأول

مجلة شهرية علمية ادبية اجتماعية تاريخية مدرسية
﴿ سنتها عشرًا أشهر ﴾

— (صاحبها ومديرها المسئول) —
— (ومحرر القسم الادبي منها) —
— (عبدالمولى الطريحي) —

﴿ قيمة الاشتراك ﴾
(عن السنة الواحدة في النجف عمان وريات)
(ولطلاب المدارس ست ريات)
(وفي الخارج تضاف اجرة البريد اليها)

﴿ الاشتراك يدفع سلفاً ﴾
٢٤ رجب سنة ١٣٤٥ ٢٩ كانون الثاني ١٩٢٧

- ١١ -

الهوامش:

- (١) يعود تأثير المدن المقدسة في العراق بمجرى أحداث إيران إلى حملة المقاطعة ضد امتياز التبغ (التنباك) في ٢٠ آذار ١٨٩٠، التي قادها المرجع الديني (محمد حسن الشيرازي) وفتواه بتحريم تدخين (التنباك) وأدت إلى إلغاء الامتياز في ٢٦ كانون الثاني ١٨٩٢، وكان لها الأثر البالغ في تعزيز قيادة علماء الدين للأحداث الكبرى فيما بعد. ينظر: علي الوردي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، (قم - مكتبة الصدر، ٢٠٠٤)، ج ٣، ١٠٣-١٠٩؛ محمد أحمد صالح أبو الطيب: إشكالية الاستبداد السياسي في رسالة الشيخ النائيني (بغداد: مطبعة الوفاء - ٢٠٠٥)، ص ٣٤-٣٥.
- (٢) انطلقت الثورة في العهد القاجاري وكانت الثورة الدستورية الأولى فيها، أثمرت عن إعلان الشاه (مظفر الدين شاه) الموافقة على سن دستور للبلاد، وصدر في ١٥ آب ١٩٠٦، وأسس البرلمان (المجلس) وأيدته فتاوى عدد كبير من علماء ومراجع النجف الأشرف للعمل بموجبه. للتفاصيل ينظر: أروند ابراهيميان: إيران بين ثورتين، ترجمة مركز البحوث والمعلومات (بغداد: د.م - ١٩٨٣)، ج ١، ص ١١٦-١١٩؛ طلاب مجذوب: إيران من الثورة الدستورية حتى الثورة الإسلامية ١٩٠٦-١٩٨٠ (بيروت: مطبعة ابن رشد - ١٩٨٠)، ص ٣٨-٢٧٨.
- (٣) سعد الأنصاري: الفقهاء حكام على الملوك، (بيروت: دار الهدى - ١٩٨٦)، ص ١٠٨؛ آمال السبكي: تاريخ إيران السياسي بين ثورتين ١٩٠٦-١٩٧٩، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - ١٩٨٧)، ص ٢٨-٢٩.
- (٤) نديم عيسى: الفكر السياسي لثورة العشرين (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة - ١٩٩٢)، ص ١٥٩-١٦٠؛ صباح كريم الفتلاوي: إيران في عهد محمد علي شاه ١٩٠٧-١٩٠٩، رسالة ماجستير (جامعة الكوفة: كلية الآداب - ٢٠٠٣)، ص ١٤٠.
- (٥) علاء حسين الرهيمي: حقائق عن الموقف في النجف من الثورة الدستورية الإيرانية - ١٩٠٠-١٩١١، السدير، مجلة النجف، العدد (١)، سنة ٢٠٠٣، ص ٣٢٠.

(٦) عن انتقال الصحافة العربية وأثرها في تكوين النخبة المثقفة العراقية. ينظر: عبد الرزاق أحمد النصري: دور المجددين في الحركة الفكرية والسياسية في العراق ١٩٠٨-١٩٣٢، أطروحة دكتوراه (جامعة بغداد: كلية الآداب - ١٩٩٠).

(٧) علي الخاقاني: شعراء الغري أو النجفيات، (النجف: المطبعة الحيدرية - ١٩٥٦)، ج ١٠، ص ٨٦-٨٧؛ علي الشرقي: الأحلام، (بغداد: شركة الطبع والنشر الأهلية - ١٩٣٦)، ص ٩١.

(٨) اندلعت الثورة الدستورية العثمانية في ٢٣ تموز ١٩٠٨، اضطر فيها السلطان عبد الحميد الثاني إلى إعلان العمل بالدستور الصادر في عام ١٨٧٦، فكانت الخطوة الأولى من نهوضها، وتولت جمعية الاتحاد والترقي الحكم واتخذت من مبادئ الثورة الفرنسية شعاراً لها، إلا أن تحول حكم الاتحاديين وسيطرتهم بصورة مطلقة في العام ١٩٠٩، وتطور الأحداث الدولية، واندلاع الحرب العالمية الأولى، عرقل مشروع نهوضها. للتفاصيل ينظر: آرست رامزور، تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨م، ترجمة: صالح أحمد العلي، (بيروت: مكتبة دار الحياة، ١٩٦٠)؛ محمود علي عامر، تاريخ الامبراطورية العثمانية دراسة تاريخية واجتماعية، (دمشق منشورات دار الصديقي، ٢٠٠٤)، ص ٣٦٧-٣٦٨.

(٩) نجاة عبد الكريم علوان، بواكير الاتجاه التوفيقي في النهضة الفكرية الحديثة في العراق ١٩٠٨-١٩٣٢، (أطروحة دكتوراه، جامعة البصرة: كلية الآداب ١٩٩٨)، ص ٥١.

(١٠) للتفاصيل عن صدورها ينظر: عبد الرحيم محمد علي: تاريخ الصحافة النجفية ١٩١٠-١٩٧٠؛ «آفاق نجفية» (مجلة)، النجف، العدد (٥)، السنة (٢)، ٢٠٠٧، ص ٢٤١-٢٤٧؛ علي الخاقاني: تاريخ الصحافة في النجف، (بغداد: مطبعة دار الجمهورية - ١٩٦٩).

(١١) عبرت المجلات والصحف النجفية في دورها الأول عند دخول المدينة ميدان الصحافة، في الدعوة إلى ثقافة جديدة تكسر حواجز القديم وتواكب روح العصر وتطوره. للتفاصيل ينظر على سبيل المثال: علاء حسين الرهيمي، مجلة العلم النجفية ١٩١٠-١٩١٢ من المجلات العراقية في مرحلة الريادة والتأسيس، (قم: المكتبة التاريخية المختصة

- (٢٠٠٧) ص ٧؛ هاشم أحمد نعيمش الزوبعي، صحافة النجف ١٩١٠-١٩٦٨، رسالة ماجستير، (جامعة بغداد: كلية الآداب قسم الإعلام، ١٩٩٥) ص ١٢٥.
- (١٢) للتفاصيل عن حركة الجهاد، ينظر على سبيل المثال: محمد علي الشهرستاني الحسيني، معركة الشعبية ١٩١٤-١٩١٥ أسرار الخيبة في فتح الشعبية، تحقيق: علاء الرهيمي واسماعيل طه الجابري، (النجف الأشرف: دار الضياء للطباعة والتصميم، ٢٠٠٨)؛ كامل سلمان الجبوري، النجف الأشرف وحركة الجهاد، (بيروت: مؤسسة المعارف للمطبوعات، ٢٠٠٩).
- (١٣) عن الأسباب الكامنة وراء تمرد سكان مدن الفرات الأوسط. ينظر: عبد الله فهد النفيسي: دور الشيعة في تطور العراق السياسي، (بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٧٣)، ص ٩-٩١.
- (١٤) المصدر نفسه، ص ٩٠.
- (١٥) جيمس سوماريزمان: مذكرات الكابتن مان، ترجمة: كاظم هاشم الساعدي، (بيروت: دار المعارف للمطبوعات - ٢٠٠٢)، ص ٢٨٦.
- (١٦) عبد الحلیم الرهيمي: الحركة الإسلامية في العراق الجذور الفكرية في الواقع التاريخي ١٩٠٠-١٩٢٤، (بيروت: دار العالمية للطباعة والنشر، ١٩٨٥)، ١٧٤-١٧٧؛ حنا بطاطو: العراق الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية، ترجمة عفيف الرزاق، ط ٣، (الكويت: منشورات دار القبس - ٢٠٠٣)، ص ٣٨-٣٩.
- (١٧) ألقت عدة كتب مهمة عن ثورة النجف الأشرف منها على سبيل المثال: عبد الرزاق الحسيني، ثورة النجف بعد مقتل حاكمها الكابتن مارشال، ط ٤، (بيروت: مطبعة دار الكتب - ١٩٨٢)؛ حسن الأسدي، ثورة النجف على الانكليز أو الشرارة الأولى لثورة العشرين، (بغداد: دار الحرية للطباعة - ١٩٧٥)؛ كريم وحيد صالح، من أيام ثورة النجف، نجم البقال قائد ثورة النجف الكبرى ضد الاحتلال الانكليزي عام ١٩١٨

حياته ودوره في الأحداث، (النجف: مطبعة النعمان - ١٩٨٠).

(١٨) صدرت عدة كتب قدمت دراسات عميقة ومتباينة عن ثورة العشرين الوطنية في العراق منها على سبيل المثال: عبد الرزاق الحسيني، الثورة العراقية الكبرى، ط٦، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة - ١٩٩٢)؛ وميض جمال عمر نظمي، ثورة ١٩٢٠ الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية، ط٢، (بغداد: مطبعة اشبيلية - ١٩٨٥)؛ فريق المزهرة الفرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ وتناجها، ط٢، (بيروت: مؤسسة البلاغة - ١٩٩٥).

(١٩) منعت السلطات البريطانية إصدار صحف وطنية سياسية واكتفت بما يصدر من صحف رسمية مؤيدة لهم. محمد مهدي البصير، تاريخ القضية العراقية، (بغداد: مطبعة الفلاح - ١٩٢٤)، ص ٦٨٠؛ علي الشرقي: المصدر السابق، ص ١٠١-١٠٢.

(٢٠) عبد الله فياض: الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠، (بغداد: مطبعة الارشاد - ١٩٦٣)، ص ٢٥١.

(٢١) لتفاصيل من تاريخ صدرها وموضوعاتها. ينظر: كمال مظهر أحمد: صفحات عن تاريخ العراق المعاصر، (بغداد: مكتبة البدليسي، ١٩٨٧)، ص ٦١-٧٤.

(٢٢) عباس ياسر الزيدي: تاريخ الصحافة العراقية منذ نشأتها حتى العام ١٩٣٦، (أطروحة دكتوراه)، (جامعة القاهرة: كلية الآداب - ١٩٧٥)، ص ٨٤؛ ابراهيم الوائلي: ثورة العشرين في الشعر العراقي، (بغداد: مطبعة الايمان - ١٩٦٨)، ص ١٥.

(٢٣) لتفاصيل عن الحقوق السياسية في حرية الرأي والتعبير والمعتقد والصحافة والنشر وحرية الاجتماع والعمل. ينظر: نديم عيسى: الفكر السياسي لثورة العشرين، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة - ١٩٩٢)، ص ١٩٢-٢٠٦.

(٢٤) كاظم مسلم محمود العامري: الاتجاه الوطني والقومي للصحافة النجفية ١٩١٠-١٩٣٢، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، (جامعة الكوفة: كلية الآداب - ٢٠٠٠)، ص ٢٢١.

- (٢٥) كمال مظهر أحمد: المصدر السابق، ص ٥٩، ص ٦٦.
- (٢٦) للتفاصيل عن تأسيس المملكة العراقية الحديثة ينظر: هنري فوستر: نشأة العراق الحديث، ترجمة وتعليق: سليم طه التكريتي، (بغداد: المكتبة العلمية - ١٩٨٩)؛ فيبي ممار: تاريخ العراق المعاصر في العهد الملكي، ترجمة: مصطفى نعمان أحمد، (بغداد: المكتبة العصرية - ٢٠٠٦).
- (٢٧) نشأت خلال المدة ١٩٠٠-١٩٩٠ كثير من الجمعيات والأحزاب للتفاصيل عنها ينظر: عبد الرزاق الحسيني، تاريخ الاحزاب السياسية العراقية، ط ٢، (بيروت: دار الكتب - ١٩٨٣)؛ عبد الجبار حسن العبودي: الأحزاب والجمعيات السياسية في القطر العراقي ١٩٠٨-١٩٥٨، (بغداد: دار الحرية للطباعة - ١٩٧٧).
- (٢٨) عدت الصحافة أهم وسيلة مؤثرة في المجتمع العراقي للتفاصيل ينظر: قيس عبد الحسين الياسري، حرية الصحافة في العراق ١٩٢٠-١٩٣٢ (دراسات الأجيال) (مجلة)، بغداد، العدد (١)، السنة (٢)، كانون الثاني ١٩٨١؛ عزيز السيد جاسم: مبادئ الصحافة في عالم المتغيرات، (بغداد: دار آفاق عربية - ١٩٨٥).
- (٢٩) أسس الصحافي (يوسف رجب) (١٩٠٠-١٩٤٧) صحيفة النجف بتاريخ ١٧ نيسان ١٩٢٥ واستمرت لسنتين وتوقفت في ١٩ حزيران ١٩٢٧. للتفاصيل ينظر: منير بكر التكريتي: يوسف رجب: الكاتب الصحفي والسياسي، (بغداد: دار الحرية للطباعة - ١٩٨١)، ص ٩-٣١؛ عبد الرزاق الحسيني: تاريخ الصحافة العراقية، (النجف: مطبعة الغري - ١٩٣٥)، ط ١، ص ٩٠؛ فائق بطي: الموسوعة الصحفية العراقية، (بغداد: مطبعة الآداب البغدادية - ١٩٧٦)، ص ٧٤.
- (٣٠) عاجلت صحيفة (النجف) موضوعات غاية في الأهمية، جمعت بين الصحافة والمجتمع، وعلاقة الصحافة في بث الوعي التربوي، والدفاع عن الحريات العامة، والتمسك بالروح الوطنية والقومية. للتفاصيل ينظر: عدي حاتم عبد الزهرة الفرجي: النجف الأشرف وحرارة التيار الاصلاحى ١٩٠٨-١٩٣٢، (بيروت: دار القارئ للطباعة

والنشر والتوزيع - ٢٠٠٥)، ص ١٠٧-١١٤؛ كاظم مسلم محمود العامري: المصدر السابق، ص ٢٨٧-٣٦٥.

(٣١) انقسمت مدينة النجف الأشرف القديمة في العهد العثماني إلى أربع محلات (المشراق، العمارة، البراق، الحويش)، وتقع محلة البراق جنوب شرق المدينة وفيها جامع الطريحي الذي ينسب إلى العائلة. جعفر باقر محبوبة: ماضي النجف وحاضرها، ط ٢، (بيروت: دار الأضواء - ١٩٨٦)، ج ١، ص ٢٣-٢٦.

(٣٢) محمد مهدي البصير: نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر، ط ٢، (بغداد: مطبعة المعارف - ١٩٤٦)، ص ٣١١-٣١٤.

(٣٣) مهدي القزويني: أنساب القبائل العراقية وغيرها، ط ٢، (النجف: مطبعة النبراس - ١٩٩١)، ص ٨٦؛ محمد مهدي البصير، نهضة العراق الأدبية، ص ٦٠.

(٣٤) يعود سبب تسميتهم بآل (الطريحي) إلى زمن الشيخ خفاجي والد طريح، فقد أسقطت زوجته حملها سبع مرات متتالية، فلما حملت بالشيخ طريح نذر والده إذا رزقه الله عز وجل ولداً يسميه (طريح) ومنه أخذت العائلة شهرتها. رشيد قسام: الشموس الذهبية للعشائر والأسر النجفية، (النجف: د.م - ٢٠٠٩)، ج ١، ص ٤٢٧.

(٣٥) عبد الصاحب عمران الدجيلي: أعلام العرب في العلوم والفنون، ط ٢، (النجف: مطبعة النعمان - ١٩٦٦)، ج ٣، ص ١١١-١١٤؛ ناجي وداعة الشريس: أنساب العشائر العربية في النجف الأشرف، (النجف: مطبعة الغري الحديثة - ١٩٧٥)، ج ١، ص ١١٤.

(٣٦) للتعرف على تفاصيل أعلام الأسرة وأدبائها. ينظر: عباس القمي: الكنى والألقاب، (النجف: مطبعة الحيدرية - ١٩٧٠)، ج ٢، ص ٤٤٨؛ محمد هادي الأميني: معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام، ط ٢، (بيروت: د.م - ١٩٩٢)، ج ٢، ص ٨٣٢-٨٥٠.

(٣٧) حميد المطبعي: موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين، (بغداد: دار الشؤون الثقافية

(العامه، ١٩٩٥)، ج ١، ص ١٣٧-١٣٨؛ محمد هادي الأمين: المصدر السابق، ج ٢، ص ٨٣٦.

(٣٨) كانت مدينة النجف الأشرف محط أنظار طلبة العلم وقبلة ترحالهم، فوفد إليها السوري والاحسائي والبحراني والعماني إلى جانب الايراني والتركي والهندي والتبتي وغيرهم فأغنوا بيئة النجف بالمعارف والعلوم. علي الوردي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ط ٢، (قم: مكتبة صدر، ٢٠٠٤)، ج ٣، ص ٧٩؛ علي الشريقي: المصدر السابق، ص ٥٨.

(٣٩) سهّل اتصال أبناء العراق في العهد العثماني بأشقائهم العرب في المشرق، دون حواجز أو حدود تعرقل اتصالهم في التعرف على الآثار الفكرية والأدبية وانتقالها إلى النخبة العراقية المثقفة ولاسيما النجفية. محمد أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربي، (القاهرة: مطبعة الأنكلو المصرية - د.ت)، ص ٢٦١؛ يوسف عز الدين: الشعر العراقي وأثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه، (القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر - ١٩٦٥)، ص ١٩.

(٤٠) زحرت مدينة النجف الأشرف بالمجالس المتنوعة التي تقيمها الأسر النجفية، منها على سبيل المثال: مجالس الفقهاء والعلماء، مجالس الأدباء، مجالس الشرع، المجالس العشائرية، المجالس الرمضانية. للتفاصيل ينظر: حيدر المرجاني: النجف الأشرف قديماً وحديثاً، (بغداد: مطبعة دار السلام - ١٩٨٨)، ج ١، ص ١٠١-١١٨؛ علي عبد المطلب حمود علي خان: الحياة الاجتماعية في مدينة النجف الأشرف ١٩١٤-١٩٣٢، رسالة ماجستير، (جامعة الكوفة - كلية الآداب، ٢٠٠٤)، ص ١٧٠-١٧٤؛ ناهد حسين علي جعفر ويسين: تاريخ النجف في العهد العثماني الأخير ١٨٣١-١٩١٧، أطروحة دكتوراه، (جامعة بغداد: كلية التربية ابن رشد، ١٩٩٩)، ص ١٦١-١٦٩.

(٤١) محمد الخليلي: أندية النجف «الدليل» (مجلة)، النجف، العدد (٢٩)، السنة (٣)، السنة (٢)، تشرين الثاني ١٩٤٧، ص ١٤٧؛ جعفر باقر محبوبية: المصدر السابق، ج ٢١، ص ٤٠٢-٤٠٣.

(٤٢) حميد المطبعي: المصدر السابق، ج١، ص١٣٨؛ محمد هادي الأميني: المصدر السابق، ج١، ص٨٣٦.

(٤٣) أسست المكتبة في أوائل القرن الحادي عشر الهجري (القرن السابع عشر الميلادي)، جمعت كتبها من مؤلفات علماء وشيوخ الأسرة، الخاصة، واشتهرت في عهد الشيخ فخر الدين الطريحي، عرفت باسم المكتبة الفخرية، مكتبة عامرة احتوت على نفائس المخطوطات، إلا أنّها تفرقت بين ذريته، ومنهم الشيخ نعمة الطريحي (ت ١٢٩٣م - ٨٧٦هـ) جد عبد المولى الطريحي الذي تولى الإشراف عليها. للتفاصيل ينظر: جعفر الخليلي: موسوعة العتبات المقدسة قسم النجف، ط٢، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - ١٩٨٧)، ج٢، ص٢٦٩؛ حسن عيسى الحكيم: الفصل في تاريخ النجف الأشرف، (قم: المكتبة الحيدرية - ٢٠١١)، ج١٩، ص٢٣١-٢٣٣.

(٤٤) عبد الصاحب عمران الدجيلي: المصدر السابق، ج٢٣، ص١١٢؛ محمد هادي الأميني: المصدر السابق، ج٢، ص٨٣٦.

(٤٥) حسن عيسى الحكيم: المصدر السابق، ج١٩، ص٢٣١.

(٤٦) جعفر أسد الله الخليلي (١٩٠٤-١٩٨٥): ولد في مدينة النجف الأشرف، تلقى تعليمه الأولي في المدرسة العلوية مارس التعليم في مدرسة الحلة الابتدائية في العام ١٩٢٤، عمل في الصحافة في وقت مبكر من حياته، ساعد في تحرير مجلة (الحيرة) النجفية في عام ١٩٢٧، وأصدر جريدة الفجر الصادق في النجف الأشرف عام ١٩٣٠، وجريدة الهاتف عام ١٩٣٥ وانتقل بها إلى بغداد عام ١٩٤٨، عُدَّ أحد رواد القصة العراقية، له (١١) مجموعة قصصية، له عدة مؤلفات منها: موسوعة العتبات المقدسة، يوميات، هكذا عرفتهم، تاريخ القصة العراقية على هامش الثورة العراقية الكبرى، للتفاصيل ينظر: جون توماس هامل: جعفر الخليلي والقصة العراقية الحديثة، ترجمة وديع فلسطين وصفاء خاوصي، (بغداد: الدار العربية للطباعة - ١٩٧٦)، ص٧٢-٧٤؛ حميد الجميلي وآخرون: موسوعة أعلام العرب، (بغداد: المطبعة العربية - ٢٠٠٠)، ج١،

ص ١١٥-١١٦.

(٤٧) محمد عباس الدراجي: صحافة النجف تاريخ وإبداع، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة: ١٩٨٩)، ص ١٩.

(٤٨) حميد المطبعي: المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٨؛ محمد هادي الأميني: المصدر السابق، ج ٢، ص ٨٣٦.

(٤٩) نظم الجدول بالاعتماد على ما ورد في كتاب، محمد هادي الأميني وعبد الرحيم محمد علي: مصادر الدراسة عن النجف والشيخ الطوسي، النجف والشيخ الطوسي، (النجف: مطبعة النجف - ١٩٦٢)، ص ٩، ٥٤، ٦٢، ٦٥، ٦٦.

(٥٠) حقق عبد المولى الطريحي عدداً من الكتب منها على سبيل المثال: كتاب القبائل العراقية وغيرها، للعلامة مهدي القزويني، المطبوع في العام ١٩٧٥ و ١٩٩١، وكتاب نزهة الغري في تاريخ النجف لمؤلفه محمد عبود الكوفي، المطبوع في العام ١٩٥٢ م، وبمشاركة العلامة حسين علي محفوظ. ينظر: محمد عبود الكوفي: نزهة الغري في تاريخ النجف (النجف: مطبعة الغري، ١٩٥٢ م)؛ مهدي القزويني: المصدر السابق.

(٥١) كتب لعدد من المؤلفات مقدمات كانت إضافة متميزة إلى مضمونها فعلى سبيل المثال قدم الكتاب تذكرة خواص الأمة لشمس الدين يوسف بن فرغلي بن عبد الله البغدادي سبط بن الجوزي (ت ٦٥٤ هـ - ١٢٥٦ م) المطبوع في عام ١٩٥٠، وكتاب سنجاق الكلام للشاعر حسين قسام المطبوع في العام ١٩٦٣. ينظر: حميد المطبعي: المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٨، محمد هادي الأميني: المصدر السابق، ج ٢، ص ٨٣٦.

(٥٢) إن أصل الكتاب اعتمد على مقالة منشورة للمؤلف في مجلة (الاعتدال) النجفية بعنوان الأدب الشعبي في العراق أو (خنساء خزاعة)، العدد (٨)، السنة (١)، أيلول ١٩٣٣، ص ٤١٢-٤١٦، عبد المولى الطريحي: خدعة الشاعرة، (النجف: مطبعة الغري الحديثة - ١٩٥٠).

(٥٣) عبد الصاحب عمران الدجيلي: المصدر السابق، ج ٢، ص ١١٢؛ محمد هادي الأميني:

المصدر السابق، ج ٢، ص ٨٣٦.

(٥٤) ضمت الهيئة المؤسسة في بداية تأسيسها السيد عبد الوهاب الصافي معتمداً، الشيخ صالح الجعفري كاتباً عاماً، الشيخ محمد علي اليعقوبي عضواً مؤسساً، السيد محمود الحبوبى عضواً إدارياً، الشيخ محمد جواد الشيخ راضي أميناً مالياً، عبد الرزاق محيي الدين عضواً، الشيخ محمد حسين الصوري مدير إدارة، محمد علي البلاغي عضواً إدارياً، جواد السوداني عضواً، جعفر القزويني عضواً، والتحق بها فيما بعد عدد كبير من أدباء وشعراء وقادة الفكر في النجف الأشرف. حسن الحكيم، جمعية الرابطة الأدبية في النجف الأشرف، وأدبياتها الفلسطينية «دراسات نجفية» (مجلة)، النجف، العدد (١)، السنة ٢٠٠٤، ص ٧-٨؛ جعفر باقر محبوبة: المصدر السابق، ج ١، ص ٣٩٦-٣٩٧.

(٥٥) حيدر المرجاني: المصدر السابق، ج ٢، ص ٨٥.

(٥٦) محمد حسين الصغير: فلسطين في الشعر النجفي المعاصر، (بيروت: دار العلم للملايين - ١٩٦٨)، ص ٤٨.

(٥٧) حميد المطبعي: المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٨.

(٥٨) أشار عدد من الباحثين في تاريخ النجف وصحافتها، إلى أن صدور مجلة (الخيرة) في ١٥ كانون الثاني ١٩٢٧. ينظر: عبد الرزاق الحسني: تاريخ الصحافة العراقية، ج ١، ص ٤٢؛ عبد الرحيم محمد علي: المصدر السابق، ص ٢٥٢؛ حسن عيسى الحكيم: المفصل في تاريخ النجف، ج ١٧، ص ٧١.

(٥٩) الخيرة (مجلة)، النجف، ج ١، ٢٩ كانون الثاني ١٩٢٧، ص ١.

(٦٠) اشترط قانون المطبوعات العثماني في عهد الانتداب البريطاني أن تكون إقامة المدير المسؤول في محل صدور المطبوع. عبد الله اسماعيل البستاني: حرية الصحافة في العراق، (بغداد: مطبعة الرابطة - د.ت)، ص ٣١٢.

(٦١) احتل منصب (رئيس التحرير) مكانة مرموقة في الصحافة والصحفيين، فكان مطمع معظمهم. إلياس ابراهيم بدوي: مشكلة صاحبة الجلالة، (القاهرة: مطبعة البصير -

د.ت)، ص ٩٠.

(٦٢) عبد الرحيم محمد علي: المصدر السابق، ص ٢٥٢؛ محمد عباس الدراجي: المصدر السابق، ص ٢١.

(٦٣) حسن عيسى الحكيم: الفصل في تاريخ النجف الأشرف، ج ١٧، ص ٧٢، عبد الرحيم محمد علي: المصدر السابق، ص ٢٥٢.

(٦٤) المطبعة العلوية: اشتركت جماعة من التجار وبعض أهل العلم في شراء المطبعة من شركة ألمانية في العام ١٩٠٨ م، احتوت على عدة مطابع حديدية مختلفة الأحجام ومطبعة حجرية، طبعت فيها جريدة النجف في عام ١٩٠٨، والاعداد الأولى من مجلة (ردة النجف) في العام ١٩٠٩، نقلت ملكيتها في عام ١٩١٣ إلى السيد محمود العلوي (ت ١٩٢٦) الذي نقلها إلى طهران فيما بعد. ينظر: محمد هادي الأميني: معجم المطبوعات النجفية منذ دخول الطباعة إلى النجف حتى الآن، (النجف: مطبعة الآداب، ١٩٦٦)، ص ٣٥، عبد الرحيم محمد علي: فصول في تاريخ النجف، تاريخ المطابع والطباعة في النجف، «العدل» (صحيفة)، النجف، العدد ٣٠، ٩ أيلول، ١٩٧٢، ص ٤؛ حسن عيسى الحكيم، الفصل في تاريخ النجف، ج ١٩، ص ٣٦٧-٣٦٨.

(٦٥) «الحيرة» الجزء ١، ٢٩ كانون الثاني ١٩٢٧، الغلاف الأول.

(٦٦) كانت الصحف والمجلات العراقية في عشرينيات القرن العشرين تستنسخ الصور بدور (الزنگراف) في خارج البلاد لاسيما بيروت، وأسس الفنان المصري (فريد النحاس) أول دار لهذا الغرض في العراق في عام ١٩٣٠. فائق بطي: صحافة العراق تاريخ أو كفاح اجيالها، (بغداد: مطبعة الآداب البغدادية، ١٩٦٦)، ص ١٦٢-١٦٣.

(٦٧) «الحيرة» ج ١، ٢٩ كانون الثاني ١٩٢٧، ص ٢١.

(٦٨) الربية: عملة هندية، كانت متداولة أيام الاحتلال البريطاني، وعند صدور قانون العملة العراقية وتعديلاته في ١ تموز ١٩٣١ وقانون منع التعامل بالربية الهندية في العام ١٩٣٣، جرى تحويل الربية إلى ما يعادل (٧٥) فلساً عراقياً. عباس العزاوي: تاريخ النقود

- العراقية، (بغداد: شركة القيثارة للطباعة - ١٩٥٨)، ص ٧٩.
- (٦٩) «الحيرة» ج ٢، ٢٨ شباط ١٩٢٧، الغلاف الأول.
- (٧٠) اعتماد أصحاب الصحف والمجلات العراقية والعربية المبادلة فيما بينها. هبة الدين الشهرستاني: حياة مجلة العلم في العام الأول، (النجف: مطبعة الحبل المتين - ١٩١١)، ص ٢٩؛ عبد الرحيم محمد علي: تاريخ الصحافة النجفية، ص ٢٤٧.
- (٧١) يعد المقال الافتتاحي التعبير المنشور لأفكار المحرر، والمعبّر عن رأي المجلة وإنه بمضمونه بناء جليل النفع للمجتمع والحكومة. فاروق أبو زيد: فن الكتابة الصحفية، ط ٢، (جدة: دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة - ١٩٨٣)، ص ١٨١؛ وائل العاني: آراء في الكتابة والعمل الصحفي، (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٠)، ص ٣١-٣٢.
- (٧٢) احتلت مدينة النجف الأشرف الموقع الرابع من بين المدن والحوضر الإسلامية بعد مكة المكرمة، المدينة المنورة، القدس الشريف) لأنها المركز التعليمي الديني الشيعي الأول في العالم الإسلامي، ومدن (قلب العالم) و(عالم في المدينة) و(المدينة التي اجتمع فيها العالم) لكثرة من وفد عليها طالباً العلم والمجاورة والعمل. ينظر: اسحاق النقاش: شيعة العراق، (قم: المكتبة الحيدرية - ١٩٩٨)، ص ٢٩.
- (٧٣) للتفاصيل عن الدراسة العلمية في حوزة النجف الأشرف. ينظر: علي أحمد البهادلي: الحوزة العلمية في النجف معالمها، وحركتها الاصلاحية ١٩٢٠-١٩٨٠، (بيروت: دار الزهراء - ١٩٩٣)؛ وليد عبد الحميد الأسدي: مدرسة النجف وأبعادها العلمية والفكرية في العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، (بغداد: معهد التاريخ العربي - ٢٠٠٢).
- (٧٤) حرصت العتبات المقدسة في العراق ولاسيما النجف الأشرف، على تأكيد علمائها استقلالهم الديني والسياسي، لكونها مركز الحركة العلمية، ومقر الاجتهاد والمرجع الأكبر الذي يفرض سلطته الروحية على العراق وجميع أنحاء العالم الشيعي. عبد الله النفيسي: المصدر السابق، ص ٤٧-٤٨.
- (٧٥) ارتبط تاريخ النجف الأشرف بتاريخ الحيرة ارتباطاً وثيقاً، على اعتبار موقع الحيرة

- ضمن موقع النجف الأشرف الجغرافي، فكانت مصيفاً ومصحاً للملوك الحيرة وأمراءهم وصفاء المناخ، يعود تأسيسها إلى عهد (نبوخذ نصر) الذي جمع التجار العرب وبنى لهم (حيراً) على النجف ليكون حمى لهم اتخذها العرب اللخميون مسكناً لهم وعاصمة للملوكهم. للتفاصيل ينظر: يوسف رزق الله غنيمه: الحيرة المدينة والمملكة العربية، (بغداد: مطبعة دنكور - ١٩٦٣)، محمد حسين حرز الدين: تاريخ النجف الأشرف، (قم: منشورات دليل ما - ٢٠٠٧)، ج١، ص ٥٣.
- (٧٦) تعود تسمية المناذرة إلى أول ملوك الحيرة والعراق منذ بن النعمان بن امرئ القيس بن عمرو اللخمي (٤٣١-٤٧٣م). خير الدين الزركلي: الأعلام، ط ٥، بيروت، دار العلم للملايين - ١٩٩٨م، ج٧، ص ٢٩٥.
- (٧٧) «الحيرة» ج١، ٢٩ كانون الثاني ١٩٢٧، ص ٣.
- (٧٨) ينظر: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ-١٣١١م). لسان العرب، (بيروت: ار صادر) مادة عدل.
- (٧٩) أثار صدور كتاب أنيس زكريا النصولي (الدولة الأموية في الشام) أواخر عام ١٩٢٦، شجة واسعة في المجتمع العراقي لما تضمنه من أحكام صدمت مشاعر جمهور كبير من الشيعة. للتفاصيل ينظر: خيرى أمين العمري: حكايات سياسية من تاريخ دولة العراق الحديث، (بغداد: مكتبة آفاق عربية - د.ت)، ص ١٤٤-١٩٢.
- (٨٠) «الحيرة» ج١، ص ٣؛ حسن عيسى الحكيم: المفصل في تاريخ النجف، ج١٩، ص ٧٢.
- (٨١) المصدر نفسه، فائق بطي: المصدر السابق، ص ٦٨.
- (٨٢) علي الشريقي (١٨٩٢-١٩٦٤): كاتب وشاعر، أحد رواد التجديد في الشعر العربي، ولد في مدينة النجف الأشرف تلقى العلوم الدينية في مدارسها، عضو مجلس التمييز الشرعي في بغداد والبصرة عام ١٩٢٨، عضو مجلس الأعيان عام ١٩٤٧م، تقلد عدة مناصب وزارية كان آخرها عام ١٩٥٨، من مؤلفاته: ذكرى العدوان عام ١٩٢٩، العرب والعراق عام ١٩٦٣، الاحلام عام ١٩٦٣. للتفاصيل ينظر: عبد الحسين مهدي عواد:

- الشيخ علي الشرفي حياته وأدبه، (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨١)، ص ٢٦-٩٦.
- (٨٣) علي الشرفي: (الخيرية) ج ١، ٢٩، كانون الثاني ١٩٢٧، ص ١٧.
- (٨٤) ينظر على سبيل المثال: (الخيرية) ج ١، ص ١٩، ج ٢ ٢٨ شباط ١٩٢٧، ص ٥٩-٦٠، ج ٣، آذار ١٩٢٧، ص ١٢٦.
- (٨٥) «الخيرية» ج ١، ص ٢١.
- (٨٦) «الخيرية» المصدر نفسه، ص ٣، ج ٢، ص ٤٩.
- (٨٧) «الخيرية» المصدر نفسه، ص ١٧، ج ٢، ص ٤٤، ج ٣، ص ٩٨.
- (٨٨) «الخيرية» المصدر نفسه، ص ٢٩، ج ٢، ص ٧٣، ج ٣، ص ١٢٢.
- (٨٩) «الخيرية» المصدر نفسه، ص ٢٥، ج ٢، ص ٦٢، ج ٣، ص ١٠٩.
- (٩٠) عن المصادر التي تستقي منها المجلات معلوماتها وموضوعاتها. ينظر: عبد اللطيف حمزة: المدخل في فن التحرير الصحفي، ط ٤، القاهرة، دار الفكر العربي - ١٩٦٨، ص ٣٤٢-٣٦٤؛ وائل العاني: المصدر السابق، ص ٢١-٢٩.
- (٩١) «الخيرية» ج ١، ص ١، ج ٢، ص ٤١.
- (٩٢) «الخيرية» ج ٢، ص ٤٩، «الخيرية» ج ٣، ص ٨٢.
- (٩٣) «الخيرية» ج ١، ص ١٩-٢٠، «الخيرية» ج ٢، ص ٥٩-٦٠.
- (٩٤) «العرفان» مجلة شهرية صدرت في صيدا عام ١٩٠٩م نال علي الزين حق امتيازها من الحكومة العثمانية، وتولى تحريرها نجله أحمد عارف الزين، عرفت بدفاعها عن قضايا البلاد الإسلامية والعروبة، تولى في العام ١٩٦٠ نزار الزين مهمة تحريرها. للتفاصيل ينظر: مجيد حميد عباس الحدراوي: مجلة العراق اللبنانية دراسة تاريخية ١٩٠٩-١٩٣٦، رسالة ماجستير، (جامعة الكوفة: كلية الآداب، ٢٠٠٧)؛ محمد كاظم مكي: الحركة الفكرية والأدبية في جبل عامل، (بيروت: دار الأندلس، ١٩٦٣)، ص ٢٠٤.
- (٩٥) اقتبست المجلة موضوعاً عن الصحافة وأقدم جريدة في العالم، من مجلة «إقدام» الفارسية. ينظر: «الخيرية» ج ١، ص ٢٣-٢٤.

(٩٦) «الحيرة» ج ٢، ص ٦٧، ص ٧٤.

(٩٧) محمد مهدي الجواهري (١٨٩٩-١٩٩٧): شاعر وصحفي وسياسي كبير، ولد في النجف الأشرف، عمل معلماً في بلاط فيصل الأول (ت ١٩٣٣) اشتغل في الصحافة وأصدر عدة صحف منها: الفرات عام ١٩٣٠، الانقلاب عام ١٩٣٦، الرأي العام ١٩٣٧، وتلتها المعرض في نفس العام، انتخب نائباً عن دائرة كربلاء عام ١٩٤٣م، استقال من النيابة احتجاجاً على معاهدة بورتسموث عام ١٩٤٨، تنقل بين عدد من الدول العربية والأوربية منها دمشق والقاهرة، فرنسا، جيكوسلوفاكيا، انتخب رئيساً لاتحاد الأدباء ونقيباً للصحفيين عام ١٩٥٨، أقام في براغ عام ١٩٧٩، ثم في دمشق، نال جائزة لوتس عام ١٩٧٥ عن اتحاد الكتاب الأفرو آسيوي، له عدة مؤلفات منها: ديوان ٧ أجزاء، وبريد الغربية ١٩٦٥، وخلجات عام ١٩٧٢، اتخذ (أبو فرات) اسماً مستعاراً لكتابات، توفي في دمشق عام ١٩٩٦ ودفن فيها. مير بصري: أعلام الأدب في العراق الحديث، (لندن: دار الحكمة - ١٩٩٤)، ج ١، ص ١٨٠-١٨٤.

(٩٨) بلغ عدد الأدباء المشاركين في تحرير مقالاتهم في المجلة (٢٥) أديباً، كان من النجف الأشرف على سبيل المثال علي الشرقي، محمد مهدي الجواهري، عبد المهدي الأعرجي، محمد الخليلي، ومن بغداد نعمان ثابت وروفاثيل بطي، ومن سامراء عبد اللطيف نوري ومن سوق الشيوخ محمد حسن حيدر ومن العرب الشاعر إيليا أبو ماضي. ينظر: على سبيل المثال: «الحيرة» ج ١ ص ١٩، ج ٢ ص ٤٦، ص ٧٤، ج ٣، ص ٩٧، ص ١٠٠.

(٩٩) كاظم حسن سبتي السهلاني (١٨٤٨-١٩٢٤): فقيه وأديب وخطيب، ولد في النجف الأشرف، درس العلوم الدينية وآداب اللغة العربية في حوزتها، حضر حلقات النجف الأشرف الكبرى عند الشيخ محمد طه نجف والشيخ لطف الله المازندراني، برع في فن الخطابة وعدها وسيلة صلاح المجتمع، هاجر إلى بغداد عام ١٨٩٠م، وعاد بعد ثماني سنوات إلى النجف الأشرف، له ديوان منتقى الدر في النبي وآله الغرر، وديوان الروضة الكاظمية باللهجة الشعبية، وكتاب سير الزمان، توفي في النجف الأشرف ودفن فيها.

عبد الله الخاقاني: شعراء النجف في القرن الرابع عشر، بحث في موسوعة النجف الأشرف، (بيروت: دار الأضواء - ٢٠٠٠)، ج ١٨، ص ١٣٧-١٤٤.

(١٠٠) «الحيرة» ج ٣، ص ١٠٠.

(١٠١) تباينت الدوافع والأسباب التي جعلت رجال الدين والمثقفين والكتاب، يفضلون تدويل مقالاتهم بأسماء مستعارة منها على سبيل المثال: إن البعض أراد من الكتابة في الصحف خدمة الدين والمجتمع وليس لطلب الشهرة، أو الخشية من تعرض بعض المغرضين في وصف صاحب المقال بالخروج عن الدين إذا أراد الإصلاح، ورأى آخرون أن الكتابة في الصحف تعني الانحدار إلى مستوى أدنى في نظر العامة، أو خوفاً من رقابة السلطات على ما ينشر في الصحافة ويعرضه للملاحقة. للتفاصيل ينظر: «الاعتدال» (مجلة) النجف، العدد ٢، تموز ١٩٣٤، ص ٩١؛ نجاة عبد الكريم عبد السادة علوان: المصدر السابق، ص ٨٣؛ سلوى زكو: العلاقة بين الصحافة والسلطة في العراق، (بغداد: دار الجمهورية - ١٩٦٩)، ص ٩.

(١٠٢) وصلت أعداد المجلة إلى مدن بغداد، سامراء، سوق الشيوخ، ينظر: «الحيرة» ج ٢ ص ٤٩، «الحيرة» ج ٣، ص ١٠٠، و ص ١٢٧.

(١٠٣) أحمد حامد الصراف (١٩٠٠-١٩٨٥): أديب وباحث حقوقي، ولد في كربلاء وأكمل دراسته الأولية فيها، عين معلماً في بغداد عام ١٩١٨م، التحق بكلية الحقوق تخرج فيها عام ١٩٢٦، عين مديراً لمطبوعات وزارة الداخلية عام ١٩٢٨، وسكرتيراً لقنصلية العراق في كرمينشاه عام ١٩٣٠، مارس القضاء واحتل عدة مناصب فيها منذ العام ١٩٣٣ حتى إحالته على التقاعد عام ١٩٥٤م، انتخب عضواً بالمجمع العلمي في دمشق عام ١٩٤٧، له عدة مؤلفات منها: عمر الخيام ١٩٣١، الشبك ١٩٥٤، توفي في بغداد بعد مرض طويل. مير بصري: المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٩٧، ٤٨٩؛ حميد المطبعي: المصدر السابق، ج ١، ص ١١.

(١٠٤) «الحيرة» ج ٢، ص ٥٠.

(١٠٥) عدنان عبد المنعم أبو السعد: المصدر السابق، ص ٢٢؛ علاء حسين الرهيمي: مجلة العلم النجفية ١٩١٠-١٩١٢ من المجالات العراقية في مرحلة الريادة والتأسيس، ص ٢٣-٢٤.

(١٠٦) كاظم محمود مسلم العامري: المصدر السابق، ص ٣٧٠.

(١٠٧) اختلفت الأعذار التي أطلقها مشتركو الصحف والمجلات في عدم تسديد ما بذمتهم، أكثرها لا ينطبق مع الحقيقة والمنطق. جعفر الخليلي: يوميات، (النجف: مطبعة الراعي، ١٩٣٥)، ج ١، ص ١١؛ يعقوب يوسف كوربا: حكايات عن الصحافة في العراق، (بغداد: الشركة الوطنية للطباعة والإعلان - ١٩٦٩)، ص ٢٨٣.

(١٠٨) حددت المجلة ملتزم الاشتراكات فيها السيد عبد الحميد شير علي، داخل النجف الأشرف وخارجها، «الحيرة» ج ٣، الغلاف الأخير.

(١٠٩) «الحيرة» ج ٣، الغلاف الأول.

(١١٠) دعمت الحكومة بعض الصحف التابعة لها مادياً، وفعلت الشيء نفسه الأحزاب السياسية للصحف التي تصدرها. للتفاصيل: ينظر: سامي رفائيل بطي: صحافة العراق نتاج رفائيل بطي، (بغداد: مطبعة الأديب، ١٩٨٥)، ج ١، ص ٧٩-٨٤؛ عدنان عبد المنعم ابو السعد: المصدر السابق، ص ٢٢.

(١١١) عبد الرزاق الحسيني: تاريخ الصحافة العراقية، ج ١، ص ٤٢.

(١١٢) تم احصاء معلومات الجدول بالاعتماد على الموضوعات الواردة في المجلة.

(١١٣) «الحيرة» ج ٣، ص ٨٢٥.

(١١٤) طبع في (النجف: المطبعة العلوية، ١٩٢٧).

(١١٥) محمد حسين آل كاشف الغطاء (١٨٧٦-١٩٥٤): فقيه ومجتهد وكاتب، ولد في النجف الأشرف، تولت أسرته تعليمه الأولي، ودرس على علماء الحوزة الكبار، قاد تياراً إصلاحياً، نبذ العنف ودعا إلى الوحدة الإسلامية، واطلاق الحريات وناصر الثورات الشعبية، نال المرجعية الدينية بعد وفاة أخيه أحمد (ت ١٩٢٦)، له مؤلفات كثيرة منها: أصل الشيعة وأصولها، جنة المأوى، الدين والإسلام، توفي ودفن في النجف

- الأشرف. للتفاصيل ينظر: حيدر نزار السيد سلمان: الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ودوره الوطني والقومي (النجف: معهد العلمين للدراسات العليا - ٢٠٠٧)؛ مير بصري، أعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث، (بغداد: دار الحرية للطباعة، د.ت)، ص ١١٠-١١٦.
- (١١٦) يعد من الكتب الإسلامية المهمة، طبع كتاب الدين والإسلام أو الدعوة الإسلامية في (صيدا: مطبعة العرفان، ١٩١١، ١٩٢٠)، ج ١، ص ٢.
- (١١٧) «الخير» ج ٣، ص ١٢٨.
- (١١٨) صدرت عن مديرية الشرطة العامة في العراق في ١ شباط ١٩٢٧. عبد الرزاق الحسيني: تاريخ الصحافة العراقية، ج ١، ص ٤٢.
- (١١٩) «الخير» ج ٣، ص ١٢٧.
- (١٢٠) أنشأها أحمد عزت الأعظمي ومديرها المسؤول نوري الأورفلي، صدر العدد الأول في تشرين الثاني ١٩٢٥. عبد الرزاق الحسيني: المصدر السابق، ج ١، ص ٤٠.
- (١٢١) «الخير» ج ٣، ص ١٢٨.
- (١٢٢) أشارت بعض المصادر إلى سبق الحضارة المصرية والحضارة العراقية في ميدان الصحافة. سامي رفائيل بطي: المصدر السابق، ص ٢٧-٢٨.
- (١٢٣) عن علاقة الصحافة بالجمهور والرأي العام، ينظر: عبد اللطيف حمزة: الصحافة والمجتمع، (القاهرة: دار القلم - ١٩٦٣)، ص ٧-١٦.
- (١٢٤) (كين بان) صدرت في العاصمة بكين والصحيفة الرسمية الناطقة بلسان الحكومة الصينية ولا تزال مستمرة في نشر أخبارها. سامي رفائيل بطي: المصدر السابق، ص ٢٦.
- (١٢٥) «الخير» ج ١، ص ٢٣-٢٤.
- (١٢٦) للتفاصيل عن الحياة الفكرية في النجف الأشرف ينظر: محمد باقر أحمد البهادلي: الحياة الفكرية في النجف الأشرف، (قم: مطبعة ستارة - ٢٠٠٤).
- (١٢٧) عبد المولى الطريحي: الحركة الفكرية، «الخير» ج ٣، ص ٨٢.
- (١٢٨) اتجهت أكثر المدن العراقية صوب مدينة النجف الأشرف في الحركة الفكرية، فإن

- للفكر والعقيدة والمقال والرأي النجفي ميزة خاصة عند العراقيين. للتفاصيل ينظر: علي الشرقي: الموسوعة الثرية، النوادي العراقية، جمع وتحقيق: موسى الكرباسي، (بغداد: مطبعة العمال المركزية - ١٩٨٩)، ص ١٥١-١٥٨.
- (١٢٩) دخلت العراق أولى البعثات التبشيرية الفرنسية في عام ١٦٢٦. للتفاصيل ينظر: فاطمة شمخي هندي الغريباوي: الحركة الفكرية في بغداد ١٨٦٩-١٩١٤، رسالة ماجستير، (جامعة بغداد: كلية الآداب - ١٩٩٩)، ص ٦٦-٦٩.
- (١٣٠) محمد سعيد الحبوبى (١٨٥٠-١٩١٥): عالم وفقه مجاهد أحد شعراء العراق الكبار، ولد في النجف الأشرف ودرس في حوزتها العلمية، قاد حركة الجهاد ضد البريطانيين عام ١٩١٤، كان له مجلس أدبي حافل بالمحاضرات، له ديوان شعر، توفي في الناصرية، ودفن في النجف الأشرف. مير بصري: أعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث، (بغداد: دار الحرية للطباعة - د.م)، ج ١، ص ٢٢-٢٦؛ هدى جاسم محمد البطحي: السيد محمد سعيد الحبوبى حياته وشعره، رسالة ماجستير، (جامعة بغداد: كلية الآداب - ١٩٩٦)، ص ٢٠-٣٠.
- (١٣١) محمد مهدي الجواهري: نهضة الأدب النجفي، «الحيرة» ج ١ ص ٤-١٦.
- (١٣٢) «الحيرة» ج ٢، ص ٥١-٥٢.
- (١٣٣) رفائيل بطي (١٩٠٠-١٩٥٦): أديب ومؤرخ وصحافي رائد، ولد في الموصل، وتعلم في مدارسها، دخل دار المعلمين وتخرج فيها معلماً عام ١٩٢١، أكمل كلية القانون عام ١٩٢٩، اشتغل في الصحافة فكان رئيس تحرير جريدة العراق عام ١٩٢٠، وأصدر جريدة البلاد عام ١٩٢٩، عمل مراسلاً لجريدة الأهرام القاهرية في بغداد، هاجر إلى القاهرة عام ١٩٤٥، انتخب عضواً في مجلس النواب عام ١٩٤٨، شغل منصب وزارة الدولة لشؤون الدعاية عام ١٩٥٣، له عدة مؤلفات منها: الأدب العصري في العراق عام ١٩٢٣، تقويم العراق عام ١٩٢٣، الربيعيات عام ١٩٣٥، توفي في بغداد. مير بصري: أعلام الأدب في العراق الحديث، ج ٢، ص ٣٦١-٣٦٧؛ حميد الجميلي وآخرون: المصدر السابق، ج ١، ص ١٨٥.

(١٣٤) شهد القرن التاسع عشر دخول أفكار جديدة من الغرب إلى الشرق، حملت معها بوادر انبعاث حركة اصلاحية في كافة المجالات. للتفاصيل ينظر: أنيس خوري المقدسي: الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، ط٢، (بيروت: دار العلم للملايين - ١٩٦٠)؛ أنيس زكريا النصولي، أسباب النهضة العربية في القرن التاسع عشر، (بيروت: مطبعة روز طيارة - ١٩٤٦).

(١٣٥) رفائيل بطي: رباعيات فرحان طرفة في الأدب الجديد، «الحيرة» ج٣، ص ٩٥-٩٧.
 (١٣٦) عبد الحسين الحياوي (١٨٧٨-١٩٢٦): فقيه وأديب وخطيب، ولد في مدينة الحبي، درس في النجف الأشرف العلوم الدينية على كبار علمائها، نال شهرة أدبية واسعة في المجالس والنوادي النجفية، له عدة مؤلفات مخطوطة في الأدب والتاريخ والفلك ضاع معظمها لعدم اهتمام عائلته بها، توفي ودفن في النجف الأشرف. عبد الله الخاقاني: المصدر السابق، ج١٨، ص ١٩٥-١٩٨؛ محمد حرز الدين: معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء، (قم: مطبعة الولاية - ١٩٨٤)، ج٢، ص ٣٨-٣٩.

(١٣٧) عبد المولى الطريحي: عبد الحسين الحياوي، «الحيرة» ج٣، ص ١٠١-١٠٢.
 (١٣٨) يُنظر على سبيل المثال: محمد مهدي الجواهري: النجف والحيرة، «الحيرة» ج١، ص ١٩-٢٠؛ عبد المهدي الأعرجي: مثنيات الأعرجي، «الحيرة» ج١، ص ٢٠؛ إيليا أبو ماضي: قطرة طل، «الحيرة» ج٢، ص ٦١؛ علي الشرقي: نشيد العراق، «الحيرة» ج٣، ص ١٠٨.

(١٣٩) عبد الجبار المطلبي: الوجيز في دراسة القصة، (بغداد: دار الحرية للطباعة - ١٩٨٣)، ص ٣٤، عبد اللطيف حمزة: مدخل في فن التحرير الصحفي، ص ٣٨٣.

(١٤٠) نعمان ثابت عبد اللطيف (١٩٠٥-١٩٧٣): أديب وضابط عسكري، ولد في بغداد، وأكمل تعليمه الأولي فيها، دخل المدرسة العسكرية وتخرج فيها عام ١٩٢٧، اشترك في دورة الأركان عام ١٩٣٦، ومؤلفاته المخطوطة الجاسوسية، وسائط الاستخبارات في الحرب، وله عدد من الروايات، توفي في بغداد ودفن فيها. مير بصري: أعلام الأدب في العراق الحديث، ج٢، ص ٤٢٧-٤٣٠.

- (١٤١) بن ثابت، الارادة والأخلاق والعمل، «الحيرة» ج٣، ص١٠٥-١٠٧.
- (١٤٢) عبد الستار عبد الوهاب القره غولي (١٩٠٦-١٩٦١): كاتب وشاعر، ولد في بغداد وتعلم في مدارسها، تخرج من دار المعلمين عام ١٩٢٢ وعين معلماً في البصرة، عضو مؤسس في نادي المثني عام ١٩٣٥، ساند ثورة ١٩٤١، وسجن بسببها، عمل مفتشاً عام ١٩٤٧، له عدة مؤلفات منها: الألعاب الشعبية ١٩٣٥، روايات من تاريخ العرب ١٩٤٨، مسرحية عبد الله الصغير ١٩٥٥، توفي في بغداد ودفن فيها. جعفر صادق حمودي التميمي: معجم الشعراء العراقيين، بغداد: شركة المعرفة للنشر والتوزيع (١٩٩٩) ص٤٤١-٤٤٤.
- (١٤٣) عبد الستار القره غولي: الشعرة الذهبية، ترجمة: عمر شاكر، «الحيرة» ج٢ ص٧٣-٧٤. وذهدت بنفس الاتجاه قصة الكاتب فريد توما، أسرار الكوخ، «الحيرة» ج٣، ص١١٧-١٢٠.
- (١٤٤) نعيم عطية: القانون والقيم الاجتماعية، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر - ١٩٧١)، ص٨-١٢.
- (١٤٥) جعفر الخليلي: السعادة، «الحيرة» ج٣، ص١٠٣-١٠٤.
- (١٤٦) للتفاصيل ينظر: يوهان هويزنجا: أعلام وأفكار، نظرات في التاريخ الثقافي، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، (القاهرة: مطابع الهيئة المصرية للكتاب).
- (١٤٧) عبد المولى الطريحي: واجبنا الوطني، «الحيرة» ج٢، ص٤١-٤٢.
- (١٤٨) للتفاصيل عن القبائل الكردية والحياة الاجتماعية لأكراد العراق. ينظر: عباس العزاوي: عشائر العراق، (بيروت: دار المحبة - د.ت)، ج٢، ص٢٢٣-٢٥٢.
- (١٤٩) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٥١.
- (١٥٠) م. ف، نظرة في منطقة كردستان، «الحيرة» ج٢، ص٧٠-٧٢.
- (١٥١) الحيرة (مجلة) ج٢ بتاريخ ٢٨/ شباط/ ١٩٢٧، ص٧٨.
- (١٥٢) الحيرة (مجلة) ج٢ بتاريخ ٢٨/ شباط/ ١٩٢٧، ص٧٩.
- (١٥٣) الحيرة (مجلة)، ج١، بتاريخ ٢٩/ كانون الثاني/ ١٩٢٧، ص٢١.

- (١٥٤) الحيرة (مجلة)، ج١، بتاريخ ٢٩ / كانون الثاني / ١٩٢٧، ص ٢٥.
- (١٥٥) شيدت هذه المدرسة في سويسرا واختير لها المكان المناسب وأعدت غرف الدرس لغرض ملائمة درجات الحرارة في الصيف والشتاء، للتفاصيل ينظر: الحيرة (مجلة) ج١، بتاريخ ٢٩ / كانون الثاني / ١٩٢٧، ص ٢٧.
- (١٥٦) الحيرة (مجلة)، ج١، بتاريخ ٢٩ / كانون الثاني / ١٩٢٧، ص ٢٨.
- (١٥٧) الحيرة (مجلة)، ج١، بتاريخ ٢٩ / كانون الثاني / ١٩٢٧، ص ٢٩.
- (١٥٨) المصدر نفسه، ص ٣٣.
- (١٥٩) للتفاصيل ينظر: الحيرة (مجلة)، ج١، بتاريخ ٢٩ / كانون الثاني / ١٩٢٧، ص ٣٣.
- (١٦٠) ثبت صحياً أن الضحك له فوائد كثيرة للإنسان من خلاله يصبح حال المرح عنده حقيقة ويستأنس بعد الضحك الطويل كما أن الرئتين تمتدان وتعملان بصورة صحيحة بعد كل حالة من الضحك. للتفاصيل ينظر، الحيرة (مجلة)، ج١، بتاريخ ٢٩ / كانون الثاني، ص ٣٧.
- (١٦١) الحيرة (مجلة)، ج١، بتاريخ ٢٩ / كانون الثاني / ١٩٢٧، ص ٣٨.
- (١٦٢) المصدر نفسه، ص ٤٠.
- (١٦٣) الحيرة (مجلة)، ج٣، بتاريخ ٢٧ / آب / ١٩٢٧، ص ٨٣.



المصدر: مجلة مركز دراسات الكوفة، جامعة الكوفة - النجف الأشرف،
العدد (٣٠) (٣٠ سبتمبر / أيلول ٢٠١٣)، ص ١٢٧-١٥٣.

صورة بغداد في التراث

الأستاذ الدكتور حسين علي محفوظ

﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾. (سورة البقرة: ١٢٦)

﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾. (سورة إبراهيم: ٣٥)

«بغداد هي الدنيا وأهلها هم الناس»

قال محمد بن ادريس: الشافعي - المتوفى سنة ٢٠٤هـ - ليونس بن عبد الأعلى: يا يونس: دخلت بغداد؟ قال: لا. قال: «يا يونس: ما رأيت الدنيا، ولا رأيت الناس». تاريخ بغداد: ج ١، ص ٤٥.

«بغداد في البلاد كالأستاذ في العباد»

قال الصاحب بن عباد - المتوفى سنة ٣٨٥هـ - لأستاذه ابن العميد الذي ختمت الكتابة به - وقد سأله عن بغداد عند منصرفه عنها: (بغداد في البلاد كالأستاذ في العباد). يتيمة الدهر: ج ٣، ص ١٥٤.

بغداد مدينة السلام

بغداد برج الأولياء
 غنى الزمان بمجدها
 دامت جيناً للفخار
 ألقى عليها الدهر من
 دانت لهيبتها الدهور
 من ذا الذي يستطيع أن
 دار المعالي والمكارم
 يجلسنا دريها في
 نور على نور محت
 هي مريع العلماء والأدباء
 البلدة الحسننا يصافح
 لترابها كل النضار
 ست البلاد جميعها أم
 لله درك يا سننـام
 الحق يا بغداد أنك
 مستودع الفضل العظيم

تعانقت فيه الكواكب
 وحدت بمدحتها الركائب
 ومفرقاً لذرى الذوائب
 أثوابه أسنى الجلابب
 وعزها الشماخ غالب
 يرقس إلى تلك الغوارب
 والمآثرر والمناقب
 دلجة الليل الغياهب
 لمعاته داجي الليل النوائب
 والأسد الأغالب
 فرقها فلك الثواقب
 فدى ويعنو كل لازب
 المشارق والمغارب
 الفخر يا عليا المناكب
 معقل البين الأشاهب
 ودارة الغر الأعارب

الدكتور حسين علي محفوظ

هدية الدكتور حسين علي محفوظ إلى بلده الطيبة ومدينته المحبة بغداد

مدينة السلام

صورة بغداد في التراث وأشعة من لمعاتها :

صورة زاهية زاهرة باهرة. تلتقي فيها الأمم والشعوب واللغات والألسنة والأديان والمعتقدات، والفرق والمذاهب، والآراء والمقالات.

صورة رائعة تجمع نتاج البشر، وتراث الأمة. وتضم جهد العراق ومجهود الإنسان في إطار مدينة فاضلة، هي مدينة السلام وقبة الإسلام بغداد، عبر ١٢٥٠ عاماً من عمرها الطويل الحافل بمعطيات العلم والأدب والعقل والفكر.

هي صورة جميلة في الحقيقة والخيال، جميلة في الواقع والتصوير، جميلة في الحكايات والأشعار، جميلة في القصص والروايات جميلة في الأحاديث والأشعار جميلة في الأخبار والتواريخ والمأثور.

صورة جميلة في القلوب، جميلة في الأنفس، جميلة في الأسماع جميلة في الأعين جميلة في الألسن.

اسمها (بغداد)... هي الدنيا بأجمعها، وسكانها هم الناس...

أقوال في بغداد :

(بغداد جنة الأرض، ومدينة السلام، وقبة الإسلام، ومجمع الرافدين، وغرة البلاد وعين العراق، ودار الخلافة، ومجمع المحاسن والطيبات، ومعدن الظرائف واللطائف).

بعض الفضلاء

(بغداد حاضرة الدنيا، وما عداها بادية).

الزجاج

(هي مدينة السلام، بل مدينة الإسلام).

أبو الفرج البيهقي

(بغداد في البلاد، كالأستاذ في العباد).

الصاحب بن عباد

(بغداد، الدنيا بأجمعها.. وسكان بغداد هم الناس).

ابن زريق الكوفي الكاتب

(بغداد... مجتنى صنوف المنى... وجنة الدنيا... ومجتنى الغنى، ومنبسطة

الآمال).

شاعر

(كأن يقال: من محاسن الإسلام، يوم الجمعة ببغداد).

التنوخى

(يوم الجمعة ببغداد كيوم العيد في غيرها من البلاد).

الشيخ

(الصناعة بالبصرة، والفصاحة بالكوفة والخبر ببغداد).

الجاحظ

(سافرت الآفاق، ودخلت البلدان، ومن حد سمرقند الى القيروان ومن سرنديب الى بلد الروم، فما وجدت بلداً أفضل ولا أطيب من بغداد).

أبو القاسم الديلمي

(هذا بلد عظيم، لا يأتي عليهم يوم - وأنت به - إلا رأيت فيه من أهل الفضل من لم تره فيما تقدم).

أبو العلاء المعري

(إنها جنة الأرض).

الشاعر الوراق

(تحبي الرياح بها المرضى إذا نسمت).

منصور النمري

(بغداد أم الدنيا وسيدة البلاد).

معجم البلدان

(هي اليوم مصر العرب).

أبو بكر بن عياش

(هي مثل العروس).

آخر

(هي البلدة الحسنة).

طاهر بن جعفر

(ما مثل بغداد في الدنيا والدين).

عمارة بن عقيل

(بغداد معدن كل طيب، ومغنى نزهة المتزهين).

الباقي

(طفت في شرق البلاد وغربها فلم أر فيها مثل بغداد منزلاً).

محمد بن علي بن خلف البيرماني

(الأرض كلها بادية وبغداد حاضرتها).

رجل

(إنها سكة الدنيا).

الرشيد

(هل رأيت قوماً أعقل في طلب الحديث من أهل بغداد).

ابن عليّة

(ما دخلت بلداً قط إلا عددته سفراً، إلا بغداد فإني حين دخلتها

عددتها ووطناً).

الشافعي

(الإسلام ببغداد، وإنما لصيادة تصيد الرجال. ومن لم يرها لم ير الدنيا).

أبو بكر بن عياش

(هي دار دنيا وآخره).

أبو معاوية

(جنة الدنيا، ودار مغبطة).

آخر

(كدرة البحر ضمها صدف).

آخر

(هذه بغداد، حاضرة الدنيا، ومعدن كل فضيلة، والمحلة التي سبق أهلها إلى حمل ألوية المعارف، والتدقيق في تصريف العلوم، ورقة الأخلاق، والنباهة والذكاء، ووحدة الأفكار، ونفاذ الخواطر).

ابن حزم

(الإقليم الرابع - الذي فيه العراق: وفي العراق بغداد - هو صفوة الأرض ووسطها. لا يلحق من فيه عيب سرف، ولا تقصير).

العلماء الأوائل

(اجتمعت في أهل هذا القسم من الأرض محاسن جميع الأقطار بلطف من العزيز القهار، وكما اعتدلوا في الخلق، كذلك لطفوا في الفطنة والتمسك بالعلم والأدب ومحاسن الأمور. وهم أهل العراق...).

العلماء الأوائل

(من لم يوثقه أهل بغداد فقد سقط. هم جهابذة العلم).

الحسن بن عرفة

(أهل بغداد موصوفون بحسن المعرفة...).

الخطيب البغدادي

(كان بعضهم - إذا ذكر بغداد - يقرأ قول الله: ﴿بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ﴾).

تاريخ بغداد

(هي - مع ذلك - منصوره محبورة. كلما ظن عدو الإسلام أنه فائز باستئصال أهلها، كبتة الله، وكبه لمنخريه، واستؤصلت قدرته بما ليس في تقدير الخلق أجمعين، فضلاً من الله ونعمة. والله ذو الفضل العظيم).

الخطيب البغدادي

(يا حبذا صحبة العلوم بها).

السري الرفاء

(بغداد ست البلاد).

مثل

(سقى الله بغداد من بلدة حوت كل ما لذ للأنفس).

آخر

(لم يزل بها من الفاضلين على الدهور والسنين والشهور).

ابن الفقيه الهمداني

(مدينة العلم «بغداد» ينبوع الأدب ومنبت الحكم).

ابن الطيب

(كان بعضهم يسميها الصيادة لأنها تصيد قلوب الرجال).

الروض المعطار

(لو أن الدنيا خربت وخرج أهل بغداد لعمرها).

الروض المعطار

(بغداد، وسط العراق، والمدينة العظمى التي ليس لها نظير في مشارق

الأرض ولا في مغارها، سكنها أهل الأمصار والكور، وانتقل إليها من جميع البلدان القاصية والدانية، وآثرها جميع أهل الآفاق على أوطانهم).

ابن الفقيه

(هي أعظم ما قيل، وأشهر حالاً مما ذكر).

محمد بن عبد المنعم الحميري

(قدمت مدينة السلام، لأنها حوزة الإسلام وبيضة مملكة الإمام.. وفي جنبها حلا الجنى، وعلا السنا).

العماد الكاتب

لمحة من صورة بغداد:

في سيرة ابن الأعرابي - المتوفى سنة ٢٣٠هـ أنه رأى في مجلسه رجلين يتحادثان. فقال لأحدهما: من أين أنت؟ فقال: من أسفيجاب، وقال الآخر: من أين أنت؟ فقال: من الأندلس.

أما أسفيجاب فهي من بلدان ما وراء النهر في حدود تركستان بأقصى المشرق. ولا يخفى أن الأندلس في أقصى المغرب.

وفي أخبار ابن نباتة السعدي التميمي شاعر بغداد - المتوفى سنة ٤٠٥هـ قال: كنت يوماً قائماً في دهليزي. فدق عليّ الباب. فقلت: من؟ فقال: رجل من أهل المشرق. فقلت: ما حاجتك؟ فقال: أنت القائل؟

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تنوعت الأسباب والداء واحد
فقلت: نعم. فقال: أرويه عنك؟ فقلت: نعم. فمضى.

فلما كان آخر النهار دق عليّ الباب. فقلت: من؟ فقال رجل من أهل
تاهرت من المغرب. فقلت: ما حاجتك؟ فقال: أنت القائل؟
ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تنوعت الأسباب والداء واحد
فقلت: نعم. فقال: أرويه عنك؟ فقلت: نعم. وعجبت كيف وصل
الشرق والغرب.

تلك لمحة سريعة توضح شأن مجالس بغداد التي كانت تضم جناحيها
على أهل المشارق والمغرب. وهذه لحظة تبين كيف يسير تراثها مسير
الشمس. وكيف يهب هبوب الريح. وكيف يدخل كل بلدة وكيف يمشي
في مناكب الأرض، وكيف يطوي البر والبحر. وكيف يبلغ المزار البعيد
والمحل الشطب. وكيف يرد البلد الشاسع والمكان النازح. وكيف يصل
إلى الفج العميق والموضع السحيق.

وقد أحصى الخطيب البغدادي - المتوفى سنة ٦٣٤ هـ من قدم بغداد من
أهل العلم، ومن حضر مجالس أصحابها من ذوي الفضل، ومن حدث بها،
ومن روى عن أهلها ومن روى أهلها ومن كتب عنه الحديث فيها وعدتهم
في الأوراق الباقية من كتبه (٧٨٣١) في ثلاثة قرون.

والمنتسبون إلى بغداد من كل جنس من أهلها والمقيمين بها من غير أهلها
هم كثيرون كما قال ابن الأثير المتوفى ٦٣٠ هـ في كتاب اللباب، والحق أن كتب

تاريخ بغداد تكون مكتبة كبيرة تملأ الخزائن والمخازن وأن إحصاء أفاضل أهلها وأعلامها ورجالاتها ومشاهيرها أمر صعب عسير. وأكتفي بالإشارة إلى أن كتاب ابن النجار - المتوفى سنة ٦٤٣هـ وهو (التاريخ المجدد لمدينة السلام وأخبار فضلائها الأعلام ومن ورد لها من علماء الأنام) في ثلاثمائة جزء. ويذكر في هذا قول ابن حزم - المتوفى سنة ٤٥٦هـ: (هذه بغداد: حاضرة الدنيا ومعدن كل فضيلة، والمحلة التي سبق أهلها إلى حمل ألوية المعارف والتدقيق في تصريف العلوم ورقة الأخلاق، والنباهة والذكاء، وحدة الأفكار ونفاذ الخواطر).

وقد أنفذ ابن سينا المتوفى ٤٢٨هـ رسالة إلى علماء مدينة السلام - في المقولات - قال: (سلام الله على شانخ مدينة العلم والحكمة بمدينة السلام. مد الله في أعماركم، وزاد في الخيرات لديكم، وأفاض من حكمه عليكم ورزقنا مجاورتكم، وعصمنا وإياكم من الخطأ والخلط. أنه واهب العقل ومفيد العدل وله الحمد، والسلام على رسوله، وآله الطيبين الطاهرين... وقد أنفذت إليكم - متعنا الله بكم - نسخة.. وأسألكم أن تصرحوا عن الحق).

وهذه الرسالة تؤكد أهمية رأي علماء بغداد وتبين منزلة (معشر الحكماء بمدينة السلام) في الفلسفة والعلم والفكر. وقد قال الحسن بن عرفة: (أهل بغداد هم جهابذة العلم. من لم يوثقوه فقد سقط).

وكان ابن العميد إذا جاء أحد من العلماء والأدباء - وأراد امتحان

عقله واختبار فضله - سأله عن بغداد. فإن عرف خصائصها، وذكر محاسنها وأثنى عليها ذلك مقدمة فضله وعنوان عقله وإن وجده ذاماً لبغداد لم ينفعه بعد ذلك شيء من المحاسن والمعارف.

ولما رجع الصاحب عن بغداد سأله ابن العميد عنها فقال: (بغداد في البلاد كالأستاذ في العباد) فجعل بغداد مثلاً في الغاية في الفضل.

وقد كان بعض الفضلاء يقول: (بغداد جنة الأرض ومدينة السلام، وقبة الإسلام.. وغرة البلاد وعين العراق ودار الخلافة ومجمع المحاسن والطيبات ومعدن الظرائف واللطائف. وبها أرباب الغايات في كل فن. وآحاد الدهر في كل نوع). وقال ابن زريق الكاتب الكوفي:

هيئات بغداد الدنيا بأجمعها عندي، وسكان بغداد هم الناس وهو معنى قول الشافعي ليونس بن عبد الأعلى: أيا يونس، دخلت بغداد؟ قال يونس: لا. فقال الشافعي: أيا يونس، ما رأيت الدنيا، ولا الناس. وقال شعبة لمن لم يدخل بغداد: كأنك لم ترد الدنيا.

توغلت صورة بغداد - هذه - زاهرة باهرة في أقاليم الأرض وإذا كانت أقاليم الأرض سبعة وإذا كان أوسط الأقاليم بابل، وفيه جزيرة العرب، وفيه العراق، وهو سر الدنيا وصفوة الأرض - فإن بغداد صفوة الصفوة.

والعراق بلد إبراهيم عليه السلام جعل الله تعالى - خزائن علمه في أهل العراق، وأسكن الرحمة قلوبهم.

وقد قالوا قديماً: إن الأشياء اجتمعت، فقال السخاء أريد اليمن. فقال حسن الخلق: وأنا معك.. وقال العلم: أريد العراق، فقال العقل: وأنا معك، أجل اجتمع العلم والعقل في العراق وكان أهل العراق - كما في حديث الصحابة - كنز الإيمان، وجمجمة العرب، ورمح الله.

للعراق مسير حضاري قديم عريق طويل مستديم مستمر في خدمة المدينة والعلم والفكر والإنسان تمثل (بغداد) واحدة من أهم بداياته.

طلعت بغداد شمساً بازغة في العراق واستطال ضياؤها اللامع ونورها الساطع في الآفاق يستضاء باشرافها، ويهتدي بأضواء كلمتها، وليس لصفة ضوء الشمس والنهار المبصر حد، وإنما هي إشارات خفيفة إلى بصيص وميص لامع برقها اللائح.

بنى أبو جعفر المنصور بغداد، وابتدأت خلافته بالعناية بالتأليف والتصنيف والترجمة والنقل فقد أمر بنقل الكتب، وهو من أوائل أعلام حركة التعريب في التراث.

نقلت بغداد نتائج الأمم، وترجمته وعربته، وحررته وفسرته وشرحته وطورته وهكذا حافظت على تراث الإنسان وجددته، وهكذا حفظت علوم الأولين في العراق ومصر والشرق الهند واليونان والروم.

وفي بغداد نشأت (الجامعة) ابتداء بيت الحكمة ودار الحكمة التي قلدت ترجمة الكتب القديمة. وكانت ملتقى العلماء والمؤلفين والتراجمة. ولا

تعدد خزائن الكتب ومخازنها في عصر الخلافة، وقد كان في خزانة الشريف المرتضى - وحدها - مثلاً مائة ألف وأربعة عشر ألف مجلد.

وظهرت (المدرسة النظامية) في بغداد في أواسط القرن الخامس سنة ٤٥٩هـ وهي (أم المدارس) في تاريخ التعليم في الإسلام أول النظاميات التسع وأكبرها وأجلها وأعلاها.

ثم قامت المدرسة المستنصرية التي جمعت الكليات سنة ٦٣٠هـ وفضل هاتين المدرستين العظيمنتين - في نشر العلم والمعرفة - واضح معلوم لا يحتاج الى تطويل.

ومن بغداد انتشر (الخط العربي) الذي اشتقه ووضع طريقته (ابن مقلة) ونقحه وهذبه (ابن البواب). ونهج الناس نهجه ونحوا نحوه ونسجوا على منواله واتبعوا أسلوبه.

غير عجيب أن ترقى بغداد بالخط وقد ولد في العراق، ونشأ في الحيرة والكوفة ورعاه كتاب بغداد وحفظت الكاتبة (شهدة) سده وأصوله وتعلم الناس من التلاميذ (ياقوت) كاتب الخليفة، وخطاط بغداد وقد نشروا طريقته وإليه تنتهي سلسله وأسانيده وقد أحصى ابن المستقيم (١٢٠٢هـ) ألوف الخطاطين المشاهير في كتاب (تحفة الخطاطين) الذي ألفه سنة ١١٧٣هـ. وأحصى البياتي (١٥٢٦) من كتاب النستعليق الذي وضعه معروف البغدادي (٨٣٠هـ).

وانتقل الكاغد - أيضاً - من بغداد الى القيروان وقرقانة ومنها إلى بلرمو عاصمة صقلية ثم الى ساليرتو جنوبي ايطاليا، وفابريانو واستقر في المانيا فساعد على اختراع الطباعة.

واجتاز الكاغد جبال البرانس كذلك. ودخل فرنسا عن طريق سبتة في المغرب الأقصى وشاطبة في الأندلس.

ومن بيت الحكمة الأغلب في تونس ظهرت نواة المدرسة الطبية الجديدة التي تدعى (المدرسة القيروانية) في المغرب. ثم في جنوب ايطاليا. حيث أنشأ الملوك النورمنديون (دير منتي كاسينو) وكان مديره قسطنطين الأفريقي وليد قرطاجية بتونس.

ثم ذهب العلم الى ساليرنو وانتشر في جامعة نابولي وبولونيا وبادوفا. هذه لمع غير منسقة من مناقب بغداد. ونكت غير منتظمة من فضائلها ومن ذا الذي يحصي محاسن بغداد وعجائبها وغرائبها؟ لا يمكن أن تجمع أطرافها في كتاب ولا يمكن أن يحتوي عليها مجموع فهو بحر لا يساجل يظل الناس مستعجبين من لآله.

هذا - وبغداد تشتهر أبداً ودائماً بالأحاسن والخيار والأطياب وينسب إليها كل جيد من الأشياء. كتاب سواد بغداد ومنثور بغداد وعنب بغداد ورطب بغداد وحلل بغداد وسقراطور بغداد، وعتابيات بغداد، وسوق العروس في بغداد، ودار الطبخ في بغداد، ودار القطن في بغداد، ومجموع

الطرائف في بغداد...

وكانوا يشبهون البلدان الفاخرة ببغداد، ويضربون المثل بها في الحسن فقالوا جرجان عراقيان الأصل في التنظيف والتطهر والتظرف والتمري والتسري والتنعم والتكرم ويقال إنها (بغداد الصغرى).

وقد تجلت بغداد في الآداب الشرقية - منذ القديم ذكرها فحول الشعراء وكبار الكتاب والأدباء. ولا يستطيع الدارس أن يجمع كل ما قيل فيها، ولا يقدر على الإحاطة بالقليل فضلاً عن الجم. فقد شغلت الأقلام وملاأت الكتب.

شبه أحدهم (٤٤٦هـ) بعض البلدان بالكرخ، واتخذ بغداد مثلاً في الحسن، ولاموا آخر على الإقامة في بغداد. فقال: كيف أترك بلدة فيها بيت العلم وهي فلك دجلة مجرته، ومبانيها بروجه ووجوه حسانها أقماره؟

شبه آخر (٥١٥هـ) جود الممدوح بدجلة، وقال إن بغداد هي كل مكان، وقال شاعر شروان - الذي زار بغداد سنة ٥٥١هـ - في رحلته المنظومة التي سماها (تحفة الخواطر وزيدة الضمائر): إن العراق روضة الإقليم الرابع. ترابه من تراب الجنة، وماؤه ماء الحياة وهما علاج ودواء وشفاء.

وقال في وصف نهر دجلة: إنه مغتسل الملائكة وإن النجوم ابيضت؛ لأنها تغسل وجوهها فيه، وإن اللسان والسمع وقف على ذكر أهل بغداد والثناء عليهم ومدحهم.

وقال آخر (٥٨٢هـ) إن نواحي بغداد هي موطن الكمال والفضل. وإن هذا البلد لا مثيل له، وشبه آخر (٧١٢هـ) عطاء الكريم ببستان بغداد.

ورعت بغداد اللغات والآداب. فقد ألف فيها محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري كتاب (ديوان لغات الترك) برسم المقتدى سنة ٤٦٩هـ وقد رتب كتابه على الحروف. ووشمه بالحكمة والسجع والشعر والرجز والنثر وهو أول من حصر هذه اللغة ولين وعرها وبين غورها وقعرها.

استعار الكاشغري المصطلح من العربية. وكان تخالع في صورة أن يبني كتابه كما بنى الخليل كتاب (العين). ولقد بلغ كتابه في الجودة نهايتها وتدرى في اللطاف غايتها.

وألف ابن مهنا (٦٨٢هـ) كتاب (حلية الإنسان وحلبة اللسان) في ثلاث من اللغات الشرقية آنذاك.

وحفظت بغداد (أدب الديوان) وفي مربعها نشأ ورقى وتقدم. وفيها كان فضولي البغدادي (أفصح الشعراء) ذو الألسنة الثلاث (٩٦٣هـ) الذي يلقبه النقاد رئيس الشعراء، وأستاذ الكل، والشاعر الأعظم، وشيخ الشعراء، وأعظم شعراء الشرق.

وفي بغداد تعلم مصلح الدين، أبو محمد، عبد الله بن مشرف بن مصلح ابن مشرف السعدي (٦٩١هـ) خريج بغداد، وتلميذ المدرستين، ورسول الثقافة العربية في بغداد الى الآداب الشرقية. وقد كان الأدباء والمتأدبون

عيالاً عليه من بعد في بلدان الخلافة الشرقية.

نشر كتابه الحافل بمأخذه من الثقافة العربية التي كان يلقيها في بغداد - بالالمانية سنة ١٦٥٤ م. وظل الورد المورد قرناً كاملاً من عمر الأدب الالمانى ومن ها هنا جاء كوته بما جاء به في (الديوان الشرقي)، وروكرت في (الزهرة الشرقية).

هكذا كانت مدينة السلام حاضرة الدنيا. عششت بها المعارف واستوطنها فحول ذوي العلم والفضل. وسكنها كبار الفلاسفة، وحل بها أمراء الكلام، وقطنها أئمة الفكر، فدلف إليها طلاب العلم من كل فج، ونهى نحوها رواد المعارف من كل شعب وأزهم عليها أهل المشرقين والمغربين.

وهكذا ظلت (طرفة بغداد) تعبيراً عن الشيء الجميل اللطيف المحبوب و(تحفة بغداد) تعبيراً عن الشيء النفيس النادر الثمين و(نسيج بغداد) تعبيراً عن الشيء البديع الرائع الرقيق... و(لحن بغداد) و(قوارير بغداد) و(بغداد معمور) و(بغداد خالي) و(بغداد حرب)..

وهكذا ظلت طرائف بغداد و(ظرفاء أهل بغداد) و(مروءة أهل بغداد) من المأثور الذي يضرب به المثل في التراث.

ملاحق في مدائح مدينة السلام وفضيلتها على سائر البلاد:

الحكيم، أفضل الدين، أبو بديل، إبراهيم بن علي النجار، الخاقاني، شاعر شروان، في باب الأبواب.... المتوفى سنة ٥٩٥ هـ.

أمشرب الخضر ماء بغداد
 كوثرنا دجلة وجنتنا الـ
 تبت يدا من يذم تربتها
 مسكه روح الجنان تمسكه
 قبحاً لمن قال لا سخاء لها
 أف لمن قال لا وفاء بها
 إن غاض ماء السخاء عندكم
 والعرش مرآة كل ذي فكر
 سألتني عن بناء بيضتها
 الجن من قبل آدم اعتقلت
 فلقيت روضتها لمرتعه
 وادم استنزله همته
 فكان لها هوى بمهبطه
 أقسم بالله إن في جلدي
 أدوية الهند جل أدوية
 يركض خيل المنى بعرضتها
 أبناء دهري عبيده وكذا
 كنت ربيعاً وحاجني لهبي
 صرت خريفاً ومن لظى كبدي
 يا قبح شروان خذ كتابيها
 يلثمه الدهر حين اختمه
 أعاد روحي هواء بغداد
 من كل شمس إذا بدت فبدا
 أمسي وشمس الضحاء تصحيني
 ملواح قلبي الملاح صادها
 ونار موسى لقاء بغداد
 كرخ وطوبى هواء بغداد
 فتبت ذا بناء بغداد
 ذا المسك لا بل رخاء بغداد
 فجاد ربعي سخاء بغداد
 فمد ضيفي وفاء بغداد
 لا بأس فالورد ماء بغداد
 فيه تجلى رواء بغداد
 فاسمع فنفسى فداء بغداد
 طيباً وروض عراء بغداد
 بغدادها ابتداء بغداد
 لما أتاه رجاء بغداد
 أهوى هواه ابتغاء بغداد
 روضة خلد فناء بغداد
 وخيرها هندباء بغداد
 فلن يورد هباء بغداد
 بنات فكري إماء بغداد
 وريح لهوي جناء بغداد
 يحول صيفاً شتاء بغداد
 واحمل ففيه ثناء بغداد
 وفوق ختمي سماء بغداد
 وزاد روحي فضاء بغداد
 وقت مساء ضحاء بغداد
 فلي صباح مساء بغداد
 إشرق نار لقاء بغداد

ت للقتال التقاء بغداد
 انا الخدير استبأ بغداد
 غليظة الحرف بآء بغداد
 وذاك عطر كباء بغداد
 سواد قلبي سواد بغداد
 ماء جفوني عفاء بغداد
 إذا رآه اصطفاء بغداد
 بحيص بيص اقتداء بغداد
 لما أتاه شفاء بغداد
 بل كلمات مرآء بغداد
 له ومنه بكاء بغداد
 وحاسدي خنفساء بغداد
 ونبته بافقاء بغداد
 غناء منها غناء بغداد
 فراش ليلى حناء بغداد
 فساعدتني ذكاء بغداد
 شبهني أولياء بغداد
 كنز نطقي براء بغداد
 لم يغن عنهم ولاء بغداد
 في القلب داعياء بغداد
 صفر وفيها ابتلاء بغداد
 عيس لا غيا داء بغداد
 بيض وحرمر دواء بغداد
 وبالإمام التجاء بغداد
 بمنصبيه ازدهاء بغداد

بذات درع ذوي الدرود سد
 قد سيق بالخراب واحريا
 رقيقة الرأء عندها وغدا
 في نكهة العيد عطرت نفسي
 أوسع من فكرتي وأنور من
 أعذب من لهجتي وأطهر من
 فصار خاقان ماؤه خذفت
 سيقتي حيص بيص لي نعمات
 وكم ألم لي أراحه أمل
 ما حيص بافتى ولا بيص
 حيص وبيص كاذب وقطعا
 ها أنا عنقاء شايخ خبري
 يسرق لفظي كأنه جرد
 تشدو بشعري طيور روضتها الـ
 يثار فيها معرباً كي عربها
 خطبت فيها كقص ساعده
 بالعربي الخدير مقوله
 لا عجمي ولا قصير هي بل
 فالعجميون كلما افترقوا
 لحب مرض الجفون جامرهم
 سود تقابلهم واجههم
 أعجيب مدلين عرضت على
 فالصفر والسود يغنيهم ولهم
 بأرض بغداد تلتجن أمم
 خليفة الله والنبي معاً

المستفسء في السواد بدر دجى ومن دجاه ضياء بغداد
تراب نعل الإمام كحل ذوي ال أبصار بل كيعاء بغداد
غدت وجوه الملك تخدمه عنوى وينوى علاء بغداد
دعيت عند الإمام ثم غدا عليّ فرضاً دعاء بغداد





تخطيط مدينة

بغداد عبر العصور التاريخية

(دراسة في التخطيط الحضري)

الدكتور صبري فارس الهيتي

إن البحث في تخطيط مدينة بغداد، هذه المدينة الخالدة التي يمتد عمرها إلى أكثر من اثني عشر قرناً، يحتاج إلى الكثير من الجهد والإنارة. وذلك لطول الفترة التي مرت على هذه المدينة، ولتعدد الحكومات التي سيطرت على العراق بشكل عام وبغداد بشكل خاص، ابتداءً من أيام العباسيين حتى خروج الإنكليز من العراق. وما أصاب بغداد من جراء ذلك من بناء وعمران تارة وعنت وتخريب تارة أخرى. ولسبب ذلك فإن ما كتب عن هذه المدينة يحتاج إلى تمحيص وتدقيق لكي يمكن الخروج منه بمادة دقيقة ومنظمة تعكس تخطيط مدينة بغداد عبر العصور التاريخية. وهذا ما حاولت هذه الدراسة الخروج به.



اختيار موقع بغداد:

بدأ أبو جعفر المنصور في سنة (١٤٥هـ - ٧٦٢م) في بناء مدينته المدورة المشهور (بغداد) على الضفة اليمنى من نهر دجلة في الزاوية المتكونة بين مجرى الصراة ومجرى دجلة شمالاً وسهاها (مدينة السلام)^(١).

وكان اسم بغداد معروفاً قبل المنصور، إذا كانت بغداد في أيام مملكة العجم قرية يقيم بها الفرس في كل سنة سوق عظيمة يجتمع بها في ذلك الموسم التجار، فلما توجه المسلمون إلى العراق وفتحوا السواد، ذكر للمثنى ابن حارثة الشيباني أمر سوق بغداد فقصدها^(٢) وهذا يستدل منه على وجود

بغداد قبل الفتح الإسلامي.

ولكن كيف وقع اختيار المنصور على هذا الموضع لبناء مدينته؟ تذكر الكتب التاريخية، على أن المنصور عندما تفحص موضع بغداد القديم فوجده موضعاً ملائماً من الناحية العسكرية قال عنه: (هذا موضع معسكر صالح)^(٣) كما أنه بعث رواداً يطلبون له موضعاً، فاستشاروا عدداً من الحكماء ومنهم صاحب بغداد الذي أخبر المنصور بميزات موضع بغداد التي أعجب بها المنصور حيث قال: (عندما تنزل في بغداد فإنك تصير بين أربعة طساسيج (جهات)، طسوجان في الجانب الغربي وطسوجان في الجانب الشرقي، فاللذان في الغربي قطربل وبادوريا، واللذان في الشرقي نهر بوق وكلواذي، فأنت تكون بين نخل وقرب الماء، فإن أجذب طسوج وتأخرت عمارته كان الآخر عامراً. وأنت... على الصراة تجيؤك الميرة من الغرب، وفي الفرات تجيؤك طرائف الشام ومصر وتلك البلدان وتجيؤك الميرة في السفن من الصين والهند والبصرة وواسط في دجلة، وتجيؤك الميرة من أرمينية وأذربيجان وما اتصل بها حتى إلى الزاب، وتجيؤك الميرة من الروم وآمد والجزيرة وديار بكر وربيعة والموصل في دجلة، وأنت بين أنهار لا يصل إليك عدوك إلا على جسر أو قنطرة، فإذا قطعت الجسر واخربت القناطر لم يصل إليك عدوك. وأنت بين دجلة والفرات لا يجيؤك أحد من المشرق والمغرب إلا احتاج إلى العبور، وأنت متوسط للبصرة وواسط والكوفة والموصل والسواد كله، وأنت قريب من البر والبحر والجبل)^(٤).

وكانت مدينة المنصور تقع بين الكاظمية من الشمال وقرية الكرخ من الجنوب الغربي والشيخ جنيد والشيخ معروف الكرخي من الجنوب الشرقي وهي تقابل محلة هيبة خاتون في الجانب الشرقي، وعليه كان موضعها الصحيح قريباً من مقابر قريش (أي الكاظمية) الحالية، وإن أكثر مواضعها أصبحت بساتين ومزارع، ثم جرى عليها تغيير مستدام بسبب تقدم العمران وتكرار الإغراق من فيضان الفرات ودجلة مما أدى الى زوال آثارها منذ قرون عديدة واندثرت معالمها منذ عصور طويلة، ولم يبق من مبانيها وأسوارها وحوائط فصلانها وخذقها ومسنتها وأبوابها أي أثر^(٥).

تخطيط المدينة :

عندما عزم المنصور على بناء المدينة أحضر المهندسين وأهل المعرفة بالبناء والعلم بالذرع والمساحة وقسمة الأرضين فمثل لهم صفتها التي في نفسه، ثم أحضر الفعلة والصناع من النجارين والحفارين والحدادين وغيرهم. فأجرى عليهم الأرزاق وكتب الى كل بلد في حمل من فيه ممن يفهم شيئاً من أمر البناء ولم يبتدئ في البناء حتى تكامل بحضرته من أهل المهن والصناعات ألوف كثيرة. ثم اختط خطتها التي رسمها له المهندس العربي (الحجاج بن أرطاة) وجعلها مدورة^(٦).

وقد خطت المدينة أولاً بالرماد ثم وضعت على تلك الخطوط كرات من القطن وصب عليها النفط وأشعلت فيها النار بغية إبرازها بشكل واضح، وحفرت أسس السورين والخذق العميق المحيط بها من الخارج بحسب

الخطوط الموضوعة^(٧). واشتهرت مدينة المنصور في كونها مدورة، إذ تميز بناؤها بكونه مثلاً لأقوى المدن المحصنة في القرون الوسطى تتجلى فيها عظمة الدولة العباسية في أدوارها الأولى.

ومع أن اليعقوبي يذكر أنه لم يعرف إذ ترك في جميع أقطار الدنيا مدينة مدورة غير مدينة المنصور، لكن المعتقد أن شكل المدينة كان تقليداً للتصميم البنائي لمدينة الحضر المدورة وذلك من حيث الشكل والمساحة. ولم تكن مدينة الحضر المدينة المدورة الوحيدة في الشرق العربي ففي جزيرة العرب مدينة مأرب باليمن كانت مستديرة أيضاً. ومع ذلك فمدينة المنصور كانت فريدة في نوعها في العهد الذي أنشئت فيه بالنظر لعظمتها وضخامتها والجهود التي بذلت في إنشائها^(٨).

وكانت خطة مدينة بغداد، هي إدارة خندق واسع وعدة أسوار حول المدينة. وقد جعل المنصور لتلك الأسوار أربعة أبواب متقابلة، فسمي الباب الشمالي الغربي (باب الشام) والباب الجنوبي الغربي (باب الكوفة) والباب الجنوبي الشرقي (باب البصرة) والباب الشمالي الشرقي (باب خراسان) وكان يسمى أيضاً (باب الدولة).

وتعد هيئة مدينة المنصور المدورة ذات الأبواب الأربعة المتساوية الأبعاد ابتكاراً في الريادة العربية، وتبلغ المسافة بين كل باب وآخر ما يقارب ٢٥٠٠ ياردة، ويتبين لنا من ذلك أن مقدار طول قطر الدائرة الخارجية حول الخندق من باب إلى باب نحو ٣٢٠٠ ياردة^(٩). وحفر حول المدينة خندق عريض

وعميق، وله مسناة محكمة عالية من جهة المدينة مبنية بالآجر والصاروخ وهو مادة بنائية كالسمنت في القوة واللون، وأجري فيه الماء من قناة تأخذ ماءها من نهر (كرخايا)^(١٠).

وكانت في وسط المدينة رحبة مدورة واسعة لم يشيد في بعض جنباتها بادئ الأمر غير القصور والجوامع، إلا أنها على توالي الأيام أخذت تزدهم بالأبنية نظير بقية أقسام بغداد. وكانت مساحتها نحو (٢٠٠٠ ياردة) طولاً في مثلها عرضاً يحيط بها السور المدور الداخلي بأبوابه الأربعة^(*). وفي وسطها قصر الخليفة الذي بناه بالآجر وسماه (قصر الذهب) وسمي بابه باب الذهب وأنشأ مسجداً واسعاً ملاصقاً له. وكانت مساحة القصر أربعمئة ذراع في أربعمئة ومساحة المسجد مائتين فيمئتين، وكان في صدر القصر إيوان طوله ثلاثون ذراعاً وعلى سطح الإيوان مجلس مثله وفوق المجلس القبة الخضراء التي كان على رأسها تمثال فارس بيده رمح، فإذا أدار التمثال استقبل بعض الجهات ومد رمحه نحوها. وارتفاع الإيوان الى أول عقد القبة عشرون ذراعاً وارتفاع المجلس والقبة الخضراء ستون ذراعاً. وقد سقطت تلك القبة سنة ٣٢٩هـ في يوم مطير فيه ريح، وكانت تلك القبة علم بغداد وتاج البلد ومأثرة بني العباس^(١١).

أما المسجد فقد أنشأه المنصور من اللبن والطين، وجعل لأروقته أساطين من الخشب، كانت كل أسطوانة منها قطعتين معقبتين بالعقب والغراء وخبات الحديد إلا خمس أسطوانات أوست كانت عند منارة الجامع.

ولم يكن بالرحبة الوسطى التي فيها قصر المنصور ومسجد بناء ولا دار ولا مسكن لأحد إلا داراً من جهة باب الشام وسقيفة كبيرة ممتدة على أعمدة مبنية بالآجر والجص، فكان صاحب الشرطة يجلس في الدار وصاحب الحرس يقيم في السقيفة، وكان حول الرحبة منازل على خط دائر وهي منازل أولاد المنصور الأصاغر ومنازل القريبين من خدمته وبيت المال وخزانة السلاح وديوان الرسائل وديوان الخراج وديوان الخاتم وديوان الجند وديوان الحوائج (التجهيزات) وديوان الأحشام (الأتباع) وديوان النفقات وديوان الصدقات (الزكاة)^(١٢).

أسوار المدينة:

ولأهمية أسوار المدينة بغداد باعتبارها إحدى المعالم المهمة في المدينة، ولأنها على جانب كبير من الأهمية في إظهار الإبداع في الرياضة العربية، نورد الوصف التالي لها وحسبها ورد في كتب المؤرخين والخططين العرب:

بُنيت أسوار بغداد من اللبن الكبير الحجم جداً. وقد كانت مكعبة الشكل، يبلغ طول الضلع الواحد لبعضها (١٨ عقدة) وتزن الواحدة منها ٢٠٠ رطل، والبعض الآخر بقدر نصف الأول وزناً وسمكاً. وإن المسافات التي بين اللبن في أسوار المدينة لم تكن متصلة ببعضها البعض بالأعمدة الخشبية (على العادة المألوفة عند العرب) بل بحزم القصب. وكان في كل ساف من سافات البناء ١٦٢,٠٠٠ لبنة. وكان السور الداخلي أعلى من السورين الخارجيين^(١٣) وكان ارتفاع السور الكبير يبلغ ٩٠ قدماً، وعرض

قاعدته ١٠٥ أقدام ويقل سمكه تدريجياً الى أن يبلغ في الأعلى (٣٧/٥) قدماً وتتفق جميع الروايات على أن سمك السور الخارجي الأول أقل من هذا بكثير وربما كان هذا السور الذي ذكر الطبري أبعاده، فقد ورد عنه أن عرض قاعدته ٧٥ قدماً ويقل سمكه في الأعلى حتى يبلغ ٣٠ قدماً وارتفاعه نحو (٦٠ قدماً). كما أن الخطيب البغدادي يعطي أبعاداً أخرى للسور الكبير فيقول: (وسمك ارتفاع هذا السور الداخلي في السماء ٣٥ ذراعاً (٥٢, ٥ قدماً) وعرض السور من أسفله نحو ٢٠ ذراعاً أو ٣٠ قدماً^(١٤)).

وجلب المنصور لأبواب مدينته رتاجات من الحديد لا يغلق الرتاج الواحد منها ولا يفتحه إلا جماعة رجال لضخامته، فقد كان الفارس يدخل منه بالعلم والرامح بالرمح الطويل من غير أن يميل الأول العلم ولا أن يثني الثاني رمحه. وجعل للأبواب الأربعة دهاليز أربعة عظيمة كلها أزواح (أي عقود) وطول كل دهليز ثمانون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً، وعقودها من الآجر والجص.

وكان إذا دخل أحد الأبواب وجد الدهليز على يساره وكان فوق كل عقد من عقود الدهليز على يساره، وكان فوق كل عقد مجلس قبة شاهقة عظيمة، ارتفاعها خمسون ذراعاً (٢٥ متراً) فيها زخارف ونقوش. وكان يصعد الى القبة وأمثالها سيراً أو ركوباً على الدواب لضخامتها وكان يربط عند كل باب ألف جندي مع قائد^(١٥). ومما يروى عن هذه العقود بأن علوها غير متساو وأن بعضها مبني بالجر والآجر وبعضها الآخر باللبن

العظام، وعلى ظهور هذه العقود حتى أعلى السور المصعد، وبهذا يتم الصعود الى القبة التي فوق الباب. وكانت على المصعد أبواب تغلق، فوق كل باب من أبواب السور الكبير غرفة عليا (مجلس) تشرف على المدينة، فيجلس الخليفة هناك إذا أحب النظر الى من يقبل من تلك الناحية.

وإذا دخل الداخل مدينة المنصور يعبر أولاً الخندق الواقع دون السور الداخلي، ثم يجتاز أحد هذه الأبواب الأربعة، ومن كل باب تمتد طريق تؤدي الى الرحبة المركزية، وكان الخندق بعد المسناة قد أجرى فيه المياه، وفي جانب الخندق القريب من السور سدة أو مسناة حول المدينة بشكل أقواس كل منها ربع دائرة تصل بين باب وآخر، وجوانب هذه المسناة مبنية بالآجر والصاروخ. وكان في السور الخارجي أبراج، فبين باب الكوفة وباب البصرة ٢٩ برجاً، وبين كل باب من الأبواب الأخرى ٢٨ برجاً فقط، ومعنى هذا إن كل برج يبعد عن الآخر ٦٠ ياردة بناء على طول السور^(١٦).

استعمالات الأرض داخل المدينة المدورة:

إضافة الى قصر الخليفة ومسجده في الرحبة الوسطى، وقصور أبنائه والمقربين والدواوين لم يكن هناك أي بناء آخر في بادئ الأمر (كما سبق الإشارة الى ذلك). أما بقية الأبنية والدور فكانت في الفصيل الذي بين السورين الكبير والداخلي الذي حول الرحبة المركزية وكان في الفصيل أربعة أقسام كل منها ربع دائرة. ويفصل هذه الأقسام الأربعة عن بعضها بعضاً السكك الآتية من الأبواب. وكان عرض الفصيل من السور الكبير

الى السور الداخلي أقل من ١٥٠ ياردة، وطول كل ربع من أرباع الفصيل من باب الى باب ميل واحد. ويختلف هذا الفصيل عن الفصيل الخارجي الذي كان خالياً من الدور لوجود الشوارع والدروب فيه. ولم تكن مساحة الأرباع الأربعة للفصيل تعدو على ثلث ميل بوجه عام^(١٧) وقد بلغت مساحة المدينة ٢٦٢, ٣١٤, ٥ متراً مربعاً أو ٢١٢٦ مشاركة وعلى هذا يكون طول قطر محيطها ٦١٥, ٢ متراً. وعند بدء السكك التي بين أبواب السور الكبير والسور الداخلي وعند متنهاها، رحبة خارجية وأخرى داخلية، وعلى جانبي الطريق صفان من الطاقات، وعلى يمين الداخل الى الرحبة طريق وعلى يساره طريق للوصول الى الشوارع والدروب. وكانت أسواق مدينة المنصور في الطرق الأربعة وبعد بضع سنين حولها من داخل المدينة الى ربض الكرخ التي أمر ببنائه (كما سنأتي على ذكره فيما بعد) وجعلها لأصحاب السوق والتجار، وهكذا خلت الطاقات من الدكاكين واتخذت مراكز لشرطة المدينة وحرسها.

ولم يسمح المنصور لرجاله أن يبنوا دورهم ملاصقة للسور الكبير أو سور الرحبة المركزية، ولهذا فقد كان يلي السور الكبير حلقة عرضها ٥, ٢ ياردة خالية من الأبنية تماماً لتكون طريقاً، كما قبل سور الرحبة المركزية أرضاً خالية حوله لتكون طريقاً آخر وتغلق الطرق والشوارع التي كان في كل ربع من الفصيل بأبواب متينة قوية عند الحاجة^(١٨).

وظلت الشوارع تسمى غالباً بأسماء أصحاب الدور والبساتين الذين

كانوا وقت بناء بغداد، وبني الخليفة سجنه الكبير المسمى (المطبق) في الربع الجنوبي للفصيل، حيث كانت الدور بين طريق باب البصرة وطريق باب الكوفة وباسمه سمي الشارع الذي يقع هذا السجن فيه. وسميت بعض أسماء الشوارع في الأرباع الأخرى للفصيل بأسماء سكانها وحرفهم مثل شارع السقائين وشارع المؤذن وشارع الشرطة^(١٩).

ويمكن فيما يلي إعطاء وصف دقيق للاستحكامات الحصينة لمدينة المنصور والتي من خلالها نستطيع التأكد من أن تلك المدينة كانت من أمنع الحصون العظيمة في الشرق بالقرون الوسطى.

فقد كان الشخص إذا جاوز أحد الأبواب عطف على يساره فيسير في دهليز أزج معقود بالآجر والجص عرضه عشرون ذراعاً وطوله ثلاثون ذراعاً، وهذا الدهليز يفضي إلى رحبة مفروشة بالحصى طولها ستون ذراعاً وعرضها أربعون ذراعاً ولها في جانبيها الجنوبي والشمالي، حائطان متوازيان ينتهيان عند باب في آخر الرحبة وهو الباب الذي يراه الداخل. وفي كل من الحائطين باب يفضي إلى فصيل عرضه مائة ذراع (٥٠ متراً)، فمن يمين الداخل ويساره فصيلان. وهذا الباب الشاهق هو باب السور الأعظم ولذلك سمي (باب المدينة)، مع أن الباب الأول هو الباب الفصيل^(٢٠).

فيدخل الداخل من الباب المذكور في دهليز أزج آخر معقود بالآجر والجص أيضاً طولها عشرون ذراعاً وعرضها اثنا عشر ذراعاً ويؤدي إلى رحبة مربعة عرضها كطولها عشرون ذراعاً في مثلها، فعلى يمين الماشي (الداخل من

باب خراسان مثلاً) يوجد طريق يؤدي الى باب الشام وعلى يساره طريق يؤدي الى باب البصرة في فصيل ثان يدور في داخل المدينة كدورة الفصيل الأول، عرضه خمسة وعشرون ذراعاً، وفي هذا الفصيل تكون أبواب سكك مدينة المنصور التي يسكنها سكان المدينة الذين أجاز لهم الخليفة الإقامة فيها ثم يدخل السائر من باب ساج كبير فردين الى أطواق عدتها ثلاثة وخمسون طاقاً وعرض الواحد منها خمسة عشر ذراعاً وطولها مائتا ذراعاً^(٢١). ثم يخرج من الأطواق الى رحبة مربعة مساحتها عشرون ذراعاً في عشرين ذراعاً فمن يمينه طريق يفضي الى فصيل ثالث ويؤدي الى رحبة مماثلة لها يسلك إليها من باب الشام، ورحبة باب الشام فيها طريق يؤدي الى رحبة ثالثة يسار إليها من باب الكوفة ومنها نظرتها الرابعة في طريق باب البصرة، وفي الفصيل الثالث تشرع أبواب لعدة سكك. وإذا خرج السائر من الرحبة نحو الجنوب دخل في طاقات صغيرة ثم دهليز وسور ثالث مخرج منه الى رحبة دائرة حول مقر المنصور المعروف بباب الذهب ومسجد المنصور^(٢٢).

محلات بغداد المدورة:

على إثر إنشاء العاصمة الجديدة، أقبل الناس على السكن في جوارها واتسعت قرية الكرخ التي في جنوب المدينة وصارت تعرف باسم محلة (الكرخ) وهي من المحلات الكبيرة بغربي بغداد، والكرخ قرية قديمة كانت في بعض مواضع كرخ العباسيين وكان يمر بالقرب منها الصراة ونهر الرخيل. واتصلت عمارة الكرخ وأسواقه بقرية (سونايا) الارمية التي

سميت بالعتيقة لتقدمها عصراً على مدينة المنصور. وعرفت أيضاً بمشهدها المعروف اليوم بمشهد المنطقة بين الكاظمية وبغداد^(٢٣). وقد نقل المنصور في سنة ١٥٧ هـ الأسواق من مدينته المدورة والمدينة الشرقية الى باب الكرخ وباب الشعير والمحول وهي السوق التي تعرف بالكرخ، وفيها وسع طرق المدينة وأرباضها ووضعها على مقدار أربعين ذراعاً^(٢٤). وذلك بعدما قدم عليه وفد ملك الروم فأمر أن يطاف بهم في المدينة ثم دعاهم فقال للبطريق، كيف رأيت هذه المدينة؟ قال رأيت أمرها كاملاً إلا من خلة واحدة، قال ما هي؟ قال عدوك يخترقك متى شاء وأنت لا تعلم، وأخبارك مبثوثة في الآفاق لا يمكنك سترها. قال كيف؟ قال الأسواق. فأمر المنصور حينئذ بإخراج الأسواق من المدينة الى الكرخ وأن يبني ما بين الصراة الى نهر عيسى. ودعا المنصور بثوب واسع فحد فيه الأسواق، كل صنف منها في موضعه^(٢٥). فكان لكل تجارة وتجار شوارع معلومة وصفوف في تلك الشوارع وحوانيت، وليس يختلط قوم بقوم ولا تجارة بتجارة ولا يباع صنف مع غيره. وكل أهل منفردون بتجارتهم. ومهما يكن من أمر فإن الكرخ الإسلامية، هذا الربض الواسع كان موجوداً في تخطيط مدينة المنصور. وقبل مرور قرن على ذلك أخذت الكرخ بالتوسع والامتداد خارج حدود نهر عيسى، فامتدت هذه الربض الى جنوب النهر واشغل الأراضي الواقعة على جانبي طريق الكوفة مسافة بعيدة خارج بغداد، ويقدر طول الكرخ بفرسخين (الفرسخ ستة أميال) حدها الأعلى قصر وضاح خارج باب البصرة، وحدها الأسفل

سوق الثلاثاء، أما عرضها فنحو فرسخ اعتباراً من ضفة دجلة شرقاً الى قطيعة الربيع غرباً. وتقع هذه القطيعة على يمين الآتي من طريق الكوفة بعد مروره بباب الكرخ^(٢٦).

كما أنشئت محلات أخرى عديدة من أهمها محلّتا باب البصرة و باب الكوفة اللتان كانتا تقعان شمال الكرخ، أما المنطقة التي في شمال المدينة ففيها عدة أرباض أهمها محلة الحرّية في الناحية الشمالية الغربية ومحلة الشارع في الناحية الشرقية، ومحلة باب التبن والقطيعة والزبيدية في أقصى الشمال بالقرب من الكاظمية الحالية.

ومن المحلات الأخرى محلة باب الشعير وهي فوق مدينة المنصور، ومحلة المحول التي كانت متصلة بالكرخ وفيها سوق دخان. ومحلة بادوريا وهي محلة مشهورة، ومحلة براثا في طرف من بغداد في قبلة الكرخ^(٢٧)، ومحلة الترجمانية وهي محلة قديمة، ثم محلة التسترين ومحلة دار القطن بين الكرخ ونهر عيسى. ومحلة الشرقية ومحلة أبي النجم. ثم محلة الشارع وهي محلة تعد من المحلات الأربع الكبرى، والعتابية وهي محلة مهمة يصنع فيها الثياب العتابية وهي حرير وقطن مختلفان الألوان^(٢٨).

كيف تدهورت المدينة المدورة:

يظهر من الوقائع والكتب التاريخية أن المدينة المدورة بقيت كما تركها المنصور الى وفاة حفيده الرشيد سنة ١٩٣هـ-٨٠٩م. وبعد عامين من

وفاة الرشيد اشتجر الخلاف بين الأمين والمأمون، وحوصرت بغداد لأول مرة في تاريخها ودام الحصار أربعة عشر شهراً. وفي حوالي عام ١٩٦هـ- ٨١٢م أطبق جند المأمون على الأمين في بغداد^(٢٩)، ورزح الجانب الغربي تحت ضربات المجانيق، وتخرب الجزء الأكبر من نصفها الشمالي المعروف بالحربية. ثم رفع الحصار عنها بعد عامين وأصبحت بغداد المزدهرة خرائب ودمار لأول مرة في تاريخها، فقد دمرت النيران أحياء بأكملها وأتت على سجلات الدولة^(٣٠).

ولكن يظهر أن المدينة المدورة بقيت قائمة في خلال القرن الذي تلا هذا الحصار إلا أن قصر الذهب تهدم سنة ٣٢٩هـ- ٩٤١م، وبقي الجامع صالحاً للصلاة حتى القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي بعد الحصار المغولي.

كما أن الغرق المتكرر من فيضان دجلة والفرات كان له أثر في تخريب قسم من مدينة بغداد، فقد كان يصعب صد تيار الماء في أثناء الفيضان. وقد حصل غرق عظيم في سنة ٣٣٠هـ انهدمت على إثره الطاقات فسي المدينة المدورة القريبة من باب الكوفة^(٣١)، وفي سنة ٣٠٧هـ رفعت بقايا قصر الخلد الذي كان في خارج الأسوار.

وفي نهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، اختفت معظم مدينة المنصور عن الأنظار، أما الأقسام الباقية منها فقد تداخلت تدريجياً مع الأبنية، فألفت محلات بغداد التي قامت وراء الأبواب الأربعة القديمة لمدينة المنصور وحوّلها.

بغداد الشرقية (الرصافة)

تأسيسها :

كان المنصور قد عزم أن ينشئ محلة كبيرة في الجانب الشرقي من بغداد بشرقي مدينته المدورة، وقدر ذلك وعزم عليه. وقد بدأت العمارة فيها سنة ١٥٢هـ-٧٦٨م وانتهت سنة ١٥٧هـ-٧٧٣م. وكان يرى أن هناك ضرورة لجعل مقر ولي عهده (المهدي) وجيشه الخراساني مفصلاً عن مقر الخلافة ليكون مستعداً إذا اقتضت الحال لقمع كل نزاع قد ينشب بين هذا الجيش وبين جنده العربي هناك. وكانت تعرف هذه المحلة الجديدة أولاً باسم (عسكر المهدي)، ثم سميت (الرصافة)، والرصافة كانت تطلق على المواضع التي توجد فيها طرق مرتفعة. وأول بناء شيد في هذا الجانب هو جامع الرصافة الكبير، ثم عقب ذلك بناء قصر المهدي في جوار الجامع وأقيمت الدور والقطائع حوله^(٣٢). وقد أنشئ حول المعسكر سور يدور حوله خندق عملاً بما تقتضيه الأحوال الدفاعية. وعقد المنصور جسراً فوق دجلة من جهة باب خراسان ليصل به القسم الغربي من مدينته بمحلة الرصافة الشرقية وكان يعرف هذا الجسر باسم الجسر الكبير أو جسر الرصافة^(٣٣).

وصارت الرصافة وحدها بقدر مدينة المنصور؛ لأن من المقطعين من جعلوا قطائعهم بالجانب الغربي بساتين وأسواقاً ومستغلات وغير ذلك من

المرافق، وكانت بين القطائع منازل الجند وسائر الناس من الملاكين والتجار. وكان في الجانب الشرقي أربعة آلاف درب وسكة^(٣٤).

توسع الرصافة وبناء أسوارها :

كانت بغداد في أواخر القرن الثالث الهجري تشبه حلقة يحيط بها سور المستعين من كل أطرافها، ثم أخذ العمران ينتشر في الجانب الشرقي منها فامتد جنوب السور على ضفة دجلة الى مسافة زهاء كيلومتر، حيث أقيمت قصور الخلفاء والبساتين الملحقة بها وكان أهم هذه المنشآت قصر التاج الذي أسسه المعتضد وأتم بناءه المكتفي، ودار الشجرة والدار المثمينة التي جلس فيها الطاغية هولاءكو عند فتحه بغداد، والدار المربعة، ودار الوزارة، والدواوين وغيرها. وصارت تعرف هذه القصور وملحقاتها باسم (دار الخلافة). وقد اتخذها الخلفاء العباسيون مقراً لحكمهم بعد عودتهم من سامراء سنة ٢٧٩هـ-٩٨٢م. وقد سورت هذا الدار بسور على هيئة نصف دائرة. وقد وصفها ابن الجوزي بقوله: (وهي بنفسها بلد).

وكان للسور الذي يطوقها تسعة أبواب رئيسية أشهرها باب الغربية، وباب الخاصة، وباب النوبى، وباب العامة المراتب. أما تاريخ إنشاء سور دار الخلافة، فهو على الأرجح أن المعتضد شرع ببناؤه وأتمه الخلفاء المتأخرون. واتصلت العمارات حول دار الخلافة وأصبح سوق الثلاثاء أعظم سوق في الجانب الشرقي فأنشئت على جانبيه المحلات والدروب وفي منتصف القرن الخامس الهجري أنشئت المدرسة النظامية الى الشمال من دار الخلافة

ثم أنشئت شمال هذه المدرسة المدرسة المستنصرية في الثلث الأول من القرن السابع^(٣٥).

وفي هذه المرحلة من تطور مدينة بغداد، أصبح أهم العمران في الجانب الشرقي منتشراً حول دار الخلافة، فكانت أصلاً لمدينة بغداد الرئيسية التي ظهرت في العهد الأخير. ففي مستهل حكم الخليفة المستظهر ٤٨٨هـ - ١٠٩٥م شرع في إنشاء سور عظيم وخندق عميق يحيطان بهذه المدينة الجديدة. ويضمان داخلها دار الخلافة وسورها وجميع العمران الذي أنشئ حولها. وكان هذا السور هو وخندقه الخارجي يبدآن من دجلة شمالاً وينتهيان الى دجلة عند الباب الشرقي الحالي جنوباً.

وكان الشروع في إنشاء هذا السور في خلافة المستظهر، لكنه لم ينجز سوى قسم يسير منه. وأكمل أنشاؤه في عهد الخليفة المسترشد. فأتم بناءه بناءً محكماً سنة ٥١٧هـ، وجعل عرضه (٢٢ ذراعاً)، وقد ظل هذا السور قائماً حتى أواخر القرن الثالث عشر للهجرة أي ما يقارب ثمانمائة عام. وفي عهد المقتفي عملت مسناة حول السور لثلاث تآثر مياه الخندق فيه، ثم أكمل في عهد خلفائه وكان الخندق يتصل بنهر دجلة في بدايته ونهايته. وكان يسد عادة كلما دعت الحاجة الى ذلك للحيلولة دون عبور الغزاة. إلا أن المياه كانت تتسرب إليه من جهة البر عندما يفيض نهر دجلة وديالى وتحدث بثوق في السداد التي في الجهة اليسرى لنهر دجلة شمالاً وفي السداد التي في الجهة اليمنى لنهر ديالى شرقاً فتتجمع مياه الفيضانات خلف سور المدينة فيمتلئ الخندق بالمياه

وتصبح مدينة بغداد الشرقية جزيرة محاطة بالمياه من كل جهاتها.

وقد جعل لهذا السور العظيم أربعة أبواب هي: الباب الأعلى في الشمال الذي سماه الناس (باب السلطان) أي السلطان طغرلبيك؛ لأنه دخل بغداد هناك، وعرف في العصور الأخيرة بـ (باب المعظم) وقد ظل هذا الباب حتى سنة ١٩٢٣ م حيث هدم لكي يتسع الدخول الى بغداد، ومحله اليوم بين قاعة الشعب وجامع الازبك على يمين الداخل الى بغداد. والباب الثاني هو (باب الظفرية) في الجنوب وهو الباب المقابل لمحلة الظفرية وما زال قائماً بقرب جامع الشيخ عمر السهروردي.

والباب الثالث هو الذي كان يعرف بـ (الباب الوسطاني) و(باب الحلبة) وهو الذي عرف في العصور الأخيرة بـ (باب الطلسم)؛ لأن في أعلى الباب تمثال رجل متربع وعلى كل يمينته ويسرته تمثال أفعى عظيمة، وعند العامة ذلك طلسمه لبغداد تحفظها من الأعداء. وقد اتخذ الأتراك في أيامهم الأخيرة بالعراق مخزناً للبارود ثم أوقدوا النار في البارود ونسفوه ليلة خروجهم من بغداد وإخلائهم لها للانكليز في ١١ آذار ١٩١٧ م. أما الباب الرابع من أبواب السور فهو (باب البصلية) وسمي في العصور التي قبل الأخيرة (باب كلواذي) وقد عرف هذا الباب في العصور الأخيرة بـ (الباب الشرقي) وقد هدمته أمانة بغداد العاصمة سنة ١٩٣٧ م، بعد أن كان كنيسة للانكليز، وأصبح محلة في ساحة التحرير قبالة مدخل جسر الجمهورية. وكان عدا الأبواب الأربعة الرئيسة هذه عدد من الأبواب الأخرى السرية^(٣٦).

وفي آخر عهد الخلافة العباسية وبأمر من المستنصر سنة ٦٢٧هـ- ١٢٢٩م تكامل بناء سور حول الرصافة، ومن المرجح أن هذا السور كان يقتفي أثر سور المستعين القديم في أكثر أقسامه. والظاهر أنه أنشئ للدفاع عن منطقة الرصافة بعد أن وصل خبر تهيو عساكر المغول للزحف نحو بغداد. وقد استفيد من هذا السور في الوقاية من خطر الفيضان.

وبعد أكثر من قرنين قام المطراقي الذي كلفه السلطان سليمان القانوني سنة ٩٤٤هـ برسم السور. وفي القرن السابع عشر الميلادي وصفه تافرينيه الفرنسي، وذكر أبراجه والمدافع التي فوقه وذكر أن طوله حوالي ثلاثة أميال^(٣٧).

وفي سنة ١٧٣٢ ذكر الجغرافي التركي (حاجي فلقه) في كتابه (جهانخا)، أن محيط بغداد الشرقية يبلغ بين ٤٠٠ و ١١٢ و ٤٠٠، ١٢ ذراع، وقد ذكر أن السور كان يضم حوالي ١٦٣ برجاً واستحكاماً، ولكن هذه الأبراج لم يكن الدفاع بها ممكناً إلا بواسطة الأسلحة الخفيفة، بينما الأبراج العشرة الكبيرة التي في السور كان في كل واحد منها ستة مدافع أو سبعة. إضافة الى وجود عدد من الثقوب بين كل ثقب وآخر خطوة واحدة^(٣٨).

محلات الرصافة:

أخذت الرصافة بالنمو والتوسع، بحيث أصبحت تزاحم بغداد الغربية في سعة قصورها وشوارعها وأسواقها وعظمتها، وكما جرى للمدينة المدورة

حيث أحاطت بها الأرباض التي فيها قطائع رجال بلاط المنصور. كذلك حصل للرصافة في خلال الإثنتي عشرة سنة من حكم المهدي، فأصبحت مركزاً للمدينة نشأت من الدور التي شيدها أبناء الجيل الثاني من رجال القصر. وأضحت محلات بغداد الشرقية ثلاث: الرصافة والشامسية والمخرم في سنة ١٧٠هـ-٧٨٦م.

ومن المحلات الأخرى محلة مشهد أبي حنيفة وكانت مسورة، وجامع السلطان وهي محلة غير مسورة. وفي جوار محلة أبي حنيفة نشأت محلة باسم (محلة سوق يحيى). كما نشأت محلة الخضيرية شمالاً جوار محلة الشامسية. ومن المحلات الأخرى محلة الشيخ والظفرية والى جانب الأخيرة، محلة أخرى كبيرة يقال لها قراح ظفر منسوبة الى ظفر الخادم، والترجمانية وهي من محلات بغداد المتصلة بالمرأوزة^(٣٩).

حالة العمران في الرصافة :

بعد انتصار المأمون قام بنقل مقر الحكم إلى الجانب الشرقي من بغداد واستولى على مقر البرامكة السابق. وفي عهد المعتصم الذي حكم للفترة بين (٢١٨-٢٢٧هـ / ٨٤٢-٨٨٣م) تنزل بغداد عن مركزها الممتاز باعتبارها حاضرة الدولة، بسبب قيامه بنقل العاصمة الى سامراء وذلك لمدة خمس وخمسين سنة^(٤٠). وفي عهد المعتمد نقل مقر الخلافة الى بغداد، عندما هجر مقر الخلافة وجعل بغداد حاضرة الدولة الأولى سنة ٢٧٩هـ-٨٩٢م.

وعند تولي المستعين الخلافة، حاول أن يتم السور حول الجانب الشرقي (كما سبق ذكره)، إلا أنه قبل أن يتمه فاجأه المعتز على رأس جيش وبدأ الحصار على بغداد، مما أدى الى أن يصاب الجانب الشرقي بأضرار جسيمة وتخریب أهم أحيائه كالرصافة والشاسية والمخرم وأعيد بناء أجزاء منها فقط بعد ذلك^(٤١).

وشهدت الفترة التي أعقبت عودة الخلفاء الى بغداد، وقبل قدوم بني بويه، بناء القصور العظيمة - على طول ضفة النهر - والجوامع منها جامع الخليفة (جامع سوق الغزل) والمسجد الجامع المعروف بجامع السلطان. وكانت القصور الى جنوب باب سوق الثلاثاء في سور المدينة الذي أقامه المستعين. وهكذا فقد تضاعفت مساحة بغداد قبل مرور زمن طويل على ذلك، وأنشئت محلات جديدة حول قصر الفردوس والحسني والتاج، واتصل بعضها بالمخرم^(٤٢) وبني المستنصر بالله عام ٦٣٠هـ / ١٢٣٢ - ١٢٣٣م المدرسة المستنصرية التي ما زالت قائمة وتطل على نهر دجلة.

أنهار بغداد ومياه الشرب فيها :

كان يروي الجانب الغربي من بغداد نهر واسع يسمى نهر عيسى العظيم، يتفرع من الجانب الأيسر لنهر الفرات شمال الفلوجة ويصب في دجلة جنوب بغداد الحالية. وكان قد أنشئ عليه سد من الحجر لرفع مستوى المياه وتحويلها الى جدولين رئيسيين، شمالي وهو نهر الصراة العظمى وجنوبي يعرف بالرفيل والذي صار يسمى في العهد العربي باسم نهر عيسى. ويتفرع نهر كرخايا من

جهته اليسرى. ويتفرع نهر كرخايا من جهته اليسرى. ويتفرع الجدولان من الجانب الأيسر للنهر أمام السد، ويجريان متوازيين نحو الشرق وينتهيان إلى دجلة فيصبان في وسط بغداد الحالية^(٤٣). أما الجزء الشمالي من الجانب الغربي فكان يسقى من جدول قديم يتفرع من الضفة اليمنى لنهر دجلة في جوار بلد الحالية وسمي في العهد العربي باسم نهر دجيل وكان يتفرع من نهر بطاطيا.

ومن الأنهار الأخرى، نهر العلا وهو يستمد مياهه من الخالص. ونهر موسى ونهر القلابين اللذان يجريان في بغداد. ونهر الطابق في محلة تسمى به بالجانب الغربي قرب نهر القلابين شرقاً وأصل اسمه نهر بابك ومأخذه من نهر كرخايا ويصب في نهر عيسى عند دار البطيخ، ونهر الدجاج عند محلة تسمى به وهو قرب الكرخ^(٤٤).

أما شبكة جداول الجانب الشرقي من بغداد الرصافة فكانت تستقي من نهر واسع يفوق كلاً من أنهار الجانب الغربي حجماً وطولاً، وهذا النهر هو الذي عرف (بالنهران). وكان يتفرع من الجانب الأيسر من نهر دجلة في جوار سامراء فيمتد بمحاذاة نهر دجلة من جهة الشرق مسافة أكثر من مائتي كيلو متر حيث كان أطول نهر عرفه العالم وقتذاك. ثم يلتقي أخيراً بدجلة بالقرب من الكوت الحالية.

وكان فرعان من الفروع لهذا النهر يمدان شبكة الأنهار التي كانت تتغلغل في قلب منطقة بغداد الشرقية، أحدهما وهو الشمالي الذي يعرف (طسوج نهر بوق) وكانت منطقة الرصافة وما جاورها من قطائع تقع ضمن

هذا الطسوج، وكانت تروى من الأنهار التي كانت تتفرع من النهر وان فتؤلف شبكة من الجداول تنتشر فروعها في تلك المنطقة. وكان نهر الخالص الفرع الرئيسي الذي يمون هذه الجداول بالمياه والذي يتفرع من نهر الفضل. أما الآخر الجنوبي فكان يسمى (طسوج كلواذي ونهر بين) وهو يأخذ من الجانب الأيمن لنهر النهران متجهاً نحو كلواذي حيث يصب في دجلة وعليه كان يعتمد جزء من الجانب الشرقي لبغداد^(٤٥).

أما إرواء مدينة بغداد، فبالنسبة الى المدينة المدورة، عندما بنى المنصور مدينته لم يفكر في سحب المياه من جداول لقربها من دجلة فكانت ترتوي بهاء الروايا وهي جلود تملأ ماءً فكانت تنقل الى المدينة على بغال، ولما شعر بصعوبة نقل الماء في الروايا ورأى ما تحدثه البغال من أوساخ. أمر رجلين من العالمين بمد القنوات بأن يمدا قناتين من دجلة الى داخل المدينة^(٤٦). وأمر أيضاً بمد قناة من نهر دجيل وقناة من نهر كرخايا وجرهما الى المدينة في عقود وثيقة من أسفلها محكمة بالآجر والصاروخ من أعلاها وكانت كل قناة منها تدخل المدينة وتنفذ في الشوارع فضلاً عن الأرباض خارج المدينة. وتجري صيفاً وشتاء لا ينقطع ماؤها في وقت من الأوقات^(٤٧).

تخطيط بغداد منذ الفتح المغولي ١٢٥٨م وحتى الوقت الحاضر:

للاطلاع على حالة التخطيط في بغداد منذ نهاية العصر العباسي، ودخول المغول وحتى الوقت الحاضر، لا بد من استعراض موجز لحالة الادارة التي كانت في هذه المدينة. ففي سنة ٦٥٦هـ-١٢٥٨م وصل هولواكو

وجنوده الترك والمغول الى بغداد ووجد المستعصم نفسه مضطراً الى التسليم دون قيد، ففتحها المغول ونهبت المدينة وأحرقت ولكنها لم تخرب بأسرها كغيرها من المدن التي فتحوها؛ لأنهم كانوا يريدون أن يتخذوا منها عاصمة لهم.

وظلت بغداد بعد احتلال هولاءكو تتقاذفها أمواج الحروب فتتناوبها أيدي الحكم من احتلال إلى آخر زهاء أربعة قرون متتالية الى أن احتلها السلطان مراد الرابع في سنة ١٠٤٨هـ-١٦٣٨م.

فقد حكم فيها الأيلخانيون أخلاف هولاءكو ٨٢ عاماً. ثم عقبهم الجلائريون الذين حكموا البلاد ٥٧ عاماً، وبنيت في أيامهم المدرسة المرجانية.

وفي أيامهم استولى تيمورلنك على بغداد مرتين الأولى عام ١٣٩٣م ولم يلحق بالمدينة ضرر، والثانية عام ١٤٠٢م حيث ذبح أهلها وخربت المساكن والمنشآت العامة. ورجع أحمد الجلائري عام ١٤٠٥م الذي أحكم الأسوار (بقدر استطاعته) التي دمرها تيمور، ولم تنقض سوى ست سنوات حتى قتله قره يوسف أمير دولة الخروف الأسود التركمانية، واستولى رجاله على المدينة وظلت بحوزتهم حتى عام ١٤٦٨م. الى أن انتزعها منهم تركمان الخروف الأبيض، وفي سنة ١٥٠٨م غزا الشاه اسماعيل الصفوي بغداد وظلت بحوزة الصفويين حتى عام ١٥٣٤م. حيث احتلها الأتراك بقيادة سليمان الأول، وظل يحكمها حتى عام ١٦٢٣م، حيث استولى عليها الشاه عباس الأول

الصفوي. إلا أن الأتراك استعادوها مرة ثانية عام ١٦٣٨م بقيادة السلطان مراد الرابع.

وسد مراد باب الطلسم ورسم عدة أضرحة دينية، وفي هذا العهد هبطت بغداد الى الدرك الأسفل. واستمرت بغداد من جديد مركز ولاية تركية يحكمها هي والبصرة وال واحد في بعض الأحيان. وتميزت ولاية مدحت باشا ١٨٦٩-١٨٧٢ في تاريخ بغداد بأنها كانت عهد نهضة؛ إذ تم خلالها فتح عدة مدارس وإقامة منشآت ومد خط للترام تجره الخيول بين بغداد والكاظمية.

وفي الفترة الممتدة بين ١٨٦٧ وحتى ١٩٠٩م وهي فترة حكم عبد الحميد لم تشهد بغداد من أعمال الإعمار الذي يهم التخطيط فيها سوى بعض المنجزات البسيطة ومنها إنشاء العديد من المباني العامة مثل تأسيس دارين للمطالعة وحصر محلات بيع النفط، وإصلاح بعض الشوارع والأزقة التي لم تكن منتظمة بل إنها كانت إما مرصوفة بالحجارة أو طرقات طينية^(٤٨).

وللإحاطة بحالة بغداد العمرانية يمكن استعراض بعض الأقوال التي ذكرها الباحثون في كتبهم، وكذلك ذكر أهم المعالم الأثرية والحضارية التي ما زالت تحتويها مدينة بغداد.

ففي سنة ١٢٥٨م، لم يبق من الجانب الغربي إلا محال متفرقة أعمارها الكرخ، وخرب الجانب الشرقي من الشاسية الى المخرم وخرب السور^(٤٩).

وفي سنة ١٣٣٩ م كانت بغداد الشرقية والغربية محاطة بالأسوار، ولسور المدينة الشرقية أربعة أبواب ويمتد من ضفة النهر الى ضفته في أسفل السور على هيئة نصف دائرة. ولسور الربض الغربي (الكرخ) بابان.

وكانت حالة بغداد بين ١٥٦٣-١٥٧٤ كم شاهدتها Caesar Federigo وكذلك راوولف، قليلة البهجة وأبنيتها ليست مشيدة بصورة جيدة، وتظهر فيها الأزقة الضيقة والبيوت المتهدمة وكثير من الجوامع الخربة التي استحال لونها الى أسود قاتم نقشت على أحجارها الكتابات العربية. ومن الأماكن التي تستحق الرؤية مقر الباشا التركي والسوق الكبير ودكاكين التجار، أما حماماتها فهي أكثر رداءة من حمامات طرابلس والاسكندرية^(٥٠).

أما في الفترة بين ١٦٣٢-١٦٣٨، فإن من الذين وصفوا بغداد هو الفرنسي تافرينيه الذي مر بالعراق في أثناء ذهابه الى الهند، وتبين من وصفه، أنها كانت في جانبها الشرقي محاطة بسور من الآجر يبلغ طوله نحو ثلاثة أميال، وتقدر مساحة الأرض التي كانت عليها الدور بألف وخمسمائة خطوة طولاً وسبعمائة أو ثمانمائة خطوة عرضاً^(٥١).

أما في الفترة بين ١٧٣٢-١٧٥٠ فقد كتب كارستين عن بغداد إذ ذكر أن مقر الحكومة التركية في الولاية كان في بغداد الشرقية ويحيط السور بالمدينة.

وفي سنة ١٧٦٤ وصف نيبور بغداد الحديثة حيث ذكر أن الأزقة ما زالت ضيقة وقذرة ومرتفعة، وأن الدور متألفة من عدة طوابق وأطرافها محاطة بالجدران وقد غرس في وسطها بعض النخيل وتؤثر أشعة الشمس

النازلة على هذا (الحوش) في مضاعفة الحرارة. فيحتاج المرء هناك الى الغرف الصيفية الباردة والمبنية تحت الأرض (السراديب). وتكون سقوف هذه الغرف مغطاة بصورة تامة ومبنية على عمق أربعة أو خمسة أقدام تحت الأرض وتتصل بواسطة الدهاليز الهوائية المفتوحة على استقامة الشمال ويجري الهواء البارد في هذه الدهاليز وهذه المحلات مفروشة بصورة حسنة.

وكانت استحكامات مدينة بغداد قوية جداً. وكان عدد الجوامع ذات المنائر فيها يبلغ عشرين، إضافة الى وجود كثير من المساجد الصغيرة. وكان في المدينة وضواحيها حينئذ (٢٢) خاناً ولكن ستة أو سبعة منها فقط كانت مشغولة من قبل التجار الكبار، كما يوجد فيها كثير من الحمامات العامة^(٥٢).

أما حالة بغداد في عام ١٨٣٠-١٨٣١، فقد كانت على الرغم من تعرضها للتهديم، ذات أسوار أحسن حالاً من المدن الأخرى في دول مجاورة. أما أزقتها فكانت ضيقة وعرضها على الأكثر تسعة أو عشرة أقدام. وكانت أبنيتها متصلة وليس فيها شبابيك، وللبواب جميلة، وأكثرها لطيفة جداً من الداخل كما فيها الشرفات والأطواق الكثيرة المطلة على الشارع حيث يجلس هناك الناس. وتعج الميادين العامة بالمقاهي الكثيرة حيث يجلس فيها كثير من الناس وهم يدخنون ويشربون القهوة.

أما بغداد في سنة ١٨٦٤ فكانت تتميز كما وصفها Peterman في كتابه (رحلات في الشرق) يكون القسم الأكبر منها واقع في الجانب الأيسر، ومحاط بسور عال متهدم في كثير من المواقع وفيه خندق عميق وجاف.

وتحوي المدينة على الكثير من الجوامع الجميلة ذات القباب والمناير المزينة بالطابوق الملون اللامع. وتتميز أزقتها بأن أكثرها ضيقة وممتلئة بالزوايا المفروشة بالحجر، بحيث يصعب السير فيها في أثناء هطول الأمطار، وأسواقها بعضها مسقف.

وكانت الدور تبنى وفق طراز خاص من البناء، إذ كانت الدار تحتوي على حوش واسع في القسم الأيمن مطبق بالكاشي، وهول مفتوح يسمى (الإيوان) وبجانبه غرفتان تحتها سرداب كبير. وفي مداخله باب يصل الى المطبخ عبر (هول) صغير وفي الوسط مقابل باب الدار تقريباً يوجد إيوان ثان كبير^(٥٣).

أما حالة المدينة حتى عام ١٩١٧م، فقد تعرضت المدينة الى فيضانات خطيرة في سنوات ١٨٨٤ و ١٨٩٤ و ١٨٩٦ و ١٩٠٧ و ١٩١٥م.

يضاف الى ذلك ضعف الادارة واضطراب الأمن. وفقد سور المدينة أهميته وأزيلت المسناة لاستعمال حجارتها في الأبنية ثم دفن الخندق وبقي السور الترابي، وصار يعرف بعد الاحتلال البريطاني سنة ١٩١٧م بـ (سدة المدينة).

ثم جاء عهد الاحتلال البريطاني، فلم تكثرث بريطانيا للأمر والخراب الذي أصاب بغداد، فاستمر الأمر على حاله، ومعه بغداد مستمرة على حماية نفسها بالطرق العلاجية الوقتية باعتمادها على السداد الترابية. وقامت السلطات العسكرية المحتلة بتحكيم السور القديم الذي صار يعرف باسم

(السدة الشرقية). يضاف الى ذلك إنشاء سداة جديدة لحماية المحلات العديدة في بغداد مثل البتاوين والعلوية والكرادة الشرقية والزوية ومعسكر الرشيد والرستمية والزعفرانية. وخلال الفترة الممتدة بين ١٩١٩ و ١٩٥٤ تعرضت بغداد الى تسعة فيضانات غرق قسم من بغداد في بعض منها^(٥٤).

أما عن اهتمام الانكليز بالجوانب العمرانية والتخطيطية لبغداد فلم يكن يذكر لشدة إهمالهم هذا الجانب وتأكيدهم على أمور السيطرة على البلاد وابتزازها.

وفي نهاية هذا البحث ينبغي أن نؤكد على ضرورة الاهتمام الكبير بالموروثات الحضارية التي ما زال بعضها شاخصاً حتى الوقت الحاضر في مدينة بغداد، ومنها البيوت الكبيرة ذات الطراز العربي الأصيل، والمدارس والجوامع، والأسواق بحيث يمكن تحويلها الى أماكن سياحية تعكس أصالة الحضارة العربية، أو تلك التي تحتاج الى إحياء كما لو أنها ما زالت قائمة حتى الوقت الحاضر ومنها سور بغداد وأبوابه خاصة وأن هذا السور توجد عنه العديد من المصورات والمرسمات التي يمكن الاستفادة منها. وذلك لأن الاهتمام بها خدمة لأمتنا العربية المجيدة، ومنتعة لأجيالنا والسواح الأجانب الذين يرتادون بلادنا.

ومما يلاحظ على مدينة بغداد بعد ثورة تموز عام ١٩٥٨، أنها شيدت توسعاً كبيراً في العمران، ونمواً مضطرباً في عدد السكان إذ ازداد عددهم من مليون نسمة عام ١٩٥٧ الى حوالي ثلاثة ملايين عام ١٩٧٧ بسبب الهجرة

السكانية من جميع المحافظات الى بغداد، وقد صحب ذلك ظهور أحياء جديدة وعلى الأخص بعد فتح قناة الجيش في عام ١٩٦١ إذ أدى الإجراء الأخير الى توزيع العديد من القطع السكنية على المواطنين على جانبي القناة التي يبلغ طولها ٧, ٢٣ كم^(٥٥). يضاف الى ذلك التوسع الأفقي الكبير لمدينة بغداد في جانبيها الشرقي والغربي، مما جعلها مدينة تفتقر الى الكثير من الجوانب التخطيطية التي تتوفر في المدن العالمية الكبرى.

الهوامش:

- (١) د. مصطفى جواد: دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٥٨، ص ٤٣؛ المورد: العدد (٤)، ١٩٧٩.
- (٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٣١، ص ٢٥-٢٧.
- (٣) طاهر مظفر العميد: بغداد مدينة المنصور المدورة، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٦٧، ص ١٣٨.
- (٤) ينظر: المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن ١٨٧٧، ص ١١٩؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، لبيزك ١٨٦٦، ج ١، ص ٦٨؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ليدن ١٨٩٠، ج ٣ ص ٢٧٤-٢٧٦؛ ابن الجوزي: مناقب بغداد، نسخ وتعليق محمد بهجة الأثري، مطبعة دار السلام، ١٩٢٣، ص ٨.
- (٥) د. أحمد سوسة، د. مصطفى جواد (وجماعتها)، بغداد، مطبعة رمزي، بغداد، ١٩٦٩، ص ٢٣؛ د. أحمد سوسة، الفيضان وغرق بغداد في العصر العباسي، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج (١٠)، ١٩٦٢، ص ٣٠.
- (٦) الخطيب البغدادي: المصدر نفسه، ص ٦٦.
- (٧) كي لسترنج: بغداد في عهد الخلافة العباسية، ترجمة بشير يوسف فرنسيس، المطبعة العربية، بغداد، ١٩٣٦، ص ٢٥.

- (٨) د. مصطفى جواد: دليل خارطة بغداد، ص ٤٤-٤٦.
- (٩) الطبري: المصدر نفسه، ص ٢٧٦-٢٧٧.
- (١٠) د. أحمد سوسة: بغداد المصدر نفسه، ص ١٩.
- (*) تقول بعض المصادر إن لبغداد سورين وليس ثلاثة؛ وذلك لأن السور الداخلي حول الرحبة المركزية لم يكن سوراً متيناً كالمتراس ولهذا فلا يعتبر سوراً للمدينة. أما السوران الآخرا ففهما الخارجيان وكانا كالمتراسين ولذا كان أحدهما هو سور داخلي والآخرا سور خارجي، أما السور الداخلي فليس إلا حاجزاً حول رحبة القصر والجامع. انظر الخطيب البغدادي: ج ١، ص ٧٢؛ وكي لسترنج: ص ٢٦.
- (١١) زكريا بن محمد بن محمود القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦، ص ٣١٤.
- (١٢) كي لسترنج: المصدر نفسه، ص ٢٦-٢٧.
- (١٣) الخطيب البغدادي: المصدر نفسه، ص ٧٢.
- (١٤) انظر: كي لسترنج: ص ٢٧؛ الخطيب البغدادي: ص ٧٤؛ ابن الجوزي: ص ٩؛ الطبري: نفس المكان.
- (١٥) د. أحمد سوسة: بغداد، المصدر نفسه، ص ١٩؛ علي ظريف الأعظمي: مختصر تاريخ بغداد، ص ٩.
- (١٦) كي لسترنج: ص ٣٠-٣١.
- (١٧) البغدادي: المصدر نفسه، ص ٧٠-٧١.
- (١٨) كي لسترنج: ص ٣٣.
- (١٩) اليعقوبي: البلدان، المطبعة الحيدرية، النجف ١٩٥٧، ص ٩-١٠.
- (٢٠) د. مصطفى جواد: بغداد، المصدر نفسه، ص ٢٠.
- (٢١) الخطيب البغدادي: المصدر نفسه، ص ٧٥-٧٦.
- (٢٢) د. أحمد سوسة: فيضانات بغداد في التاريخ، مطبعة الأديب البغدادية، ١٩٦٣، ج ١، ص ٢١٠.

- (٢٣) د. أحمد سوسة: الفيضان وغرق بغداد، المصدر نفسه، ص ٣١؛ د. مصطفى جواد: المصدر نفسه، ص ٢٧.
- (٢٤) الخطيب البغدادي: ص ٧٩.
- (٢٥) ابن الجوزي: المصدر نفسه، ص ١٣.
- (٢٦) كي لسترنج: المصدر نفسه، ص ٦٤-٦٥.
- (٢٧) ياسين خير الله العمري: غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام، دار البصري، بغداد ١٩٦٨، تحقيق للمخطوطة في سنة ١٩١٧ لنفس المؤلف، ص ٢٣-٢٤.
- (٢٨) محمود شكري البغدادي: أخبار بغداد وما جاورها من البلاد، مخطوطة سنة ١٣٢٠هـ/ ورقة ٨٥؛ الاصلطخري: المسالك والممالك، تحقيق د. جابر عبد العال، القاهرة، ١٩٦١، ص ٥٨-٥٩.
- (٢٩) دائرة المعارف الإسلامية، انتشارات جيهان، تهران، ج ٤، ص ٨.
- (٣٠) البغدادي: المصدر نفسه، ص ٧٦.
- (٣١) البغدادي: المصدر نفسه، ص ٧٦؛ كي لسترنج: المصدر نفسه، ص ٤٨-٤٩.
- (٣٢) أحمد سوسة: فيضانات بغداد، المصدر نفسه، ص ٢٢٨.
- (٣٣) د. مصطفى جواد: بغداد، ص ٢٤.
- (٣٤) كليمان هوار: خطط بغداد، تعريب ناجي معروف، مطبعة العاني بغداد ١٩٦١، ص ١١-١٦؛ د. أحمد سوسة: مجلة المجمع العلمي العراقي، ص ٥٨؛ د. مصطفى جواد: المصدر نفسه، ص ٥١.
- (٣٥) هوار: المصدر نفسه.
- (٣٦) سعاد هادي العمري: بغداد كما وصفها السواح الأجانب في القرون الخمسة الأخيرة، مطبعة دار المعرفة، بغداد، ١٩٥٤، ص ١٤-١٥.
- (٣٧) محمود شكري البغدادي: المصدر نفسه، ص ٨٣-٨٩؛ د. أحمد سوسة: فيضانات بغداد، ص ٢٨.
- (٣٨) دائرة المعارف الإسلامية: ص ٨-١١.

- (٣٩) الطبري: ج ٣، ص ١٥٥٣.
- (٤٠) كي لسترنج: ص ٢٧٠.
- (٤١) د. مصطفى جواد: بغداد، ص ٨٦-٨٩؛ المورد: العدد (٤)، مج ١٩٧٩.
- (٤٢) ياسين العمري: المصدر نفسه، ص ٤٤.
- (٤٣) سوسة: فيضانات بغداد، ص ٢٣٣.
- (٤٤) الاصطخري: المسالك والممالك، ص ٥٩؛ سوسة: ص ٩٣-٩٤؛ البغدادي: ص ١١٣.
- (٤٥) محمود شكري البغدادي: ورقة (٢٢).
- (٤٦) انظر: دار المعارف الإسلامية: ص ٨-١٥؛ عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، ج ٤، ١٩٤٩؛ ج ٨، ١٩٥٦؛ جاسم محمد حسن: العراق في العهد الحميدي، ١٨٧٦-١٩٠٩، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب / جامعة بغداد، ص ٢٥٤-٢٥٨.
- (٤٧) صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق: مرصد الاطلاع، ليدن، ١٨٥٢، ج ١، ص ١٦٢.
- (٤٨) سعاد العمري: ص ١٦-١٧.
- (٤٩) د. أحمد سوسة: فيضانات بغداد، ص ٢٥٠، ٢٩٢؛ العمري: ص ١٠.
- (٥٠) د. أحمد سوسة: فيضانات بغداد، ٢٥٢.
- (٥١) العمري: ص ٨٤-٨٨.
- (٥٢) د. مصطفى جواد: بغداد، ص ١١٨-١١٩.
- (٥٣) صالح فليح الهيتي: تطور الوظيفة السكانية لمدينة بغداد الكبرى، مطبعة دار السلام - بغداد، ١٩٧٦، ص ١٢٧-١٣١.



الكتابة السومرية

الأستاذ الدكتور زهير صاحب

أ- مقدمة في رمزية الخطاب السومري:

في حوالي منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، وعلى أرض سومر (المبجلة). جلس أول تلميذ على (دكة) من اللبن لتلقي المعرفة، ووقف أول (معلم) في تاريخ المعرفة، ليلقي محاضرة في فلسفة الوجود. إنه إبلاغ (رمزي)، يؤطر ما هو زائل، بإطاره الأبدي الخالد، كمظهر للعقل والتفكير. نوع من إعادة صياغة الطبيعة في جوهرها وماهيتها، وذلك بتحليل عناصر الصور المرئية، بغية تفعيل قوة التعبير الكامن في الذات المتفلسفة وبالتالي إسقاط الذات على الطبيعة والإنسان. فكان الفكر رمزياً كونه يعيد بنيته بالأشكال الرمزية، وتركيبياً كونه يشيد هذه الأشكال بوساطة (العلامات)، ويشكل نظاماً (رياضياً) يعرض ذاته كأنظمة أشكال معرفية متحررة من محدودية القيود الحسية.

إن الفكر السومري (الإبداعي)، وهو يؤسس أنظمتَهُ الأولى في تاريخ الإنسانية، كان يَسْتَلِم (خطاب) البيئة المعلن بفعل المحسوسات، ويؤولها إلى منظومة دلالية في بنيته. وهي بمثابة تقابلات صورية، مكثفة بأشكال رمزية أو (دوال) علامية. وعلى هذا النحو، تحولت الظواهر إلى رموز ومفاهيم، هي بمثابة تكثيف لأفكار خطاب التشكيل. وهذا هو التفسير (العقلاني)، باتجاه خلق موازنة، بين الإحساس الداخلي (الذات المنفعلة) وعالم التجربة الخارجي (قراءة الموجودات)، حيث تكون (مُهَمَّة) التشكيل إدراك هذه الموازنة. ذلك إن صلة التشابه المادية المنظورة، قد تمت الاستعاضة عنها بصلة

روحية غير مرئية هي صلة الرمز، حيث ترتقي (المدلولات) فوق الظاهرة الطبيعية المنفردة. وبنوعٍ من التضاييف بين المادي والروحي وبين الطبيعي والرمزي.

إن سمة مثل هذه الصور الفكرية الرمزية السومرية، تكمن في عدم وجود توافق، بين المدلول ونمط التمثيل. فلا تمثل الأشكال ذاتها، بما فيها من خصوصية فردية، بل تكون إشارة وتلميحا واختزالاً لمدلولاتها. باعتبارها أنساقاً علامية، ترتبط بالأفكار والمفاهيم، بآليات وكيفيات تمثيلها. داخل بنية من الخطابات الرمزية المفعمة بالتجريدات والرميزات. طالما إن (الرمز) هنا، ليس مستقلاً قائماً بذاته، وإنما دلالة أي رمز هي في صميمها، دلالة موضوعية تتحد بالسياق الذي ترد فيه.

وإزاء تغييب محاكاة (تعقيدات) الطبيعة، وجد الفكر السومري الإبداعي، أن بإمكانه قلب العالم الخارجي باتجاه عوالم الفكر الداخلية المغلقة. فمن صفات الفكر والفن العظيمين، أنهما يجنئان في داخليهما التوتر والتناقص. فهما لا يصدران من معاناة للوقائع فحسب، بل لابد لهما من عملية تركيب. إنهما يقومان على إعادة بناء العالم في حالته السرية الداخلية، بحيث لم يعد لطبيعية شئيه الأشياء من دلالة، إلا بقدر تحولاتها لتعكس وضعاً إنسانياً.

لقد كان الشكل الكتابي والتشكيلات السومرية، تتحرك في دائرة ثقافية قوامها الرمز. فهناك المضمون والغاية والمدلول، ومن جهة ثانية، هناك التعبير

والتظاهر والواقع، وما بين هذه المظاهر تداخل وتشابك. فماهية الفكر هنا، تميل إلى تمثيل الأشكال في كليتها، في أشكالها الموحية بالمعنى المرتبط بالشكل. وهنا يمكن أن نصل إلى نوع من الرمزية الواعية في توظيف (مظاهر) الأشكال باتجاه دائقية الوعي الجمعي. إنه الخطاب التشكيلي المتحرر من الطبيعة، بنية أشكاله الجوهرية الخالصة. هذا التحقق التاريخي لعالم (المثل) بوعي الجمال الروحي في اللانهاية المتحققة بإبلاغات التشكيل نحو (المطلق)، هو فلسفة الفكر السومري برمته.

ب- أنظمة الكتابة السومرية :

حققت الحضارة السومرية في منتصف الألف الرابع قبل الميلاد قفزة معرفية من النوع الكوبرنيكي، وأسست أول مجتمع متحضر في التاريخ، مؤسسة تاريخها من خلال نشاط حركة الأفكار المتحولة والمتجددة بشكل متسارع، مليء بالمستجدات والإبداعات. ففي مدينة الوركاء جاء اختراع الكتابة ليعلم البشرية (الحرف)، وبقدر ما يمثله اختراع الكتابة من انتصار معرفي عظيم، إذ حفظ تاريخ الإنسانية من الضياع. فإن في بنيتها نظاماً من العلاقات الجمالية، بصدد (تسطيرها) وانتظام خطوطها، وتقنيات حفرها، وتناسقها. إنها التفعيل الأول للفكر الإنساني، حين حفر على الطين - مادة الخلق الأولى - ذاته حفرًا، وحتى أعمق مناطق الروح.

وفي مدلولات العلامات السومرية، تشتغل العلامة كبنية (دال)، في منطقة المتخيل، خارج مساحة التكوينات العينية، باعتبارها تقدم تفسيراً

حدسياً للامرئيات بقوالب المرئيات. ذلك أن (العلاقة) الكتابية تشبه ذاتها في القصدية الطبيعية، لكنها خارج حضورها الواقعي كبنية (مدلول) فهي عبارة عن تلخيص للدلالات التي تمثلها. والتي تشفر عن مغزى دلالي كامن خلفها (تحت النص) في مدلولاتها في بنية مفاهيم الفكر الاجتماعي. ومن هنا اكتسبت (كونيتها) وبدأت كمفاهيم أزلية الحيوية.

كان المعبد السومري، باعتباره أهم ركائز المؤسسة الدينية، حيزاً مكانياً ذا دلالة قدسية، يفوق كثيراً حضوره المرئي. مكتسباً حضوره القدسي بفعل حلول الروحي فيه حلولاً. وهكذا قد لا يقلّ الفكر السومري نجاحاً عن الفكر الحديث بهذا الصدد، إلا أن بنية النظام السومري لا تقرر بالمقاييس الموضوعية، بل بادراك عاطفي (حدسي) للقيم. الأمر الذي فعّل سيطرة المعبد على معظم الفعاليات الاجتماعية، وغدا المعتقد الديني كحقيقة تفرض نفسها على العقول، لها صفة الفضيلة الآمرة. وبفعل هذه الهيمنة المعبدية، جاء اختراع الكتابة في بؤرته، وقد وصفها المرحوم طه باقر: «بأنها كانت كتابة صورية، تعتمد على تمثيل صور الأشياء المراد كتابتها». (طه باقر: ١٩٧٣م، ص ٢٤١).

ويبدو منطقياً، أن يقع الفكر في بدايته، تحت هيمنة المحسوسات والتمثيلات التي تؤسسها المرئيات في مراحلها الأولى. قبل أن يؤسس تحولاته الكيفية نحو الحدوس، والتي تختزل بموجبها التفاصيل، الى مفاهيم مجردة. كان تحقيق (الدلالة) في نظام الكتابة الصورية، يتكون من ثلاث جزئيات:

الشيء المشار إليه وهو المعنى، والإشارة وهي الإشارة الكتابية، والتشابه المفترض بين الاثنين. وقد كان التشابه مهماً في بنية النظام الكتابي السوري الأول. ذلك أن المعرفة في زمانها ومكانها، يصعب التأكد من صحتها، دون رابطة حقيقية بين الإشارة والمشار إليه.

وإن التعبير في الكتابة الصورية، لا يتطافر إلا بعقد صلة الارتباط الحيوية، بين المضمون والشكل الذي ينظمه ويظهره، حيث يدعم كل منهما الآخر، داخل كل مترابط هو البنية الكلية للنص المكتوب. (فماهية) الكتابة هنا، تعيش في محيط ذي مدلولات ومفاهيم ثقافية اجتماعية، تتبادل معها الأثر والتأثير بطريقة دينامية متفاعلة، من خلال إطار نوعي اكتسب مضمونه من الخارج، وهو مرتبط بالحالة العامة للتفكير، باعتباره مرجعاً تسترشد به الجماعة، باعتباره خطاباً تداولياً، ليصبح في النهاية، حصيلة الفكر الحضاري الذي تبثه الجماعة للأجيال القادمة.

وكأي اختراع، يبدو في البداية بسيطاً رغم كونه انتصاراً، ومن ثم يخضع لمفهوم التطور، بفعل تعاضم الخبرة المستندة الى التجريب. حيث أعقبت الكتابة الرمزية مرحلة الكتابة الصورية، ليتعاضم هرم المعرفة، في مرحلته النهائية بالكتابة الصوتية - المقطعية، المستندة إلى أصوات المقاطع في كتابة الكلمات. وذلك (لعمري) أعظم نصر فكري في تاريخ المعرفة.

ففي المرحلة الرمزية، وجد الفكر أن صلة (الشبه) المادية المنظورة، غير كافية لتدوين شتى (الأفعال) المجازية. فاستعاض عنها بصلة روحية غير

مرئية هي صلة الرمز، حيث تتجسد قيمة الرمز الجوهرية الروحية، بالتحول من الفردية نحو التعميم المطلق.

ذلك أن (العلامة) الكتابية في طورها الرمزي، مفرغة تماماً من وجودها المادي، ورحلة بفعل ضغوط البنية الفكرية العميقة إلى منطقة (توسط) الشعور واللاشعور، حيث التحرر من قيود السطحية والمباشرة، سعياً لتأكيد وجود حقيقي وجوهري. فالرمز (الكتابي) يحمل معنى أكثر تحديداً من الشيء الذي يرمز إليه، فيستفيد الشيء الرموز إليه من المعادلة، ويحصل على (مدلولات) جديدة أكثر تحديداً من الرموز إليه أصلاً. فالشيء هو معنى إشارته، بيد إن الرمز هو معنى شيء.

وبفعل تداول هذه الرموز الكتابية في ذهن الجماعة، بفعل استمرار الممارسة والفهم. إن غدت هذه الرموز حقيقة اصطلاحية، لا تتطلب استغراقاً ذهنياً من قبل الفرد والجماعة في استيعاب دلالاتها، باعتبارها أداة تواصل، بوساطة ضرب من التناغم في الفهم، وقد وجد مدلولاته بشكل (تمثلات) ذهنية ثابتة.

وفي المرحلة المقطعية - الصوتية، اكتسبت الكتابة تماسكها الداخلي المنظم والخاص بها. فما تعد الكتابة تتكون فقط، من ممثلات وأصوات تقوم بدورها بتمثيل الممثلات. بل إنها الآن تتركب من عناصر شكلية تنتظم داخل نسق خاص، يفرض على الأصوات والمقاطع تنظيماً ليس (تمثلياً). أي إن الكتابة تحولت من وسيط تمثل فيه الكلمات الأشياء التي تشير إليها دون زيادة أو

نقصان، إلى أنساق خاصة تكتسب دلالاتها من علاقاتها الداخلية كل منها بالآخر. فالعملية ليست تمثيل الكتابة لأشياء موجودة - في طورها الأعلى - لكن النقيض هو الصحيح.



الصناعات الشعبية في العراق

هادي منعم حسن

المقدمة :

الصناعات بصورة عامة، هي كل إنتاج مصدره العقل البشري سواء كان مادياً أم معنوياً، وبتعبير آخر تفاعل جماعة خاصة مع بيئة طبيعية ذات موارد معينة تقيد لعمل ما في الحرف التي يزوالها نفر من الناس في منطقة جغرافية خاصة تختلف في حرفها عن بيئة جغرافية أخرى.

فالحرف الشائعة في المنطقة الشمالية من العراق مثلاً تختلف عن حرف أهل الوسط والجنوب وتختلف من بلد الى آخر باختلاف البيئة وتباين أحداثها. والصناعات هي مثلاً الحدادة والنجارة والصياغة وغيرها من الصناعات الشعبية، وهي ما يستعان على تعاطيه وممارسته بآلات وأدوات الصناعة الشعبية، ويكون تعلمه عن طريق الدراسة العملية؛ لأن من يتتبع دراسة الصناعات في العراق يدرك أهميتها وذلك نابع من كونها كثيرة التنوع، ومردّد ذلك الى اختلاف طبيعة القطر الجغرافية والمناخية ومواده الأولية وكثافة سكانه في منطقة ما دون أخرى. فالصناعات الموجودة في منطقتي وسط وجنوب العراق تختلف عما هي عليه في المنطقة الشمالية، لا بل قد نشاهد اختلافاً واضحاً بين صناعة وأخرى في بيئة جغرافية واحدة كما في المنطقة الشمالية.

ففي منطقة الجنوب حيث أشجار النخيل ومادة البردي والقصب (مناطق الأهوار) وهي تستعمل لصناعة السلال، الحصران، الأطباق، الزوارق المائية، فضلاً عن الصناعات الصوفية. أما في المنطقة الوسطى فإن

أهم صناعاتها الصوفية كالبسط والسجاد، فإنها اشتهرت بصناعة التزجيج والنحاسيات والفخاريات. وفي المنطقة الشمالية حيث مقالع الأحجار والجبال والغابات فقد اشتهرت في النحت والحفر على الخشب، الى جانب صناعاتها الأخرى كصناعة الفخار الغزيرة بعطائها والجيدة في شكلها والصناعة الصوفية كالسجاد والبسط إن كانت منسوجة وإن لم تكن فصناعة الصوف المضغوط (اللباد المعروف محلياً بـ «الجبين»).

كما يكاد ينفرد العراق بحرفة يدوية وصناعة شعبية، تلك هي صناعة الفضة المطعمة بالمينا التي تؤديها طائفة الصابئة.

إن دخول الآلات الحديثة في عصر النهضة وإنتاجها كل ما هو جيد وجديد أدت بتلك الصناعات التقليدية الى الانحسار والانكماش والاندثار شيئاً فشيئاً، إذ أبدلت كل المقاييس والأوزان التي كانت سائدة في أسلوب جديد بعيد كل البعد عن ضمير وإحساس الشعب المتمثل بتلك الصناعات النابعة من عمق روحه وروح أجياله السابقة. فتوقف بعضها عن الانتاج وبقيت الأخرى تسير بانتاجها بصورة عسيرة. والذي نطلبه هو الحفاظ على هذه الصناعات؛ لأن الحفاظ على تلك الأصالة والسمات هو الحفاظ على تراث الأمة ذاتها.

تنقسم صناعتنا الشعبية الى ما يلي:

١- الصياغة (الذهب والفضة):

من المعروف إن العرب هم أول من اكتشف علم الكيمياء، حيث ورد اسم الكيمياوي خالد بن زيد بن معاوية (المتوفى عام ٨٥هـ) والذي قيل إنه كان أول من قام بإجراء التمارين الكيمياوية، فهي إذن من أقدم الحرف التي مارسها أجدادنا وقد درج الكثير منهم عليها حتى غدت هذه الحرفة إحدى حرفنا الشعبية المتميزة في بلادنا، وذكرها الكثير من الرحالة الذين زاروا العراق ونخص بالذكر منهم البرتغالي (تكسيرا) في عام (١٦٠٤م) قال: إن هناك في بغداد صناعاتاً مهرة اختصوا في أمر هذه الصناعة من المسلمين الى جانب قسم كبير من الصابئة وكان لهم سوق كبيرة خاص بهم، إذن فأمر هذه المهنة كان على جانب من الأهمية، وقد خضعت أصول هذه المهنة كغيرها الى عامل التطور نتيجة لتاريخ عمرها الطويل وقد انعكس هذا التطور في أسلوب صياغتها وانتشارها في مختلف المدن العراقية وهذا مما يعكس لنا عملي التنافس والتخصص فلذلك من العسير أن ترى مدينة عراقية خالية من وجود الصاغة فيها؛ لأن الصائغ يقوم بصورة مستمرة بالانتاج نظراً لازدياد الطلب على المصوغات الذهبية والفضية، ومن أهم مناطقها: بغداد، والكاظمية والعمارة والموصل. كما يمكن القول إنه نتيجة احتكاك السياح الأجانب بالصياغ فقد اتبعوا أساليب الصياغة ذات الأشكال الزخرفية في موضوعاتها كتجسيم حيوانات أو نباتات أو مواقع آثارية مثل النخلة، وأسد بابل، وملوية سامراء، فضلاً عن اتباع أسلوب الصياغة المخرمة، كما يمكن الإشارة الى استعمال المينا الزرقاء والسوداء واعمال التطعيم بقطع

الفضة والذهب. ومن جملة المصوغات: الأقراط، الخواتم، الأساور، دبابيس الشعر، السكاكين، الشوكات.

أما في المناطق الجنوبية فيشاع في وسطها الأسلوب الريفي مثل الحجول، القلائد، الأساور، الخزام، وقل ذلك في حلي المنطقة الشمالية من حيث التخصص في أسلوب النقش والزخرفة وإن ظهر بعض التشابه البسيط بينها.

٢- صناعة النسيج والحياسة :

لا نستطيع على وجه التحديد أن نعرف تاريخ نشوء هذه الصناعة لكنها كانت عريقة في قدمها فقد كانت معروفة قبل الميلاد بكل تأكيد. كما اختلف الكثير من العلماء حول موقعها الأول. فهناك رأي قائل إن سكان آسيا الصغرى والصينيين هم أول من عرفها وكذلك بالنسبة إلى المصريين القدماء فيقولون إن ملوكهم من الفراعنة كانوا قد استعملوها، لكننا نستطيع القول إن السومريين والبابليين كانوا قد عرفوا هذه الصناعة نتيجة العثور على بعض المخلفات المادية التي خلدتها رسومهم وبعض النصوص الكتابية المكتشفة في أثناء الحفريات، فقد ذكر أن كليوباترا كانت تلف جسمها بسجادة من صنع بابلي عندما قابلت القيصر، كما عثر في مقبرة تعود إلى مؤسس المملكة الفارسية على سجادة من صنع بابلي، فمن هذه القرائن يتضح لنا أن أرض العراق الخصبية في كل شيء لا بد من أنها كانت لديها مجموعة متخصصة بمثل هذه الصناعة من أجل تجهيز مؤسساتها الدينية خاصة والديوية عامة

بهذه المفروشات. وقد جاء اسم مدينة بغداد على لسان الكثير من الرحالة الأجانب التي وطأت أقدامهم أرضها وشاءوا أن يتجولوا في أزقتها ليروا الكثير من آلات الحياكة (الجومة) اليدوية موزعة هنا وهناك.

ولا تقتصر هذه الصناعة على إنتاج البسط والسجاد والأغطية فهي تنتج الثياب أيضاً بمختلف أشكالها واسماؤها، فهي تنتج كل ما يفرش ويلبس وما يستعمل كغطاء، وقد اشتهرت أماكن أكثر من سواها نتيجة عاملي الجودة والالتقان في العمل، فتأتي مدينة السماوة على قمة هذه الأماكن إذ تنتج الكثير من المستلزمات النسيجية لكنها انفردت بإنتاج الأزر الصوفية ذات الأشكال المطرزة بالألوان الداكنة مثل اللون الأحمر والبنفسجي ووفق أصول هندسية رائعة. كما اشتهرت مدينة (الحي) في محافظة واسط بأشكالها الجميلة التي تجمع بين أشكال الحيوانات والزخارف والنقوش الهندسية. ومدينة (المدحتية) في محافظة بابل، هذا في مناطقنا الوسطى والجنوبية من البلاد، أما في المنطقة الشمالية فقد اشتهرت مدينة (زاخو) في محافظة دهوك بصناعة المرعز حيث يستعمل كأغطية الى جانب صناعتها للألبسة وخاصة الأزياء الكردية، كما اشتهرت منطقة الحمدانية في محافظة نينوى بصناعة نوع معين من الفرش وهو ما يعرف بـ (الجبن) وهو الصوف غير المنسوج.

٣- صناعة المنسوجات النباتية :

لقد عرفت هذه الصناعة من قبل العراقي قبل معرفته صناعة الأواني الفخارية فقد وجدت في مدينة أور الجنوبية والتي يعود تاريخها الى حوالي

ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد آثار السلال مطبوعة على أوان فخارية، ناهيك عما ذكره المؤرخون القدامى أمثال هيرودتس الذي كتب الكثير عن أحوال العراق، وإشارته الواضحة الى وجود قارب صغير دائري كان مستعملاً في أنهر العراق القديم.

تعتبر النخلة المصدر الرئيسي لهذه الصناعة حيث قال عنها المؤرخ سترابو إنها: (تزود البابليين بجميع احتياجاتهم ما عدا الحبوب)، وقد مارس الكثير من شعوب العالم هذه الصناعة كالرومان واليونان، وإنها تحتل المكانة الأولى في بلادنا نظراً لكثرة أعداد النخيل فيها، ولهذه الصناعة أربعة أساليب للعمل:

١- اللف: ومواده الحلفاء وأغصان الأشجار الطرية أو سيقان بعض النباتات.

٢- الضفر: ومواده أغصان أشجار الصنصاف والخيزران والقصب وخصوص النخيل.

٣- اللظم والتداخل: ومواده سيقان البردي والحلفاء.

٤- التشابك والتداخل: ومواده جريد النخيل.

ومن جميع هذه المواد تصنع أعطية القلل، المراوح اليدوية، الزناويل، السلاسل، البوراي (جمع بارية)، بيوت خزن الحبوب، وسائط النقل المائية مثل المشاحيف، الأسرة، الكراسي وغيرها.

هذا في مناطق العراق الجنوبية أما المناطق الشمالية فلانعدام وجود مثل

هذه المواد الأولية بسبب الطبيعة الجغرافية والمناخية فقد اعتمد على سيقان الحنطة والشعير لصناعة السلال، الحقائب، الأسفاط، أدوات التزيين وهي دقيقة الصنع. ومناطق إنتاج النوع الأول في هيت، محافظة الأنبار والقرنة، محافظة التأميم، وحمام العليل، محافظة نينوى.

٤- الصناعات الفخارية :

تعود فترة صناعة الفخار الى العصور الحجرية الحديثة فهي تمتد الى آلاف السنين قبل الميلاد ويمكن مشاهدة أولى نماذجها في خزانات المتحف العراقي. وقد ظهرت أول التفاتة من قبل الإنسان إليها عندما عرف الزراعة التي دفعته الى حياة الاستقرار بعد حالة التنقل والتجوال وقد استعملها في بدء الأمر في خزن الحبوب ودفن الموتى وبمرور الزمن بدأت تتحسن هذه الصناعة بعد أن أخذت طريقاً جديداً فصارت على أشكال عدة بعد أن دخلت عليها المسحة الفنية فأضحت بألوانها وأشكالها المزخرفة مختلف الأقداح ومن أهمها: القلل، الأباريق، الأواني، الحباب والمزهريات وهي تحتل مكاناً واسعاً في مناطق البلاد. وتتمتع منطقة طوز خرماتو (منتصف الطريق بين بغداد وكركوك) بسمة ومكانة عالية في الوسط الفني رغم أنها تستعمل كل ما تنتجه لأغراض الزينة وليس للاستخدام اليومي، كما كان حال وجودها أول الأمر فهي تنتج نماذج متنوعة وذات أشكال غريبة عن واقع الحياة. وتتميز قلل هذه المنطقة بأنها ذات طابقين (جدارين) للقلة الواحدة أو ثلاثة وهي مخرمة ومزخرفة، وذات أشكال لحيوانات مألوفة أو منقرضة كأشكال

الفيلة والأسود والثيران المجنحة (لعله مقتبس من الثور الآشوري) والطيور والأسماك وبأجسام مركبة كأن يكون جسمه لحيوان وجناحه لطائر أو رأسه رأس إنسان، ولا نعرف بالضبط لماذا هذا التركيب الغريب والذي لا يعرفه حتى صناعها بالذات؟ كما اشتهرت الى جانب ذلك منطقة العمادية (محافظة دهوك) بإنتاج نوع من القلل ذات جدران رقيقة جداً، وكذلك منطقة ديانا (محافظة أربيل) كما إن هناك مناطق أخرى يمتاز فخارها بالسماجة في الصنع والبساطة في الشكل مثل مدن الحلة وبغداد وهيت.

٥- الصناعات الخشبية :

حرفة قديمة ظهرت الحاجة إليها عندما وجد الإنسان ضرورة ملحة لاستقراره فتطلبت حياته الجديدة أن يبني البيوت فدخل الخشب في عمل السقوف والأبواب وما إليها، يتعلم الإنسان هذه الحرفة عن طريق التمرين والتدريب العملي عليها وكان ولا يزال يخضع لتعلمها منذ الطفولة في معامل النجارة الأهلية على يد أستاذه أو أبيه فيحاكيه أول الأمر ويقلده بعد ذلك الى أن يبلغ مرحلة المهارة. ومن أحسن ما زودتنا به التنقيبات الأثرية والتي تدل على مهارة وقابلية النجار القديم السرير الخشبي المطعم بالأحجار الثمينة من مدينة الوركاء الواقعة جنوب العراق والذي يعود تاريخه الى عصر جمدة نصر حوالي (٢٥٠٠ ق.م) والعجلة العائدة الى عربة الملك أورناشه حوالي (٢٥٢٠-٢٤٩٠ ق.م) المصنوعة والمثبتة بالمسامير فهي خير دليل على تفنن أجدادنا في هذا المضمار.

تنقسم الصناعات الخشبية من حيث أشكالها الى أدوات عمل في القرية أو المدينة، وموجودات البيت ومن أدوات العمل: النير، الفدان، (آلة الحرث)، المراوح (المذارة)، الجرجر (لدراسة البيدر)، المنخل وغيرها.

أما موجودات البيت فتشمل المهده، الجاون والميجنة (تستعمل لفرز الحبوب عن الشوائب)، الهاون الخشبي، الأسرة، الكراسي، الملاعق، وأدوات الزينة مثل المشط الخشبي، الغلايين، المحمل (يستعمل لحفظ أثاث المرأة ولوازمها).

٦- الصناعات الحديدية :

وهي صناعة بدائية توجد في بعض القرى ومناطق الأرياف وتشمل المساحي، المناجل، الفؤوس، والآلات القاطعة كالسكاكين والسيوف ومستلزمات ركوب الخيل وما يستعمل للصيد كالفالة.

ويشتهر سوق الشيوخ (محافظة ذي قار) ومدينة النجف وأبو الخصيب (محافظة البصرة) ومدينة بغداد بهذه الصناعات.

٧- الصناعات الجلدية :

لقد جاء ذكر هذه الصناعة على لسان الرحالة الهولندي (نيجهولت) الذي زار مدينة بغداد قبل أكثر من قرن حيث قال إن فيها محالاً يمارس أصحابها صناعة الأحذية والأحزمة وأعماد السيوف والخناجر ومعدات الخيول وغير ذلك، أما الآن فقد تقلصت هذه الأنواع من الصناعة بسبب

ظهور الآلة الحديثة.

٨- الصناعات النحاسية :

يطلق اسم (الصففر) عامياً على معدات النحاس و(البرنج) على مادة البراص، والمواد المصنوعة من النحاس تميل الى اللون الأحمر والمصنوعة من البراص الى اللون الأصفر والأخضر هو سبيكة ممزوجة من النحاس والخارصين. وتشير التنقيبات الأثرية الى أن هذه الصناعة كانت موجودة منذ العصور البابلية والآشورية حيث عثر على أوان نحاسية كما ازدهرت هذه الصناعة في القرن الثالث عشر الميلادي في مدينة الموصل بسبب وجود الخامات في منطقة الخابور وتشجيع أسرة زنكي التي حكمت الموصل إياها. ومن يتجول في أسواق بغداد وكربلاء يرى فن هذه الصناعة بصورة واضحة على الأواني النحاسية والبرونزية، كما انتشر فن التخريم بالنحاس أو الفضة أو كليهما معاً كما في الأواني والمزهريات ودلال القهوة.

٩- صناعة القرميد (الكاشي) :

من الصناعات العراقية القديمة ازدهرت في الفترة العباسية وانتشرت الى مناطق إيران وبلدان شمال إفريقيا وظلت محافظة على أسسها وقواعدها في كل من مدينتي كربلاء والكاظمية حتى الآن. تعتمد هذه الصناعة على التربة البكر (غير المزروعة) تنقى وتغسل عدة مرات ثم تحول الى عجينة ويخلط معها الرمل ومسحوق الزجاج والحصى لتقوية التربة، بعد ذلك

تقطع بواسطة القوالب الى أشكال مختلفة حسب الطلب، ثم تفخر بدرجة حرارة عالية لمدة (١٢) ساعة ثم تطلّى بطبقة لونية ويعاد فخرها بعد جفاف الطلاء لفترة (١٠) ساعات وبعدها ترسم الزخارف عليها ويعاد فخرها لمدة (٤) ساعات ليكتسب الشكل النهائي. أما النقشات المعروفة فهي الأندلسية ذات أشكال عوالق وأوراق وأغصان قوسية الحركة، وهناك النقشة التركية وتتكون من وحدات زخرفية متناظرة، والنقشة الهندية وتكون على شكل أقواس وعقد ترتبط مع بعضها.

وهناك صناعات أخرى صغيرة مثل صناعة الحجريات في قرية سكينيا العليا من قضاء سنجار وهي تستخدم للزينة فتنجج أشكال دلال القهوة والشاي وملحقاتها. كما تنفرد مدينة البصرة بإنتاج نوع خاص من الزوارق التي تستخدم في مناطق الأهوار ذات الاسماء العديدة كالمشحوف والطراد وغيرها. كما اشتهرت مدينة كربلاء بالنقش على الخشب (طبعات) واستعمالها في عملية طبع الأقمشة وغيرها.

المصادر:

- ١- مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة: طه باقر، ط١، بغداد - ١٩٥١.
- ٢- النخيل والتمور: عبد الوهاب الدباغ، بغداد - ١٩٥٧.
- ٣- الصناعات اليدوية في العراق: عامر رشيد السامرائي، بغداد.
- ٤- الصناعات والحرف البغدادية: الشيخ جلال الحنفي - بغداد.
- ٥- حياكة البسط في الناصرية والغراف: ماجد النجار، دار الحرية للطباعة، بغداد - ١٩٧٢.
- ٦- من تراثنا الشعبي: عبد الحميد العلوجي، بغداد.
- ٧- عين التمر: طالب علي الشرقي، بغداد.
- ٨- هيت في إطارها القديم والحديث: رشاد الخطيب الهيتي، بغداد.
- ٩- الصناعات اليدوية في العراق (صناعة الصفر): ميخائيل عواد، بغداد.
- ١٠- مجلة التراث الشعبي: العدد (١)، السنة ١٩٦٢.



الحوار بين الحضارات
والخصوصيات الثقافية

فوزية العشماوي

من أهم التحديات التي تطرحها العولمة أن نعرف كيف نحافظ على خصوصياتنا الثقافية دون أن يحول ذلك بيننا وبين التفاعل الإيجابي مع العولمة.

لقد أصبحنا نعيش في عصر اختزال المسافات وتقدم وسائل الاتصالات والمعلوماتية ولكننا مازلنا نتساءل كيف سيتم الحوار بين سكان هذه القرية الضخمة التي يتحدثون عنها في إطار العولمة؟ هل يا ترى سيتحدث الجميع لغة واحدة أم ستنشط حركة الترجمة من وإلى جميع اللغات الحية التي يتعامل بها البشر على كوكب الأرض؟ وهل سيكون لكل شعب من الشعوب خصوصيته الثقافية أم سيصبح جميع سكان (القرية الضخمة) ذوي ثقافة واحدة موحدة أيضاً؟ ثم ما مصير تعدد اللغات والثقافات في الكيان الموحد الواحد في إطار العولمة؟

إن الاتحاد الأوروبي الذي يسعى حالياً إلى ترسيخ هوية أوروبية جديدة سياسياً واقتصادياً ونقدياً يرفض بشدة العولمة الثقافية التي تريد الولايات المتحدة فرضها عليه وعلى العالم أجمع ويتشبث بالخصوصيات الثقافية الأوربية. ولعلّ من أشد الدول والشعوب رفضاً للعولمة الثقافية وتمسكاً بالخصوصية الثقافية هي فرنسا التي تتمسك بموقف متشدد في هذا الصدد والتي اتخذت إجراءات قانونية صارمة سواء داخل فرنسا أم خارجها للمحافظة على لغتها الفرنسية. لقد سنت فرنسا قانوناً يحظر استخدام اللغة الإنجليزية في وسائل الإعلام الفرنسية وفي التجارة وفي المحلات

التجارية... إلخ، وكذلك خارج فرنسا في محافل الأمم المتحدة والمنظمات الدولية حيث ترفض فرنسا رفضاً باتاً قبول أي قرارات أو وثائق أو مستندات باللغة الإنجليزية وتصر على أن تقوم الأمم المتحدة والمنظمات الدولية بترجمة ذلك إلى اللغة الفرنسية.

أما نحن في الدول النامية فإننا مبهورون بالتقدم التكنولوجي الهائل الذي حققه الغرب في مجال الاتصالات والإنترنت وفي العلوم الطبية وخاصة في البيولوجيا مع اكتشاف الجينوم البشري أي الخريطة الوراثية للإنسان مما سيقلب كثيراً من المفاهيم ويزلزل كثيراً من المعتقدات، ولكننا في الوقت نفسه نواجه تحديات عصرية حادة إذ كيف يمكننا أن ننمي الوعي الكوكبي عند أبنائنا ليستطيعوا الاندماج في النظام العالمي الكوكبي الجديد مع المحافظة في الوقت نفسه على خصوصياتنا الثقافية المرتكزة على أصول وثوابت ديننا الإسلامي الحنيف. لا بد لنا من أن نقف في مواجهة تيار العولمة الثقافية الذي يهدف إلى فرض ثقافة القوة العظمى الوحيدة في العالم حالياً وهي الولايات المتحدة الأمريكية والتي تحاول الهيمنة على ثقافات العالم بعد أن خلت الساحة من سائر القوى الكبرى التي كانت تقف لها بالمرصاد. يجب علينا أن نثبت وجودنا على الساحة وأن نجعل خصوصياتنا الثقافية العربية الإسلامية تتفاعل مع الثقافة الأوروبية والثقافة الصينية والثقافة اليابانية والثقافة الهندية ومختلف ثقافات أمريكا اللاتينية؛ لأنّ تفاعل كل هذه الثقافات بعضها مع البعض الآخر سيؤدي إلى مواجهة الثقافة الأمريكية

والوقوف في وجهها حتى لا تبتلعنا جميعاً.

الخصوصيات الثقافية الإسلامية :

إن أول خطوة في طريق الحفاظ على الخصوصيات الثقافية هي إثبات الهوية والحفاظ عليها، فهل لدينا أزمة هوية في الدول العربية والإسلامية؟ أو بالأحرى ما مكونات الهوية العربية الإسلامية التي نريد أن نثبتها ونواجه بها الهوية الأمريكية خاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر التي فجرت قضية حوار الحضارات وليس تحدي أو صراع الحضارات كما حاول بعض مفكري الغرب ترويجه؟ إن إثبات هويتنا قضية شائكة ستدخلنا في متاهات ولكن ما نستطيع أن نؤكد عليه ونثبته ونتمسك به هو الخصوصية الدينية أي الدين الإسلامي كمنبع للثقافة وللحضارة العربية الإسلامية.

إن جوهر الدين الإسلامي الحنيف هو توجيه استخلاف الإنسان في الأرض حتى يتصل إلى إقامة أمة متوازنة (أمة وسط) يسود فيها السلام والعدل والمساواة الإنسانية بين الناس جميعاً، فيعيش الإنسان حياة متسقة مع حركة الكون. والخطاب القرآني يحث المسلمين بل الناس جميعاً على التعارف فيما بينهم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا...﴾ [الحجرات: ١٣]، والتعارف فيما بين الناس يبدأ أول ما يبدأ بالحوار فيما بينهم.

ويحدد لنا القرآن الكريم الأصول التي يجب أن تكون أساساً للحوار

ويضع ثوابت لهذا الحوار مثلما جاء في الآيتين الكريمتين: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ [النحل: ١٢٥]، و﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ [العنكبوت: ٤٦].

إن الإسلام يخاطب الناس جميعاً ولم يرد في الخطاب القرآني تفضيل قوم على قوم آخرين وإنما يعتبر الناس جميعاً أمة واحدة: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، ولا يقر الإسلام العنصرية أو التحيز لجنس على آخر أو تفضيل لون على لون وإنما جاء ذكر الألوان في الخطاب القرآني للدلالة على قدرة الله في الخلق: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الروم: ٢٢]، وجاء الحديث الشريف ليؤكد على أنه لا فضل لقوم على قوم أو للون على لون وإنما معيار التفضيل عند الله يرتكز على دعامة مختلفة تماماً: «كلكم لأدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم». هذه هي المساواة المطلقة بين البشر دون تفرقة أو عنصرية أو تمييز بسبب الجنس أو اللون أو العرقية أو اللغة أو حتى الدين، مادام المعيار كما جاء في الحديث الشريف هو لفظ (التقوى) وليس (الإسلام).

إن هذه المبادئ التي أرساها الدين الإسلامي وأعلنها الرسول محمد ﷺ منذ ١٤ قرناً من الزمان هي المبادئ والمعايير نفسها التي أقرها الميثاق العالمي

لحقوق الإنسان منذ ٥٠ عاماً فقط حيث نصت المادة الثانية من هذا الميثاق على الآتي: (جميع الأفراد لهم الحقوق والحريات نفسها من دون تفرقة من أي نوع مثل الجنس أو اللون أو النوع أو اللغة أو الدين أو الآراء السياسية أو الوطنية أو الوضع الاجتماعي أو الملكية أو الميلاد أو أي أوضاع أخرى).

السُّلْمُ هو القاعدة:

لقد أكد الإسلام على كل هذه المبادئ كمعايير أساسية للحياة في مجتمع يسود فيه الأمن والسلام وهو ما تنادي به الأمم المتحدة منذ إنشائها. إن السلام والسلم ومشتقاتهما من المصطلحات القرآنية التي جاء ذكرها في القرآن الكريم في أكثر من مائة آية بينما لم تذكر مصطلحات الحرب ومشتقاتها إلا ست مرات فقط، ولا عجب في ذلك فكلمة (إسلام) نفسها مشتقة من (سلم)، فالإسلام يدعو كل الذين آمنوا، وليس المسلمين فقط، للدخول في السلم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

فالسلم إذن هو القاعدة أما الاستثناء فهو خطوات الشيطان التي تقود إلى الهلاك وإلى الحروب وحتى إن كانت الحروب قادراً على الإنسان أن يخوضها فهو يفعل ذلك كارها: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ...﴾ [البقرة: ٢١٦]، ولا يستقر السلام إلا على أساس من العدل بين الناس جميعاً واعتبار الناس جميعاً سواسية وإن اختلفوا في أطوالهم وأحجامهم إلا أنهم يكملون بعضهم بعضاً: «الناس سواسية كأسنان المشط».

من منطلق هذه المفاهيم الإسلامية نستطيع أن نؤكد أن الإسلام أقر المساواة بين البشر والعدالة كميزان للعلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع الواحد وفيما بين المجتمعات حيث حث الخطاب القرآني على احترام العقود والعهود والمواثيق: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا...﴾ [النحل: ٩١]، هذا حث صريح على احترام المواثيق عامة أي المواثيق والعهود مع المسلمين وغير المسلمين، مع كل البشر، وهذا المبدأ هو أساس المواطنة الإنسانية لأن احترام الكلمة (الأيمن) أو العهد يجعل التعامل بين الناس والشعوب مبنياً على الثقة والوفاء والالتزام مما يجعل التعاون والتكافل والتعاقد مفاهيم يجب أن تسود بين الناس جميعاً على ركيزة من البر المطلق: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ...﴾ [المائدة: ٢].

على هذا الأساس فإن الحوار بين الشعوب والحضارات يكون بالتعاون على الخير والابتعاد عن العدوان وذلك لصالح الإنسانية فلا يستطيع أي شعب أن يعيش ولا أي دولة أن تستمر إلا بالاندماج في المجتمع الدولي لتكون عنصراً فعالاً من عناصر الأسرة الدولية وتواكب التطور والتقدم في جميع المجالات الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والصناعية والتكنولوجية والثقافية. والهدف من الحوار مع الآخر خاصة مع الغربيين هو الوجود الإسلامي على الساحة الدولية خاصة في المحافل الدولية عبر المؤتمرات العالمية التي تعقدها الأمم المتحدة والمنظمات الدولية الأخرى لوضع الأسس

والمعايير الحديثة للمنظور الجديدة للعالم وحتى تؤثر ثقافتنا العربية الإسلامية في الثقافات الأوروبية والثقافة الأمريكية مثلما نتأثر نحن بهما.

الحفاظ على الخصوصيات:

لقد آن الأوان للتقارب والتكاتف مع الدول الأوروبية وكذلك مع دول الشرق الأقصى وخاصة الصين واليابان وهناك ملحوظة مهمة جداً في هذا المجال، فبالرغم من أن الصينيين واليابانيين يجيدون اللغة الأمريكية (الإنجليزية) إجادة تامة، فإن إجادة لغة الأمريكيين لم تجعل الصينيين واليابانيين يعتنقون الثقافة الأمريكية. لقد تعلموا لغة الأمريكيين ليتعرفوا على العلوم والتكنولوجيا الأمريكية وبعد أن فهموا هذه العلوم جيداً طوروها وأضافوا إليها وقاموا باختراعاتهم واكتشافاتهم التي فاقت التكنولوجيا الأمريكية ولكن الأمر اللافت للنظر والذي يجب أن نقف أمامه طويلاً للاسترشاد به هو أن الصينيين واليابانيين لم ينهروا بالثقافة الأمريكية ولم يتخذوها نهجاً لحياتهم ولم يتركوها تؤثر في حياتهم الاجتماعية ولا في عاداتهم وتقاليدهم، بل جعلوا بينهم وبين الثقافة الأمريكية سداً منيعاً ليحافظوا على خصوصياتهم الثقافية. فهل ننتهج نهجهم ونحذو حذوهم لنحافظ على هويتنا وخصوصياتنا العربية الإسلامية أم نترك ثقافة الماكدونالدز والهامبورجر والكوكاكولا والعنف والاعتصاب والشذوذ الجنسي المباح وسيادة الدولار تطغى وتهمين على خصوصيات الثقافة الإسلامية المرتكزة على التآخي والإيثار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإيتاء ذي القربى

واليتامى والمساكين وابن السبيل.

وماذا فعلت الدول العربية والإسلامية للحفاظ على خصوصياتها الثقافية وأولها اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، التي أصبحت يتيمة في ديارها وأصبح من يجيدها (عملة صعبة) نادرة الوجود؛ لأنها (ممنوعة من الصرف) فلم يعد تدريس اللغة العربية وعلومها يحظى باهتمام العرب والمسلمين الذين تكالبوا على تعليم أولادهم اللغات الأجنبية وأهملوا تدريس اللغة العربية تماماً في العقدين الماضيين. إننا نشاهد للأسف الشديد أولادنا يتخلون رويداً رويداً عن هويتهم الثقافية العربية والإسلامية عن جهل ودون إدراك أو دراية بخطورة ما يفعلون في تكالبهم على تعلم اللغة الإنجليزية وفي ارتداء الجينز والكاسكيت الأمريكي وأكل الهامبورجرز وشرب الكوكاكولا والتهافت على محلات ماكدونالدز وعلى غيرها. ويرجع ذلك إلى غياب التوعية الثقافية والتوجيه والإرشاد سواء في المدارس من قبل معلمهم أم في المنزل من قبل والديهم. إن الأهل والأساتذة يحثونهم على إجادة اللغة الإنجليزية ويقولون لهم إن المستقبل والعلم والتكنولوجيا في تعلم لغة الكمبيوتر والإنترنت وإن الذي لا يجيد اللغة الإنجليزية يعتبر جاهلاً ولن يكون له أي مستقبل في مجال العلم والتكنولوجيا، بل إن الأهل يبذلون قصارى جهدهم حتى يرسلوا أبناءهم إلى الدول الغربية وعلى الأخص إلى الولايات المتحدة الأمريكية للاستزادة من العلم وللحصول على أعلى الشهادات العلمية في مختلف العلوم الحديثة ويضحون في سبيل

تحقيق هذا الهدف بكل ما هو نفيس وغال. فلا عجب أن اهتم أولادنا باللغة الإنجليزية وبدراسة العلوم والتكنولوجيا ومن ثم إهمال اللغة العربية والعلوم الإسلامية وعدم الاكتراث بها مادام كل المطلوب منهم هو الحصول على الدرجة الأدنى التي تسمح لهم بالمرور من سنة دراسية إلى أخرى دون حتى النجاح في اللغة العربية (معظم الدول العربية تميز نجاح الطالب الذي يحصل على ٤٠٪ فقط من الدرجات في مادة اللغة العربية).

وقفه مع النفس:

إذا أردنا الحفاظ على خصوصياتنا الثقافية فعلينا أن نقف وقفه مع النفس لنعيد حساباتنا ونؤكد هويتنا ولنبدأ من البداية، من أول مرحلة التعليم في مدارسنا والتأكيد على تدريس لغتنا العربية وتدریس تراثنا العربي الإسلامي الثري إلى جانب تدريس اللغات الأجنبية والعلوم الحديثة والتكنولوجيا. يجب أن يكون هناك توازن في تدريس اللغة العربية والتراث العربي والإسلامي وتدریس المواد العلمية واللغات الأجنبية وألا تطغى هذه الأخيرة على الأولى. كذلك يجب تنمية الوعي القومي والانتماء العربي الإسلامي في نفوس أولادنا وإقناعهم بأن هناك فرقاً شاسعاً بين تعلم لغات وعلوم وحضارة أمة من الأمم واعتناق هذه الحضارة والانتماء إليها. ولناخذ مثال الدول الشرق الآسيوية الصين واليابان والهند وكذلك دول أمريكا اللاتينية التي درست وأجادت اللغة الإنجليزية دون الانتماء والذوبان في الثقافة الأمريكية.

وهنا يبرز دور المثقفين من العلماء المسلمين للتأثير على الحكومات وعلى المسؤولين عن التربية والتعليم في الدول العربية الإسلامية للتركيز على تدريس اللغة العربية ورفع شأنها وتدريس التراث العربي القديم والتعريف بالعلماء العرب القدماء الذين كان لهم فضل كبير على النهضة الأوربية في القرن الخامس عشر والذين استمدت العلوم الحديثة من اختراعاتهم واكتشافاتهم الكثير والكثير. كذلك يجب التأكيد على أهمية دور المؤسسات والهيئات العربية الإسلامية المنوط بها نشر الثقافة والعلوم العربية والإسلامية.

الكنز الباقي؛

إن التعددية الثقافية هي الكنز الباقي عبر الأجيال فهي نتاج انصهار الحضارات التي تعاقبت على هذا الكون منذ بدء الخليقة ومهما توحدت العلوم والمقاييس فلا يمكن أن تتوحد الثقافات واللغات في ثقافة واحدة موحدة أو في لغة واحدة يتحدث بها جميع سكان الكون. لقد جعل الله لغة لكل نوع من مخلوقاته حتى الطيور لها لغة خاصة بها كما أخبرنا الله في كتابه الكريم ﴿... مَنْطِقَ الطَّيْرِ...﴾ [النمل: ١٦]، أي لغة الطيور، ولا يمكن لأي قوة في العالم أن تنجح في القضاء على الخصوصيات الثقافية Opecificites Culturelles لكل شعب من الشعوب.

إن الطريق شاق وطويل أمام المسلمين لإقناع العالم وخاصة الغرب بأهمية الخصوصيات الثقافية الإسلامية التي لا تتعارض البتة مع المواثيق والقوانين الدولية ولكنها يمكن أن تكملها وتثريها بما فيها من مفاهيم وروحانيات إنما

الغرب في ميسس الحاجة إليها، وعلينا أن نحدد معالم تلك الخصوصيات الثقافية الإسلامية والتي تعتبر القاسم المشترك لشعوب الأمة الإسلامية التي أراد الله سبحانه وتعالى أن تكون ﴿خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...﴾ [آل عمران: ١١٠]، على الأمة الإسلامية أن تحافظ على خصوصياتها العربية الإسلامية أمام الهجمات الشرسة التي تريد الهيمنة على عقول الناس جميعاً وتفرض عليهم أسلوب تفكير واحد وكأنهم (روبوت) أي إنسان آلي وكأنها يريدون أن يضعوا هذا الإنسان في قالب واحد، أي يستسخونه ويلغون انفراديته Individualite ليصبح كل الناس على شاكلتهم، وهذا ما يرفضه الإسلام ويجب أن يتكاتف المسلمون للوقوف ضد هذا الاتجاه المدمر؛ لأنّ الأسس والمبادئ والقيم التي أقرها الإسلام منذ ١٤ قرناً من الزمان والمرتكزة على المساواة والعدل والسلم والتعاون والالتزام بالمواثيق والعهود والمجادلة مع أهل الكتاب وعدم الغلو في الدين أو التعصب وعدم المفاضلة بين الناس أو التفريق بينهم بسبب الجنس أو اللون أو العرقية أو اللغة أو الدين، كل هذه الأسس تحفظ للإنسان المسلم هويته الإسلامية وخصوصياته الثقافية التي يجب عليه المحافظة عليها بل نشرها وتعريفها للآخرين وخاصة للغربيين وصانعي القرارات السياسية والاقتصادية وعلى مستوى العالم.

ولن يتحقق ذلك إلا إذا سارع المسلمون باللحاق بالركب للاضطلاع بدور فعال في المحافل الدولية. إن المجتمع الدولي في حاجة إلى المسلمين وإلى معرفة خصوصياتهم الثقافية لإثراء التراث العالمي للإنسانية وللتفاعل مع

الثقافات والحضارات الأخرى في إطار الحوار بين الحضارات على أن يكون هذا الحوار هادفاً ومستمراً ومتميزاً.



المصدر: مجلة العربي، مايو - ٢٠٠٣ م.

فيضانات وأحداث.. نهر دجلة

الدكتور علي العكيدي

وادي الرافدين هو تلك الأرض الواقعة في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة التي يشكلها العالم القديم وقد سمي الإقليم الرابع بإقليم بابل كما يقول الخطيب البغدادي^(١) لأهمية بابل في التاريخ باعتبارها أقدم مدينة بنيت على الأرض كما جاء في تاريخ الخميس للديار بكرى المتوفى (٩٦٦هـ)^(٢). ووادي الرافدين سمي كذلك كون النهرين الخالدين دجلة والفرات يخترقانه، الأول من الشمال والثاني من الشمال الغربي حتى يصبان كما يعلم الجميع في القرنة بعد أن يمر بأرض شاسعة أضافها عبر التاريخ أشياء كثيرة ساعدت على نشوء أقدم الحضارات في التاريخ.

وإذا كان الفرات الذي ينبع من الجنة^(٣) [كما تقول الأساطير العراقية القديمة] يمر في غرب العراق إلى جنوبه فإن دجلة يخترق العراق من شماله إلى جنوبه ماراً بالعاصمة بغداد التي أنشأها أبو جعفر المنصور عام ١٤٥هـ. يقول الحميري عندما أراد أبو جعفر المنصور (ت ١٥٨هـ) إن يبنى مدينة بغداد وبعد أن سأل كثيراً عن المكان وتأكد من أن الأرض اسمها بغداد وتعرف على خصائصها من قبل مستشاريه وقف قائلاً: (هذه والله المدينة التي أعلمني أبي محمد بن علي أني أبنيتها وأنزلها وينزلها ولدي من بعدي، ولقد غفلت عنها الملوك في الجاهلية والإسلام حتى يتم تدبير الله تعالى وحكمه فيّ وتصح الروايات وتبين الدلالات والعلامات، تأتيها الميرة في الدجلة والفرات من واسط والابلة والأهواز وفارس وعمان واليامة وما يتصل بذلك، وكذلك ما يأتي من الموصل وديار ربيعة وأذربيجان وأرمينية

والرقة والشام والثغور ومصر والمغرب واصفهان وكور خراسان فالحمد لله الذي ذخرها لي وأغفل عنها كل من تقدمني والله لأبينها ثم أسكنها أيام حياتي ويسكنها ولدي من بعدي ثم لتكونن أعمار مدينة في الدنيا^(٤)، هذا ما جاء على لسان أبي جعفر المنصور ليلة بنائه بغداد أما ما يتعلق بدجلة، فدجلة نهر عظيم يحمل بين أمواجه سر الوجود وجمال الألفة وخضرة تسر النفوس وحياة امتدت إلى آلاف السنين كانت مفعمة بالنشاطات البشرية الخالدة التي أضافت للمكان عبر الزمن المستغل إلى أقصاه أشياء وأشياء، ومع كل ما تقدم فإن نهر دجلة الذي عشق أرض العراق وامتد بطوله الفارع فوق تضاريسها عاشقاً ولهاناً كان له بين الفينة والأخرى لحظات غضب يعبر فيها عن تطرفه مرة، وقوة تعلقه أخرى. ينبع دجلة من جبال أرمينية الرابعة وهي منطقة شم شاط ووالي قلا وخلاط وار جيش^(٥)، ثم يمر بعد ذلك في قرية الثمانين وهي القرية التي [يقال إنه] بناها النبي نوح ﷺ لسكان سفينته بعد نهاية الطوفان وكان عددهم ثمانين شخصاً فسُميت قرية الثمانين، ثم بعد ذلك يمر بالموصل ثم إلى بغداد ويجتمع مع الفرات في القرنة ثم منطقة الابلّة جنوب العراق ثم الخليج العربي.

وقد نقل ابن الفقيه الهمداني عن أحمد بن محمد الحاسب قوله: «أمر المتوكل بتسهيل أبواب دجلة من الموصل إلى بغداد وقلع الحجارة التي في الطريق لها الأبواب، فقليل له: إن عمك المأمون قد كان أمر بمثل ما أمرت فقليل له إن الله عز وجل إنما جعل هذه الصخور في هذه المواضع، وإن كان

فيها بعض الضرر على المجتازين، لما في ذلك من الصلاح لعباده وعمارة بلاده من جهة معاشهم، وذلك أنها ترد حمية المياه عن حافتي دجلة ومقامها مقام الشكور ويحتاج إليها أيضاً لينظم الماء ولا يتفرق فيحمل على الأنهار ولولا هذه الحجارة لقصر الماء دجلة حتى تنحط، وأضر ذلك بالناس وبطلت العمارة فأمسك عما كان همّ به»^(٦).

ومن هنا فإن التدخل بمجرى دجلة كان واضحاً، وتنظيم الواقع الإروائي وإنشاء السدود والترع والعمل على تجنب الفيضانات كان أمراً طبيعياً إلا أن كل ذلك لم يكن ليمنع أمراً يصيب النهر يؤدي إلى فيضان منسوب المياه على الجوانب مما يؤثر سلباً على حياة الناس لأيام أو أسابيع، يقول المرحوم الأستاذ ميخائيل عواد في كتابه صور مشرقة من حضارة بغداد: «إن الناس في بغداد وخلال شهر نيسان من كل عام لا حديث لهم سوى حديث الفيضان فقد هلعت قلوب العراقيين من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب بحديث فيضان نهر دجلة وبات الناس في بغداد وفي كثير من المدن والقصبات والضياع المعرضة لخطر الفيضان يتوجسون خيفة مما قد يصيبهم من جراء غضبه. وقد طغت مياهه وخرجت عن حدودها وسدودها وانفجرت إلى السهول والمزارع والبساتين المحيطة بجانبه بل تعدت إلى كثير من الأمكنة العامرة المسكونة. ويحدثنا التاريخ أن جملة فيضانات داهمت هذه البلاد في العصور السالفة وكان دجلة بين زمن وزمن، يداعب بعنف مدينة بغداد وأول ذكر لفيضان نهر دجلة بعد بناء بغداد وتدفق مياهه إلى ما يجاورها... كان في سنة

عشرين ومائتين للهجرة. ثم توالى أحداث الفيضانات وكوارث الغرق من بعد ذلك التاريخ فلم تمر سنة إلا ويحل الغرق ضيفاً ثقيلاً على بغداد فيمعن في التخريب والتشريد»^(٧).

إذن هذا هو الفيضان الأول الذي حدث بعد قيام بغداد بحوالي سبعين عاماً وذلك في أثناء خلافة المعتصم... ونتيجة للأثر السلبي الذي تركه فيضان دجلة فإن علماء العراق ومتخصصي المياه والإرواء قد توصلوا في عام ٢٩٣هـ - ذلك بعد أن فاض دجلة فيضاناً كبيراً آخر حتى خرب بغداد قبل ذلك التاريخ بعام واحد فقط أي عام ٢٩٢هـ في أثناء خلافة المكتفي بالله (٢٨٩-٢٩٥هـ) - توصلوا إلى صناعة جهاز يعرف به مقدار الزيادات والنقصان في ذلك الزمان وقد نصب هذا الجهاز لأول مرة عام ٢٩٣هـ كما أشرنا وكان طوله خمسة وعشرين ذراعاً وطريقة عمله تتضح من خلال علامة الأذرع الموجودة على جانبيه من جهة وعلى بعد كل خمسة أذرع من جهة أخرى حيث توضع علامة حديدية تعرف من خلالها بمبالغ الزيادات^(٨).

يقول السيوطي في تاريخ الخلفاء وفي سنة ٤٦٦هـ في أثناء خلافة القائم بأمر الله (٤٢٢-٤٦٧هـ) كان الغرق العظيم في بغداد إذ زادت دجلة ثلاثين ذراعاً ولم يقع مثل ذلك قط، وهلكت الناس والأموال والدواب وركبت العوائل في السفن، أما صلاة الجمعة فأقيمت في الطيار مرتين، أما الخليفة فقد أخذ يتضرع إلى الله ليخلص بغداد من مآسي الفيضان، أما الخليلي في موسوعة العتبات المقدسة فينقل عن مصادر التاريخ ما تعرض له المشهد

الكاظمي الذي غرق هو الآخر إثر غرق بغداد إذ هاجمه الفيضان بعد أن خربت البيوت المحيطة به ودخل الماء من الشبابيك إليها وكذلك دخل الروضة المقدسة وهدم الأبنية التي فيها ثم بعد ذلك نقص الماء وزال الخطر^(٩). وفي سنة ٥٦٩هـ زادت مياه دجلة مرة أخرى وحدث فيضان كبير بحيث غرقت بغداد بأكملها إذ تم إقامة صلاة الجمعة خارج سورها وذلك في أثناء خلافة المستضيء بأمر الله (٥٦٦-٥٧٥هـ)، وفي زمن الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ) حدث الفيضان الأكبر والأهم في تاريخ الدولة العباسية وذلك سنة ٥٩٦هـ، يوم الأحد العاشر من شهر رمضان إذ وصل الماء إلى حدود اثنين وعشرين ذراعاً وكانت زيادة متقدمة على التي حدثت في السنوات السابقة لها منذ بناء بغداد إذ تفاقم الأمر كثيراً وخرج الناس وضربوا الخيام على تلال الصحراء وكان ذلك الغرق العظيم المشهور في تاريخ بغداد، تلاه في زمن الناصر لدين الله أيضاً غرق آخر وذلك عام ٦١٤هـ^(١٠).

وعليه فإن شدة الفيضانات وما تركته من آثار سلبية كانت واحدة من أسباب انهيار الدولة العباسية، إذ انظمرت الأنهار، وفي الوقت الذي تزيد فيه مناسيب المياه في أثناء سقوط الأمطار وذوبان الثلوج، تهدد الفيضانات مناطق كثيرة من العراق ومنها بغداد على وجه الخصوص، ومن نتائج ذلك تلف المزروعات والموارد الاقتصادية للدولة بما فيها الثروة الحيوانية فينعكس ذلك سلباً على واقع الأسعار فترتفع لقلّة المحصول والمعروض

بشكل عام وبذلك تحل الكوارث الاقتصادية والاجتماعية والصحية مما يعيق تقدم الدولة، هذا فضلاً عن أن الدولة نفسها كانت مشغولة من خلال خلفائها الضعفاء بغير ما يريده الناس مما ساعد الطامعون على غزو بغداد... وقد تحدثت مصادر التاريخ عن فيضانات كبيرة ومؤثرة حصلت في أواخر سنوات الدولة العباسية وهي الأعوام: ٦٤٧، ٦٥٢، ٦٥٤ للهجرة أي قبل دخول المغول إذ غرقت بغداد وتهدمت الدور والمساكن وخاصة في مناطق الخالص والراشدية والعباسية.

الهوامش:

- (١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ١، المدينة المنورة، ص ٢٣.
- (٢) الديار بكري: تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، ج ١، مؤسسة شعبان، بيروت - ص ٦٤.
- (٣) يقول ابن الفقيه الهمداني: «روي عن كعب الأحبار قوله: إن نهر النيل هو نهر العسل في الجنة ودجلة نهر اللبن، والفرات نهر الخمر، وسيحان نهر الماء». ابن الفقيه الهمداني: بغداد مدينة السلام، تحقيق الدكتور صالح أحمد العلي، وزارة الإعلام، بغداد - ١٩٧٧، ص ١١٦.
- (٤) محمد بن عبد المنعم الحميري (ت ٧٢٧هـ): الروض المطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس. مؤسسة ثامر للثقافة، ص ١١٠.
- (٥) ابن الفقيه، المصدر السابق، ص ١١٦.
- (٦) المصدر السابق.
- (٧) ميخائيل عواد: صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي، منشورات وزارة الإعلام، بغداد - ١٩٨١، ص ١٢١.

(٨) المصدر السابق.

(٩) جعفر الخليلي: موسوعة العتبات المقدسة، قسم الكاظمين، ج ١، ط ١، دار التعارف، بغداد - ١٩٦٧م، ص ١٦٦.

(١٠) جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي: تاريخ الخلفاء، مؤسسة المختار للنشر، ص ٤٨٠ وما بعدها؛ وانظر أيضاً: عواد، المصدر السابق، ص ١٢٢.



قصة اكتشاف
درة تاج حضارة وادي الرافدين
(ملحمة جلامش)

د. أكرم محمد عبد كسار

تشكل ملحمة جلجامش أقدم وأجمل وأكبر نص شعري تم اكتشافه في العالم القديم، والتي تعتبر درة تاج حضارة وادي الرافدين، وهي تمثل أولى الملاحم البطولية التي تركت بصماتها الواضحة على الملاحم التي جاءت من بعدها بآلاف السنين، علماً بأنه لا نظير لها بأي لغة قديمة عرفتها منطقة الشرق الأوسط، وقد أثارت اهتماماً كبيراً في العالم الغربي منذ اكتشافها، ومع أنها دونت قبل ٤٠٠٠ عام وترجع حقبة حوادثها إلى أزمان أخرى أبعد، فإنها في مجالها ومداهما وأغراضها والمشكلة التي عالجتها وقوة شاعريتها كل ذلك يجعلها من الآداب العالمية الشهيرة، ذات جاذبية إنسانية خالدة في جميع الأزمان والأمكنة؛ لأن القضايا التي أثارها وعالجتها لا تزال تشغل الإنسان وتفكيره وتؤثر في حياته العاطفية والفكرية، وأنها عالجت قضايا إنسانية عامة مثل مشكلة الحياة والموت، وما بعد الموت، والخلود، ومثلت تمثيلاً بارعاً مؤثراً ذلك الصراع الأزلي بين الموت والفناء المقدرين وبين إرادة الإنسان المغلوبة المقهورة في محاولتها التثبيت بالوجود والبقاء والسعي وراء وسيلة للخلود ولكنها برهنت بأسلوب مؤثر على حتمية الموت على البشر.

اكتشفت معظم مواد الملحمة التي تتكون من اثنتي عشرة لوحة تشتمل كل منها على ما يقرب من ثلاثمائة سطر باستثناء اللوحة الثانية عشرة التي تصل الى أقل من نصف هذا العدد من قبل أوستن Layard.Austan H وهرمز رسام Hormuzd Rassam وجورج سميث George Smith بحدود منتصف القرن التاسع عشر الميلادي من خلال الحفريات التي تمت في آخر العواصم الآشورية نينوى في مكتبة معبد الإله نابو ومكتبة قصر الملك

الآشوري آشور بانيبال (٦٦٨-٦٢٧ ق.م)، ومنذ ذلك التاريخ اكتشفت عدة نصوص مسمارية تتصل بهذه الملحمة، وفي مطلع القرن العشرين اشترى برونو مايسنر Bruno Meissner كسراً كثيرة من تاجر في بغداد تتصل بالملحمة تم العثور عليها في سبار (أبو حبة الآن) وهي تشتمل على جزء كبير من اللوحة العاشرة. وفي عام ١٩١٤م اشترت جامعة بنسلفانيا من تاجر عاديات مجموعة كبيرة من الكسر، وهي تكوّن ستة ألواح تشتمل على اللوحة الثانية البابلية. وفي نفس الوقت اقتنت جامعة ييل Yale لوحة تكمل ما حصلت عليه جامعة بنسلفانيا، وتكمل اللوحة الثالثة. وفي نفس العام (١٩١٤م) وجدت البعثة الألمانية في آشور إحدى العواصم الآشورية كمية من الكسر للنسخة الآشورية، تشتمل على اللوحة السادسة، وفي عام (١٩٢٨-١٩٢٩م) اكتشف الأثريون الألمان في أوروك (الوركاء الآن) قطعتين صغيرتين تنتميان للوحة الرابعة، كما اكتشفت عدة كسر صغيرة باللغة السومرية لها في ركام مدينة نيبور (نفر الآن) ومدينة كيش ومدينة أور، وتوالت الاكتشافات وهذه المرة خارج بلاد وادي الرافدين وتحديدًا في تركيا وفي مدينة خاتوساس الحيثية (بوغاز كوى الآن) عاصمة الحيثيين القديمة والتي أسفرت عن كسر لقطع بابلية صغيرة تشتمل على ترجمة مختصرة للوحة الخامسة والسادسة وبعض القطع باللغة الحورية.

وأول دراسة قدمت كانت من قبل جورج سميث بعد ترتيب وترجمة لما تمّ اكتشافه في نينوى وقرأها في ٣/١٢/١٨٧٢م أمام جمعية آثار الكتاب المقدس وتحت عنوان التفسير الكلداني للطوفان وقدم ترجمة ومناقشة لعدد

من الكسر الصغيرة الخاصة بملحمة جلجامش وبخاصة الجزء المتعلق بالفيضان مما خلق اهتماماً شديداً بالدراسات المسارية في أوروبا، وقد أشار سير هنري رولنسون Henry Rawlinson إلى احتمال أن يكون ما وجد في سفر التكوين يرجع إلى أصول بابلية. وقام بالترجمة والنشر أيضاً فوكس تالبوت Fox Talbot وبسكوف Chod Boscowen.St ولينورمنت .Francois Lenormant

وفي عام ١٨٧٥م نشر هنري رولنسون وجورج سميث الألواح من السادسة إلى الحادية عشرة ثم أعيد نشرها عام ١٨٩١م وحل بنش Pinches.G.T محل جورج سميث. وفي عام ١٨٨٥م نشر Delizch في النصوص الآشورية نص اللوح الحادي عشر ثم طبعة كاملة من باول هاوبت Paul Haupt عام (١٨٨٤-١٨٩١م) تحت عنوان ملحمة النمرود البابلية (وكان يطلق على جلجامش اسم النمرود اعتماداً على سفر التكوين ١٠/٨-١٠ دون ما يثبت ذلك)، ونشر ياسترو Jastrow ترجمة في «ديانة بابل وآشور» عام (١٩٠٥-١٩١٢م) وكذلك ارنولت Arnolt.Muss عام ١٩٠١م في مجلة الأدب البابلي والآشوري، ثم ظهرت بعد ذلك ترجمة بيتر ينسن Peter Jensen التي قدمها مع الكتابة بالحروف اللاتينية لنصوص الملحمة المعروفة آنذاك مع شرح تفصيلي وتعليق عليها في مجلة أساطير وملاحم آشورية وبابلية ويعد هذا العمل خطوة واسعة بالنسبة لكل الأعمال السابقة، وما زال يشتمل على معلومات يعتد بها حتى الآن. وظهر عام ١٩٠٢م النص الذي قدمه مايسنر Meissner للملحمة وترجمة Dhorme

عام ١٩٠٧ م، وظهرت كسرة جديدة من النص الآشوري نشرها كنج King عام ١٩١٤ م، ومن الأعمال المهمة في هذه الأيام المبكرة التي تترجم ملحمة جلجامش ما قدمه العالمان آرثر اونجناد Ungnad Arthur وهو جو Hugo عام ١٩١١ م بعنوان ملحمة جلجامش وهي تشتمل على ترجمة للملحمة ومناقشة تفصيلية لمحتوياتها، وظهر لوحان آخران (الثاني والثالث) الثاني بملحوظات بويل وأعاد ياسترو Jastrow layC طبعه، ثم ظهرت نسخة من الملحمة باللغة السومرية بواسطة زميرن Zimmern تشتمل على أسماء Poebel جلجامش وعشتار وانكيدو وذلك في عام ١٩١٣ م، وثمة كسر أخرى مشابهة عن الطوفان تحكي قصة الطوفان في البابلية القديمة لا تتصل بالطوفان، وتذكر بطله باسم اتراحاسيس (في الكتب السماوية تحت اسم نوح)، وفي عام ١٩٣٠ م قدم كامبل تومبسون Thompson Campbell. R. في وقتها أحدث طبعة بالخط المساري للنص وتحت عنوان ملحمة جلجامش والمنشورة في اكسفورد، وهو لا يقدم النص المساري للنسخة الآشورية فحسب، بل يقدم أيضاً النص مكتوباً بالحروف اللاتينية لكل ما عثر عليه من نصوص عن جلجامش والمعروفة في وقته، وكل ما قدم بعد ذلك من ترجمات للنص اعتمدت على هذا النص الذي قدمه تومبسون ما لم ينص المترجم خلاف ذلك، وتتوالى بعد ذلك الترجمات.

وفي عام ١٩٢٨ م وجد المنقبون الألمان في الوركاء قطعتين كبيرتين تعودان إلى نص اللوح الرابع، ويرجع زمنها إلى القرن السادس قبل الميلاد، ووجدت كسرتان من تنقيبات مديرية الآثار العامة في تل حرم (١٩٤٥ -

١٩٦٠م) تعودان الى الملحمة، ووجدت عام ١٩٥١م نصوص من الملحمة في الموضوع المسمى سلطان تبه في جنوب تركيا قرب حران، وفي عام ١٩٥٨م نشرت نصوص من الملحمة تعود للعهد البابلي الحديث، كما عثر لأول مرة على كسر تعود للملحمة في مجدو بفلسطين، وتعود إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد، كما وردت رواية قصيرة عن الطوفان في النصوص المسماة المكتشفة في اوغاريت القديمة (راس شمرا بالقرب من اللاذقية)، وعثرت البعثة الألمانية للتنقيب في الوركاء موسم عام (١٩٧٣-١٩٧٤م) على كسر من نصوص الملحمة، ومن الترجمات التي ترجمت لها الملحمة وبلغات مختلفة والتي تشير الى قيمتها ومكانتها في الفكر العالمي ومن هذه الترجمات التي تم تقديمها بعد أن استكملت الألواح لتصل الى اثني عشر لوحاً:

اللغة الألمانية :

- Erich Ebeling in Gressnam's Alt Orientalische Texte zum Alten Testament (1926).
- Tseretheli: Gilgameshiani (1924).
- Erich Ebeling in Gressnam's Alt Orientalische Texte zum Alten Testament (1926).
- Schott: Das Gilgamesh Epos (Leiozig, 1934).

اللغة الإنكليزية :

- C. Thompson: The Epic of Gilgamesh (London - 1928).

-
- C. Thompson: The Epic of Gilgamesh (1930).
 - N.K. Sandars: The Epic of Gilgamesh (Penguin Book,1960).

اللغة الفرنسية :

- G. Gontenau: L'Epopée de Gilgamesh (1939).

اللغة الدنمركية :

- Salonen: Gilgamesh - Epos (Helsinki, 1943).
- Alexander Heidel: The Gilgamesh Epic and Old Testament Parallels (1949).
- Speiser in James B.Pritchard: The Ancient Near Eastern Texts (1950).

اللغة الهولندية :

- H. Kriuning: Zondvloed en Levenskruid (Amsterdam, 1955).

اللغة البلجيكية :

- L. Matoush: Epos Gilgameshovi (Praha, 1958).

اللغة الايطالية :

- Furlan G.Furlani: Miti babilonesi e assiri (Florence,

1958).

اللغة الروسية :

- J. M. Djakanoff: Epic of Gilgamesh (1962).

ومن الترجمات العربية :

- ١ - طه باقر: ملحمة جلجامش وقصص أخرى عن جلجامش والطوفان، ستة طبعات منذ عام ١٩٦١ وحتى عام ٢٠٠١ بين بغداد ودمشق).
- ٢- م.م. دياكونوف وب، س. ترافيموف: جماليات ملحمة جلجامش، ترجمة عزيز حداد (بغداد، ١٩٧٣).
- ٣- حازم سعيد أحمد: جلجامش، في مجلة الكتاب البغدادية وبأعداد مختلفة (بغداد عامي ١٩٧٤ و ١٩٧٥).
- ٤- يوسف أمين القصير: جلجامش في العالم السفلي، مسرحية شعرية، بغداد - ١٩٧٣.
- ٥- عبد الحق فاضل: هو الذي رأى، منظومة شعرية، بغداد - ١٩٧٥.
- ٦- د. سامي سعيد الأحمد: ملحمة جلجامش، بيروت - ١٩٨٤.
- ٧- فراس السواح: جلجامش ملحمة الرافدين الخالدة، دمشق - ١٩٩٦.



أور.. مدينة النبي إبراهيم ﷺ (*)

فؤاد يوسف قرانجي

أور Ur (حالياً المقير) مدينة النور والحضارة من أقدم المدن في العراق القديم. كانت بلدة زراعية في عصر العبيد (٤٠٠٠ ق.م) قبل أن يستوطن فيها السومريون بين (٣٥٠٠-١٨٥٠ ق.م). وتعني أور لدى السومريين مدينة النور^(١). كما ذكرت في العهد القديم المقدس أي التوراة باسم (أور الكلدانية) باعتبارها موطن أبي الأنبياء إبراهيم (إبراهيم) ﷺ الذي نشأ فيها ثم هاجر مع عائلته الى بلاد كنعان (سوريا).

وجاء في أعمال الرسل المباركة (٨ : ٤): «إن إبراهيم وضعن في أرض الكلدان وذهب ليسكن في حران». ويعتقد أن ذلك حدث في حدود عام (١٨٥٠ ق.م) لعله عام سقوط مملكة أور حسبما تشير الى ذلك المصادر اليهودية أو في عام (١٦٥٠ ق.م) كما يشير الى ذلك أطلس أكسفورد للتاريخ القديم. ما يدل على أن مدينة أور كانت متقدمة حضارياً في العالم القديم؛ لأنها أنجبت الإنسان الذي عرف الله بأنه الخالق الوحيد.

وربما كان إبراهيم أحد أحفاد النبي نوح ﷺ الذي كان في مدينة شروباك القريبة الى أور باسم زيوسودرا او اوتانبشتي^(**) في زمن الطوفان الذي وجدت آثاره في أور وغيرها من مدن سهل شنعار والذي يكون قد حدث نحو (٣٠٠٠ ق.م)^(٢). نشأت أور قريبة من نهر الفرات ومن خطوط المواصلات التي تجتاز صحراء كنعان. إذ كان نهر الفرات في الألف الثالث قبل الميلاد يمر بجانب مدينة أور، وهناك رقم طينية تتحدث عن أن أور كانت تستخدم القوارب لنقل البضائع شمالاً وجنوباً الى الخليج (البحر المر)

وكانت أور إحدى مراكز تجميع الحاصلات الزراعية ومصنوعات الفخار والمعادن كالنحاس والقصدير.

كما أشارت بعض الرقم السومرية أن لأور ميناء تجري فيه السفن والقوارب متجهة الى البحر الأسفل وكان الفرات ودجلة يصبان منفصلين في الخليج. أما الآن فتبعد أور غرباً عن الفرات زهاء (١٢ كم) وتبعد عن مدينة الناصرية قرابة (١٥ كم) مركز محافظة ذي قار المسماة باسم أرض أور.

حكمت في هذه المدينة ثلاث سلالات ملكية عرفنا الشيء الكثير عن حياتهم بعد اكتشاف المقبرة الملكية في أور بكنوزها وأدواتها المنزلية وقبائرها وفنونها وأثاثها المأتمى وتمثيلها الصغيرة واختام الملوك الأسطوانية. وعرفنا إن الملكة شبعاد shab-ad قد حكمت مملكة أور في حدود (٢٦٠٠ ق.م) والتي وجدت حليها ومجوهراتها في المقبرة الملكية الواسعة التي تعود معظمها الى هذه الفترة والتي احتوت على: «حلي ذهبية لعلها الأقدم في بلاد الرافدين ومصاغات فضية وبعض الأحجار الكريمة مما يظهر ثروة أور بالإمليالى صناعة المجوهرات التي بدأت في هذه الفترة السحيقة من الزمن. وكانت الملكة شبعاد قد دفنت مع حاشيتها ومجوهراتها وأدوات الزينة وأدوات موسيقية تعود إليها. وكانت شبعاد ممددة في مدفنها الى جانب الملك، ويعتقد أن التقاليد في تلك المدينة وفي تلك الفترة تشير أنه عند وفاة الملك فإن زوجته وحاشيتها يدفنون معه أحياء وذلك من أجل استمرار تقديم الخدمة للملك في العالم السفلي»^(٣). ولعل مصدر قصة دفن حاشية الملك أحياء عند وفاة

الملك قد ذكرت في قصة ألف ليلة وليلة. ومن بين المكتشفات الأخرى في المقبرة الملكية حلي صدفية منحوتة مع رسوم فسيفسائية (إميليالى) الأختام الأسطوانية ما يدل على مظاهر حضارية متميزة في تقاليد الملوك في بلاد الرافدين. وحكمت سلالة أور الأولى مدينة أور وما جاورها من مدن مثل أريدو ولارسا.

ووصل نفوذ حكم ملوكها الى مدينة كيش قرب باب إيلو (بابل).

وبرز من ملوكها الملك لوكال زاكيزي الذي حكم بلاد سومر بأكملها في الفترة (٢٤٠٠-٢٣٧١ ق.م) أعقب ذلك سيطرة أقوام لعلهم الفراتيون العراقيون الذين سموا بالأكديين بقيادة سرجون الأكدي (٢٣٧١-٢٣١٦ ق.م) الذي انطلق من عاصمته أكد أو أكده في وسط العراق واستطاع أن يدحر الدويلات السومرية الواحدة تلو الأخرى حتى وصل مملكة أور فحاصرها فترة قصيرة حتى سقطت بيديه وبعد أن سيطر على بلاد ما بين النهرين زحف شمالاً وغرباً حتى وصل البحر الأعلى (المتوسط) وسمى سرجون نفسه (ملك سومر وأكد) و(ملك الجهات الأربع).

ثم تلى فترة الأكديين غزو القبائل الكوتية للعراق الذين قدموا من خلف جبال زاكروس واحتلوا معظم شمال شرق العراق في الأعوام (٢٣٣٠-٢١٢٠ ق.م) وجعلوا مدينة كاسور الأكديّة التي تبعد (٢٠ كم) عن ارباخا (كركوك)، عاصمة لهم وسموها (نوزي اونوزو) وكانت نهاية الغزاة الكوتيين على يد الأمير السومري (اوتو - حيكال) أمير مملكة أوروك الذي

ثار على الكوتيين وجمع جيشاً عراقياً من المدن السومرية وهاجم عاصمتهم نوزي في زمن ملكهم (تريكان) واستطاع جيشه أن يدحر الكوتيين الذين فروا باتجاه الجبال عام (٢١١٤ ق.م).

وقد أسس الملك اوتو - حيكال سلالة اوروك الخامسة (٢١١٤ - ١٢٢٠ ق.م) وأصبحت مملكة أور تابعة له، لكن أمير مملكة أور (أور - نمو) ثار عليه بعد أن تحالف مع الدويلات القريبة من مملكته، واستولى على بقية المدن السومرية بالتتابع بما فيها أوروك، وأسس سلالة سومرية جديدة في المملكة هي سلالة أور الثالثة (٢١١١-٢٠٠٣ ق.م) وتبعه في الحكم ابنه شولكي ثم حفيده امر - سين وبعده جاء شو - سين وآخرهم ابي - سين. وكان الملك الشهير اور نمو قد بسط سيطرته أخيراً في عهده وخصوصاً بعد أن أقام العدل وأصدر تشريعات قانونية لتأمين الأحوال الاقتصادية والاجتماعية وبذلك تعد أول قوانين سنت في العراق القديم وربما في العالم بأسره (٢١١١-٢٠٩٤ ق.م). وقد احتوت شريعة اور نمو على (٣١) مادة قانونية، كما ضمت مقدمة هذه الشريعة بما يشبه أصول القوانين الحديثة التي تتحدث عن مبررات إصدار ذلك التشريع. ومما جاء فيها ما يتعلق بالتجارة البحرية نصها: «بأنها يجب أن تكون خاصة لمراقبي الملاحه». وأشارت المادة السادسة مثلاً أنه: «إذا طلق الرجل زوجته الأصلية، عليه أن يدفع لها (مناً) من الفضة»^(٤). وهذه القوانين العراقية الأولى تسبق قوانين (لبت - عشتار) ملك إيسن بقرن من الزمن تقريباً كما تسبق قوانين أشنونا بقرن ونصف

تقريباً وتسبق أيضاً حمورابي بثلاثة قرون تقريباً.

وكان الملك اور نمو قد اتخذ لقباً سياسياً وهو (ملك سومر وأكد). وقد تميز عهده وعهد أحفاده بإحياء الثقافة والتراث السومري، حيث خلفوا لنا نتاجاً حضارياً وجد في الكتابات المسارية التي دونت على رقم عشر عليها في مكتبة سبار، كما سجل أعماله على مسلة حجرية وثقت منجزاته وحروبه التي قام بها وهي محفوظة في جامعة بنسلفينيا في أمريكا. وكان اور نمو قد شرع ببناء زقورة ضخمة أكملها ابنه الملك شولكي فيما بعد «وهي ذات ثلاث طبقات مبنية من اللبن (الطابوق غير المفخور) المغلف بطابوق مفخور مغمس بالزفت، وهي تشبه هرمًا مدرجًا، وفي قمة الزقورة معبد مقدس، هو عند أهالي أور يعتبر حجرة نوم الآلهة نانا (سين) آلهة القمر، وهي الآلهة الحامية لمدينة أور وملكتها السماوية.

أما أبعاد الزقورة أو المصطبة المدرجة، فتبلغ الطبقة السفلى (٦٤×٤٦م) تقريباً، أما أبعاد الطبقة الثالثة فهي (٤٠×٤٠م) تقريباً. وهناك دعائم ناتئة تتواءم خفيفاً من ثلاثة جدران. كما إن هناك ثلاثة سلالم كبيرة على الجانبين الشمالي والشرقي في كل واحد منها (١٠٠) درجة أحدها يقع على زاوية قائمة مع مركز الزقورة والآخرايميلان مع جدرانها. والثلاثة يلتقون فيما بين مدخل الطبقة الأولى والثانية، ومن هذا المدخل يصعد سلم واحد نحو الطبقة العليا حيث يوجد باب غرفة الآلهة الصغيرة وكان الجزء الأسفل من الزقورة قد بني من زمن اور نمو وهو ما يزال باقياً حتى الآن بحالة

مدهشة، وما تبقى من الجزء العلوي يكفي لتمكيننا من إعادة تصور شكل الزقورة بدقة. وقد أظهرت أعمال التنقيب أنه في الألفية الثالثة قبل الميلاد كان المعماريون السومريون عارفين بهندسة الأعمدة والأقواس والبناء بالعقادة والقباب وغيرها مع كل الأشكال المعمارية الهندسية»^(٥).

والزقورة التي تكررت في المدن السومرية كانت تعتبر مركزاً للمدينة يمثلها الإله الذي يلتقي حوله جميع الناس، مما يشير الى أن السومريين ربما جاؤوا من أرض جبلية بحيث كانوا يضعون آلهتهم في أعلى الجبال، وأرادوا تمثيل ذلك على الأرض المستوية في بلاد الرافدين. ولعل أعلى زقورة هي زقورة بابل التي تخربت ونقل طابوقها واستعمل للبناء فيما بعد، التي يذكر أن ارتفاعها أكثر من خمسين متراً. ومن حسن الحظ أنه لدينا وصفها في كتابات هيرودتس. لكن أكبر زقورة لا تزال موجودة بعد إعمارها هي زقورة مدينة (دور - كوريكالزو) عاصمة الأقوام الكاشية في موقع عكركوف شمال غربي بغداد. وقد امتد نفوذ الملك اور نمو الى بلاد عيلام (الأهواز) وسواحل البحر الأسفل وشمالاً حتى جبال طوروس، واتخذ لقب الملك سرجون (ملك سومر وأكد وملك الجهات الأربعة)، وهناك معبد ثان بني في أور يدعى (داب - لال - ماخ) يقع قبالة الزاوية الشرقية للزقورة، بالإميليالى، ذلك فقد وجد في المدينة ثلاثة معابد أخرى هي (نن - كال) و(نون - ماخ) و(كوك جار كر).

ويذكر أن آثار رصيف ميناء على الفرات القديم قد وجدت في جنوب

غرب المدينة حيث ابتعد الفرات بضعة كيلومترات على الأرجح في القرن الرابع قبل الميلاد.

ومن الجدير بالذكر أن الملك شو - سين الملك الرابع الذي دام حكمه زهاء تسع سنوات شغلها مثل أسلافه في مشاريع البناء والتشييد والحملات الحربية، ونال مثلهم أيضاً نصيباً من التقديس والتعظيم. ففي البناء قام بتجديد المعابد في أور والمدن السومرية الأخرى حيث دونت أخباره، نذكر منها على سبيل المثال بناء معبد الإله (شارا) في مدينة (أوما) وقد استغرق بناؤه سبع سنوات. وبالرغم من استتباب السلم في أرجاء المملكة السومرية التي كانت تشمل ما بين النهرين بأكملها، فقد شن حملة اجتازت جبال زاكروس واستطاع فيها دحر تحالف الدويلات العيلامية. وعين في تلك المنطقة حاكماً من أور. كما أرسل حملة أخرى الى الجهات الشمالية الشرقية وسجل انتصاره في منحوتات وصفها في المدينة المقدسة نيبور.

وفي تلك الفترة بدأت الأقوام الأمورية أو الكنعانية الشرقية تندفع من مملكة ماري الى بلاد ما بين النهرين (العراق) لذلك قام الملك شو - سين بإنشاء سور كبير وواسع على طول نهر الفرات الذي يجتاز بلدة توتل (هيت) واقتضى هذا السور كسر ضفاف النهرين دجلة والفرات لملء الخندق الملاصق للسور، ويبدأ السور الترابي في الموضع المسمى قنال canal ابكلات، وكان طوله في حدود (٢٧٥ كم) وإن طرفه الغربي عند بلدة بالوكات (الفلوجة) وبحيرة الحبانية. وقد سمي هذا السور العظيم (مورق

- تدنم) أي سور الأموريين، ويقصد به السور الذي بني لصد الأموريين. لكن هذا السور تم تحطيم أجزاء منه تحت وطأة آلاف العابرين من الأموريين المندفعين نحو بلاد سومر وأكد الغنية والمتحضرة والكنوز التي يحلم بها الغزاة من خارج بلاد النهرين، وأخيراً استطاعت هذه الحشود الغازية دحر جيش ملك أور الأخير ابي - سين بعد أن دامت أمبراطورية أور زهاء القرن الواحد (٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م)^(٦).

وكانت هذه المملكة قد أصابها الضعف والتشتت قبل ذلك حينما قامت ثورات وعصيان لبعض المدن السومرية وانفصالها عن الحكومة المركزية في أور، وقد فسرت الكتابات في أور ونيبور سقوط امبراطورية أور الى غضب الآلهة وخاصة إنليل والآلهة العظام على أور وعلى آلهتها (ننا) وملكها فسلطت هذه الآلهة على سومر القحط والمجاعة والأعداء الغرباء، وأشادت الى ذلك القصائد الحزينة التي نظمت في رثاء مدينة أور.

ويعد سقوط مملكة أور وانحلال دويلات المدن السومرية نهاية للحكم السومري الذي سرعان ما حل حكم الأموريين الذي أطلق عليهم اسم البابليين حينما كَوَّنوا لهم مملكة عاصمتها كانت بلدة (باب - إيلو) بابل. واشتهر ملكها الثالث حمورابي الذي أسس امبراطورية عراقية ثالثة هي الأمبراطورية البابلية بعد أن استولى على المدن السومرية.

ثم جاء الكاشيون الذي قدموا من خلف جبال زاكروس وحكموا بلاد بابل لمدة تقارب (٢٥٠) عاماً.

كانت المساكن الخاصة بالمواطنين في مدينة أور، تعد بيوتاً مريجة وفسيحة قياساً الى بيوت المدن الأخرى إذ تتسع ليس فقط لأفراد العائلة بل الى الخدم والضيوف، وهي ذات طابع يؤمن للبيت الخصوصية ويتلاءم مع المناخ الحار صيفاً ويتألف معظمها من طابق واحد متلاصقة مع بعضها وهي على شكل مربع أو مستطيل مفتوح أي ذو مساحة مكشوفة في وسطها البئر الذي يستقى منه الماء.

بعد ستمائة سنة من إقامة معبد ن نار (آلهة القمر) حل الخراب فيه، وفي عام (٦٥٠ ق.م) قام أحد الملوك الآشوريون بإعادة بناء المعبد وكان قد فصلت غرفة الاستقبال عن موضع العبادة وهو أمر يختلف عن الطراز السومري^(٧). وشهدت أور في أيام الملك نبوخذ نصر ازدهاراً نسبياً إذ أعاد بناء الأجزاء الرئيسية من المدينة، أما الملك نابونائيد آخر ملوك بابل الذي كان شديد التدين، فقد أعاد بناء المعبد والزقورة، وبنى له قصرًا بجانبها كموضع للراحة والصلاة بقرب الآلهة ن نار (سين) التي كان يبجلها كثيراً إذ يعتبرها سيدة الآلهة.

وقد وجد في أحد المعابد المجاورة للزقورة تمثالٌ مقطوع الرأس مصنوعٌ من حجر الديورايت للملك انتمينا ملك لكش الذي كان يعد نفسه ملكاً على أور أيضاً وعلى معظم الدويلات السومرية في أحد فترات ضعف مملكة أور. وفي نفس الفترة وجد في معبد ن نار لوح حجري محفور ببراعة عليه مشهدان: فالعلوي يمثل ملكاً ومعه أبنائه وهم يصبون سائلاً ما أمام الإله الجالس على

شكل تمثال. أما في المشهد السفلي فهناك كاهن يصب زيتاً أو سائلاً وخلفه امرأة شبه عارية لعلها كاهنة المعبد^(٨). وقد اهتم بمدينة أور بعد زوال سلالة أور الثالثة الملك ورد - سوين (١٨٣٤-١٨٢٣ ق.م) أحد ملوك لارسا.

الهوامش:

- (*) أور الكلدانية التي ولد ونشأ فيها النبي إبراهيم عليه السلام هي غير قرية أور قرب حران كما تدعي بذلك المصادر اليهودية الحديثة.
- (١) بشار قاشا: أور مدينة إبراهيم الخليل عليه السلام، بين النهرين، عدد (١٠٩-١١٠)، ٢٠٠٠م، ص ٧٦.
- (**) القراءة الجديدة لاسم اوتانستم (أنظر ملحمة كلكامش ترجمة وتحرير أندروجورج، ١٩٩٩م بالانكليزية).
- (٢) شاه محمد علي الصيواني: أور بين الماضي والحاضر، بغداد - المديرية العامة للآثار، ١٩٧٦م، ص ١٢-١٨.
- (٣) فوزي رشيد: الشرائع العراقية القديمة، بغداد - دار الرشيد، ١٩٧٩م، ص ٢٥-٣٤.
- (٤). شاه الصيواني: المصدر السابق، ص ٢١.
- (٥) مشتاق طالب محمد: مدن العراق القديمة، مترجمة عن الموسوعة البريطانية، مجلة ميزوبوتاميا، ص ٧٢-٧٣.
- (6) woolley, Leonard. Ur of Chaldees, London - Pelican, n.d. PP. 72-73.
- (٧) طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، بغداد - دار الشؤون الثقافية، ط٢، ١٩٨٦م، ص ٣٩٠-٣٩٢.
- (8) woollay, L. Ur... Op. cit. p.59.



الجمعية الجغرافية المصرية
أقدم جمعية علمية عربية
تضم متاحف.. وكتباً نادرة
وخرائط تاريخية..

خالد عزب

قد يستوقفك عزيزي القارئ اختياري جمعية علمية لأقدمها لك، لكنني هنا أدعوك لتقف معي برهة أمام حاكم عربي في القرن التاسع عشر، حاول أن يستبق الغرب علمياً وحضارياً.. بل وأن يضع بلده في مصاف الدول المتقدمة.. فكان أن عزلته دولة الخلافة العثمانية ونفته.. وتآمرت عليه بريطانيا وفرنسا ليحدا من طموحه وطموح بلده، وما هي إلا سنوات حتى احتلت بريطانيا مصر سنة ١٨٨٢م، لتقضي على مصر التي امتدت حدودها للصومال وأوغندا جنوباً، والتي ما برح أبناؤها يتقدمون في مجالات الصحافة والعلوم المختلفة.

إنها أقدم تجربة عربية لاستنهاض المجتمع المدني العربي العلمي من قبل الخديوي إسماعيل ليلعب دوراً في صياغة البعد الاستراتيجي لمصر نحو منابع النيل، وفي مشاركة الغرب التقدم العلمي في علوم الجغرافيا والجيولوجيا والاستكشاف، في ١٩ مايو ١٨٧٥ أصدر الخديوي إسماعيل باشا مرسوماً بإنشاء الجمعية الجغرافية الخديوية Societe Khediviale de Geographic في القاهرة، وقرر لها إعانة سنوية ٤٠٠ جنيه، حدد للجمعية مهمتين أساسيتين هما: دراسة علم الجغرافيا بجميع فروعها، وإلقاء الضوء على البلدان الإفريقية وتنظيم الجهود الكشفية فيها.

كانت جلسات الجمعية تعقد شهرياً، اعتمدت خلالها الفرنسية كلغة مكاتبات، وصارت للجمعية مجلة علمية سنوية، ولكي نعرف موقع هذه الجمعية في الساحة الدولية إبان عصرها، سنجد أن أول جمعية جغرافية

في العالم تأسست في باريس سنة ١٨٢١م، تلتها الجمعية الجغرافية الألمانية في برلين عام ١٨٢٨م، ثم تأسست الجمعية الجغرافية الملكية في لندن في عام ١٨٣٠م، والجمعية المكسيكية سنة ١٨٣٣م، وجمعية فرانكفورت سنة ١٨٣٦م، والجمعية الروسية سنة ١٨٤٥م، والجمعية الأمريكية سنة ١٨٥١م، والجمعية الجغرافية في برنامبوكو بالبرازيل ١٨٦٣م، ثم الجمعية الجغرافية المصرية سنة ١٨٧٥، التي تعد بهذا تاسع جمعية جغرافية متخصصة في العالم، كما أنها أقدم جمعية خارج أوروبا والأمريكيتين.

وبعد تأسيس الجمعية الجغرافية الخديوية بفترة قصيرة، شاركت بوفد رسمي في المؤتمر الجغرافي الدولي الثاني الذي نظمته الجمعية الجغرافية في باريس سنة ١٨٧٥، ومنذ ذلك الوقت أصبحت الجمعية الجغرافية المصرية عضواً مؤسساً في الاتحاد الجغرافي الدولي.

نظمت الجمعية الجغرافية المصرية في القاهرة سنة ١٩٢٥م، المؤتمر الجغرافي الدولي الثاني عشر، الذي كان له صدى كبير في مسيرة علم الجغرافيا الحديث وفي بروز بعض التخصصات الجديدة المتصلة بالريف والعمران الريفي، بل دورها امتد أيضاً نحو النهوض بعلم الجغرافيا في الوطن العربي مع استقلال الدول العربية، التي نظمت عام ١٩٦٢م المؤتمر الجغرافي العربي الأول، والذي أسس خلاله الاتحاد الجغرافي العربي الذي ما زالت الجمعية تحتضنه إلى اليوم، كما أن لها العديد من المشاركات مع الجمعيات الجغرافية العربية، كما تصدر الجمعية منذ العام ١٩٦٧م المجلة الجغرافية العربية.

كان أول مقر اختير للجمعية لا يعدو أن يكون قاعة في بيت محمد بك الدفتردار زوج الأميرة زينب هانم بنت محمد علي باشا، هذا البيت كان جزءاً من بيت محمد بك الألفي الذي شغله بعد ذلك ديوان المدارس، ثم مدرسة الألسن ثم فندق شبرد، في عام ١٨٧٨م انتقلت الجمعية إلى مقر جديد حلت فيه محل المحكمة المختلطة، وفي عام ١٨٩٥ انتقلت الجمعية إلى مقر آخر كان يقع عند ناصية التقاء شارع القصر العيني مع شارع مجلس الشعب الحالي، وقد تم هدم هذا المبنى ليحل محله ملحق مجلس الشعب.

في عام ١٩٢٥م انتقلت لمقرها الحالي، وهو مبنى تاريخي يعود للقرن التاسع عشر شغلته لفترة من الزمن وكالة حكومة السودان إلى أن خصص للجمعية في عام ١٩٢٢م، سجل هذا المبنى أخيراً في عداد الآثار المصرية لروعة المعمارية وزخارفه الفنية المميزة.

يتكون مبنى المقر من جناحين وطابقين، وبكل جناح منهما حجرات وصالات استخدمت مكاتب أو مكاتب أو صالات عرض، وفيما بين الجناحين بهو تم إعداده على هيئة قاعة محاضرات، وطوله ٣٥ متراً وعرضه ٢٤ متراً وارتفاعه ١٠ أمتار ونصف المتر، وسقفه محمول على ١٢ عموداً وقام بزخرفة سقفه برانداني الذي استخدم نماذج من الزخرفة العربية في القرن الثاني عشر الميلادي وهي تتألف من أشكال هندسية زخرفية يغلب عليها اللون الأزرق الداكن.

وقد تغير استخدام بعض مساحات المبنى أكثر من مرة، وفي الوقت

الحالي تشغل الطابق الأرضي قاعات المتحف الإنثوغرافي، بالإضافة إلى قاعة اجتماعات مجلس الإدارة، والمكتبة الكارتوجرافية وقاعة إفريقيا وقاعة قناة السويس بالإضافة إلى المرافق الخدمية ومخزن المطبوعات. أما الطابق الثاني فيضم القاعة الكبرى للمحاضرات وسعتها ٤٣٨ مقعداً، بالإضافة إلى مكتبي رئيس الجمعية، والأمين العام، وقاعة الكمبيوتر، ومكتبة الدكتور سليمان حُزَيْن وتوجد جميعها في الجناح الأيمن من القاعة، أما الجناح الأيسر فقد خصص برمته للمكتبة الرئيسية للجمعية بما تضمه من مراجع رئيسية ودوريات.

الكتب والدوريات:

كانت نواة المكتبة عبارة عن ألفين وخمسمائة مجلد أهداها الخديوي إسماعيل للجمعية، ثم تلقت الجمعية بعض الهدايا في صورة مكتبات لبعض الصفوة والأمراء، منها مكتبة محمود باشا الفلكي في نحو ثلاثمائة مجلد، ومكتبة الأمير حيدر فاضل وتضم سبعة آلاف مجلد، ومكتبة الأمير محمد علي توفيق التي تشتمل على سبعة آلاف مجلد.

ولم يغلق الباب أمام التبرع بالمكتبات الخاصة فقد أهدى الدكتور سليمان أحمد حُزَيْن للجمعية مكتبته الخاصة، كما أهدى الدكتور محمد صفي الدين أبو العز للجمعية جزءاً من مكتبته يضم عدداً من الموسوعات المهمة والمصادر الإحصائية الحديثة، بالإضافة إلى إهداءات الهيئات الثقافية الأخرى.

ولهذا تزخر مكتبة الجمعية بنفائس من الكتب القديمة التي ترجع إلى فترات الكشوف الجغرافية في القارة الإفريقية، وفي أعالي النيل بصفة خاصة، كما تشتمل هذه الكتب التراثية على قدر كبير من الكتب التي صدرت عن جغرافية العالم العربي والأقطار الإسلامية، وجدير بالذكر أن الجمعية الجغرافية المصرية قد حرصت منذ عقد المؤتمر الجغرافي الدولي بها عام ١٩٢٥م على تنفيذ مخطط متكامل، يستهدف تجميع وحفظ المؤلفات والخرائط القديمة والحديثة عن مصر بخاصة وعن الأقطار العربية والإفريقية وأقطار دول العالم الأخرى بصفة عامة.

الخرائط والأطالس:

تحتوي مكتبة الجمعية الجغرافية على ذخائر من الخرائط والمصورات القديمة والحديثة. ومن الخرائط القيمة التي نشرتها الجمعية تلك الخريطة التي رسمت في ١٨٧٧م تحقيقاً لرغبة أباها الخديوي إسماعيل وتشتمل على خلاصة الكشوف الجغرافية الواسعة التي تمت في عهده، وتبين الطرق التي سلكها المكتشفون، وقد طبعت هذه الخريطة بمقياس ١: ٦٠٠٠، ومن الخرائط النادرة الأخرى التي تفتنيها الجمعية، نسخ من خرائط هيئة أركان حرب الجيش المصري مثل خريطة دارفور التي رسمها بوردي باشا، وخريطة كبيرة رسمها محمود باشا الفلكي، وخريطة جوردون باشا التي رسمها للنيل، هذا بالإضافة إلى مجموعة نادرة من الخرائط التي أهداها الملك فؤاد للجمعية، ومجموعة أخرى تتألف من ٢٥٠ خريطة أهدتها إحدى

الأميرات.

وبالإضافة إلى الخرائط، تحتفظ المكتبة بأطلس الأمير يوسف كمال تحت عنوان *Monumenta Cartographica Africae et Egypti* ويضم خرائط قديمة نادرة لقارة إفريقيا وغيرها من بلاد العالم مع التعليق عليها. ومن الأطالس القديمة أيضاً أطلس أسفل الأرض للأمير عمر طوسون، وأطلس الحملة الفرنسية، هذا بالإضافة إلى مئات الأطالس المحلية والعربية والعالمية المختلفة الموضوعات، والأهداف والأساليب، ومنها: أطالس الاستشعار عن بعد، وأطلس الوطن العربي لاتحاد الجامعات العربية وبعض الأطالس الوطنية التي أصدرتها أقطار عربية وأجنبية. والجدير بالذكر أن الجمعية تقوم حالياً بتسجيل مقتنياتها من الكتب والخرائط على الحاسب الآلي حتى يسهل حفظها وتداولها داخل المكتبة.

حياة الشعوب اليومية إلى وقت قريب كان لها مذاق خاص، تعتمد على قدرة الإنسان اليدوية في توفير كل متطلبات الحياة، ومع تغير نمط الحياة بوتيرة متسارعة خلال القرن العشرين، صار العديد من الحرف والعادات أثراً بعد عين، ونستطيع أن نرى حياة المصريين وحرفهم وكذا عادات الأفارقة وأدواتهم في متحف الجمعية الجغرافية المصرية التي أسست في عام ١٨٧٥م، وتم افتتاح متحفها في عام ١٨٩٥م.

ومجموعات هذا المتحف تم جلبها عن طريق بعثات الجمعية لاستكشاف ودراسة منابع النيل، بالإضافة إلى هدايا الجغرافيين المصريين والأجانب

الذين جاؤوا بلاد العالم المختلفة، ووضعت الجمعية خطة منذ عام ١٩٢٨م لجمع كل ما يتعلق بعادات وتقاليد سكان القاهرة والريف المصري.

قاعة القاهرة:

تشمل هذه القاعة مجموعات عدة تمثل كل منها لوناً خاصاً من ألوان الحياة أو العادات القديمة في مدينة القاهرة، ومن أطرف ما تحويه هذه القاعة قسم يعرض أدوات التدخين، يضم «جوزاً» كان يستعملها عامة المصريين منها جوزة لها غطاء من النحاس المطعم بالفضة.

ويوجد إلى جانب «الجوز»، مجموعة من النارجيلات الجميلة التي كان يستعملها أثرياء مصر، وبعض هذه النارجيلات من الزجاج الملون المزخرف بنقوش الميناء المختلفة الألوان، ومن هذه النارجيلات واحدة من البلور الشفاف المضلع، وأخرى من زجاج الأوبالين الأخضر الفاخر عليه زخارف ذهبية جميلة.

ومن أطرف أركان هذه القاعة ركن القهوة البلدي، وبه نسبة إعداد المشروبات وهي تشتمل على وعاء الماء المغلي ومجمعي الشاي والبن، وعلى الأرفف عدد من الجوز وكنكات القهوة وبرادات الشاي لتقديمها إلى الزبائن، بينما توجد دكة من الخشب لجلوس الشاعر الذي كان يروي القصص الشعبية، وأمامها كرسيان من القش ومنضدة عليها براد الشاي وفنجانان للشرب.

ومن أطرف أقسام هذه القاعة أيضاً، قسم أدوات الحلاقة والزينة، فقد كان للحلاقين في القرون الوسطى شأن كبير في أغلب بلاد العالم خاصة من كان منهم متصلاً بأكابر رجال الدولة فكانوا يقومون بالحلاقة اليومية وصبغ الشعر وغسيل الوجه والرأس ثم تجميل الأمير وإعداده لمقابلة حاشيته، وهم في أثناء ذلك يقصون عليه كل أخبار المدينة. وكانوا إلى جانب ذلك يقومون بوصف الأدوية وإجراء العمليات الجراحية الصغيرة مثل الختان وخلع الأسنان والحجامة وغيرها.

ويوجد بهذا القسم دولاب به نماذج من أمواس الحلاقة القديمة، ومجموعة من طاسات توضع حول الرقبة في أثناء الحلاقة وغسيل الرأس، ومجموعة من كماشات صغيرة لخلع الأسنان ومقصات صغيرة خاصة بختان الأولاد.

أدوات الترفيه:

يجب المصريون الفنون بأنواعها، والتي تنبع بصفة خاصة من التراث الشعبي، وبالمتحف مجموعة كاملة من أدوات اللهو والترفيه التي اندثر معظمها. ومنها المقاهي الشعبية التي تعرف باسم «صندوق الدنيا» والتي تعرض من خلال ثلاثين صورة قصيرة قصة السفيرة عزيزة، وإلى جوارها نموذج من القراجوز الريفي بعرائسه البدائية، ويضم المتحف نموذجاً كاملاً لخيال الظل الذي كان يحكي قصصاً من التراث الشعبي. وعرض أيضاً للعب الأطفال من العرائس وخاصة عرائس المولد التي كانت تصنع من الحلوى.

أدوات الإنارة:

عندما اخترعت وسائل الإنارة بالكهرباء، تغيرت المعالم الليلية لكل مدن وقرى العالم، وقد كان للشرق عاداته وتقاليده في الإنارة وأدواتها المختلفة خاصة في الأعياد وفي شهر رمضان وفي المواكب والأفراح. وبالمتحف مجموعات جميلة كاملة من أدوات الإنارة خاصة مجموعة الفوانيس الشرقية ذات الزجاج الملون، ومنها فوانيس الطريق وهي ثلاثة أنواع، الأول فوانيس الطريق الكبيرة التي تعلق أمام الأبواب، ويملك المتحف منها عدداً كبيراً (نحو ٢٦ فانوساً) هي غاية في الجمال والرقّة في صناعتها وفي ألوان زجاجها. والنوع الثاني من الفوانيس التي كان يحملها الخدم لمصاحبة السيدات في تجوالهن، وهي تتكون من قاعدتين من النحاس المزخرف زخرفة جميلة بينهما غلاف أسطواني من الرّق الشفاف يمكن فرده ليمنع تأثير الهواء على الشعلة المركبة في القاعدة السفلية. والنوع الثالث، مجموعة كبيرة من الفوانيس الصغيرة التي يلعب بها الأطفال في شهر رمضان، وهي بسيطة الصنع رخيصة ومن الزجاج الأبيض والملون. وبالإضافة إلى ذلك توجد مجموعة من المسارج والشمعدانات والمشكاوات والتي كانت تستخدم في الإضاءة الداخلية في المساجد والمنازل.

الأزياء والأقمشة:

اهتم المتحف بالأزياء، فجمع لهذا الغرض عدداً من الصور واللوحات التي رسمها المصورون والرحالة الذين زاروا مصر، وكذلك عدداً من

النماذج المجسمة التي تعرض الملابس ومن يلبسها من أهالي الطبقات المختلفة سواء كانوا عمالاً أو فلاحين أو وزراء، ويحتفظ المتحف بأزياء للنساء من جميع أرجاء مصر من النوبة وسيناء وسيوه وصعيد مصر وريف الدلتا. وبالمتحف أقمشة مطرزة بالحرير أو الذهب.

الأعياد:

كانت مصر طوال تاريخها القديم والحديث تهتم اهتماماً كبيراً بأعيادها وكانت تنظم في هذه الأعياد مواكب كبيرة يشترك فيها ممثلو الحرف والصناعات كما يشترك فيها العلماء والقضاة وغيرهم وقد اندثر أكثر هذا، ولم يبق منها إلا زفة العروس «بالسيارات» ورؤية هلال رمضان ووفاء النيل الذي أصبح رمزياً بعد بناء السد العالي.

وارتبط بهذه الأعياد صناعة الكعك في المنازل وبالمتحف نماذج جصية له، وكذا القوالب الخشبية التي كانت تستعمل لصب هذا الكعك والمناقش التي تستعمل في ولائم الأفراح.

قاعة الحرف والصناعات:

تشتمل هذه القاعة على مجموعات عدة من إنتاج الحرف والصناعات المصرية الأصيلة وخاصة الحرف اليدوية التي تخصص فيها المصريون مثل صناعة النحاس التي اشتهرت بها مصر منذ القدم، وعرض بالقاعة إنتاج هذه الصناعة من الحنفيات والصنابير، ويلاحظ الزائر أن هذه الأدوات

بالرغم من أنها عادية الاستعمال فإنها جميلة الصنع فنية التشكيل. ومن أطرف المعروضات مجموعة كبيرة من الأهوان والأجران والتي كانت تستخدم لطحن المواد الغذائية، وهي مختلفة الأشكال والأحجام. وتلي الصناعات النحاسية في أهميتها صناعة الحديد، وهي صناعة لها أهمية كبرى في كل بلاد العالم لاتصالها المباشر بالصناعات الحربية، بالإضافة إلى تفاخر الحدادين بصناعتهم لصعوبة استخراج الصلب وتطويعه ثم زخرفته بالفضة والذهب. وعرض بالقاعة العديد من أدوات الحدادين المصنوعة من الحديد، ومنها أدوات البنائين ونحاتي الحجر، أدوات النجارين، أدوات الحدادة نفسها مثل السندان والمطارق والكماشات، والأقفال، والمفاتيح، وستوقف كثيراً معنا أمام الأقفال الصغيرة الدقيقة الصنع وهي ذات جهاز سري لفتحها. وبالقاعة قسم لأدوات صناعة الأحذية اليدوية، ونماذج من منتجاتها الجلدية الجميلة والمتينة الصنع، وأهمها الأحذية المختلفة الأنواع مثل المركوب للنوبيين، والبلغة للفلاح، والمتوفلي للسيدات. وقباقيب الحمام المزخرفة بالصدف، والشنط الجلدية المختلفة الأشكال والألوان.

الخرط العربي:

شاعت أعمال الخشب وخرطه وتطعيمه بمختلف المواد الثمينة، وتطورت حتى أصبحت تنتج تحفاً هي آية في الجمال ومعجزة في دقة الصنع، وبالمتحف نماذج من مدرسة القاهرة وهي من أهم مدارس هذا الفن والتي أنتجت الخشب المعشق والمخروط والمرسوم والمحلى بمختلف النصوص

المكتوبة، ويعرض في هذا القسم الخراط وأدواته ومنضدته ونماذج من إنتاجه منها ثلاثة نماذج من أدوات الخراط، وست لوحات من الخشب عليها نماذج من الخراط الخشبي والتعشيقات المختلفة، وهي تتباين من الشغل المتناهي في الدقة إلى الأشغال الكبيرة الرخيصة. ويمتلك المتحف نماذج رائعة من التحف الخشبية، ولعل أجمل تحفة هي تختروان العروس، وهي المحفة التي كانت تزف فيها العروس إلى منزل زوجها وسط موكب «الزفة» الذي كان يجوي عدداً كبيراً من الألعاب، وأهل العروس وعريستها يخترقون شوارع المدينة التي تسكنها العائلتان. والتختروان المعروف من النوع الذي كان مستعملاً في القاهرة في القرون السابع عشر، والثامن عشر، والتاسع عشر، ثم اندثر هذا الموكب من القاهرة، واستمر في الأرياف حتى السنين الأخيرة عندما بدأ سكان الريف في استعمال السيارات وغيرها من الوسائل الحديثة.

وهذا التختروان الفاخر جداً مصنوع من أثمان أنواع الخشب، ويتكون من مقصورة واسعة لها بابان وستة شبايك وهي محمولة على عريشين «ذراعين» طول كل منهما (٥م)، وهما مصنوعان من الخشب المتين السميك يستعملان لحمل المقصورة بواسطة جملين قويين والجزء الأمامي للتختروان به مشربيتان لكل منهما (٥) أوجه مما يسمح لراكبات التختروان بمشاهدة موكب الزفاف وما يجري فيه من ألعاب ومسرات، والشبايك والمشربيات بالتختروان مصنوعة من الخراط الدقيق، كما أن خشب الإطارات مطعم بالعاج والصدف تطعياً فنياً رائعاً، وفي كل ركن منه رأس للبيدق «المعلم»

يعلوه هلال ونجمة، ومعه عدد من الأغطية المزخرفة زخرفة جميلة ملونة بالصدف وبالمرايا والأجراس التي كانت توضع فوق ظهور التختروان.

ومن هذه التحف كوشة العروس وهي مقعد فردي جميل مزخرف كان يستعمل كوشة للعروس وحدها، وهي عبارة عن مقعد ذي ذراعين ومسند للظهر وموطىء للقدمين، وهو مطعم بالعاج وعليه زخارف ورسوم وأزهار وهي مكسوة بقش الخيزران.

قاعة الريف:

اقتصرت القاعة على عدد من المجموعات المهمة الثمينة التي تمثل عادات وتقاليد ريف مصر خاصة بعض التقاليد التي اندثرت ولم يبق لها أثر في حياة الفلاحين. ومن أهم أقسام هذه القاعة، قسم الفخار، وبه أواني الزينة وهي تشمل عدداً من القلل والأباريق المطلية بألوان مختلفة تستعمل في حفلات الزواج أو السبوع، ومجموعة من الطواجن المزججة من الداخل وكذا القدور وكلها تستعمل في طهي المأكولات في الأفران ولتسخين الماء، ومعها مجموعة من الدفريات التي تستعمل في الريف للتدفئة وتستعمل فيها قوالح الذرة الشامي لإشعال النار. أما أوعية الشرب فتشمل عدداً من القلل والأباريق والأزيار والبلايص وكلها مصنوعة من الفخار الأبيض العادي وتصنع عادة في قنا أو في ضاحية مصر القديمة بالقاهرة. ويوجد بالقاعة عدد (١٠) من «الزلع» الضخمة يتراوح ارتفاعها من ٧٥ سم إلى ١١٥ سم ولها فتحات واسعة وجسم شبه كروي ضخم وهي مصنوعة من

الفخار السميك المزجج من الداخل بلون داكن وكانت تستعمل لتخزين وحفظ السوائل الثمينة مثل السمن والزيت والعسل وغيرها، وهي مصنوعة صناعة جميلة لا تخلو من الجمال، وقد اندثرت هذه الأواني الآن.

وحرص المتحف على اقتناء مجموعة من إنتاج فخار أسيوط المشهور بجودته ومن أمثله: المزهريات وفناجين الشاي والقهوة والصواني والشمعدانات، وهذا الفخار مصنوع صناعة فنية دقيقة ومصقول صقلاً ناعماً من دون أي تزجيج وهي صناعة كانت خاصة بإقليم أسيوط وقد اندثرت تماماً اليوم.

ونظراً إلى انتشار زراعة النخيل في مصر وتوافر كميات الخوص والجريد فقد ازدهرت صناعات الخوص لعمل المقاطف والقفص والمنشآت وكذا صناعة الجريد لعمل أقفاص الفاكهة والدواجن وصناعة حبال الليف الأحمر، ومن أروع نماذج هذه الصناعة بالمتحف المراجين وهي أوعية من الخوص الملون تستعمل في حفظ الملابس. وتنتج هذه الصناعات في أسوان وبلاد النوبة.

قاعة قناة السويس:

افتتحت قناة السويس في عام ١٨٦٩ م، وأرادت الحكومة المصرية آنذاك أن تعطي لهذا الحدث كل الأهمية الدولية التي يستحقها وأن تعبر عن أنها تملك الممر العالمي بين القارات الثلاث الكبرى وأقامت احتفالات فاقت في بذخها

وروعتها كل ما أقيم من قبل، وفي عام ١٩٣٠م رأت شركة قناة السويس أن تهدي المتحف الجغرافي قاعة تحوي عدداً كبيراً من الوثائق والصور والخرائط والمجسمات التي تلخص تاريخ القناة منذ افتتاحها إلى عام ١٩٣٠م.

قاعة إفريقيا:

المجموعة التي تشغل هذه القاعة هي أولى المجموعات التي اقتنتها الجمعية وذلك عن طريق المستكشفين والرحالة الذين أوفدتهم الجمعية في بعثات للكشف عن منابع النيل، ثم أضيفت إلى هذه المجموعة مقتنيات أهديت من قبل الضباط المصريين الذين خدموا في السودان، وجلبت مقتنيات من الحبشة والصومال وأريتريا ووسط إفريقيا.

وفي قسم الحراب بالقاعة أكثر من ٢٥٠ حربة، منها (٨) حراب ذات نصل من الحديد المصقول على شكل ورقة شجر ولها عصا طويلة من الغاب مما كان يستعمله الدراويش من قبيلة البغارة في حروبها، والسلاح أملس من دون مجارٍ ولا تضاريس، كما توجد رماح أخرى نصلها مختلف اختلافاً تاماً، فبعضها ذو أسنان مدببة في اتجاهين متضادين مما يجعل استخراج النصل من الجسم مستحيلاً، وكان هذا النوع مستعملاً في دارفور وكردفان. وتضم مجموعة الخناجر بالقاعة مجموعة كاملة من الخناجر الإفريقية ذات الشكل الخاص والتي تستعمل في الرمي وهي تسمى بالكليدا وتستعملها قبائل الأزاندي.

والقاعة أكثر من (٥٠) درعاً مصنوعة من كل المواد الموجودة في تانزانيا
إلى الإفيقيين، ابتداءً من الدروع المصنوعة من القش إلى الدروع المصنوعة
من صدف سلحفاة البحر والتي تعتبر من أصلب المواد بما في ذلك الدروع

المصنوعة من جلود الفيل والتمساح والخريت. كذلك تختلف أشكال
الدروع نفسها، فمنها المستدير والمستطيل والبيضاوي وغيرها، كما تختلف
الزخرفة الملونة التي تطل بها هذه الدروع تبعاً للقبائل التي تستعمل الدروع،
لأن لكل قبيلة شكلاً ولوناً مميزاً خاصاً بها. ومن أروع دروع القاعة ثلاث
دروع فخرية مهداة من إمبراطور الحبشة إلى المتحف، وهي تستعمل عادة في
الحفلات الرسمية والمناسبات الفخرية يلبسها الحرس الإمبراطوري وهي
من القطيفة وعليها قطع من الزجاج بألوان الأحجار الكريمة.

الأثاث:

تتكون مجموعة الأثاث الإفريقي بالقاعة من عدد من المقاعد المصنوعة
كلها من قطعة واحدة من الخشب ذات أشكال مختلفة جميلة وهي مجلوبة
من مناطق مختلفة مثل منجيتو وباري وما جنجور الأوبانجي وبعض مناطق
السودان، ويلاحظ الزائر أن الإفريقيين يستعملون مسنداً للرأس خاصة عند

قبائل النوير والشلوك والدنكا، وأن هذه المساند مشابهة جداً لمساند الرؤس

المتعملة عند قدماء المصريين، وبالمتحف ثلاثة أسرة من النوع السوداني

المسند بالنوير وهي من منجيتو وأحدها كان عند مؤنزا الملك بيتو

والأسير طوبه ١٩٥ × ٩٤ سم ويعلو عن سطح الأرض ٢٥ سم على راس

مزخرفة، والسريير مصنوع من القش والغاب المتين وحبال الألياف.

وتحتل الأدوات المنزلية ركناً مهماً بالمنزل الإفريقي، ونرى هنا مجموعة من أطباق الغرف، وأطباق الأكل أكثرها مصنوع من قطعة واحدة من الخشب المتين المصقول، يبلغ بعضها أحجاماً كبيرة وقد يصل قطرها إلى ٥١ سم، وإلى جوارها أوان بعضها لحمل اللبن والماء وأكثرها مصنوع من القرع العسلي الكبير الجاف والبعض الآخر من الخشب أو من الفخار. واستخدم القش في صناعة عدد من الأطباق وأغطية الطعام المخروطية الشكل وكذا صوانٍ كبيرة لحمل الطعام، وقد عرضت بالقاعة نماذج منها.

ويوجد بالقاعة أيضاً مجموعة من آلات الموسيقى الإفريقية، منها مجموعة كاملة من الطبول وعددها (٨)، تستعمل في كثير من المناسبات الخاصة وأهمها الطبول الكبيرة التي تدق في أثناء الحرب والهجمات، وكذا طبله كبيرة تصنع عادة من الغلاف الخشبي للشجر الكبير وهي مفرغة من الداخل، وتستعمل خصيصاً لنقل الإشارات والرسائل من فوق أعالي الجبال... إلخ.

مرسوم إنشاء الجمعية الجغرافية الخديوية

أغراض الجمعية:

نظراً للفوائد التي تعود على العلوم الجغرافية والصناعة والتجارة المصرية، من تشجيع استكشاف الأقطار الإفريقية والبلاد المجاورة لها. أصدرنا أمرنا بما يأتي:

المادة الأولى: تنشأ بالقاهرة جمعية يرخص لها في أن تسمى الجمعية الجغرافية الخديوية.

المادة الثانية: نوافق على قوانين الجمعية الملحقة بها.

المادة الثالثة: تمنح هذه الجمعية إعانة سنوية قدرها ٤٠٠ جنيه.

المادة الرابعة: يعين الأستاذ جورج شوينفوتث رئيساً للجمعية.

المادة الخامسة: يكلف ناظر الداخلية تنفيذ أمرنا هذا.

وغرض الجمعية هو:

- ١- دراسة العلوم الجغرافية بجميع فروعها.
- ٢- استكشاف البلاد الإفريقية المجهولة، أو التي لا يعرف عنها إلا القليل. وتحقيقاً لهذا الغرض، تعقد الجمعية الجلسات، وتصدر مجلة تنشر فيها محاضر الجلسات والأبحاث الأصلية ووصف الرحلات العلمية، مشفوعاً بالخرائط، ونبدأ وإعلانات عن المراجع الجغرافية، وملخصات الكتب،

ومكاتبات الجمعية، وجميع الوثائق التي تنم عن تقدم العلوم الجغرافية بالقارة الإفريقية، وتعقد الصلات مع الجمعيات المهمة بهذه الموضوعات، وتراسل الرحالة، وعلماء الجغرافية والعلوم الطبيعية، أو من يجذبون على تلك العلوم، وتستحث على القيام بالرحلات الاستكشافية في إفريقيا، وتساعد هذه الرحلات بما تمتلكه من الوسائل، وتشجع بنوع خاص الدراسات التي تعود بالفائدة على صناعة وتجارة مصر والبلاد المجاورة لها.



المصدر: مجلة العربي، أبريل - ٢٠٠٨ م.

خانات بغداد
من القرن التاسع وحتى مطلع
القرن العشرين

برهان نزر محمد علي المياح

المقدمة:

مدينة بغداد، هذه الحاضرة العربية العريقة في حضارتها وثقافتها، والغنية بآثارها وفنونها ومواردها، يمكن أن نعدّها بحق من أعظم مدن العالم في القرون الوسطى، لما خلّدت لنا من آثارٍ مادية وفكرية وفنية، جعلتها تفوق شهرتها - وخاصة في العصر العباسي - شهرة مدن دمشق والقاهرة وقرطبة والقسطنطينية.

ونظراً للتوسع العمراني الذي شهدته هذه المدينة في العصر المذكور آنفاً، ونتيجة لما حصل لها من التقدم والازدهار والذي شمل جميع مرافق الحياة العلمية والاجتماعية والاقتصادية والمتمثلة في بناء المدارس والجامعات والمكتبات والمساجد والمرصد الفلكية وبناء المدن والقصور والمستشفيات وشق الترع والأنهار وإقامة القناطر المائية والجسور والبرك وتشيد الخانات والحمامات وحلبات الخيل... إلخ، مما جعلها أن تتبوأ مركزاً مرموقاً من التوسع والتنظيم لم تبلغه المدن التي شيدت قبلها أو بعدها.

وقد ظلت مدينة بغداد محتفظة بهذا المركز المرموق حتى الربع الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، حيث أصابها ما أدى الى تدهور أحوالها بصورة خاصة وأحوال العراق بصورة عامة، وذلك عندما غزاها الأعاجم من الفرس والترك، ومما رافق هذا الغزو من عوامل الدمار والتخريب نتيجة الحروب والتي راح ضحيتها الكثير من الأبرياء، إضافة الى ما سببته الفيضانات من أوبئة وأمراض وفزع وغلاء في المواد الاقتصادية،

وكانت هذه العوامل أيضاً قد عجلت في زوال واندثار الكثير من المعالم العمرانية والثقافية لمدينة بغداد.

ورغم ذلك فقد ظلت مكانة وأهمية مدينة بغداد تحتل مركز الصدارة بين المدن الإسلامية الأخرى، لكونها حلقة وصل تربط بين المدن والحوضر في داخل العراق وخارجه، مما تركز فيها عدد من الخانات الكبيرة منها والصغيرة لتؤدي خدمات أكبر للتجار والمسافرين والزائرين.

إن خانات بغداد - مع الأسف - لم تحظ من قبل الباحثين بدراسة مستفيضة، كما لم يذكر المؤرخون أشياء يعتد بها عن هذه الخانات، واقتصر الأمر على بعض المعلومات البسيطة التي وردت في كتب الرحالة الأجانب ممن مروا بها، وربما يعود ذلك الى أنهم كانوا يعنون في مؤلفاتهم بالجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، أو يرون أن الأمور المتعلقة بالجانب العماري والهندسي غير ذات أهمية ولأنهم ليسوا باختصاصيين فيها، ومن هذه الكتب (العراق في القرن السابع عشر) لـ (تافرنيه) و(رحلة أبي طالب الى العراق وأوروبا سنة ١٢١٣هـ-١٧٩٩م) و(رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر) و(رحلتي الى العراق سنة ١٨١٦م) لـ (بكنغهام)، و(رحلة المنشئ البغدادي) الذي كتبها عام ١٨٢٢م و(رحلات الى العراق) لـ (بدج)^(١).

واقترنت هذه المعلومات على إشارات عابرة ومختصرة ذات صبغة تأريخية خالية من التخطيطات والتحليلات الضرورية التي تتطلبها

الدراسات الأثرية العلمية^(٢).

ونظراً لندرة المصادر وما كتب عن الخانات التي شملها البحث فقد تطلب الأمر منا القيام بدراسة الخان من الناحية اللغوية والتاريخية ونشأة خانات بغداد قديماً وحديثاً كخطوة أولى على الطريق للكشف عن جانب من تراثنا العماري والحضاري العظيمين.

الأصل اللغوي لكلمة الخان:

أجمعت معظم مصادر اللغويين والمؤرخين القديمة منها والحديثة على أن لفظة (خان) فارسية معربة^(٣)، ومن المرجح أنها اشتقت من الكلمات الفارسية (خانة)^(٤) أو (حانة)^(٥) أو (خاناه)^(٦)، والتي تعطي جميعها معنى البيت^(٧)، أو الموضوع^(٨)، إضافة إلى معانٍ أخرى^(٩).

وذهب عدد من الباحثين إلى أن كلمة خان هي تحريف لكلمة حانوت الآرامية المشتقة من كلمة (حنه) العبرانية والتي من معانيها خيم وأقام ونزل وحل^(١٠).

وورد أيضاً أن لفظة خان مرادفة لكلمة (قيروان سراي) التركية الأصل أو (كرقان سراي Caravansary or Caravanseria) والتي تعني النزل والخان والفندق، وذلك برغم اختلافها في اللفظ^(١١). وتعني كلمة (خان) أيضاً منزل المسافرين على ما هو معروف في اللغة العربية^(١٢).

ومن جملة ما ورد عن أصل الكلمة هو أن كلمة خان ما هي إلا اختصار

لكلمة (قاغان) والتي تلفظ بالعربية (خاقان) فيما إذا وردت مرادفة للقب من الألقاب^(١٣).

واختلف الباحثون في أصل الكلمة؛ إذ إن بعضهم يراه فارسياً - تركياً^(١٤) أو أنه تترياً^(١٥) أو تركياً بالأصل فقط^(١٦)، كما أن بعضهم يراه عربياً فارسياً^(١٧) ويمكن القول إن أصل كلمة (خان)، فارسي حوره العرب بالنقص أو الزيادة أو القلب^(١٨).

معاني كلمة (خان) :

ومثلها تعددت الآراء في أصل الكلمة (خان) تعددت المعاني التي تشير إليها، فهي تعني الحانوت^(١٩)، وربما جاءت من تشابه الاثنين في السعة والوظيفة^(٢٠)، وتدل كلمة خان أيضاً على ملك الحانوت^(٢١)، كما تدل على المتجر^(٢٢)، والمكان الخاص بالتجار أي محل اقامتهم، وتجارهم^(٢٣)، وتعني أيضاً منزل المسافرين والقوافل^(٢٤)، وكلمة الفندق من المرادفات الأخرى لكلمة خان^(٢٥)، ومما يستحسن ذكره ما أورده الجواليقي المتوفى سنة (٥٤٠هـ - ١١٤٥م)، من أن كلمة الفندق بلغة الشاميين تشير الى معنى خان ينزل به المسافرون، وموقعه عند الطرق أو في المدائن، وقد نقل الجواليقي عن الفراء قوله: «سمعت أعرابياً من قضاة يقول (فتق) للفندق وهو الخان^(٢٦)». وإن من مرادفاتهما أيضاً كلمة الوكالة^(٢٧) والسوق^(٢٨) (القيسارية)^(٢٩)، والجدير بالذكر أنه لم يفرق مؤرخو العصور الوسطى من العرب بين هذه المنشآت العمارة، إذ لم يجدوا بينها فروقاً واضحة، بل

وجدوها متشابهة من حيث التصميم والوظيفة التي تؤديها للمسافرين والتجار^(٣٠). وقد كتب المقريري في هذا الموضوع واستنتج أنه لا فرق يذكر بين تلك المنشآت المشار إليها^(٣١). ويذكر أن كلمة (الربع) تعني أيضاً الخان أو الفندق^(٣٢).

الانشأة التاريخية للخان:

وفي هذا المجال أهدف الى تبيان فكرة نشأة الخان من حيث البداية الأولى للنشأة وبعض التطورات الحاصلة عليه، أي التدرج في تنوع المرافق المضافة. ولما كانت المعلومات التي وردت عن نشأة الخان قليلة، فاعتمدنا على ما هو متيسر في هذا المجال.

لقد أقيم في بلاد وادي الرافدين الكثير من الخانات، وما بقي من هذه الخانات قليل بالنسبة الى ما ذكره الرحالة والمؤرخون، بسبب تدهورها واندثارها بفعل زوال بعض الأسباب التي أنشئت من أجلها. والعوامل الطبيعية، كما يرجع أيضاً الى تغير طرق المواصلات وابتعادها عنها، إضافة الى ظهور وسائل النقل الحديثة، وأماكن أكثر راحة للمسافرين كالفنادق الحديثة مثلاً، وإن اندثار الخانات مسألة طبيعية جاءت نتيجة للتطور الحضاري المادي في الحياة^(٣٣).

ولما كانت الخانات ضرورية ملحة لمواصلة المسير والتنقل من مكان لآخر ولولاها لتعذر على المسافرين قطع المسافات النائية، فهي قديمة كقدم

التجارة نفسها، إذ كان يراد منها تهيئة أماكن تضمن الراحة للإنسان والحيوان على حد سواء بعد قطعهم مسافة طويلة تستوجب عليهم هذه الراحة^(٣٤). ولعلّ بداية نشوء الخانات في الأصل منطلقة من إقامة بئر وسياج يحيط بقطعة من الأرض، وأخذت تتطور بعد ذلك الى البنايات المعروفة حيث الأواوين الكثيرة والمرافق المتعددة، وقد نال الكثير منها التخطيط الدقيق^(٣٥). وهذا يوضح لنا الأصول الأولى لنشأة الخانات وصور تطورها شأنها في ذلك شأن الكثير من المرافق التي تتطور بتطور الحياة.

إدارة الخان:

ومن الناحية الادارية فقد ذكر أنه لا يدفع من يحل في الخان أي أجر سوى أن العرف الجاري يقضي بأن يكرم النازلون في الخان الشخص المسؤول عن إدارة الخان الذي يعرف بـ (الگيم) من المال شيئاً، نظراً لما يقوم به عادة باستئجار جماعة تلقي عليهم مهمات تنظيف الخان وتنظيمه، كما يقوم المسؤول عن الخان بتجهيز النزلاء بالحبوب والأطعمة والوقود وكثير من اللوازم التي يحتاجونها على أن تدفع له قيمة هذه المواد، وعلى هذا فإن هناك جماعة بضمنهم (الگيم) مهمتها إدارة شؤون الخان^(٣٦).

تطور الخان:

وقد كانت الخانات في الشرق ضرورية لتسهيل التنقل بين المدن الإسلامية لاغراض التجارة والحج وزيارة الأماكن المقدسة، وقد أخذت

هذه الخانات تتطور تدريجياً حتى أصبحت ذات إدارة ومرافق متعددة ومطابخ^(٣٧).

هذا إضافة الى ما تضمنته بعض الخانات من المرافق الأخرى كالمسجد^(٣٨) والمخازن التي تخزن فيها أنواع السلع وحوض للماء، كما يوجد في بعضها أماكن لحفظ أموال اليتامى^(٣٩) وحضائر للماشية^(٤٠)، إضافة الى مجموعة من الحمامات والأسواق^(٤١)، كما يوجد أحياناً خارج كل خان ساقية للسبيل وحنوت لبيع اللوازم التي يحتاجها المسافر لنفسه ولدابته^(٤٢). ونتيجة لأهمية تلك الخانات فقد كانت بعض المدن تضم عدداً كبيراً منها^(٤٣). ونظراً للتوسع الكبير للخانات في مساحتها فقد زادت مرافقها حتى كان البعض منها يحتوي على غرف عديدة مزودة بمدافئ ومساطب للنوم والجلوس، إضافة الى غرف خاصة، واحدة منها عند المدخل لحارس الخان وأخرى كمقهى وثالثة كمخزن لمصلحي العربات ورابعة كدكان للحداذة، إضافة الى أسطبل للحيوانات^(٤٤).

ورغم سعة بعض الخانات وكثرة غرفها لأهميتها من حيث وقوعها على طرق التجارة القديمة فإنها تكتظ بالساكين في مواسم معينة مما يضطر البعض منهم للإقامة في الأماكن القريبة منها^(٤٥).

علماً أن بعضها كان يستوعب عدداً يتراوح بين ٣٠٠-٤٠٠ شخص^(٤٦)، وبعضها الآخر يتسع لعدد يتراوح بين ٥٠٠-١٠٠٠ شخص^(٤٧).

التأثير العماري للخان في المنشآت العمارية الأخرى:

وبناءً على كون الخانات مؤسسات قائمة ومتطورة وذات سمات خاصة اكتسبتها من خلال تطويرها فإنها ولا شك تؤثر في رغبات الناس، فيعكس هؤلاء الناس تلك الرغبات في طراز أبنية أخرى يقيمونها كالمنازل أو المدارس أو المساجد، ومعنى هذا فإن هناك تأثيراً متبادلاً بين هذه المنشآت العمارية والخانات في مجال الشبه العماري^(٤٨).

فقد أشار الرحالة ناصر خسرو في رحلته الى أنه شاهد بعض البيوت التي تشبه الخانات في مدينة طرابلس بلبنان^(٤٩)، كما إن بعض المنشآت العمارية أيضاً كالأسواق والقلاع^(٥٠)، والقصور^(٥١)، والدكاكين والخوانيت^(٥٢)، والأربطة^(٥٣)، والأديرة^(٥٤)، أو الكنائس^(٥٥) تشبه الخانات من حيث ضخامتها وبنائها.

تسلسل نشأة خانات بغداد قديماً وحديثاً:

لم تسعفنا المصادر التاريخية القديمة منها والحديثة عن الخانات التي بنيت في مدينة بغداد قبل الإسلام، لكن أول ذكر لإقامة الخانات العراقية جاء في ترتيبة خاصة للملك (شولكي) ثاني ملوك سلالة أور الذي حكم (٢٠٩٤-٢٠٤٧ ق.م)، حيث جاء فيها عن ولع هذا الملك بتعبيد الطرق وإقامة البيوت الكبيرة فيها لإيواء المسافرين^(٥٦).

أما عن خانات بغداد المشيدة في العصور الإسلامية - فلأسف - لم

تخبرنا المصادر القديمة إلا النزر القليل منها. فقد أشار ياقوت الحموي الى وجود خان يعرف (بخان وردان)^(٥٧)، وكان موقعه شرقي مدينة بغداد، وهو يعود الى العصر العباسي الأول^(٥٨). ومن هذا أيضاً ذكر عن وجود خان في مدينة بغداد ينزله الغرباء من التجار وغيرهم^(٥٩). وذكر اليعقوبي المتوفى سنة (٢٨٤هـ-٨٩٧م) خاناً في بغداد أيضاً يعرف (بخان النجائب)^(٦٠).

أما في أواخر العصر العباسي (٥٥٢-٦٥٦هـ / ١١٥٧-١٢٥٨م)، فعلى الرغم من الانحطاط والتدهور اللذين حلّا بمدينة بغداد في ذلك العصر فقد كانت فيها الكثير من المنشآت العمارية، وإن الاحصاءات التي دونها ياسين العمري في كتابه (الدر المكنون في المآثر الماضية من القرون) للجوامع والمساجد والمدارس والخانات والحمامات... وغيرها من المنشآت العمارية في مدينة بغداد - قبل أن يحتلها المغول - خير دليل على ذلك، بل أنه لم يكتف بذكر هذه المنشآت بل أورد أيضاً عددها ومما يوجب الإشارة إليه أن عدد خانات بغداد آنذاك تعدادها (٩٨٠) خاناً^(٦١).

ومن القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي يخبرنا ابن الفوطي عن خان في مدينة بغداد يعرف بخان الخليفة، والذي أمر ببنائه الوالي علاء الدين الجويني، وكان موقعه بالقرب من نهر دجلة، ويذكر أن باني هذا الخان هو البناء أبو العباس أحمد بن عبيد الأصفهاني^(٦٢). والجدير بالذكر أن هذه الخانات التي أشار إليها المؤرخون آنفاً لا توجد لها آثار شاخصة في الوقت الحاضر.

ومن أشهر خانات بغداد الشاخصة الآن هو خان مرجان، الذي يعود تاريخ إنشائه الى سنة (٧٦٠هـ-١٣٥٨م) وقد أمر ببنائه حاكم بغداد أمين الدين مرجان في عهد السلطان أويس بن الشيخ حسن الأيلخاني، وكان يعرف هذا الخان أيضاً (بخان الأورتمه)، أي الخان المسقوف باللغة التركية، وينفرد هذا الخان بهذه الميزة العمارية، عن باقي الخانات الأخرى المكشوفة الوسط، ويعتبر خان مرجان من أجمل الخانات العراقية حيث تتجلى فيه روعة عمارته وتخطيطه ودقة زخارفه الأجرية الجميلة، ورغم سعة وارتفاع هذا الخان، إلا أنه قد سقف بطريقة عمارية فائقة تنم عن المقدرة الفنية لبُناة هذا الخان.

ومما يذكر عن هذا الخان أنه قد أوقفت وارداته إضافة الى خانات أخرى ودكاكين ومزارع وبساتين في ضواحي بغداد وخارجها، الى المدرسة المرجانية والمستشفى، جاء ذلك في الكتابة التي تعلو باب الخان الرئيس الكائنة في سوق البزازين في محلة (باب الآغا) حالياً. والجدير بالذكر أن هذا الخان يتكون من طابقين، الأول يحتوي على ٢٢ غرفة، والثاني ٢٣ غرفة، وكان التجار والمسافرون يحتلون غرف الخان، وكان يجري فيها وفي ساحته عملية البيع والشراء مدة ما يقارب السبعة قرون^(٦٣).

ومن القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، كان في مدينة بغداد خان يعرف بخان جغان، وكان سنة بنائه (٩٩٩هـ-١٥٩٠م) في زمن حكم السلطان مراد، وعلى نفقة جغالة زادة سنان باشا والي بغداد (٩٩٩-

١٠٠١هـ / ١٥٩٠-١٥٩٢م)، وكان يعرف هذا الخان عند العامة بهذا الاسم نسبة لمؤسسه^(٦٤). وقد بقي هذا الخان على حاله حتى سنة ١٩٢٩م حيث هدم وعُمرت مكانه أسواق ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا الخان كانت له بابان شمالي وجنوبي وكانت تعلو مدخله الشمالي كتابة مطولة بالتركية وتحتها بضعة أسطر بالعربية، وقد شاهد الرحالة نيبور هذه الكتابة عندما زار بغداد عام ١٧٦٦م^(٦٥).

أما القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي وحتى القرن الرابع عشر الهجري / العشرون الميلادي فقد كانت هناك مجموعة كبيرة من خانات بغداد لم يبق منها في الوقت الحاضر إلا النزر القليل، حيث لعبت أيادي الزمن والتخريب بها فضاقت معالمها واندرست آثارها وبقينا نفتش عنها في صفحات الكتب علنا نسعف بوصفها وأخبارها، ولم نجد في بطون الكتب ما يشير الى وصفها عمائياً أو زخرفياً ولكن اكتفت بذكر عددها وبعض التنف القليلة عنها، فقد ذكر الرحالة تافرنبيه الى وجود عشرة خانات في مدينة بغداد كانت في حالة غير جيدة من البناء ما عدا اثنين منها يوفران الراحة للمسافرين^(٦٦).

أما الرحالة نيبور فقد أشار هو الآخر الى عدد خانات بغداد في القرن الثامن عشر الميلادي والبالغة اثنان وعشرون خاناً، أربعة منها تقع في ضواحي بغداد والبقية في داخل المدينة، وقسم منها كبير الحجم يسكنها التجار والقسم الآخر صغير^(٦٧). ولم يترك لنا الرحالة بكنغهام في رحلته

الى العراق سنة ١٨١٦ م أية معلومات تتعلق بخانات بغداد والتي مجموعها آنذاك ثلاثون خاناً، ما عدا اللهم إشارة عابرة من أن هذه الخانات مشابهة في بنائها للخانات الموجودة في ديار بكر، وأحد هذه الخانات هو خان مرجان^(٦٨).

أشرنا قبل قليل الى أنه في مدينة بغداد عدد كبير من الخانات الكبيرة منها والصغيرة والتي اتخذت أماكن للتجارة والسكن وراحة المسافرين وكان بعض الموسرين من المسلمين وغيرهم يقومون بأعمال ومشاريع خيرية ومنها بناء الخانات، وكان البعض من الخانات كبيرة والبعض الآخر صغيرة، وفيها عدد كبير من الغرف والأواوين والمخازن غالباً ما تكون خالية من الآثاث^(٦٩). وقد بلغ عددها آنذاك حوالي ١١٨ خاناً، ولكن الأكثر منها خاص بـ (المكارية) وإيواء الدواب وحفظ الأموال والمهم منها ما كان في الأسواق والتي كانت مشغولة من قبل التجار^(٧٠)، ومن هذه الخانات هي:

١- خان مرجان: وقد مر ذكره.

٢- خان اللاوند: وكان موقعه في سوق الفضل، وقد أمر ببناؤه الوزير داود باشا والي بغداد سنة (١٢٣٢هـ-١٨١٦م) وأسكن فيه عسكره (اللاوند) والذي كانت مهمته الحفاظ على الوالي. وكانت مساحة هذا الخان واسعة، ولكن التغيرات التي طرأت عليه نتيجة الإهمال والتخريب دعت والي بغداد نامق باشا سنة (١٣١٥هـ-١٨٩٧م) أن يجعل مساحته متنزهاً وبنى في وسطه حوضاً للماء، وغرس فيه النخيل

والأشجار وسوره بسور من الحديد، وبقي على هذا الحال حتى عزل الوالي وخلفه من خلفه فأهمل أمره وقطعت مساحته قطعاً قطعاً فأصبح شبه محلة عامرة^(٧١).

٣- خان (قابچيلر كهيه سي): أي بمعنى خان رئيس البوابين، وموقعه في سوق البزازين على طريق شارع الصفارين، وقد أمر ببنائه اسماعيل أغا رئيس البوابين، ووقفه على ذريته ويذكر أن مساحة هذا الخان كبيرة^(٧٢).

٤- خان دلة الكبير: وكان موقعه في سوق البزازين، وقد شيده الحاج عبد القادر دلة بن اسماعيل سنة (١٣٢٢هـ-١٩٠٤م)، وهو خان كبير يتكون من طابقين متين البناء وهو الآن محل تجاري^(٧٣).

٥- خان دلة الصغير: وموقعه في المرادية (السكة خانة)^(٧٤).

٦- خان جغان: وقد مر ذكره.

٧- خان النخلة أو خان مخزوم: وكان موقعه في رأس سوق البزازين، وقد شيده الشيخ محمد المخزوم بن أحمد حافظ باشا سنة (١١١٠هـ) ووقفه على ذريته^(٧٥).

٨- خان الباجه چي: ويقع باتصال جامع الخفافين من الجهة الشرقية وقد شيده الحاج أبو بكر الباجه چي ووقفه على مصالح الخفافين. وهو الآن محل تجاري، ويشتمل على طابقين^(٧٦).

٩- خان كبة الكبير: ويسمى أيضاً بخان الباشا، وكانت ملكيته تعود لآل كبة وقد اشتراه الوزير داود باشا وجعله وقفاً على جامع ومدرسته.

وموقعه في شارع البنوك^(٧٧).

١٠- خان كبة الصغير: وموقعه في شارع البنوك وهو يسمى أيضاً بخان الباشا الصغير ويشتمل على طابقين وقد اشتراه الوزير داود باشا والي بغداد وأوقفه على مصالح جامع الحيدر خانة ومدرسته^(٧٨).

١١- خان محمد سعيد چلبی الشابندر: ويقع في شارع المستنصر غربي المحكمة الشرعية ويشتمل على طابقين وبنائه جيد وقد شيّد عام ١٣٣٧هـ^(٧٩).

١٢- خان الدفتر دار: وكان موقعه في شارع المستنصر غربي المحكمة الشرعية وكانت مساحته كبيرة وقد هدم وشيدت على أرضه بنايات حديثة^(٨٠).

١٣- خان الحاج ياسين چلبی الخضيري: وموقعه في شارع المستنصر وكان قبل ذلك دار الحرم والديوان خانة يعود للسيد أنور بك بن درويش بك الحيدري، وقد عمره الحاج ياسين الخضيري سنة ١٣٤١هـ، وهو يشتمل على طابقين وبنائه جيد^(٨١).

١٤- خان باب المعظم: وموقعه كان في شارع المستشفى (الجمهوري) وهو ذو مساحة كبيرة وبنائه قديم استأجره أحد تجار بغداد ليكون مكاناً لتجارته^(٨٢).

١٥- خان البرزنلي: وكان موقعه في آخر شارع البنوك، وقد شيده الحاج صالح چلبی البرزنلي وقد شيّدت على أرضه قبل أكثر من عشرين سنة

بناية متعددة الطوابق^(٨٣).

١٦- خان جني مراد: وموقعه في سوق العطارين حالياً وسوق مرجان قديماً، ويشتمل الخان على طابقين الطابق الأرضي وفيه عشرون غرفة، أما الطابق العلوي فيحتوي على ثلاث وعشرين غرفة، وقد شيّد هذا الخان الحاج مراد الحاج علي سنة ١٠٩٧هـ، وأوقفه على ذريته^(٨٤).

١٧- خان الدجاج: وكان موقعه في سوق العطارين وهو من الخانات القديمة العهد في بغداد، وقد شيّدت على أرضه في الوقت الحاضر أبنية ودكاكين جديدة^(٨٥).

١٨- خان المواصلة: وقد استخدم قسماً من المدرسة المستنصرية كخان لتجار الموصل وذلك سنة (١٣٢٥هـ-١٩٠٧م)^(٨٦).

١٩- خان الزرور: وهو من الخانات الشاخصة الآن، ويقع بالقرب من خان مرجان في سوق الخياطين القديم في الفرع المقابل للمدخل الرئيس لخان مرجان، وقد ثبتت فوق مدخله كتابة هذا نصها: (السلطان ملك رقاب إلا (مم) السلطان سليم بن السلطان سليمان خان فخر آل عثمان عز نصر عبده أمير أمراء...) ومن الجدير ذكره هنا أن هذا الخان قد أعلن عن أثره في الجريدة الرسمية المرقمة ١٧٢٧ والمؤرخة في ١٢/٥/١٩٦٩^(٨٧).

١٩- خان القوندرجية: وكان موقعه في سوق القوندرجية (الجوقية) مقابل جامع الوزير^(٨٨).

- ٢٠- خان الذهب الكبير وخان الذهب الصغير: وموقعهما في سوق القزازين^(٨٩).
- ٢١- خان فتح الله عبود: وموقعه في بداية سوق باب الآغا في شارع الرشيد وفي شمال جامع مرجان. وكان هذا الخان يعرف (بخان الملكي)^(٩٠).
- ٢٢- خان الكمرك: وكان موقعه عند تلاقي الكمرك مع سوق الصياغ، وهو صغير الحجم وكان متصلاً بالمدرسة المستنصرية^(٩١).
- ٢٣- خان القبلاية: في سوق القبلاية^(٩٢).
- ٢٤- خان الوقف: مقابل جامع مرجان^(٩٣).
- ٢٥- خان درويش علي وخان الريجي وخان الميمز: كلها في الشارع المتفرع من سوق الصفارين والنافذ الى الدنكجية^(٩٤).
- ٢٦- خان الرماح: في سوق الخردة فروشية^(٩٥).
- ٢٧- خان العادلية: يقابل المحكمة الشرعية وبجانب جامع العادلية الكبير^(٩٦).
- (٢٨) خان الصفارين: وهو عند مدخل سوق الصفارين من جهة سوق الجوخه چيه^(٩٧).
- (٢٩) خان المصبغة: وموقعه عن يمين المتوجه الى شريعة المصبغة يلاصق خان الخفافين من جهاته الداخلية^(٩٨).
- (٣٠) خان اللوقنطة: في سوق الموله خانة مقابل سوق القرطاسية^(٩٩).
- (٣١) خان الجسر: في آخر سوق القرطاسية.

(٣٢) خان الزئبق: في الدنكجية^(١٠٠).

(٣٣) خان التمر: في الشارع الذاهب الى شريعة خان التمر^(١٠١).

(٣٤) خان الكبابجية (المعضماوي): في سوق الكبابجية^(١٠٢).

وأخيراً لا بد من القول وبناءً على ما تحمله الخانات من آثار عمارية وسمات حضارية تروي لنا حقبة من تاريخ العراقيين والمعاناة التي عاشوها في تلك الفترة ومما يؤسف له أن الإنسان عاون الطبيعة في إحاطة معظم هذه الخانات بالخراب والانهدام!

إن الأمم تحافظ على تراثها وتبذل كل ما في وسعها لتحقيق هذا الغرض، وفي اعتقادي أن هذه الخانات جديرة بالرعاية وبأن يتخذ لها ما يلزم من الحفاظ على التراث؛ لأنها بنايات أثرية يحافظ عليها ويؤمها الناس من كل حدب وصوب ليستجلبوا روائعها. ونحن نأمل لما بقي من هذه الخانات خيراً في المستقبل القريب بعد أن ساد الشعور في الوقت الحاضر والمتعلق بمسألة الاهتمام بكل ما هو أثري وصدور قرارات قومية ووطنية تحفز المعنيين للأخذ بمبدأ الحفاظ على التراث ومنه المباني العمارية التاريخية المتواجدة في أماكن كثيرة من بلادنا، وخير دليل على ذلك اهتمام مؤسسة الآثار والتراث الموقرة الحالي، الذي نرجوه أن يعم الخانات أيضاً، وأرجو أن أكون قد وفقت، ومن الله التوفيق.

الهوامش:

- (١) برهان نزر محمد علي المياح: عمارة وتخطيط الخانات العراقية، ص ٥-٦، رسالة ماجستير مطبوعة على آلة الطباعة ومقدمة الى مجلس كلية الآداب - جامعة بغداد، ١٩٧٦ م.
- (٢) المياح: نفس المصدر، ص ٦.
- (٣) ينظر: أ- العسكري، (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن مهران اللغوي)، كتاب التلخيص في معرفة اسماء الأشياء، عني بتحقيقه د. عزة حسن، ج ١، مطبعة الترقى، مطبوعات المجمع العلمي بدمشق (١٣٨٩هـ-١٩٦٩م)، ص ٢٦٩.
- ب- ابن سيده، (علي بن اسماعيل)، المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، تحقيق د. مراد كامل، ج ٦، ط ١، مصر (١٣٩٢هـ-١٩٧٢م)، ص ٣٩٠.
- ج- ياقوت الحموي، (شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي)، معجم البلدان، مج (٢)، ص ٢٤١، بيروت (١٣٧٥هـ-١٩٥٦م).
- د- ابن منظور، (أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري)، لسان العرب، مج (١٣)، ص ١٤٦، بيروت، (١٣٧٦هـ-١٩٥٦م).
- هـ- الزبيدي، (محب الدين أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي)، تاج العروس من جواهر القاموس، مج (٩)، ص ١٩٤، ط ١، المطبعة الخيرية، مصر (١٣٠٦هـ).
- و- بطرس البستاني، محيط المحيط، مج (١)، ص ٦٠٩، بيروت (١٨٧٠م).
- ز- أحمد رضا، معجم متن اللغة، مج (٤)، ص ٤٥٤-٤٥٥، بيروت (١٣٧٩هـ-١٩٦٠م).
- (٤) أدي شير، كتاب الألفاظ الفارسية المعربة، ص ٥٨، المطبعة الكاثوليكية، بيروت (١٩٠٨م).

(٥) اللبناني، (طوبيا العنيسي الحلبي)، كتاب تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه، عني بنشره وتصحيحه والتعليق على حواشيه الشيخ يوسف توما البستاني، ص ٢٤، ط ٢، مصر (١٩٣٢م).

(٦) والجدير ذكره هنا أن هذه الكلمة استعملت مقرونة بأسماء البيوت والألقاب السلطانية في زمن المماليك بمصر فمثلاً يقال (السلاح خاناه) و(الشراب خاناه) و(الطشت خاناه)، أي بمعنى البيت والمكان، كبيت السلاح أو مكان السلاح... إلخ. انظر: أحمد رضا، المصدر السابق، مج (٢)، ص ٣٦٣، بيروت (١٣٧٧هـ-١٩٥٨م).

(٧) انظر: أدي شير، المصدر السابق، ص ٥٨؛ التبريزي، (محمد حسين بن خلف)، برهان قاطع، بتصحيح وإتمام محمد عباس، ص ٤١٦، مهرماه يكهزار وسيصدوسي وشش، جاب بيروت مؤسسه مطبوعات أمير كبير؛ اللبناني، المصدر السابق، ص ٢٤؛ إيوار، (مادة خان)، دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة أحمد الشنتاوي وآخرون، مج (٨)، ص ٢١١، (بدون مكان وسنة الطبع)؛ أحمد رضا، المصدر السابق، مج (٢)، ص ٣٦٣.

(٨) كلمة (خان) كما ذكرناها سابقاً تعني البيت أو الموضع سواء أكان هذا البيت أو غيره للسكن أو لراحة المسافرين أو التجار، وعلى هذا الاعتبار اشتقت منها الكلمة (خان)؛ حيث إن الهاء في الأولى للنسبة أو للتصغير. د. حسين محفوظ: حديث شخصي، ١٩٧٥م.

(٩) وفي بلاد فارس تعني كلمة (خان) أيضاً المربع في رقعة الشطرنج. إيوار، (مادة خان)، دائرة المعارف الإسلامية، مج (٨)، ص ٢١١. ويذكر أن من معانيها كذلك المرتبة في الأمور الحسائية، والقطعة التي يرفع بها الصوت والمستعملة عند الموسيقيين، وتدل أيضاً على الشطر من المواليات. بطرس البستاني: محيط المحيط، مج (١)، ص ٦٠٩.

(١٠) انظر: أدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص ٥٨؛ اللبناني، تفسير الألفاظ الدخيلة، ص ٢٨؛ رشيد عطية، معجم عطية في العامي والدخيل، ص ٥٥، دار الطباعة والنشر العربية، سان باولو، برازيل ١٩٤٤م.

ومما تجدر الإشارة إليه أن كلمة الخانوت تعني (بيت الخمار). انظر: العسكري، التلخيص ج ١، ص ٢٦٩، وهو المكان الذي يباع أو يشرب فيه الخمر، كما دلت على بائع الخمر نفسه، هذا ما ذكره بطرس البستاني في مؤلفه (قطر المحيط)، ج ١، ص ٥٩٠، وعندما شاع استعمال كلمة الخان أصبحت تعني أي مكان تباع فيه السلع أي إنها دلت على ما نسميه بـ (الدكان) انظر: العسكري، المصدر السابق، واللبناني، المصدر السابق.

(11) Porter. R. K., Travels in Georgia, Persia, Armenia and Ancient Babylonia, during the years 1817-1820, vol. I. p. 209, London (1822).

ويعرف (الخان) بلغة أهل خراسان بـ (تيمنك) ومعناها خان التجار. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج (٢)، ص ٦٧. وعلى هذا الأساس سمي خان مرجان باسم (التيم) وقد جاء هذا الاسم مدوناً على واجهة المدخل الرئيس للخان، وقد ذكر أن كلمة (تيم) تعني نصف سرداب، أو تعني مكاناً أو طاً قليلاً من مستوى الطريق، وبهذا تكون هذه الكلمة (تيم) عمارية فارسية. انظر: ناصر النقشبندي، خان مرجان، مجلة النفط، ص ١٠، العدد (٦٧)، السنة ١٩٥٧ م.

(١٢) رشيد عطية، معجم عطية في العامي والدخيل، ص ٥٥.

(١٣) بارتلد، (مادة خان) دائرة المعارف الإسلامية، مج (٨)، ص ٢٠٤. واستعملت كلمة (خان) لتشير الى لقب من الألقاب للمرة الأولى في العصر الإسلامي حوالي نهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، على السكة التي ضربها الأيلخانيون غير أنه لم يتبين الفرق بين كلمة (قاغان) أو (قآن) والتي معناها الحاكم الأعلى، وكلمة (خان) التي تعني حاكم المدينة إلّا في العهد المغولي. (بارتلد، المصدر السابق) وذكر أيضاً أن أول من تلقب بكلمة خان هو (جنكيز خان) ثم لقب بها أول ملوك العثمانيين السلطان (عثمان خان) سنة ٦٦٩هـ-١٢٩٩م، واستمر هذا اللقب يطلق على رؤساء الدولة الصفوية في زمن الشاه اسماعيل الصفوي وكذلك على رؤساء العشائر الإيرانية. انظر: أحمد رضا، معجم

- متن اللغة، مج (٢)، ص ٣٦٣.
- (١٤) اللبناني، تفسير الألفاظ الدخيلة، ص ٢٣.
- (١٥) بطرس البستاني، (مادة خان) دائرة المعارف، مج (٧)، ص ٣٣٤.
- (١٦) يعقوب صروف وفارس نمر، باب المسائل، (معنى خان) مجلة المقتطف، ص ٩٤٧، ج ١٠، مج (٢٦)، السنة ١٩٠١ م.
- (١٧) رشيد عطية، المصدر السابق.
- (١٨) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، أشرف على طبعه عبد السلام هارون، ج ١، ص ٢٦٢، مصر، مطبعة القاهرة (١٣٨٠هـ-١٩٦٠م).
- (١٩) انظر: ابن منظور، لسان العرب، مج (١٣)، ص ١٤٦؛ الزبيدي، تاج العروس، مج (٩)، ص ١٩٤؛ الفيروز آبادي، (مجد الدين محمد بن يعقوب)، القاموس المحيط، ج ٤، ص ٢٢٠، مطبعة السعادة، مصر (١٣٣٢هـ-١٩١٣م)؛ الشرتوني، (سعيد بن عبد الله الخوري)، أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، ج ١، ص ٣١٠، مطبعة مرسلية اليسوعية، بيروت (١٨٨٩م).
- (٢٠) فقد وصف الرحالة ابن جبیر دكاكين وحوانیت إحدى مدن الشام بأنها تشبه الخانات والمخازن اتساعاً انظر: ابن جبیر، (أبو الحسن محمد بن أحمد)، رحلة بن جبیر، ص ٢٢٣، بيروت (١٣٨٤هـ-١٩٦٤م).
- (٢١) انظر: ابن منظور، المصدر السابق؛ - الزبيدي، المصدر السابق؛ الفيروز آبادي، المصدر السابق.
- (٢٢) ابراهيم مصطفى وآخرون، المصدر السابق.
- (٢٣) انظر: الجوهري، (أبو نصر اسماعيل بن حماد)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ج ٥، ص ٢١١٠، مطابع دار الكتاب العربي بمصر - القاهرة (١٣٧٦هـ-١٩٥٦م)؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج (٢)، ص ٣٣١؛ ابن منظور، المصدر السابق، مج (١٠)، ص ٩٢٥؛ الزبيدي، المصدر السابق؛ - الفيروز

آبادي، المصدر السابق.

(٢٤) انظر: بطرس البستاني، محيط المحيط، مج (١)، ص ٦٠٩؛ التتوي، (عبد الرشيد)،
فرهنگ رشیدی، ج ١، ص ٢٦٨، مطبعة كلكتة، (١٨٧٢م)؛ التبريزي، برهان قاطع،
ص ٤١٦؛ اللبباني، تفسير الألفاظ الدخيلة، ص ٢٣.

(٢٥) انظر: ابن منظور، المصدر السابق، مج (١٠)، ص ٣١٣؛ الزبيدي، المصدر السابق، مج
(٧)، ص ٥١؛ الفيروز آبادي، المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٧٧.

(٢٦) الجواليقي، (أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر)، المعرب من الكلام
الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق وشرح أبي الأشبال أحمد محمد شاكر، ص ٢٣٩،
أعيد طبعه بالأوفست، طهران، ١٩٦٦م.

(٢٧) الوكالة: هي عبارة عن فندق يتكون من عدة شقق صغيرة على عدة طوابق، فالطابق
الأرضي فيها يتكون من مخازن منفصلة تطل على صحن مكشوف، أما الطوابق العليا
فهي مخصصة للإقامة وتطل على الصحن أيضاً، وتضم جميع الخدمات والمرافق اللازمة.
انظر: توفيق أحمد عبد الجواد، تاريخ العمارة والفنون الإسلامية، ج ٣، ص ٢٠٣، المطبعة
الفنية الحديثة، مصر ١٩٧٢م.

(٢٨) توفيق أحمد عبد الجواد، نفس المصدر، ج ٣، ص ٢٠٥.

(٢٩) القيسارية: هي تحريف لكلمة (قيصرية) المشتقة من اسم (القيصر) إمبراطور الرومان.
انظر: حسن ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي،
ج ٤، ص ٤١٣، ط ١، المطبعة المحمدية، القاهرة ١٩٦٧م.

(٣٠) نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (أواخر العصور
الوسطى)، ص ٢٨٦، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (١٣٩٣هـ -
١٩٧٣م).

- توفيق أحمد عبد الجواد، المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٠٣-٢٠٥.

(٣١) المقرئزي، (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار

المعروف بالخطط المقريزية، ج ٢، ص ٩٣-٩٤، طبعة جديدة بالأوفست، مكتبة المثني، بغداد (د.ت).

(٣٢) وعرفت (الربع) في بلاد مصر لتؤدي نفس الغرض الذي تؤديه الوكالة والخان والفندق، ولأجل تحقيق رغبات الصناع وصغار التجار فقد صممت على شكل طوابق متعددة، كان الطابق الأرضي يتكون من محلات وحوانيت ومرافق أخرى، أما الطوابق العليا فكانت تتكون من شقق منفصلة مكونة كل شقة من حجرة أو حجرتين ومطبخ ودورة مياه لعائلات الصناع وأصحاب هذه المحلات. ويبدو أن هنالك اختلافاً بين الوكالة والربع والخان، حيث إن الوكالة والربع استخدمت للإقامة الثابتة، أما الخان فلإقامة المؤقتة. انظر: توفيق أحمد عبد الجواد، تاريخ العمارة والفنون الإسلامية، ج ٣، ص ٢٠٣.

(٣٣) المياح، عمارة وتخطيط الخانات العراقية، ص ٢٦.

(34) Pope Arthur Upham, Bridges, Fortifications and Caravanserais, A Survey of Persian Art from Perhistoric Times to the Present, (Editor) Pope A.U and (Assistant Editor) Ackerman, Phylis, Text Architecture, Vol. III, p. 1245, London and New York, (1930).

(35) Texier, C. Description de l, Armenia, la perse et la Mesopotamie, paris 1842-1852, 11, pp. 110-111.

نقلاً عن: Pope, A.U., OP. Cit. Vol. 111, p. 1246

(٣٦) انظر: بدج، (سر ارنست الفردولس)، رحلات الى العراق، ج ١، ص ١٢٣، نقله الى العربية وقدم له وعلق عليه فؤاد جميل، ط ١، مطابع دار الزمان - بغداد ١٩٦٦ م.

(37) Reitlinger, G. Atower of Skulls, Ajourney through Persian and Turkish Armenia, p. 52, London 1932.

- (٣٨) ابن دقماق، (ابراهيم بن محمد بن أيدير العلائي الشهير بابن دقماق)، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ج ٤، ص ٩٠، طبع بالمطبعة الكبرى ببولاق (١٣١٠هـ-١٨٩٣م).
- (٣٩) المقريزي، الخطط، ج ٢، ص ٩٢-٩٣.

(40) Teixeira, p. The Traveis of Peter Teixeira from Italy by Land, p. 27.

- (٤١) وقد قيل إن خان المسافرين (Saffron) في بلاد فارس، هو أكبر الخانات إذ يحتوي على ١٧٠٠ إيوان إضافة الى مجموعة من الحمامات والأسواق داخل أسواره. انظر:

Fraser, j., Narrative of Ajourney in to Khorasan, pp. 383-385, London 1825.

- (٤٢) ابن بطوطة، (أبو عبد الله محمد بن ابراهيم اللواتي المعروف بابن بطوطة)، رحلة ابن بطوطة، ص ٥٤، بيروت (١٣٨٤هـ-١٩٦٤م).

(٤٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج (٤)، ص ١١٤.

(44) Unsal, B. Turkish Islamic Architecture in Scjuk a Ottoman Times 1071-1923, pp. 48, ff. London 1970.

- (٤٥) تافرنبيه، (جان بابتسيت)، العراق في القرن السابع عشر كما رآه الرحالة الفرنسي تافرنبيه، نقله الى العربية وعلق على حواشيه بشير فرنسيس وكوركيس عواد، ص ٤٤-٤٥، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٤٤م.

(46) Teixeira, P., the Travels of Peter Teixeira from India to Italy by Land, pp. 27 f.

(47) Cowper, H. S., Through Turkish Arabia, p. 318, London 1894.

(٤٨) المياح، عمارة وتخطيط الخانات العراقية، ص ٣٠.

- (٤٩) ناصر خسرو، (أبو معين)، (سفر نامه) رحلة ناصر خسرو الى لبنان ومصر والجزيرة العربية في القرن الخامس الهجري، نقله الى العربية د. يحيى الخشاب، ص ٤٨، ط ٢، بيروت ١٩٧٠م.

(٥٠) المنشئ البغدادي، (محمد بن أحمد الحسيني المعروف بالمنشئ البغدادي)، رحلة المنشئ

- البغدادي نقلها عن الفارسية عباس العزاوي، ص ٤١-٤٢، طبع شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد ١٩٤٨ م.
- (٥١) كونل، (ارنست)، الفن الإسلامي، ترجمة د. أحمد موسى، ص ١٥٦، بيروت ١٩٦٦ م.
- (٥٢) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ٢٢٣.
- (٥٣) ناصر خسرو، المصدر السابق، ص ٤٠-٤١ و ٤٧.
- (54) Teixeira, p., The Travels of p. t. from India to Italy by Land, pp. 27 f.
- (55) Filmer, H., The Pageant of Persia, p. 217, London 1937.
- (56) Pritchard, James. B., Ancient Near Eastern Text Relating to old Testament, p. 585, U.S.A. 1969.
- (٥٧) سمي بهذا الاسم نسبة الى وردان ابن سنان أحد قادة أبو جعفر المنصور.
- (٥٨) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج (٢)، ص ٣٤١.
- (٥٩) المدور، (جميل نخلة)، حضارة الإسلام، ص ٢٢، القاهرة ١٩٣٥ م.
- (٦٠) اليعقوبي، (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب الشهير باليعقوبي)، البلدان، ص ١، ط ٣، المطبعة الحيدرية، النجف ١٩٥٧ م.
- (٦١) نقل بتصريف عن د. مصطفى جواد ود. أحمد سوسة، دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديماً وحديثاً، ص ١٩٤، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٥٨ م.
- (٦٢) مصطفى جواد وأحمد سوسة، نفس المصدر، ص ٢٠٦.
- (٦٣) لمعرفة المزيد عن عمارة وتخطيط هذا الخان. يراجع: المورد، العدد (٤)، مج (٨)، ١٩٧٩ م؛ مديرية الآثار العامة، دليل متحف الآثار العربية في خان مرجان، القسم الأول، بغداد ١٩٣٨ م.
- (٦٤) نظمي زاده مرتضى أفندي، كلشن خلفا، نقله الى العربية موسى كاظم نورس، ص ٢٠٩-٢١٠، النجف ١٩٧١ م.
- (٦٥) نيور، رحلة الى العراق في القرن الثامن عشر، ترجمه عن الألمانية د. محمود حسين

- الأمين، راجعه وعلق عليه ووضع فهارسه سالم الآلوسي، ص ٣٣، بغداد ١٩٦٥ م.
- (٦٦) تافرنبيه، العراق في القرن السابع عشر، ص ٨١.
- (٦٧) نييور، المصدر السابق، ص ٤٤.
- (٦٨) بكنغهام، (جسس سلك) رحلتي الى العراق سنة ١٨١٦ م، ج ١، ص ١٩٧، ترجمة سليم طه التكريتي، مطبعة أسعد، بغداد ١٩٨٦ م.
- (٦٩) الدرربي، ابراهيم، البغداديون أخبارهم ومجالسهم، ص ٣٩٤، مطبعة الرابطة، بغداد (١٣٧٧هـ-١٩٥٨م).
- (٧٠) الشيخلي، (محمد رؤوف طه)، مراحل الحياة في الفترة المظلمة وما بعدها، ج ١، ص ٦٣، مطبعة البصرة، البصرة (١٣٩٢هـ-١٩٧٢م).
- (٧١) الدرربي، المصدر السابق، ص ٣٩٤-٣٩٥.
- (٧٢) الدرربي، المصدر السابق، ص ٣٩٥.
- (٧٣) الدرربي، المصدر السابق.
- (٧٤) الشيخلي، المصدر السابق.
- (٧٥) الدرربي، المصدر السابق.
- (٧٦) الدرربي، المصدر السابق.
- (٧٧) الدرربي، المصدر السابق، ص ٣٩٦.
- (٧٨) الدرربي، المصدر السابق.
- (٧٩) الدرربي، المصدر السابق.
- (٨٠) الدرربي، المصدر السابق.
- (٨١) الدرربي، المصدر السابق، ص ٣٩٦.
- (٨٢) الدرربي، المصدر السابق.
- (٨٣) الدرربي، المصدر السابق.
- (٨٤) الدرربي، المصدر السابق، ص ٣٩٧.

- (٨٥) الدروبي، المصدر السابق.
- (٨٦) الشيعلي، المصدر السابق، ج ١، ص ٥٦.
- (٨٧) تقرير ممثل مديرية الآثار العامة في خان الزرور، رقم الاضبارة ٥٤٥ / ٤٠.
- (٨٨) الشيعلي، مراحل الحياة في الفترة المظلمة وما بعدها، ج ١، ص ٦٣.
- (٨٩) الشيعلي، المصدر السابق، ج ١، ص ٦٤.
- (٩٠) سركيس، (يعقوب)، مباحث عراقية في الجغرافية والتاريخ والآثار وخطط بغداد... إلخ، القسم الثاني، ص ١٣٥، ٢٨٤-٢٨٥، تقديم رفائيل بطي ومير بصري، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد (١٣٧٤هـ-١٩٥٥م).
- (٩١) سركيس، المصدر السابق، ص ١٨٧-١٨٨.
- (٩٢) الشيعلي، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٦.
- (٩٣) الشيعلي، المصدر السابق.
- (٩٤) الشيعلي، المصدر السابق.
- (٩٥) الشيعلي، المصدر السابق.
- (٩٦) الشيعلي، المصدر السابق، ج ١، ص ٦٥.
- (٩٧) الشيعلي، المصدر السابق.
- (٩٨) الشيعلي، المصدر السابق.
- (٩٩) الشيعلي، المصدر السابق.
- (١٠٠) الشيعلي، المصدر السابق.
- (١٠١) الشيعلي، المصدر السابق.
- (١٠٢) الشيعلي، المصدر السابق.

مصادر البحث:

أ- المصادر العربية:

- ١- ابراهيم مصطفى وآخرون: أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار: المعجم الوسيط، أشرف على طبعه عبد السلام هارون، ج ١، مطبعة مصر، القاهرة (١٣٨٠هـ-١٩٦٠م).
- ٢- الشيخ أحمد رضا: معجم متن اللغة، مج (٢) و(٤)، بيروت (١٣٧٧-١٣٧٩هـ/١٩٥٨-١٩٦٠م).
- ٣- أدي شير: كتاب الألفاظ الفارسية المعربة، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٠٨م.
- ٤- ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن ابراهيم اللواتي المعروف بابن بطوطة) (ت ٧٧٩هـ-١٣٧٣م): رحلة ابن بطوطة، بيروت (١٣٨٤هـ-١٢١٧م).
- ٥- ابن جبير (أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكنافي الأندلسي) (ت ٦١٤هـ-١٢١٧م).
- ٦- ابن دقماق (ابراهيم بن محمد بن أيدير العلائي الشهير بابن دقماق) (ت ٨٠٩هـ-١٤٠٦م): الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ج ٤، طبع بالمطبعة الكبرى، ببولاق (١٣١٠هـ-١٨٩٣م).
- ٧- ابن سيده (علي بن اسماعيل) (ت ٤٥٨هـ-١٠٦٥م): المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، تحقيق الدكتور مراد كامل، ج ٦، ط ١، مصر (١٣٩٢هـ-١٩٧٢م).
- ٨- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور) (ت ٧١١هـ-١٣١١م): لسان العرب، مج (١٠) و(١٣)، بيروت (١٣٧٦هـ-١٩٥٦م).
- ٩- أيوار: (مادة خان)، دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة أحمد الشنتناوي، ابراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس، حافظ جلال، مج (٨)، (بدون مكان وسنة الطبع).
- ١٠- بارتلد: (مادة خان)، دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة أحمد الشنتناوي وآخرون، مج (٨).

- ١١- بدج، (سرارنست الفردولس)، رحلات الى العراق، نقله الى العربية، وقدم له وعلق عليه فؤاد جميل، ج١، ط١، مطابع دار الزمان، بغداد ١٩٦٦ م.
- ١٢- بطرس البستاني (المعلم): قطر المحيط، ج١، بيروت ١٨٦٩ م.
- ١٣- بطرس البستاني (المعلم): محيط المحيط، مج (١)، بيروت ١٨٧٠ م.
- ١٤- بطرس البستاني (المعلم): (مادة الخان)، دائرة المعارف للبستاني، مج (٧)، مطبعة المعارف، بيروت ١٨٨٣ م.
- ١٥- بكنغهام (جسس سلك): رحلتي إلى العراق سنة ١٨١٦، ترجمة سليم طه التكريتي، ج١، مطبعة أسعد، بغداد ١٩٦٨ م.
- ١٦- تافرنيه (جان بابتيست): العراق في القرن السابع عشر، نقله الى العربية وعلق حواشيه بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٤٤ م.
- ١٧- توفيق أحمد عبد الجبار: تاريخ العمارة والفنون الإسلامية، ج٣، المطبعة الفنية الحديثة، مصر ١٩٧٢ م.
- ١٨- الجواليقي (أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر) (ت ٥٤٠هـ-١١٤٥م):
المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق وشرح أبو الأشبال أحمد محمد شاكر، أعيد طبعه بالأوفست في طهران ١٩٦٦ م.
- ١٩- الجوهري (الشيخ أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري) (ت ٣٩٨هـ-١٠٠٧م): تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ج٥، مطابع دار الكتاب العربي بمصر، القاهرة (١٣٧٦هـ-١٩٥٦م).
- ٢٠- د. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج٤، ط١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٨ م.
- ٢١- د. حسين علي محفوظ: حديث شخصي، ١٩٧٥ م.
- ٢٢- إبراهيم الدروبي: البغداديون أخبارهم ومجالسهم، مطبعة الرابطة، بغداد (١٣٧٧هـ-١٩٥٨م).

٢٣- رشيد عطية: معجم عطية في العامي والدخيل، دار الطباعة والنشر العربية، سان باولر، برازيل ١٩٤٤م.

٢٤- الزبيدي (محب الدين أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني) (ت ٨١٧هـ-١٢٠٥م): تاج العروس من جواهر القاموس، مج (٧) و(٩)، ط١، المطبعة الخيرية، مصر (١٣٠٦هـ).

٢٥- الشرتوني (سعيد بن عبد الله الخوري) (ت ١٣٣١هـ-١٩١٣م): أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، ج ١، مطبعة مرسلي اليسوعية، بيروت ١٨٨٩م.

٢٦- الشيخلي (محمد رؤوف طه): مراحل الحياة في الفترة المظلمة وما بعدها، ج ١، مطبعة البصرة، البصرة (١٣٩٢هـ-١٩٧٢م).

٢٧- العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران اللغوي العسكري) (ت ٣٩٥هـ-١٠٠٤م).

٢٨- الفيروزآبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي) (ت ٨١٧هـ-١٤١٤م): القاموس المحيط، مطبعة السعادة، ج ٤، (١٣٣٢هـ-١٩١٣م).

٢٩- أرنست كونل: الفن الإسلامي، ترجمة الدكتور أحمد موسى، بيروت ١٩٦٦م.

٣٠- طوبيا العنيسي الحلبي اللبناني: كتاب تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه، عني بنشره وتصحيحه والتعليق على حواشيه الشيخ يوسف توما البستاني، ط ٢، مصر ١٩٣٢م.

٣١- المدور (جميل نخلة): حضارة الإسلام، القاهرة ١٩٣٥م.

٣٢- مصطفى جواد وأحمد سوسة: دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديماً وحديثاً، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٥٨م.

٣٣- برهان نزر محمد علي المياح: عمارة وتخطيط الخانات العراقية القائمة على طرق المزارات، رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية الآداب - جامعة بغداد، مطبوعة على آلة الطباعة، بغداد ١٩٧٦م.

٣٤- مديرية الآثار العامة: دليل متحف الآثار العربية في خان مرجان، القسم الأول، مطبعة

الحكومة، بغداد ١٩٣٨ م.

٣٥- المقريري (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي) (ت ٨٤٥هـ-١٤٤١م): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريرية، ج ٢، طبعة جديدة بالأوفست، مكتبة المثني، بغداد (د.ت).

٣٦- المنشئ البغدادي (السيد محمد بن السيد أحمد الحسيني المعروف بالمنشئ البغدادي): رحلة المنشئ البغدادي، نقلها عن الفارسية عباس العزاوي المحامي، طبع شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد (١٣٦٧هـ-١٩٤٨م).

٣٧- ناصر خسرو (أبو معين): (سفرنامه) رحلة ناصر خسرو الى لبنان ومصر والجزيرة العربية في القرن الخامس الهجري، نقله الى العربية د. يحيى الخشاب، ط ٢، بيروت ١٩٧٠ م.

٣٨- ناصر النقشبندي: (خان مرجان)، مجلة أهل النفط، العدد (٦٧)، ١٩٥٧ م.

٣٩- نظمي زادة مرتضى أفندي: (ت ١١٣٦هـ-١٧٢٣م): كلكشن خلفا، نقله الى العربية موسى كاظم نورس، مطبعة الآداب، النجف الأشرف ١٩٧١ م.

٤٠- نعيم زكي فهمي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (أواخر العصور الوسطى)، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (١٣٩٣هـ-١٩٧٣م).

٤١- كارستن نيور: رحلة نيور الى العراق في القرن الثامن عشر، ترجمه عن الألمانية الدكتور محمود حسين الأمين، راجعه وعلق عليه ووضع فهارسه سالم الألوسي، بغداد ١٩٦٥ م.

٤٢- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي) (ت ٦٣٦هـ-١٢٢٨م): معجم البلدان، مج (٢) و(٤)، بيروت (١٣٧٥-١٣٧٦هـ/١٩٥٦-١٩٥٧م).

٤٣- يعقوب صروف وفارس نمر: باب المسائل، (معنى خان)، مجلة المقتطف، ج ١، مج (٢٦)، سنة ١٩٠١ م.

ب- المصادر الأجنبية :

- 1- Cowper, H.S., Through Turkish Arabia, London 1894.
- 2- Filmer, H., The Pageant of Persia, London 1937.
- 3- Fraser, J., Narrative of Ajourney in to Khorasan, London 1825.
- 4- Peters, Gohn, Punnett, Nippure or Explorations, and adventures on the Euphrates, 2. Vols., New York, and London 1898.
- 5- Pope, Arther, Upham, Bridhes Fortifications, Caravanserais, Asaravey of Persia Art From Perhistoric Times to the present, (Editor) Pope, A. U., And (Assistanteditor) Ackerman, Phylis, Text Architecture, Vol. III, London and New York.
- 6- Porter, R.K., Travels in Georjin, Persia, Armenia, and Ancient Babylonia during the years 1817-1820 in 2 Vols., London 1822.
- 7- Pritchard, James.b., Ancient Near Eastern Texts Relating to the old Testament, U.S.A 1969.



جعفر الخليلي شاهد على العصر

(ملف خاص)

أبي كما عرفته

فريدة جعفر الخليلي

رأى النور في مدينة النجف في يوم الجمعة السابع من شعبان ١٣٢٢ هـ - ١٩٠٤ م وكان يعتز بشهر شعبان الذي يسبق شهر رمضان الفضيل ويصوم في منتصفه ويدير مع أقرانه الاحتفالات والأهازيج الشعبية الخاصة بها.. وكان يروي لنا القصص والحكايات عن طفولته الصاخبة يوم كان يقود أولاد الحارة ويزجهم في الأعباء مؤذية وخطيرة أحياناً يضطر الأهالي لإنزال أشد العقوبات بحقهم ويهرب هو ناجياً من كل تلك الأعباء التي تدل على ذكائه وحذقه.. وكان يفتخر بمثل تلك الروح القيادية ويتمتع بذكرى حوادثها مفصلاً وكأنها حدثت له بالأمس.

نشأ يحب الفكاهة والمرح والأريحية، ويحفظ الكثير من الفكاهات المسلية ويرتاد دور السينما والتمثيل الكوميدي بحيث لم يترك فيلماً لبشارة واكيم أو إسماعيل ياسين دون أن يراه لأكثر من مرة واحدة. وكان مولعاً في القصص والروايات الدرامية التي تستند على الواقع وبعيدة كل البعد عن الخيال. فكان يعتز بكبار الممثلين أمثال محمود المليجي وعماد حمدي ويوسف وهبي وبكي أسفاً وحسرة لوفاتهم؛ لأنه عاش مع تمثيلهم منذ مراحل شبابه، ويلمس في تلك الروايات دنيا الواقع الاجتماعي الذي يعيشه ويتأثر به كتأثره بقصص جي. دي. موباسان.

ومن واقعيته تعلقه الشديد بعالم الحيوان والطبيعة، وكثيراً ما كانت تشده الأفلام عن الحيوانات التي تزيده إيماناً بقدرة الخالق. ومن فلسفته أن العلم والإيمان لا يتعارضان مطلقاً.. ومن واقعيته أيضاً أنه كان بعيداً كل البعد

عن التكلف والبذخ والمغالاة، كالإسراف في المأكل والمشرب، وكان لا يشرب غير السيكاراة الإنجليزية الأنيقة يومذاك وهي Black & white، ولم تتعارض فلسفته في الاعتدال في الأمور من أن يكون متأنقاً ومترفاً في مطلع شبابه.

ومن ذكريات الطفولة نشأت علاقته بكبار الشعراء والأدباء من النجف الذي كان يعتز بهم ويراسلهم ويحتفظ في مكتبته بعشرات الملفات الخاصة برسائل الأصدقاء من أمثال وديع فلسطين ووديع رشيد الخوري وروكس العزيمي والياس فرحات وجورج صيدح وعجاج نويهض ورشاد دارغوث ومحمد عبد الغني حسن وعبد القادر القط وعبد السلام العجيلي وغيرهم الكثيرين الذين عرفهم معرفة حميمة لكثرة أسفاره وقضاء فصل الصيف في ربوع لبنان حيث أتاحت له فرصة التعرف إلى عدد كبير من الأدباء في لبنان والمهجر.

وكان يقيم لهؤلاء الأصدقاء الذين يفدون على النجف وبغداد حفلات الغداء والعشاء في بيته مرحباً بهم بأبيات من الشعر التي تجعل غيره من الشعراء والأدباء العراقيين يشاركونه الاحتفالات في أثناء حفلات الطعام وتُسمي تلك الأمسية ندوات شعرية وسرعان ما تنشر في جريدة الهاتف ويرددها البعض ممن يستسيغون الشعر. وهنا كان رحمه الله يشعر بالراحة النفسية عند إقامة حفلة التكريم في داره، بل إن هذا الوفاء والإخلاص للأصدقاء هو الذي دعاه أن يؤلف كتابه (هكذا عرفتهم) بأجزائه السبعة

المطبوعة؛ لأن حزنه على رحيل أصدقائه لا يمكن لي تصويره؛ حيث كان يكتب عنهم بألم دفين يدعه يبكي بكاء مرأً. ومثل مناسبات التكريم هذه وغيرها التي ينظم فيه الشعر عديدة مع أنه لم يدع بأنه شاعر ولكنه لم يدع مناسبة في تكريم أو ترحيب بصديق أو مولود جديدة أو انتقال إلى دار جديدة إلا ونظم عدة أبيات لتلك المناسبة.

ومن شعر المناسبات ما قال في طيب القلب أوسكار شكري:

بين أوسكار والقلوب جميعاً هو ما بين عاشقين وأكثر
كل قلب حتى قلوب الغواني خاضعات له إذا ما تأمر
فهنيئاً لجابر وطبيب يجبر القلب إن هوى وتكسر
ويعيد النظام للقلب في السير فلا يلتوي أو يتعثر
وما أكثر أصدقاءه الذين يعتز بهم لأبعد حدود الاعتزاز والصدقة
الحقة، وكثيراً ما كانت تناله بعض الإساءات من صديق فيكتمها، ولكنه
دوماً ينصح بناته في كيفية اتخاذ الصديق حتى لا تفقد صداقته وتحفظ بها
مدى الأيام ولم يرض توجيه أية شكوى أو تدمر من الصديق فيقول ما قاله
الشاعر:

إذا كنت في كل الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
وفي مكتبته تجد لوحة فنية جميلة كتبت (صديقك من صدقك)، وكان
يلجأ لأصدقائه عند ضيق صدره فيكتب إليهم ما يشعر به وكأنه ينشد فيهم
الأمل. ولكنه لم يلجأ لأي صديق عند الأزمات المالية التي اضطرتة مرة أن
يبيع بعض كتبه القيمة لشراء ورق لجريدته في أثناء الحرب، وهو مع ذلك

يؤمن بأن (المرء كثير بإخوانه). ولم أجده مرة يلوم أصدقاءه في شيء أو يشير إلى أخطائهم وإنما يخفي سره مع صديقه حتى عن أقرب فرد في عائلته، مع أنه لا يستطيع أن يتحمل الخطأ مهما كان بسيطاً؛ لأنه يعتقد أن الخطأ متى تكرر يصبح عادة يصعب انتزاعها.

كان يعشق المطالعة ويقضي ساعات متأخرة من الليل وهذا هو السبب الذي دعاه أن يفضل وظيفته التدريس ويجبر مدير المدرسة أن تكون دروسه في ساعة متقدمة من النهار، ولا يمكن أن يشفيه حتى المرض من المطالعة، وأذكر أني يوم وفاته كنت قد جلبت له عدة مجلات فقال لي: إنني قرأتها من الغلاف إلى الغلاف.

وكان يحب قراءة الشعر بصوت عال يشبه الغناء، ويتمتع وهو يسمع صوته، لذلك كان يحفظ الكثير من الشعر ويعود ذلك لتربية والده الذي كانت له مكتبة فخمة من كتب الأدب والشعر القديم.. وهذا التأثير الأدبي من أبيه كان يشمل أخاه الأكبر المرحوم عباس الخليلي الذي نظم أول أبيات شعر لا أحفظ إلا مطلعها يوم كان في التاسعة من العمر:

عندما كنت صغيراً ساربي في ضحى العيد إلى السوق أبي
وفي الشعر يوصف الصبي الصغير عباس كيف اشترى له أبوه بدلة
وخاتماً من الذهب.

فاليئة البيتية هي التي جعلته يحب الكتب والمطالعة، وقد يشرف بنفسه على مكتبته ويرعاها بل ويعتبرها أهم ركن من أركان بيته، وتأثير ذلك

انعكس على تفكير بناته يوم كانت إحداهن في زيارة بيت أصدقاء لهم في منتهى الأناقة والبذخ والحداثة، وعندما سألتها والدها عن رأيها في ذلك البيت الجميل الذي يتحدث الناس عن فخامته... قالت نعم يا أبي ولكنني لم أجد فيه كتباً.

كان جريئاً في كتاباته ونقده لا يجامل صديقاً كان أو قريباً له، وذلك من منطلق فلسفته في احترام الحقيقة في مجال العلم والأدب، وأن للأديب رسالة يجب ألا يجيد عنها في هذا المضمار.

وكان بعيداً عن عالم الخرافة والسحر والجن والكثير من العادات والأوابد القديمة الراسخة في نفوس الناس من جيله. وكان يعزو ذلك لوالده الذي عاش في مجتمع تسوده الخرافات ولكنه لا يؤمن بها مطلقاً، بل كان يجد تفسيراً واقعياً لمثل تلك المعتقدات التي ترسخ في أذهان الناس ويتناقلونها من جيل إلى جيل كعقائد أصيلة. ووالده هو الذي جعله يعتاد قراءة الأدب والشعر والكتابة حيث كانت له مكتبة فخمة وهي ثروته التي ورثها من بعده واعتز بها مدة الأيام. فكنت أرى بعض الكتب من المخطوطات القديمة التي تحول ورقها إلى اللون الأصفر الداكن، وهي التي تدلني على أنها من مخلفات جدّي. وكان يحتفظ أيضاً بقرآن أمّه الخاص؛ لأنه كان يعتز بها وبسيرتها الحكيمة الجليلة التي عرفت بالشجاعة، وقد أنشأته بعز ودلال ورعاية خاصة، وتألّم لوفاتها بحيث لم يستطع زيارة قبرها حتى وفاته. وكان يناديها ويتعلق بذكرها كلما ألمّت به مصيبة أو أذى.

وكان يجب زيارة البيت الذي ولد فيه، فيقف أمام البيت مستعرضاً ذكريات ماضيه مع أسرته ومع أولاد الحارة، وتلك البيئة الاجتماعية والأدبية التي صور معظمها في ذكرى حياة الراحلين في أجزاء كتابه (هكذا عرفتهم). وكثيراً ما طلب منه أن يكتب مذكراته فأبى لاعتقاده بأنه سجل تاريخ حياته وحياة الذين عاش معهم في (هكذا عرفتهم).

كان متواضعاً لا يقبل أن يُنعت بالأديب الكبير وإنما يقول عن نفسه إنه متأدب، وكان أيباً لأبعد حدود الإباء في طريقة نشر مقالاته أو قصصه لا يعرض مقالاً أو قصة ما لم تطلب المجلات أو الصحف أو الإذاعة والتلفزيون. ومن إبائه المتناهي أنه نقل في وزارة المعارف للتدريس في إحدى المدن الصغيرة بجنوب العراق. وعلى إثرها استقال في الحال بالرغم من إصرار الدولة على بقاءه وتقديم الاعتذار له، وهنا أراد أن يحقق رغبته الكامنة فأنشأ جريدة الفجر الصادق عام ١٩٣٠م.

كان عصبي المزاج، متمسكاً برأيه لا يثنيه عنه شيء حتى لو أدى لتعطيل مصالحه، ومن أمثلة التزامه برأيه وتمسكه بإرادته القوية، إنه كان في إحدى المجالس الأدبية الشعرية في النجف فورد موضوع الإرادة، وأراد أن يثبت لهم قوة إرادته وعزيمته. فترك السيكرة في المجلس نفسه، ولم يعد لها مما سببت له متاعب صحية وأوصاه الطبيب بتركها تدريجياً فأبى. وظل طوال حياته يحن إلى التدخين وطالما كان يمسك بعلبة الدخان ليشم رائحتها فيشعر بانتعاش غريب.

كان يعتز بمؤلفاته كاعتزازه بأولاده وأكثر ولعل كتابه (أولاد الخليلي - مجموعة قصصية) أعز لديه من أولاده الحقيقيين؛ لأن كتبه تخدمه في سمعته الأدبية، وإن كان يهتم بأولاده ويغدق عليهم حبه ويرشدهم دوماً. فعندما لا يستمع أحدٌ منهم لإرشاداته ونصحه يقول له: (إن لم تؤدبك نفسك أدبك الزمان).

وكان متفائلاً حتى في أحلك الظروف ويوصي أولاده بالتفاؤل يتمثل في شعر إيليا أبي ماضي:

وتمتع في الصبح ما دمت فيه لا تخف أن يزول حتى يزولا
وكان مؤمناً بالقدر. يكرر نصائحه بالتخفيف عن الآخرين بقول
الشاعر:

دع المقادير تجري في أعنتها ولا تبستن إلا خالي البال
وكان يقول أيضاً: لا تحملهماً لم ينزل بك.

كان يحب في المرأة جمال شخصيتها ويؤمن بالمرأة الواعية المثقفة بشرط ألا تنسى واجباتها المنزلية. وعن جمالها الطبيعي كان يرى في الجمال اعتدال التناسق في الجسم وجاءته مرة بطاقة تهنئة بمناسبة العيد من مدينة السلط (وهي إحدى المدن المهمة في الأردن)، فأعجبه الوقار والتناسق في الطول الفارع الذي يمثل رزانة المرأة البدوية فكتب لصاحبه يشكره ويقول:

من بنات العرب الكرام فتاتان من السلط في ثياب بهية
شف عنها جسم من العجاج صيغ مثلاً في قامة سمهرية
ميزة (السلط) في الفتاة جمال في حياء لأنها بدوية

في سمات لم تحكها بنت حواء لغير السلالة العربية
يا ابنة (السلط) أنت في كل جلاباب وإن لم تجلبي حورية
كان شجاعاً وصبوراً حتى عند المرض الشديد بحيث لا يشكو مهها
كان الألم شديداً، وقد عانى صابراً في ابتعاده عن وطنه وأصدقائه ومكتبته
في أواخر حياته، وكان لا يهاب الموت ولا يخافه بل ويوصي بناته عند موته أن
يلجأن إلى الصبر والوقار في حزنهن ويعملن بوصية إيليا أبي ماضي لزوجته
في التغلب على حزنها:

أنا إن أغمض الحمام جفوني ودوى صوت مصرعي في المدينة
لا تشقي عليّ ثوبك حزناً لا ولا تذرفي الدموع السخينة
فليقول العذال عنك بخيلة لهو خير من قولهم مسكينة
غالبي اليأس واجلسي عند قبري بسكون أي أحب السكينة
إن للصمت في المأتم معنى تتعزى به النفوس الحزينة

وكان في حزنه على وطنه ينشد الشعر بصوت مسموع ويردد قول

الشاعر:

تنكّر لي دهري ولم يدر أنني أعز وأحداث الزمان تهون
وبات يريني الخطب كيف اعتداؤه وبات أريه الصبر كيف يكون

وكان رحمه الله في أيامه الأخيرة يستعين بالله ويطلب منه العفو والمغفرة.

وعندما كنت أسأله وما سبب طلبك الغفران يا أبي وأنت لم تسيء إلى أحد في
حياتك؟ كان يقول... إنني لا يمكن أن أنسى ذلك الشخص الذي لا أعرفه
تماماً وجاءني يطلب مساعدة مالية مني يوم كنت أصطاف في جبل لبنان.
فأعطيته نصف المبلغ الذي طلبه ليس بخلاً وإنما كنت أخاف أن أحتاج إلى

المال وأنا أقضي فترة طويلة خارج بلادني ولا أحب الاقتراض من أحد. وعندما ذهب الرجل سمعت بعد أيام عن وفاته. فما عاد طيفه يغيب عني وما عدت أنسى تقصيري معه.

ومات بكل هدوء وراحة أبدية طالما تمنى ذلك لإبائه وخوفه من المرض العضال الطويل الذي يزعج أهل بيته. وبكاه بموته الأصدقاء والأحبة وكل من عرف وفاته الخالد في سبعة أجزاء من (هكذا عرفتهم) - مات إنسان الوفاء وأبو الصحافة العراقية كما كان يلقب؛ لأنه عمل لأكثر من خمسين عاماً متواصلاً في الصحافة ومكافحاً ومنتصراً على الظروف والعقبات. ودفن في دبي مساء السبت ٢ / ٢ / ١٩٨٥ م وصدق الشاعر في قوله:

مشيناها خُطىً كتبت علينا ومن كتبت عليه خُطىً مشاها
ومن كتبت منيته بأرض فليس يموت في أرض سواها

المصدر: مجلة الموسم، العددان ٦٣-٦٤، السنة (٢٠) ١٤٢٩هـ-

٢٠٠٨م.



جعفر الخليلي : (أمة في رجل)

بقلم الأستاذ وديع فلسطين

في موكب جنازي مهيب رحل عنا الأديب العراقي الكبير جعفر الخليلي في الثاني من شباط ١٩٨٥، وكأننا شاء أن تكون رحلة النهاية رحلة يؤنسه فيها صفاؤه من الأعلام. فمنذ مطلع العام المذكور والمنيا تفتك بكبار الباقين من أعلام أمتنا العربية، وموكب الموت في مسراه يخطف من بيننا الدكتور فؤاد صروف محرر «المقتطف» العتيد الذي توفي في بيروت في العشرين من يناير، ثم محمد عبد الغني حسن أديبنا المصري الكبير الذي غادرنا في صمت في الثاني والعشرين من يناير، ثم جعفر الخليلي الذي ودع الدنيا في الثاني من فبراير ثم أحمد حامد الصراف مترجم رباعيات عمر الخيام الذي وافته منيته في حوالي منتصف فبراير في العراق، ثم الشاعر السوري علي دمر الذي توفي في السعودية في شهر مارس وأخيراً. وليته كان آخراً عامر العقاد الذي اختصر رحلة الحياة وغادرنا في الرابع والعشرين من مارس.

فياله من موكب حزين، إنه حرم الضاد أعلامها المذخورين، فقد فجعنا معشر أوداء هؤلاء الأعلام في صداقات لنا امتدت على رقعة العمر وكانت زاداً للنفس، ومنبعاً لموحيات الصفاء وملاذاً نستجير به من هجير الحياة.

ومن الجنايات التي لا تفتقر لمجتمعنا الأدبي أن الأجيال الطالعة من الأدباء تكاد تجهل حتى الكبار الكبار من أعلام المفكرين في عالمنا العربي، بل في وطننا المصري، أولئك الأساتذة الذين استفاضت آثارهم ومآثرهم، وعاشوا يخدمون الضاد من ريق العمر إلى منتهاه، وذادوا بأمانة وشرف وتقديس عن مثل القيم وفضلى المآرب وعظمى الغايات، وأغنوا الفكر

والعلم والعرفان بنفائس المحبرات، وكانوا على الدهر صوى في طريق الفكر الحضاري، وأئمة في محراب الكلمة النيرة ورسلاً ينطقون باللفظة المبينة، والحرف الصادق، والرأي البناء السديد.

ومن المجنى عليهم في دنيانا الأدبية حبيبنا الراحل جعفر الخليلي الذي كان أمة برأسه ومجموعة من الرجال لا تتكرر. وها هو علمه وآثاره وريادته وقد فرضت نفسه على الجامعات الأمريكية، فقام باحث من الثقات في جامعة ميشغن بوضع رسالة دكتوراه عن الخليلي ودوره الرائد في الأدب الروائي العراقي، وفيها أحاط بجانب واحد فقط من جوانب الخليلي المتعددة، وما كان له أن يحيط بجوانبه الأخرى لاتساعها وتراميتها وترحبها. ولقد كان من أسباب سعادي أن اشتركت في ترجمة هذه الرسالة الجامعية مع الدكتور صفاء خلوصي الأستاذ الأكسفوردي، كما كان جميل التوفيق أن قدم لهذه الرسالة محمد عبد الغني حسن فأجمل القول وركزه في عبارته الختامية ونصها:

«ولا شك أن اجتماعنا هنا ما بين مسلم ومسيحي، وشرقي وغربي، ومصري وعراقي، وسني وشيعي، وعربي وأعجمي، هو اجتماع وإجماع على المكانة الأدبية المرموقة التي يتمتع بها صديقنا الأستاذ جعفر الخليلي الذي تخصصه هذه الدراسة الجامعية بالتفصيل والتحليل».

نعم، لقد كان جعفر الخليلي مجموعة من الرجال تكاملت في شخصه، وائتلفت في نسيج إنسانيته وتغلقت بخلقه وقيمه ومثلياته. ومن الواجب الحتم التعريف بهذه الشخصية الفريدة لجمهور ينبغي أن يعرف لهذا الرجل

فضله وأياديه لاسيما وهو يؤمن، كما نؤمن معه، بأن وطننا العربي وطن واحد للضاد، يتعالى على صغائر ما ابتدعوا وصنفوا ورسموا من سمات وهويات وتأثيرات واستمارات ونماذج وأسماء ومسميات، وما شئت من أوراق تعبقر العرب في استنباطها واستحداثها وتضمينها وتزويقها وتكديسها حتى صيروا وطنهم أوطاناً ودارهم دياراً وأمتهم أمماً ورحم الله الشاعر المهجري إلياس فرحات الذي استهول أن تكون دول العرب سبعاً، فكيف وقد أربى عددها اليوم على العشرين وهو القائل:

إذا كانت الدولات سبعاً ليعرب فكم دولة تستوعب الصين والهند؟
نشأ جعفر الخليلي في النجف في بيئة علمية دينية أدبية وهو من مواليد عام ١٩٠٤. وفي النجف تعلم وتمرس بالحياة أدبياً وفقهياً، وفيها أصدر جريدة «الفجر الصادق» عام ١٩٣٠ وجريدة «الراعي» عام ١٩٣٤-١٩٣٥، ثم أصدر جريدته المخدلة الآيات «الهاتف» وهي برسالتها وشكلها وطابعها ومنهجها تكاد تكون الطبعة العراقية لجريدة «السياسة الأسبوعية» التي أصدرها في مصر الدكتور هيكل باشا وجعلها امتدى فكرياً منصوباً لأمة العرب قاطبة. وعلى هذا النسق عينه سارت جريدة «الهاتف» منذ إنشائها في عام ١٩٣٥ وإلى احتجاجها في عام ١٩٥٤ بعد انتقالها من النجف إلى بغداد، فكانت ميداناً لأقلام أدباء يعرب في الوطن والمهجر، وكانت تتوخى هدفين ساميين هما: إعلاء شأن الأدب وعقد أسباب الوثام بين الأدباء العرب. هكذا صارت «الهاتف» بستاناً أدبياً نفتقر إلى مثله اليوم، وفي سبيل الحفاظ على المستوى الأدبي الرفيع لهذه المجلة باع الخليلي متاع بيته وهو قد اضطر

أيضاً في أخريات عمره إلى بيع مكتبته الخاصة بدرميهات تصون كرامته وتبقي على عفته.

إنها تجربة في الصحافة الأدبية خاضها الخليلي بمفرده، وانسحب منها بعد إغلاق «الهاتف» بقرار إداري في وقت يكاد يتزامن مع احتجاج «المقتطف» لصروف و«الرسالة» للزيات و«الثقافة» لأحمد أمين و«الكتاب» لعادل الغضبان و«الكاتب المصري» لطف حسين و«الفصول» لمحمد زكي عبد القادر و«مجلة علم النفس» ليوسف مراد وكانت هذه المجالات العلمية جميعاً على موعد وميقات مع الموت. هذا عن الصحفي جعفر الخليلي. أما ريادته التاريخية المذكورة فتتمثل في ميدان القصة الذي سبق إلى خوضه وبرز فيه، لا أدبياً مبدعاً وحسب، بل مؤرخ للقصة كذلك. فهو في مجموعته «قرى الجن» يخترع عالماً مطوباً أو مدينة فاضلة يعيش أهلها ناعمين بالحرية والعدالة والسلام. وقد اختار الخليلي هذا الأسلوب الرمزي في القصة لكي يتخلص من مآزق الواقع في عالم غير طوباوي وهو أسلوب في إنطاق الحيوان أو الجن دروس الحكمة، لجأ إليه الفيلسوف بيدبا في «كليلة ودمنة» وتوفيق الحكيم في «حماياته» وكامل كيلاني في كتب الأطفال التي صنفها. وللخليلي آثار روائية أجرى، بعضها يتخذ شكل اليوميات، وبعضها يجري مجرى الاعترافات وبعضها يقوم بدور البطولة فيه أولاد الخليلي نفسه، وبعضها ينحو منحى النقد الاجتماعي الذي يساق في قالب قصصي.

على أن من أمتع الآثار الأدبية التي أصدرها جعفر الخليلي كتابه العظيم

الموسوم بـ (هكذا عرفتهم) وقد أصدر منه حتى الآن ست حلقات ضخام، وهناك حلقات أخرى لم يتح لها الصدور في حياته وهو في هذا الكتاب يتجرد إلا من إنسانيته وأدبه، ويروي باستطرادات مستملحة ذكرياته عن الأصدقاء الراحلين، وكلهم من كبار الشعراء والأدباء والعلماء، فيسوق أطرافاً من حياتهم ونواديرهم وفكاهاتهم ومسامراتهم، وينقل من رسائلهم العشرية والنثرية التي كانت من شهودها أو الخائضين فيها ويميط اللثام عن كثير من الآراء التي لا تستعلن عادة في الكتابات المنشورة، ويورد ما لا تعرفه الناس عن شاعر كبير كالصافي النجفي، أو عن شاعر مهجري متميز كجورج صيدح، أو عن مجاهد عربي عظيم كمحمد علي الطاهر، أو عن أديب سوري عصامي كسامي الكيالي أو عن شاعر مهجري مرموق كالياس فرحات، أو عن العلامة الوطني الكبير عجاج نويهض، وهلم جراً. وفي اعتقادي أن هذه السلسلة النادرة المثال من الكتب تسد فراغاً كبيراً في أدب السير والتراجم؛ لأنها تدور جميعاً حول رجال عرفهم الخليلي وكانت له معهم عشرة وصدافة طويلتان، فخبير من أمورهم وأحوالهم ما لم يتح لسواه، وأتى بما لا يسع غيره أن يأتي به إلا بالمخالطة والمصاحبة وطوال المطارحات.

ويحتفظ الخليلي بأضابير كثيرة من الرسائل الخاصة التي ظل يتبادلها مع أصحابه وأعلام عصره طوال أكثر من ستين عاماً وهي ومن واقع متابعتي الشخصية لرسائل الخليلي فإنها تعد ذخيرة أدبية وتاريخية ينبغي أن تصان من عبث الأيام.

ولئن كان الخليلي قد عالج موضوعات تستغرب منه، ككتابه عن التمور العراقية وكتابه الذي سماه «تسواهن» وهو نظرات في الغناء والرقص والجمال، فقد انصرف إلى الأعمال الموسوعية الباذخة بإخراجه ثلاثة عشر جزءاً من «موسوعة العتبات المقدسة» وهي موسوعة تاريخية جغرافية أدبية عن البقاع المقدسة، كأنه في تقديره أن تقع بعد إتمامها في أكثر من عشرين جزءاً. وكان الخليلي يملك الهمة والعزيمة والصبر على البحث، ولكن هذه الأرصدة الثلاثة تصبح صفراً إن افتقدت رصيد المال. وهكذا بقيت هذه الموسوعة ناقصة، وأنى لها بمن يتصدى لإتمامها.

وكان الخليلي يجيد اللغة الفارسية إجادة تامة، فنقل عنها شعراً ديواناً أسماه «نفحات من خمائل الأدب الفارسي» كما أعد دراسة مقارنة عن التعارض بين الأدبين العربي والفارسي، وله دراسات أدبية عن النجف، ودراسات أخرى عن الحواضر العربية فضلاً عن أن له ديواناً لشعر الوجدانيات تحت الطبع. وقد استبدت بالخليلي رغبة عارمة في أن يصلح المجتمع بآرائه ونظراته، فتخيل نفسه قاضياً يجري العدل بين الناس ويعالج ما اعوج من أمورهم، وألف كتاباً عن تجارب القاضي لا يستريب قارئه في أن مؤلفه قاض لا غش فيه، فلما جرب منصة القاضي بالخيال، شاء أن يجرب حياة السجون بالواقع فتقدم بطلب إلى السلطات راجياً أن يزج به في السجن لتتاح له فرصة دراسة أوضاع المسجونين عن كثب، والوقوف على مآسيهم، واستصفاء العبرة من حياتهم البائسة. فوافقت السلطات على إيداعه في إحدى الزنانات،

وعاش حياة السجن بجميع دقائقها، وخرج ليصدر كتابين كبيرين داخلين بالجوانب الإنسانية وبما وقف عليه من تفاصيل كان هذا سبيله الوحيد إلى الوصول إليها.

وعني في كتابه بالإشارة إلى السبل الكفيلة بمعالجة أسباب الإجرام وصولاً إلى المجتمع المثالي الذي يعيش فيه الناس في حب وتواد ونقاء وصفاء. وكان طبيعياً أن يطرق الخليلي باب التاريخ وميدان الجغرافيا، فهو كما ذكرنا متعدد الاهتمامات متشابك الغايات فوضع كتاباً كبيراً عن الثورة العراقية الكبرى، ولخص كتاباً عن العرب واليهود في التاريخ، وصنف كتاباً عن جغرافية البلاد العربية وعني في الفترة الأخيرة بدراسة تاريخ الحواضر العربية. فيا لها من حياة خصيبة أربت على الثمانين من الأعوام، حفلت بالعطاء وجني الثمار، وانبعثت بكل مآتيها من ينبوع القيم والفضائل. وليس بمقدورنا أن نرد جميع آثار الخليلي خصائصه التي تميز بها وعرف. فوفاءه لأحبائه هو الذي حدا به إلى إنصافهم في السير التي عقدها عليهم. وأشواقه في العالم المثالي هي التي حفزته على تسطير ما كتبه عن المدن الفاضلة التي اخترعها وصورها أدق تصوير. وإيمانه العميق هو الذي دفعه إلى إخراج موسوعة العتبات المقدسة. وحبه للإنصاف هو الذي وضع في يمينه قلم الناقد البصير فجادت دراساته النقدية بدعاً في التقييم والتقويم. ولست تجد في أدبه الروائي موقفاً نايباً ولا غلبة لفاسق على صالح. وهو في جريدة «الهاتف» لم ينطق عن هوى، ولا ازدهاه مجد أو مال، فكان مثلاً للصحفي

الشريف النظيف القلم والضمير.

وصفوة القول إن حساب الربح والخسارة في حياة الخليلي يمثل أرصدة ربحية في جوانب القيم والأخلاق والمثل، وأرصدة مكشوفة في أبواب المكاسب والمغانم والماديات. وها هو يموت غريبا عن بغداده الحبيبة ونجفه الذي ثوى فيه أبوه وأجداده فلفظ آخر أنفاسه في دبي بعد أزمة قلبية باغتته وهو يشد بيده الأبوية الحانية على يد ابنته الغالية فريدة.

ألا رحم الله أبا فريدة، ونفعنا بسيرته الزكية وحياته الرضية.

القاهرة

في الثامن من أبريل ١٩٨٥م





جعفر الخليلي... بين آثاره وأصدائه

د. عبد الهادي التازي

كان أبرز من سعيت للتعرف عليهم في أثناء مهمتي في بغداد، هذا «الرجل الموسوعة» الذي كان تحفة المجلس وزاد المسافر، وقد كانت بداية الاتصال بسبب ما حبا الله به العراق الحبيب من تمور ظلت في طليعة ما يذكر عندما يتحدث الناس عن أطيب ما خلق الله من نعم. لقد علمت أن للأستاذ جعفر بحثاً شاملاً عن النخيل والتمور العراقية من أول نشأتها إلى آخر مراحل استهلاكها، وبها أنني مقبل - بحكم وظيفتي - على أن أسعى لتدويق بلادي من خيرات هذا النخيل - ونحن على مشارف رمضان - فقد تقت للحصول على هذا البحث أو على الأصح على هذا التأليف النافذ من صاحبه الذي تفضل فأتحفني به يوم ٢٧ جمادى الأولى عام ١٣٨٣هـ - ١٦ / ١٠ / ١٩٦٣م، أي بعد نحو من أربعة شهور من وصولي إلى بغداد.

لم يكن يهمني فقط الحديث عن التمر في التاريخ والعقيدة والأدب، ولكنني أصبحت مهتماً بتجارة التمور العراقية مع مختلف الجهات في العالم، حيث وجدت في الكتاب مرجعاً أيضاً لتعامل العراق مع المغرب أيام كان المغرب موزعاً ثلاث مناطق: المنطقة السلطانية والمنطقة الخليفة والمنطقة الدولية، حيث وقفت على أسماء التجار المغاربة الذين كانوا على صلة ببغداد سواء من مراکش أو طنجة أو تطوان.

هذه بدايتي مع أخي جعفر الخليلي ومع بيت أولاد الخليلي. ومن هنا استمر تعارفنا طوال ربع قرن خلا، فإن كنت في بغداد كان معي، وإن كنت خارجها لاحقتي رسائله التي تمتاز بأنها ليست دائماً تحمل أسلوب

الإخوانيات بقدر ما تحتوي عليه من فوائد قمة في الأدب الرفيع. وكثيراً ما كان يجمعني به في بيته صحن «الماش»، أو يجمعه بي في بيت المغرب قصعة كسكس، وكلاهما: الماش والكسكس يُسلم متناوليه، على ما يذكرون، إلى نوم لذيذ وحلم سعيد..

الأستاذ الخليلي كاتب مؤلف، له العديد من التصانيف المذكورة في الأوساط الأدبية والفكرية بصفة عامة، وهو ممن يتصفون بالموسوعية والشمول، لذا جاءت مؤلفاته متنوعة في أغراضها وموضوعاتها. فمن كتابة في فنون الأدب شعره ونثره، إلى كتابة في التاريخ والجغرافيا حتى جاوز ذلك إلى الآداب غير العربية، فكتب في الأدب الفارسي وغيره. ثم اشتغل بالترجمة أيضاً. قرأت له كتاب «القصة العراقية قديماً وحديثاً».. وهو ممن يرون، ومعهم حق، أن العراق كان أول من تبنى تسجيل القصة العربية في التاريخ، وقد صدرت طبعته الأولى في بيروت عام ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م، وهذا الكتاب هو الذي أغرى أحد طلبة الولايات المتحدة الأمريكية باختياره موضوعاً لأطروحته التي نال بها درجة الدكتوراه من جامعة متشيغان، وقد ترجمها عن الإنجليزية الأستاذان المعروفان وديع فلسطين والدكتور صفاء خلوصي مع تقديم للزميل الراحل الأستاذ محمد عبد الغني حسن.

من مؤلفاته:

في التراجم: كانت مسلسلاته بعنوان: «هكذا عرفتهم»، وهو يقدم في أجزائه الخمسة المطبوعة عدداً كبيراً من الرجال الذين تعرف عليهم الأستاذ

الخليلي، وأنا أعرف أن هناك جزئين آخرين - على الأقل - كانا في طريقيهما للمطبعة. وهذا الكتاب بمجلداته يعد بمثابة «نادي»، يجتمع من حواليه عدد من قادة الفكر في العالم العربي، من أمثال الشيخ علي الشرقي، وأمين خالص، ورضا الشيبيني، والشاعر اليعقوبي، وبشارة الخوري، ومحمود الحبوبي، وتوفيق الفكيكي، ومصطفى جواد، والدكتور عبد اللطيف حمزة، وإسماعيل ناجي، ويوسف مسكوني، وعباس شبر، ومحمد عباس الخليلي، وسامي الكيالي، ومحمد علي الطاهر، وعبد القادر عياش، والأستاذة صبيحة الشيخ داود... وغير هؤلاء وأولئك مما أهملت مصادر النهضة الأدبية الحديثة التطرق إلى بعض الجوانب المهمة من حياتهم.

في الشعر: وبصفته مواطناً من النجف الأشرف، نجده يهتم في بحث طريف صدر له أول السبعينيات قدمه لمهرجان النجف الشعري الأول: بالعوامل التي جعلت من النجف بيئة شعرية، وهذا البحث على صغره، ضروري لمعرفة البيئة الجغرافية والاجتماعية للنجف.

بلدة القناع بالقر ص، فما غيرت منه طعوم تستطاب!!

* موسوعة المقدسات: ويظل مؤلفه النفيس بعنوان «موسوعة العتبات المقدسة» من أهم المراجع لتلك المشاهد الشريفة، وقد طبعته (دار التعارف) للنشر، وهي تصل إلى ثلاثة عشر مجلداً، كان في عزمه أن يصل بها إلى ضعف هذا العدد، وهي تتناول إضافة إلى المجلد المدخل، الحديث الموثق بالصور والأرقام عن مكة المكرمة (مجلد)، والمدينة المنورة (مجلد)، والنجف (في

مجلدين)، وكربلاء (في مجلد)، والكاظمين (في ثلاثة مجلدات)، وخراسان (في مجلد)، وسامراء (في مجلد)، والقدس الشريف (في مجلدين). لقد استطاع المرحوم أن يجند له حملة الأقلام الكفئة المتخصصة من سائر جهات العالم الإسلامي مشرقه ومغربيه.

* فلسطين: وقد كانت القضية الفلسطينية في صدر اهتمامات الفقيد الخليلي، الذي وجدناه يقوم بقراءة جديدة لكتاب «العرب واليهود في التاريخ» للزميل الراحل الدكتور أحمد سوسة، ويقدم لنا حصيلة تلك القراءة في كتابه الذي نشرته وزارة الإعلام في الجمهورية العراقية بتقديم الوزير الأستاذ طارق عزيز...

في الأدب الفارسي: وبالرغم من أن كتابه «نفحات من خمائل الأدب الفارسي» صدر منذ سنة ١٩٦٣م، إلا أن أهمية هذا العمل جعلته يتمتع بحياة متجددة؛ لأنه كتاب يجمع بين الإمتاع والمؤانسة، إذ هو ترجمة لبعض عيون الأدب الفارسي، الذي نعلم سلفاً عن ثروته وعطائه...

فهنا تتجلى قدرة الأستاذ الخليلي على التحكم في الصياغة العربية لأداء المعاني التي قصدتها الفكرة الأدبية الفارسية، وكلا العاملين المترجم منه والمترجم إليه كان بلغة الشعر... إن القارئ لهذا الديوان لا يتمالك دون أن يجد نفسه مشدوداً إلى هذه الورقات حتى يأتي على آخرها، وخاصة قصيدة الشاعر عبيد زاكاني - وهو من شعراء القرن الثامن للهجرة - التي تدور حول حكاية الزمان من خلال قصة القط والفأر...!

مؤلفات أخرى:

إن ما ألفه الأستاذ جعفر الخليلي يفوق هذا الاستعراض العابر... فله جزآن بعنوان «يوميات»... وله كتاب «الضائع»، وله «عندما كنت قاضياً»، و«قرى الجن»، و«من فوق الرابية»، وكتاب «تسواهن»، و«على هامش الثورة العراقية»، و«أولاد الخليلي»، و«مجمع المتناقضات»، و«اعترافات»، و«جغرافية البلاد العربية»، و«آل فتلة كما عرفتهم»، و«ما أخذ الشعر العربي من الفارسية والشعر الفارسي من العربية»، و«كنت معهم في السجن»، و«مقدمة في تاريخ القصة العراقية»، و«حبوب الاستقلال»، و«خيال الظل»، و«حديث السعلی». والملاحظ أن جل هذا النتاج طبع أكثر من مرة ولكنه نافد... هذا طبعاً إلى جانب عشرات المقالات والتعليقات... وأذكر منها ما أتخفنا به أخيراً في مجلة «البحث العلمي» حول «ابن بطوطة في موازين ابن خلدون ومقاييسه».

رحم الله الأستاذ الخليلي، إذ كان موسوعة فكرية شاملة، يكاد يذكرنا بذلك الجيل من علمائنا الأقدمين الذين كانوا لا يقفون بحدود تأليفهم وتصنيفهم عند فن من الفنون أو ضرب من ضروب التأليف، وإنما فهموا الفكر بمعناه الإنساني الشامل، فجاءت آثارهم تتصف بشمول النظرة واتساع المدارك.

المصدر: مجلة الموسم، العددان ٦٣-٦٤، السنة (٢٠) ١٤٢٩هـ-

٢٠٠٨م.

في الذكرى الأولى
لرحيل العلامة الموسوعي جعفر الخليلي

د. صفاء خلوصي

وأنت لأصحاب المروءات موئل!
وأنت خبيرٌ في الشدائد صيقل!
فقد كان صوتاً في النوادي يجلجل
فمشوى له - في كل قلب - ومنزل
روائع شتى قد تجدد وتهزل
مكارم من قد راح، للعين مثل
فقد ذهب المرجو، غاب المؤمل
وموسوعات فكر، والمآثر حفل
ونخفي شجى في القلب والطرف مسبل
وفأوه معهود، وفي الفضل أول!
فكله عام بالدموع مكلل!!

أبا «هاتف» فيم الرحيل المعجل
فقد كنت رمزاً للوفاء محبباً
(دبي) لقد آويت أشدق شاعر
ولو كانت الذكرى بديلاً لشخصه
يراعك أزميلٌ نقشت بحده
تراثك حي في (فريدة) إنها
(فريدة) لا تسلك، من ذا يلومها؟
وقد فقدت أسفار علم وحكمة
ولكننا (الأعمام) نرعى حقوقها
و(رُكس) أخوك الحر أصدق مخلص
ولا تسألن عن علمنا وشجونه

في الذكرى الثانية لوفاته :

والدمع مدراز هتون؟
عامان في حضن المنون؟
وخلعت أثواب الشجون
نأء عن الوطن الحنون
وبذاك أفتى المؤمنون
نُ بمثله عبر القرون
وكل أنماط الفنون
وفارس النثر المبين
إلا بمدمعا السخين
بل أنت في قلبي رهين

أو هكذا تمضي السنون
لم لا تعود وقد مضى
فارقت دنيانا الخؤون
أنت الشهيد بمدفن
موت الغريب شهادة
هيهات أن يأتي الزما
يا (جعفر) العلم الغزير
كنت المجلى في القريض
من (للفريدة) سلوة
أظن أنك راحل؟

في الذكرى الثالثة :

رغم مباحج رمضان ومسرات العيد المرتقبة، فقد مرت بخاطري
الذكرى الثالثة لرحيل أخينا الحبيب جعفر الخليلي، فمن لا يفني للموتى لا
يفني للأحياء، وقد جاش الصدر على غير إرادة مني بالنار تجلت الأبيات
التالية:

الحزن قد غمر النفوس	و(خليلنا) طي الرموس
قد كنت ملء جوانحي	من لي بغيرك من أنيس؟
عزّ المثل (لجعفر)	شغر المكان من الجليس
تباً لدنيا لم تدم	لصغير قوم أو رئيس
(رُكس) لدينا سلوة	درُّ إذا ذُكرَ النفيس

حاشية :

كنت أود أن أدرج صورة لي معه غير أنني لم أعثر على شيء من ذلك؛
لأن الصور التذكارية كلها من بغداد، في قبوتنا، تحت أكداس من الرسائل
والكتب يعسر الوصول إليها، ولا أدري إذا كان لدى فريدة تذكارية فريد من
هذا القبيل.



الذكرى الأولى للعلامة جعفر الخليلي

بقلم الأستاذ روكس بن زائد العزيمي

أخي جعفر!.. قالوا قديماً: (ما لميت من صديق) لكنك ما تزال أخي
وصديقي، سلام عليك، حيثما كنت ثاوياً! وغيث من الرحمات يتلو المراثيا!
سنة تمضي على رحيلك إلى الرفيق الأعلى، واللوعة تتجدد! لا أريد أن أذكر
شيئاً عن علمك، ولا عن أدبك، ولا عن خدمتك للصحافة، ولا عن
خدمتك لبلدك الحبيب التي قدرتها لك حكومتك بالتكريم، قبل أن تتخذ
من الأردن دار إقامة، في جوار ملك عظيم، خلق للخير والمكارم!

لقد عرفتك كريماً، في أشد الظروف حلقة، إذ كنت تسعى لتكريم كل
أديب يزور بغداد بساحة ما بعدها من ساحة!

وعرفتك وفياً، إلى أبعد حدود الوفاء، تتفقد إخوانك أحياء، وتخلدهم
أمواتاً، وهذه موسوعتك (هكذا عرفتهم) خير شاهد على هذا العمل المبتكر
الغذ، الذي شهد له بالتفوق المفكر العربي الكبير (ميخائيل نعيمة) بأجزائها
الستة التي طبعت وجزئها السابع الذي ينتظر الطبع!

وعرفتك شجاعاً تقول كلمة الحق غير هياب ولا وجل، وكم من مرة
وقعت مضرراً بدمائك لمحاربتك الخرافات التي تشوه نقاء الإسلام فما ثنأك
ذلك عن مواقفك الباسلة، ولا صرفك عن قول الحقيقة التي عشت خادماً
لها!

وعرفتك محباً للناس، تسعى إلى الخير ما وسعك ذلك، بعيداً عن المن،
بعيداً عن الازدهاء متواضعاً، يبدو على وجهك السماح الخجل إذا مدحت
بها تستحق!

وعرفتكم مترفعاً حتى وأنت في أمس الحاجة، لا تبعث بمقال مأجور إلى مجلة أو جريدة، ما لم يطلب منك ذلك المقال، وعرفتكم تباع مكتبتك مراراً لكي تشتري ورقاً لجريدتك الهاتف الشهيرة، وتأبى أن تمدد يدك إلى أخ أو صديق.. مقترضاً أو مستديناً... أو قابلاً هبة...

وعرفتكم محباً للحقيقة، لا ترضى عن الخطأ، صبوراً على الألم، لا تعرف الشكوى، على الرغم من أنك تعرف الحكمة العربية القائلة: (ولا بد من شكوى إلى ذي مروءة، يواسيك أو يسليك، أو يتوجع!) حتى في وصيتك لكريماتك لم تكتب إلا أبياتاً للمرحوم (إيليا أبي ماضي) أوصى بها زوجته:

أنا إن أغمض الحمام جفوني ودوى صوت مصرعي في المدينة
لا تشقّي عليّ ثوبك حزناً لا ولا تذرفي الدموع السخينة
غالبي اليأس واجلسي عند قبري بسكون إني أحب السكينة
إن للصمت في المأتم معنى تتعزى به النفوس الحزينة

أجل يا أخي! كنت تريد أن يتجمل محبوبك بالصبر، وأن لا تسترسل

كريماتك إلى الحزن والبكاء والحداد!

مع أنك كنت تبكي إخوانك وأصدقاءك الراحلين، بدموع غزيرة، لأنك كنت شاعراً رقيق العاطفة. عرفتكم يا أخي رائداً للقصة العراقية ومؤرخاً لها، وقد أنصفتك ذلك المستشرق الأميركي، الذي درس أدبك القصصي، ونال بأطروحة عنك شهادة الدكتوراه من جامعة (متشيغان) في أميركا وأحسن الأستاذ وديع فلسطين والدكتور البارع صفاء خلوصي بترجمة تلك الأطروحة إلى اللغة العربية التي وضحت منزلتك عند قوم لا تربطك بهم

صلة غير صلة العلم والأدب!

ولقد أراد الله - جل شأنه أن يطلعني على جوهرك الصافي، وأنت تجاوزني سبعة وخمسين شهراً ألقاك فيها كل يوم، فعرفت منك وعنك كل ما زانك الله به من مكارم الأخلاق ومن أبرز ما عرفت عنك مما يزين الرجال، الإباء، وعزة النفس، والصدق، ونزاهة القلم والبنان، والترفع عن السفاسف. عرفت فيك حبك للأدب الرفيع، وبراعتك في النقد التنزيه الذي لا يعرف المجاملة، والنكتة البارعة، والبعد عن التزمت ودفاعك عن المرأة ذاك الدفاع العاقل المنصف الذي كوفئت من أجله بوسام زينه صدرك سنة ١٩٨٠م.

إذ لم تكتف بما كتبت عن حرية المرأة، بل فتحت لذلك صدر جريدتك الراقية (الهاتف) التي كانت مدرسة أنشأت أجيالاً من الأدباء والأديبات.

عرفتك مجدداً يكره الجمود، ويرى أن الجمود والتزمت لا يعينان للفرد وللأمة، إلا التأخر والاضمحلال. تحب كل جديد، من العلم، ومن المخترعات، فكانت رحلاتك السنوية، هي رحلات دراسة لكل جديد في المجتمعات التي تزورها، فكنت مغرماً بعلم النفس؛ لأن في استجلاء الغوامض راحة للنفس البشرية.

أخي جعفر!

لما قدر الله لك الرحيل عن هذه الغائبة لاقيت الموت بلا خوف، لأنك عمرت آخرتك قبل الرحيل، بأن كانت حياتك نفسها نموذجاً يحتذى فكنت

تحب الفكاهة فتروي كثيراً من الفكاهات البريئة التي تجعل جلستك مهما طالت لا تُمل، كنت تقدر الفن، وأهل الفن، فكتبت كتاباً تناولت فيه عالم الفن والرقص والغناء؛ لأنك كنت تعتقد أن الأغنية الناجحة هي رسول المحبة بين الناس، وكنت تقول إن الأغنية الناجحة لا بد لها من ثلاثة عناصر:

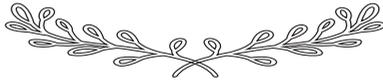
أ- الشعر الجيد.

ب- اللحن الجيد.

ج- الصوت الجيد.

وكم كنا نود لو أن القدر أمهلك إلى أن تكتب ذكرياتك، من أيام الطفولة إلى أن تربعت على كرسي الشهرة الخالدة، لكن إرادة الله فوق كل إرادة، فتحية لضريحك الذي عطر تربته (دبي) لقد صح فيك قول الشاعر:

مضى طاهر الأثواب، لم تبق روضة غداة إلا اشتهدت أنها القبر!
وتحية خالدة يا أبا الهاتف. من أخيك الذي لا ينسك.



السكينة التي افتقدتها العراق

الأستاذ سعيد علي

ولد الخليلي بالنجف في سنة ١٩٠٤ فدرس علوم اللغة العربية في مساجده وجوامعه. وكان فتى يافعاً لما نشر بين الناس رواية سماها «التعساء» وهي الرواية العراقية الأولى التي عرفها الأدب العراقي الحديث وبعدها جاءت رواية محمود أحمد السيد. وكان يافعاً كذلك لما نشر كتابه «حبوب الاستقلال» وهو كتاب عرض فيه بالإنجليز الحاكمين العراق. وكان وهو في مثل تلك السن يكتب في مجلات عراقية منها مجلة «الحيرة» النجفية للشيخ عبد المولى الطريحي. وكان الخليلي أنشأ بالنجف «الفجر الصادق» ثم «الراعي» ثم «الهاتف» التي انتقل بها إلى بغداد في سنة ١٩٤٨ والتي احتجبت في سنة ١٩٥٤ بعد أن عاشت نحو عشرين سنة كانت للعراق كدجلة والفرات. فما أكثر المتأدبين الذين دخلوا فيها فصاروا من أهل الأدب. فالخليلي الأديب المعلم كان يغمهم بأفضاله الجمّة بتهذيب ما ينشؤون وتشذيبه فكان لـ «الهاتف» صاحبة الأدب الرفيع والعلم الحق أن تغدو جامعة يتخرج فيها الشعراء والكتاب والقصاصون.

ألّف الخليلي ما يقرب من خمسين كتاباً أشهرها أربعة: فأما الأول فـ «أولاد الخليلي» الذي حوى فريقاً من القصص الحقة الرائعة التي تمثل جوانب قادمة من حياة الناس بالنجف فكان هذا الكتاب النفيس خير كتاب بين أفاصيص العراق جميعاً. وأما الثاني فـ «كنت معهم في السجن» وهو كتاب ألّفه بعد احتجاب «الهاتف» فصور فيه بؤس البائسين وعذاب المعذبين ممن كتب الفقر والجهل والظلم عليهم أن يعايشوا سجن بغداد، والرائع في

هذا الكتاب أنه ينقل القارئ بما فيه من صدق وصدقة وحرارة إلى السجن فيرى ما فيه من كآبة وبشاعة وأحزان. وأما الثالث فـ «هكذا عرفتهم» يسوق فيه الأقاويل فيمن عرفهم من الناس فيذكرهم بالخير ولا يمسهم بما يكشف عن ضعفهم في حياتهم فإذا أنت تحبهم وتود لو عايشتهم كما هو عايشهم. وأما الرابع فـ «موسوعة العتبات المقدسة» الذي نشر منه أجزاء كثيرة صارت إلى ما مضى من تاريخ النجف وكربلاء وسامراء وخراسان والكوفة والكاظمية ومكة والمدينة والقدس فكشف في سفره هذا الثمين عن أحوال كانت مغمورة في بطون الكتب المغمورة.

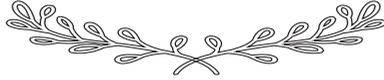
ولئن ألف الخليلي كتباً كثيرة منها «في قرى الجن» و«من فوق الرابية» و«التمور قديماً وحديثاً» و«يوميات» و«اعترافات» و«عندما كنت قاضياً» و«هؤلاء الناس» و«من خمائل الأدب الفارسي» و«تسواهن» و«آل فتلة كما عرفتهم» و«تاريخ القصة العراقية» فخير ما كتب هو هاتيك الكتب الأربعة التي أجمل فيها مواهبه.

ما انخرط الخليلي يوماً في دواوين الحكومة. فمنعة طبعه تحجزه عن أن ينقاد لما في دواوين الحكومة من شناعة. كان يأكل من عرق جبينه وربما أكل غير مرة من دم قلبه. ولا استطاع حاكم ولا موسراً أن يسخره في أمدوحة أو في مذمة. فقد كان فوق الصولجان والخزائن.

كان الخليلي بستاناً يتغندر فيه النعناع والريحان ويميس فيه الفل والأقحوان. فالعفة على لسانه والرحمة في قلبه والنزاهة في كفه وأنامله

والرصانة في عقله مما يزري بما يتيه به كثير من الذين اقتحموا مجالس الأدب.

عرفت الخليلي قبل خمس وعشرين سنة فعرفت فيه واحة سلام وينبوع سكينه. إني لا أصدق أنه مات أي إنه في الكفن والقبر لا يتحرك ولا يتكلم ولا يرى ولا يحس، إني أظن أن في الأمر وهماً، فلقد أكون في رؤيا، إن الصحيح هو أنني في رؤيا، إن الحياة هي رؤيا وإن امتدت بالمرء قرناً من الزمان، إن الموت مثل الحياة رؤيا، إن من الرؤيا كوايس ومنها تغريد السلام ولقد كان الأستاذ جعفر الخليلي حمامة والغصن الذي في منقارها.



الراحل الكبير جعفر الخليلي

بقلم ماجد ذيب غنما

عرفته قبل سنوات، بعد وقت قصير من قدومه إلى عمان للإقامة فيها،
استجابة لنصح الأطباء.

وكان لقاءنا الأول في بيت الأستاذ الكبير روكس بن زائد العريزي،
واللقاء مع الأديب الكبير الخليلي هو لقاء مع الأحاديث الأدبية والفكرية
والثقافية والتاريخية ومع الحكمة والذكريات الشائقة والدعابة الأدبية
البارعة.

وحيثما قمت مودعاً في نهاية ذلك اللقاء الأول، كنت على يقين من أنني
ظفرت بصديق رائع فذ..

واتصلت لقاءتنا، لأكتشف في كل مرة في هذا الشيخ الجليل من
المميزات والصفات الرائعة ما يزيدني احتراماً وتقديراً له ولأدبه وفكره
ووفائه وتواضعه واعتزازاً بصداقته..

كتب إليّ صديقي المرحوم صبيح الغافقي مرة يصف الخليلي بقوله:
«جعفر الخليلي ٧٦ سنة و٥٦ كتاباً في التاريخ والأدب والفكر، من أطيب
الناس وهو موسوعة في الأدب والفكر لا مثيل لها».

وما من شك في أن الخليلي هو كل هذا وزيادة، فقد اجتمعت فيه صفات
قل أن تجدها مجتمعة في غيره.. فهو شاعر وأديب ناشر وقاص ومؤرخ
وباحث وصحفي وشخصية من ألمع الشخصيات الأدبية والاجتماعية ولعلّ
الشيء المميز في الخليلي هو أنه كان صديقاً من أطيب الأصدقاء وأنبلهم خلقاً

وأروعهم وفاءً.. وأنه كان روحاً نبيلةً ورجلاً فاضلاً الفضل كله..

كما كان أحد رواد القصة الثلاثة في العراق أما الاثنان الآخران فهما الأستاذان الكبيران عبد المجيد لطفي وذو النون أيوب...

ويقول الأستاذ لطفي عن الفقيه الكبير: «العلامة جعفر الخليلي تاريخ القصة العراقية الحي، وقد أعطى الكثير من الصحة والجهد والمال القليل الذي كان يملكه ليوطد الكيان الأول للقصة العراقية». ولقد عمل المرحوم الخليلي في الصحافة الأدبية في العراق خمسين عاماً وأصدر خلال ذلك عدداً من الصحف هي (الهاتف) و(الفجر الصادق) و(الراعي)... كما كتب عدداً كبيراً من المؤلفات القيمة من أشهرها (موسوعة العتبات المقدسة) وتقع في اثني عشر مجلداً ضخماً.. ويتحدث فيها عن الأماكن المقدسة المشهورة في الوطن العربي وموسوعة (هكذا عرفتهم) التي اشتملت على تراجم لأصدقائه المتوفين من أدباء وشعراء وعلماء.. وقد صدر من هذه الموسوعة ستة أجزاء وتفضل رحمه الله فأهدى إليّ الجزأين الخامس والسادس منها، وقد كتبت عن هذين الجزأين في جريدة الرأي الغراء.

ومن مؤلفاته أيضاً كتابه المشهور (التمور العراقية قديماً وحديثاً) وكتابه (كنت معهم في السجن) وهو دراسة عملية لحياة السجن والسجناء، وقد دخل الخليلي السجن متطوعاً وبإذن من وزارة الداخلية في العراق، من أجل أن يكتبه.

كما صدر له عدد من المجموعات القصصية القصيرة وأكثر من قصة

طويلة وعدد كبير آخر من الكتب في الأدب والفكر والتاريخ.. ولقد كانت بيني وبين المرحوم الخليلي مطارحات شعرية إخوانية فقد بعث إليّ في أحد أعياد الميلاذ بالبيتين التاليين مهنتاً بالعيد:

كل أيامك يا ماجد عيد لك في الدنيا وفي الأخرى رصيد
عشت والأهل بسعد جذلاً أنت في الدنيا وفي الأخرى سعيد
فرددت عليه بالأبيات التالية:

يا شاعراً عذب المعاني هنأتني بالعيد شعراً
فمألت نفسي عزة أباب فريدة عش لنا
وامنح خلوداً للذين ذاك الخليلي الأبوي
أنت المفكر والموجه أبقاك ربي سرمداً
ومبدعاً سحر البيان مثل أنغام الكمان
وفتننتني أي افتتان أبداً وكن صنو الزمان
(عرفت) من قاص ودان أخو العلا في كل شان
والمعلم في تفان عضباً كما السيف اليهاني

وفي عيد ثان بعث إليّ المرحوم الخليلي بالبيتين التاليين:

بالعيد يا ماجد التهاني لأنسه بيت عز
تزجى إلى بيتك الكبير يعز في العين والضمير
وقد رددت عليه بالأبيات التالية:

العيد يزدان بالتهاني وشاعر ساحر المعاني
فالشكر أزجيه باحترام ذورة المجد يا مثلاً
عش سالماً أيها الخليلي تجيء من عالم جليل
وباحث غير ذي مثيل إليك يا جعفر الخليلي
للنبيل والمحتد النبيل بدرأ ولكن بلا أفول

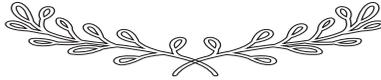
وكان آخر ما تلقيته من هذا الرجل الكبير والصدوق الأبيات

الثلاثة التالية يهتني فيها بمنصب النائب العام..

لغير المدعي العام لمن تلجأ إذا ما مسك الضر
وغير النواب العام فمن بأسوك أن يكبو بك الدهر
فعش (يا ماجد) غوث المناكيد ليزدان بك الدهر

هذا هو الأستاذ الجليل العلامة جعفر الخليلي أبو فريدة الذي رحل عنا
فجأة وفي وقت لم نكن نتوقع رحيله فيه، تاركاً وراءه آثاراً خالدة وذكرى
عطرة تشهد له بالعظمة والريادة والأصالة والفضل. رحم الله فقيدنا الكبير
الخليلي رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنانه وأهلم آله وذويه وأصدقائه وعارفي
فضله وهم أكثر في الوطن العربي، الصبر وحسن العزاء.

وإننا لله وإننا إليه راجعون.



من أدب الذكريات والاعترافات
جعفر الخليلي كما عرفته

الأستاذ وحيد الدين بهاء الدين

- أرى أن تمر بجعفر الخليلي، لتتعرف إليه..

- كما شئت أو شئت لك الرغبة.. ما أيسر تحقيقها؟!

ذاك ما أراده عبد المجيد لطفي عبر حديثه المستطاب وأنا أجالسه بوزارة المالية ببغداد، في أحد أيام شهر آب اللهب عام ١٩٥١..

بعد قليل من ذلك الصباح، كنت ألعج إدارة صحيفة «الهاتف» بالحيدر خانة، وبصحبتني أخي بالرضاعة حلمي عثمان.. فإذا الخليلي، وكان يطالع الصحف ينهض واقفاً، ماداً يده:

- أهلاً وسهلاً..

- وعاد إلى الصحف يمعن في قراءتها من غير أن يرفع رأسه أو يدير عينيه نحونا ولو مرة..

ساد الجو صمت مطبق، وهو ما ينفك لا يعير لنا بالاً أو يطرح علينا سؤالاً، ولو على سبيل المجاملة. طال الصمت، وكان ثقيلاً بغيضاً أحسست معه بمطرقة تهشم رأسي.. ونغزت صاحبي مشيراً إليه بأن نخرج.. مرة أخرى وقف الخليلي مكرراً:

- أهلاً وسهلاً..

أسقط في يدي.. وفي أعماقي تعلقني طاحونة الندم، متأسفاً على تنفيذي إرادة صديق لم يشأ لطفه إلا أن يصلني بغيره من الأدباء والصحفيين، اعتزازاً بي وتوسيعاً لأفق معرفتي واطلاعي..

مهما يكن فإنها عللت فيما بعد عدم مبالاة الخليلي بنا وتجاهله وجودنا بين يديه، ونحن نأتيه لأول وهلة، بسبب ما برحت أحفظه لنفسي إلى يوم الناس هذا. ربما كنت متوهماً في التشبث به أو على غير حق في إيراده، وأحسب أن لو جرى هذا لغيري لربما وصم الخليلي بقلة الذوق.. مرّ عامان أو أقل..

وتقضي الأيام- هي التي تبدي لك ما كنت جاهلاً - أن أشرف على تحرير القسم العربي في صحيفة «كركوك» وألبسها ثوباً قشيباً كان حرياً بلفت الأنظار..

كنت أبعث بكل عدد من الصحيفة هدية إلى أصدقائي الأدباء والشعراء هنا وهناك... وإلى إدارات الصحف والمجلات البغدادية التي لها عناية بشؤون الفكر والثقافة ولاسيما «الهاتف».. فقد كنت من قراء عددها الأسبوعي المتبعين المتطلعين.. إن هو إلا وقت قصير حتى ينبري الخليلي في عدد من أعداد «الهاتف» بالثناء بكلمة تقييم مكثفة على صحيفة «كركوك» لانطوائها على بحوث ونقداً وخواطر بجهود محررها، وما أظنه تذكره.

عقب عهد انطوى، كنت أنزل بغداد من مدينتي كركوك كلما سنحت لي الفرصة المواتية قضاء حاجاتي الشخصية وإشباعاً لرغباتي الأدبية.. كنت ألاقى الخليلي مصادفة في بعض الندوات والمجالس، أو كنت أشاهده على القرب والبعد في محل عام أو أية مناسبة، إلا أنني لم أكن أبادره بالسلام والكلام، أو أبادئه بالسؤال والحوار، لنفرتي منه وتجنبي إياه، لما ترك موقفه السلبي الغريب ذلك في نفسي من راسب غير مستحب ما زلت أتخيله!

إنه من الصعب على إنسان مثلي نسيان المواقف الإيجابية والسلبية. لكن تنويه الخليلي بصحيفة «كركوك» وما كانت تحاول أن تؤديه من خدمة متواضعة للأدب العراقي يومذاك في صحيفته «الهاتف» كما ألمعت، جعلني أهديه نسخة من باكورة أعمالي «خواطر هائمة» يوم صدرت في خريف عام ١٩٦٠م.

على توقع أو غير توقع، طالعتني يوماً ما، وموكب الحياة يخب بنا شاحداً أبصارنا مفتقاً بصائرنا، رسالة مؤرخة بالتاسع من تشرين الأول ١٩٦٠ وموقعة بتوقيع الخليلي:

«تلقيت هديتك النفيسة، أقول النفيسة؛ لأنها أول منتج أدبي يصدر لك على ما أعلم، وكل ما أرجوه هو أن يكون هذا المنتج بمثابة الهطل الذي يسبق الغيث فلا يمر بعض الزمن حتى تخرج علينا بما يثلج الصدر ويمتع النفس وأنا الآن أبارك لك هذه الخطوة وأشكر لك أطفالك...».

في غضون الستينيات وذات صيف وأنا ببغداد في رحلة فكرية وروحية معتادة مع مشكور الأسدي بمنطقة الباب الشرقي، استدرجني لأن نخرج على الخليلي بدار التعارف، وكان يلتقي بها خلطاؤه وعشراؤه من العلماء والباحثين.

رحب بنا الخليلي.. وكان لنا معه حوار دافئ مستملح، وما كدنا أن نستأذن حتى امتدت يده إلى أحد رفوف مكتبته، ليلتقط كتاب - وكان النسخة الوحيدة المتبقية - رباعيات قدس حسين نخعي، هذه التي عربها

نظماً الدكتور مصطفى جواد، فناول إياه الأسدي..

بغته تخرج موقف الخليلي... أو هكذا بدا لي.. كيف يعطي الأسدي نسخة من الكتاب ويحرمني منها ما دمت حاضراً.. عز عليه ذلك.. أخذ يبحث هنا وهناك، حتى أعثرته المصادفة - وللمصادفات في حياة المرء دور عجيب - على نسخة من الرباعيات مغبرة ومتروكة أهداها إليّ ولسان حاله أسف وخجل.. أقر أني وجدتُ الخليلي في موقف ما كان مطلوباً منه أن يتصرف على هذا النحو، ولكنه أبى إلا أن يكشف عن نبلة من جهة ويشعري بقيمتي عنده من جهة أخرى...

كان طبيعياً أن تتسع رقعة صداقتي الأدبية وعلاقتي الشخصية بكثير من المنضوين تحت لواء الفكر والشعر والصحافة والثقافة، ومنهم الخليلي وتدخل في طور جديد متجدد كنتيجة أكيدة للقاءات والاجتماعات الدائمة وغير الدائمة بعد اتخاذي بغداد مقرّاً لي ومقاماً في منتصف الستينيات..

وأول من أمري ألقيت إليّ مهمة تحرير القسم العربي من مجلة «الإخاء» البغدادية هنا وعلى جاري عادي جعلت أرسل كل عدد صادر من مجلتنا إلى إخوة شرعوا يواصلونني بالود واللقاء.. يأتي الخليلي في طليعتهم..

فعندما حاولت يوماً نشر رسالة أدبية وردت الخليلي عن طريقي من الشاعر جورج صيدح في هذه المجلة، ترددت ثم أمسكت، ريثما استمزع رأيه في ذلك، فما أسرع ما أنهى إلي وهو على أرض لبنان الواحد من آب عام ١٩٦٥م ارام أن يسوقه: «... وقد بدا لي من فحوى رسالتك أنك ترغب في

نشر كلمة صيدح ولو كنت فعلت ذلك لما كان فيه أي بأس وليس في الرسالة ما يستوجب الاستئذان في نشرها، ولكن أدبك الرفيع وخلقك الرفيع هما اللذان بالغا في تحفظك وأنا أعيدها إليك لتنشرها إذا كنت ترى من الفائدة نشرها... الخليلي».

ثم كان من حظ مجلتنا أن أسهم الخليلي بها نزولاً على رغبتني، بشيء من إنتاجه الأدبي المستمد من معترك الحياة الصحاب سماه، «من دفتر تجاربي العابرة» إلى جانب كنت أول من أفرد بها صفحة لكتابه «نفحات من خمائل الأدب الفارسي» حين صدر وتناوله بالعرض والتقييم من ما وقع من نفسه أعمق الوقوع وأجمله..

كان الخليلي يستشعر في قراراته أن له تبعة أدبية والتزاماً خلقياً تجاه أصدقائه ولا سيما المخلصين له والحريصين على وده والمختلفين إليه..

ما أرسلت إليه كتاباً مطبوعاً من إنتاجي إلا أفاض عبر رسالة رائعة بالتحدث عنه والثناء على مؤلفه، انظر إليه يقول حين أدركته نسخة من كتابي «الأدب والحياة» الصادر عام ١٩٦٩: «تمتعت بقراءة طائفة من آرائك وأفكارك التي جمعها كتابك (في الأدب والحياة) وهي أفكار وآراء يملئها الإخلاص والشعور الصادق الذي حرم منه الكثير ممن يريدون أن يعبروا عن الأدب والحياة. وعندني أنا أن الخلق قاعدة أساسية للحياة الكريمة، وأن الأدب لا يقوم إلا على هذه القاعدة وأشهد أنك من هؤلاء الذين يتمسكون بهذه القواعد، قواعد الأخلاق الفاضلة وأنك تحاول جهدك في أقوالك

وكتاباتك وفي أعمالك أن تكون نموذجاً صالحاً للإنسان الذي يعرف قدر الإنسان لذلك فإن سر المعجبين بك وأنا منهم في الطليعة لم يعد خفياً على أحد، وإني لأعتر بهديتك اعتزازي، بصدقتك وأفتخر بانتاجاتك القلمية.. كذلك تأمل تعليقه الإيجابي على كتاب «نظرات في الكتب» الصادر في العام نفسه: «انتهيت اليوم بقراءة كتابك النفيس (نظرات في الكتب) الذي تعرض فيه لطائفة من الكتب التي كانت قد سدت فراغاً كبيراً في عالم الشعر والأدب بصورة خاصة وأكثر ما سرني من هذا العرض هو التفاتك إلى الجوهر مما ورد في كل متنوع وكونك من أكثر الأدباء تمسكاً بقواعد البلاغة «ما قلّ ودل» وهو أمر لا يستكثر على أديب بارز مثلك..».

كانت تربطني والخليلي بالدكتور مصطفى جواد رابطة عميقة ووثيقة، على أني بعد انتقاله إلى رحمة الله، ألفت فيه كتاباً صار مرجعاً للباحثين والمصنفين منهم الخليلي، حيث اعتمد عليه وهو يعقد فصلاً عن مصطفى جواد في كتابه «هكذا عرفتهم» في الوقت الذي أفضى إليّ بما رام في رسالة خاصة قائلاً: «.. لأكتب لك أولاً شاكراً هديتك ثم لأخبرك بأنك قد أسديت إلى التاريخ خدمة لا أحسب أن قارئاً يعرف الدكتور مصطفى جواد ويعرف قيمته سينساها لك فأنت فضلاً عما عرضت له من ترجمة حال وافية شاملة على إنجازها فقد نشرت له رسائل كان لبعضها كل القيمة في معرفة طبيعة الدكتور مصطفى وسيرته إلى جانب علمه وملكاته اللغوية والنحوية التي كان فيها حجة ومن أكبر الحجج ولولاك لضاعت هذه الرسائل ولظل

جانب منه مجهولاً كما ضاعت رسائل أخرى نرجو أن يتاح لها الظهور بعد اليوم» ويقول مستطرداً: «ولا أكتمك إعجابي بمقدرتك في تأليف هذا الكتاب، ولا أشك أن كتابك هذا سيكون من أهم المصادر عن حياة الفقيد لما يتضمن من أخباره الصحيحة ونواحيه التي لم يتطرق إليها أحد قبلك فتقبل شكري بل الحق يجب أن تتقبل شكر التاريخ على هذه الأفضال...».

هكذا بدأ الخليلي يخلع على شخصي الضعيف من خلال الحديث عن كتبي ألواناً من تشجيعه وتقديره، حتى حصلت عندي القناعة أن أي عمل في ميدان الأدب العراقي يبقى مبتوراً ناقصاً إن لم أنهد لدراسة أدب الخليلي مبيناً بها تأثيره على الأجيال الصاعدة، ومحدداً مكانته بين معاصريه بينما لقي من عنايتي الآخرون من أقرانه حتى من يقل عنه باعاً وذراعاً..

خصصت عنه فصلاً عنوانه «جعفر الخليلي وأمشاج من آرائه وأفكاره» نشرته مجلة «الأديب» اللبنانية عام ١٩٧٢، ثم علق عليه جورج صيدح بعد مطالعته إياه تعليقاً طريفاً أرسل به إلى الخليلي مباشرة. وحقه أن يرسل به إلي ولكن الخليلي كان لبقاً فلم يرد أن تفوته الفرصة السانحة ففاجأني برسالة مؤرخة بالثلاثين من تموز من العام نفسه: «ولقد أعجبني تعليق أختينا صيدح على مقالك وهو تعليق رائع لا يتعدى كونه قطعة أدبية باهرة ولو لم يكن يعينني بعضه ولو بالإشارة لفضلت أن أدفع به إلى أختينا ألبير لنشره في «الأديب» ولكن خشيت أن ينطبق عليّ قول القائل «مادح نفسه يقرؤك السلام» وإلا لما توانيت أن أقدمه للأديب ذاكراً أنه تعليق للشاعر الكبير

جورج صيدح على مقال كتبه الأستاذ وحيد الدين في أحد أعداد الأديب عن جعفر الخليلي ولا شك أنك ستسامحني في ذلك».

ومن ثم شاءت المقادير أن يطوى كتابي «مباحث في الأدب العربي المعاصر» بين تضاعيفه هذه الدراسة، إلى جنب دراسات أخرى، وتصدره جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين عام ١٩٧٥، وما إن تستقر نسخة الخليلي في يده حتى تنطلق عباراته المتوهجة بالتواضع واللطافة عبر السطور: «ومن المؤسف أن يكون لي بين من عرفتهم محل يحول بيني وبين الإعراب عن الإعجاب بكتابتك هذا لئلا تحمل كلمتي على المجاملة بالرغم من أنك قد تعرف أنني لا أخلط بين العاطفة والواقع، وقد تعلم أنني احترم الصداقة لحد قد يكون بعيداً ولكني لا أجزى لنفسي أن أضع الصديق في غير موضعه. ولا سيما في عالم الفن والأدب، على حساب الصداقة ولقد قرأت كتابك بشيء غير قليل من اللذة، اللذة التي لا يستطيع أن يدخلها على النفس إلا الذين يحسنون وضع الأشياء في مواضعها: وقد أحسنت كل الإحسان وأرجو أن أقرأ لك شيئاً جديداً آخر يضيف إلى هذه اللذة لذة أخرى...».

لئن جاء معظم آراء الخليلي فيما يهدى إليه من كتب ودواوين، وما يضع من مقدمات وتصديرات لغيرها موضوعية وطريفة معاً، فإن رأيه في القصص والروايات، يجيء أبعد موضوعية وأطرف.. هذا انطباعي عنه - وعلي تبعته - لا لشيء إلا لأنه أدرك أسرار هذا الفن الشائق والشائك.. زعيم أنا بالقول مثلاً لا حصراً، إن الخليلي عرف كيف يبدي رأيه المتزن

المهادي في مجموعتي القصصية «نداء الشوق» المطبوعة عام ١٩٧٣، فتالقت على صعيده النظرة النقدية التأثرية والنصفة العلمية في إطلاق الحكم: «هذه أول مرة اقرأ لك فيها طائفة من الصور تلتقطها من حياة ناسنا في مجموعتك الأخيرة التي صدرت باسم «نداء الشوق» وقدمها الدكتور صفاء خلوصي ومن قبل إذا كنت أعرفك كاتباً تعنى بالمواضيع العامة التي يعنى بها الأدباء وقد جذبني «نداء الشوق» هذا، ورحت استعرض صورك.. هذه صورة بعد صورة. على أن الصور التي بهرتني من هذه المجموعة لم تكن قليلة ولكن الصورة المعنونة باسم هذه المجموعة من «نداء الشوق» كانت أكثر إيغالاً في أعماق نفسي وهي تستوفي كل شروط القصة الكاملة وإلى جانب تلك الصور البارة أخذتني في مجموعتك عبارات وأوصاف تدل على براعة تجتذب النفوس وتترك أبلغ الأثر فيها وهي ما تظهر بصورة جلية واضحة في لوحة «النفساء» هذا فضلاً عن السبك الذي أفرغت فيه قصة النفساء.

ونافلة القول إلى أن ذهاب غير قليل من أصحابي الأدباء والمفكرين بالعراق والوطن العربي إلى غير رجعة، فجر شجوني وحفري أعماقي جروحاً، ومن ثم حثني على النهوض بما استشعر نحوهم من واجب ودين... نشرت عن كل من قضى نحبه، وكانت لي به صلة، تأكدت معها أصالة وديمومة وتعززت بها مطارحات ولقاءات، مقالاً بعنوان «...كما عرفتهم» حتى تمثل ما دبجت على تطاول الأعوام في كتاب مستقل أخرجته عام ١٩٧٩م.

وكان لابد للخليلي وهو يطالع الكتاب الجديد المهدي إليه، وله أجزاء

ماتعة من هذا اللون الطريف المعنى بشريحة من المتميزين المنورين، من أن يعلن موقفه منه، وي طرح رأيه ببساطته المألوفة: كتابك «كما عرفتهم» قرأته للمرة الثانية ويسرني أن أخبرك بأنه قد زادني إعجاباً بك كاتباً مشرق الديباجة حلو الحديث كثير الوفاء للذين عرفتهم من حملة الأقلام وأعلام الأدب ولم يكن هذا وحده وحسب وإنما زدت تاريخ هؤلاء وضوحاً فزدت قراءك ومن ضمنهم أنا فائدة وهذه صفة الكاتب المبدع وقد كنت أنت من أولئك الكتاب المبدعين.. وها أنت ذا ناذر نفسك لخدمة القلم دون انتظار شكر أو جزاء...».

كان الخليلي هادئاً طيباً.. ما دريت أعلى الفطرة ذاك أم على التجربة؟ هاشاً باشاً جليسه وأنيسه، يحاول إرضاءه على قدر.. ما لاحظته يوماً صاحباً أو غاضباً.. عاتباً أو عائباً. إن فعل شيئاً من هذا كله فشأنه الإيحاء والإيحاء. يجيب عن بريده الأدبي مهما يكن، يصل ودأً بود من غير تقاعس، كذلك يصل فضلاً بفضل بلا توان.. كله إباء يعرف منزلته وقيمه.. وكله كبرياء يرفض إذلاله شخصياً وإهانته أدبياً، حتى ليرد دون نكوص على مكائد الأعداء والخصوم.. وفي جعبتي من هذا حكايات.

إنما الخليلي منحني من محبته ووفائه ما لا يصح تناسيه والتنكر له، قابل إحساني إليه واهتمامي به - إن كان ثمة شيء من هذا - بأجل منهما وأكرم. ما هاتفته مرة إلا هاتفني مرات.. يسرع بالإجابة بمجرد أن توافيه رسالتي أو حاجتي وأجدي من ما نويت وانتويت. يخطر لي ببال أني أهديته معظم آثارتي،

في حين أهداني من آثاره أكثر من ما أهديت.. وهل هناك من تلقى منه دورتين كاملتين من موسوعة العتبات المقدسة كما تلقيت أنا؟ ما أصدق ما يبثه عبر رسالة أرسل بها إليّ من عمّان في العاشر من آذار ١٩٨١م بعد خيبته في إيصال نسخة ولو واحدة من الجزء الخامس من كتابه «هكذا عرفتهم»: «فقد بعثت لك بنسخة ثانية من «هكذا عرفتهم» يوم كتبت لك الرسالة السابقة فإن لم تصل إليك فلا تفسير لها غير سوء الحظ ولا غرابة إذا ما رافقني سوء الحظ فقد اعتاد أن يركبني في كثير من المناسبات ومع الأصدقاء من أمثالك ولو كانت لدي نسخة من الكتاب لبعثت بها إليك للمرة الثالثة وحتى الرابعة إذا اقتضى الأمر...».

وكلما زرته بإدارته أو بداره بمناسبة أو غيرها غبط بذلك موسعاً لي، مغرقاً إياي بعواطفه وطرائفه، كما كان يكاتبني وهو في خارج القطر يستجم أو يشرف على طبع مؤلفاته، متسقطاً أخباري وأخبار أحبائه، ومستعداً لأداء أية خدمة لي هناك.. إن عاد من رحلته بوغت بما اعتاد أن يباغت به الخالص من أصحابه وأربابه من هدايا مناسبة.. ولو أدركته رسالة أو مقالة من زيد أو عمرو وكان بها ما يخصني سرعان ما أنهى ذلك إلي عبر الهاتف ولو كان سباً أو ثلباً...

صريح هو الخليلي وصراحته غير لاذعة، مع ذلك يغلفها بنكتة أو يضمنها حكاية.. وعلى حائط مكتبه بدار التعارف لوحة مؤطرة وهي تظالعك «صديقك من صدقك لا من صدقك».. عاش الخليلي ثمانين عاماً

وشهوراً..

حياته حفلت بتطلعات صحافية وثقافية ورحلات إلى مختلف أصقاع العالم.. كما زحرت بنجاحات في أعمال ومشاريع تعاطاها، وإن تخللها بين حين وحين إخفاق أو نكسة، لا مندوحة للإنسان في زماننا الرديء - وإن كان ذاك من طبيعة الأشياء ورديف العمر - عن مجابهتها في المسيرة الطويلة: ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن شرعت الأمراض تتعاوره، والصعوبات تلاحقه، والارتباب من المستقبل يساوره..

في أخريات أعوامه أصيب الخليلي بالنقرس: داء الملوك كما يقال بيد أنه لم يكن ملكاً في يوم بالمعنى المتعارف عليه، كما لم يكن يطمح أن يكون كذلك في يوم أيضاً.. وإنما كان ملكاً على عرش القصة العراقية في يوم شئت أم أبيت..؟!!

وأخذت يده في نهاية السبعينيات ترتعش على نحو ظاهر، أربكه، ثم زایلته هذه الرعشة إلا أنّها عاودته مرة أخرى لا تريد الترحح عنه.. ثم وجدته يشكو ضعفاً في عينه اليمنى.. تستمر الحال على هذا الوضع العصيب الرتيب، ثم رحل إلى لبنان ليصطاف ومن هناك لا يتردد في مصارحتي: «عيني اليمنى في تقهقر مستمر ينبك عنه هذا الخط الصاعد النازل والمشرق المغرب المبعثرة كلماته وحروفه وأن هنا بعض من أعرف من الأصدقاء ومن أطباء العيون يوصونني بعدم الإجهاد ووجوب الانصراف عن القراءة

والكتابة وأنت تعلم كم هو شاق الواحد مثلي أن لا يقرأ ولا يكتب وأسأل الله العون ولعلي حين أعود إلى بغداد تكون هذه العين قد تهيأت للعملية...». لولا تدارك ما انبرى يتوعده بمدخلة جراحية آن أو أنها بمستشفى الراهبات في بواكير صيف ١٩٨٠ لما كان هناك نجاة من كارثة وأمل في شفاء. وأتذكر أنني عدته بعد يوم من إجراءات العملية، حاملاً إليه باقة من الأزهار، وحينما وجدني أقبل وجنتيه حناناً وحامداً الله على سلامته انشرح صدره وانطلق لسانه:

- أنت أول زائر.. لك الشكر!

- هذا واجب.. «ومواصلاً»:

- أرجو أن تكون في خير..

- إن شاء الله..

قبل إزماعه السفر إلى خارج القطر هاتفني غير أنه لم يجدني..

غادر بغداد إلى عمانٍ لمتابعة فحص عينيه واستتمام علاجها لدى الدكتور (هلسا) أشهر أطباء العيون في الشرق - كما ذكر هو - بناء على موعد، حيث أنبأه أن عمليته نظيفة وناجحة وينبغي له استعمال النظارات الطبية وأن عينه الثانية بحاجة إلى عملية لم يحن وقتها...

ويبدو أن مناخ عمانٍ راق الخليلي وأفاده من حيث لا يحتسب، فأثر البقاء بها محاطاً برعاية محبيه وحسن وفادتهم ولاسيما روكس بن زائد العيزي: هذا

النادرة بين الرجال..

في صيف عام ١٩٨٢ شخصت إلى عمّان لشاغل، وكان من أمنيّاتي أن استجلي طلعة الخليلي مكحلاً بها ناظري، مستروحاً وإياه نسّمات اللقاء والولاء.. لكن ذلك لم يتحقق لارتحاله إلى لبنان نشدان للراحة، فعدت أسفاً كاسفاً...

أخطر ما أصيب به الخليلي ارتفاع ضغطه الدموي، هذا الذي أسلمه فيما بعد إلى جلطة قلبية، ما لبثت أن خمدت سورتها... وفي صيف عام ١٩٨٤ سافر إلى ألمانيا الغربية لإجراء فحوصات طبية على قلبه الكسير، وقد جعلت نوباته تروح وتجيء.. وكانت النتائج لا تبشر بالخير والتفاؤل.. من هنا أشار إشارة منظوية على التنكيت حتى على نفسه في رسالة بعث بها إلى صديقه الوفي ناجي جواد قبل وفاته بثلاثة أشهر، فقال بالحرف الواحد:

«ومنذ أسبوع ذهب هذه النوبة ولست أدري أيكون ذهابها بدون رجعة أم تعود؟»

وأذكر ونحن صبيان أن جحشاً نعق لأحد العلماء فشد بالحبال واجتمعنا نحن الأطفال نساعد الحمالين في جرهم له وكنا نهزج منشدين:
وداعة الله يا جحش والينا هاي هية لوبعد تلفينا
والجحش ذهب ولم يعد طبعاً ولكني لا أدري أيكون مصير هذه النوبة
مصير جحش مولانا الشيخ فيذهب لا رجعة. والنوبة إنذار بالموت لا أدري
كم مرة أنذرتني وأنا لم أمت وقد تجاوزت الثمانين بشهور».

ثم لبي الخليلي دعوة تلقاها لزيارة ابنته السيدة ابتسام وزوجها في دبي..
 هناك باغتته نوبة صاعقة، رقد على أثرها بمستشفى راشد.. وفي خلال
 ذلك كان يتابع ما يتسنى له من صحف ومجلات، ويطالع وجوه الأطباء
 والطبيبات، حتى أنه كتب على إحدى صفحات مجلة (الصيد) قصيدة بديعة
 موجهة إلى الدكتورة «منى المريخي» الطبيبة المشرفة على رعايته واختتمها
 قائلاً وهاتفاً بها:

منى يا منى كل هذي الحياة	فما طاب عيش بلا أمنيات
إذا داهمتك الشدائد يوماً	فليس علاج لها كالثبات
وإن ضاق صدرك بالسيئات	فثمة دنيا من الطيبات!
أخذت من الدنيا أحلى الأسامي	فكوني بدنياك أحلى البنات
منى.. يا منى كل هذي الحياة	فلا عيش يخلو بلا أمنيات

وقضى الخليلي بعد أسبوع نجبه.. شيع ودفن في تربة غريبة عليه.. ﴿وَمَا
 تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ صدق الله العظيم. عليه واسع الرحمة.

المصدر: مجلة الموسم، العددان ٦٣-٦٤، السنة (٢٠) ١٤٢٩ هـ-

٢٠٠٨ م.



اليوبيل الذهبي للخليبي

خليل الله خليبي

أقام الأستاذ سالم الألوسي مدير معهد الوثائق العام في العراق أوائل عام ١٩٧٤ حفلة تكريم بمناسبة اليوبيل الذهبي لمرور أكثر من ٥٠ سنة على حياة الأديب الكبير جعفر الخليلي وقد حضر الحفل الذي أقيم في بيت الألوسي ببغداد جمهرة من أئمة العلم ورجال الأدب فشاركوا في تكريم المحتفى به وتكلم العالم السيد خليل الله خليلي سفير أفغان^(١) كما تكلم الدكتور عبد المجيد القصاب، والدكتور أحمد سوسة، وفؤاد عباس، وخالد الشواف، ونافع رئيس ديوان الأوقاف، ومشكور الأسدي، وألقى الشاعر كمال عثمان قصيدة، ثم ألقى الشيخ جلال الحنفي قصيدة في ١٠٦ أبيات لم تقتصر على الجودة في روعة نظمها وحدها، وإنما ألقيت بواسطة الشريط مغناة بالمقام الحديدي فاجتمع الفن من حيث الشعر والنثر والموسيقى في هذا اليوبيل.

وبهذه المناسبة وردت إلى الخليلي الأبيات التالية من الشاعر جورج

صيدح:

فأنا أهنيء أمة العرب	إذ هنؤوك بعيدك الذهبي
وخليلها في دولة الأدب	إذا أنت جعفرها وقيصرها
متبوء عرشاً من الكتب	علم على جنباته قلم
تكريمها عفواً بلا عجب	ومكارم في الطبع أعجبها
ليس الفتى من قال: (كان أبي)	(إن الفتى من قال: ها أنذا

(١) كان خليل الله الخليلي وزيراً ودبلوماسياً كما كان أحد أهم شعراء أفغانستان تولى وزارة الثقافة سنة ١٩٦٥ وفي سنة ١٩٧٠ عين سفيراً لبلاده في السعودية ثم في العراق وظل في هذا المنصب حتى الانقلاب الشيوعي عام ١٩٧٨. أقام فترة في ألمانيا ثم انتقل بصفة نهائية إلى بيشاور وفيها توفي في شهر رمضان سنة (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م). (الموسم)

كما تلقى الخليلي بهذه المناسبة الكثير من الرسائل والشعر، وهذه قصيدة للسيدة الشاعرة الأدبية «أم خلدون» عقيلة العلامة المؤرخ عجاج نويهض ساهمت بها هي الأخرى في هذا التكريم، وتطرقت إلى بيت الخليلي الجديد الذين انتقل إليه أخيراً، وإلى بناته الثلاث، وحفيده بشار. والسيدة أم خلدون من الشواعر الأملعات في الطليعة، وعلى الرغم من انشغالها بمهمات بيتها الذي يعتبر محجاً لكثرة زواره من العلماء والأدباء الوافدين على لبنان، فإنها غير منسية كشاعرة من كبريات الشواعر، ورائدة من رواد أدب المرأة اللبنانية المثقفة، وإننا ننشر هنا قصيدتها وردّ الخليلي عليها، تقول أم خلدون: تهنتة وتحية للأديب الكبير، والأخ الكريم، وكريماته الغاليات:

وأخا المروءة والوفاء	وحامل القلم المجاهد
ومصور الأخلاق والعد	ادات في شتى المقاصد
يوبيلك الذهبي يوم	في السورى باق وخالد
خمسون عاماً واليراع	يصوغ للفصحى قلائد
ولقصة الأجيال والأيام	والمثل الأوابد
يارافع (العتبات) للشرف	سات في فردوس عابد
تاريخ أمتنا المجيدة	من سخائك بات راغد
بيت يجاوره الأمان	مبارك يا خير والد
هونفحة المأمون للعلماء	في حرم المساجد
للأسرة المثلى حمى	ولزائر النادي معاهد
للابتسام، على جوانبه	ضياء (الفوز) واقد
يهنيك باللمع الثلاث	فرائد بين الفراقد
ويحسوط الله العرين	ودام بالأحفاد حاشد
(بشار) رائدهم إلى	الرحبات يانعماه والد

أن خلد الله الأديب

تسابقت فيه الموارد

رأس المتن - لبنان أم خلدون

وهنا رد الخليلي على القصيدة:

أم النهى، بنت الأماجد
شمخت علا حتى اغتدت
وسمت بأجواء الفضائل
جمعت صفات الأكرمين
وحكت (بني معروف) في
أم الكريهات الحسان
طوقتيني ببديع ما
بقصيدة إن أنشدت
حسبي من (التكريم) منك
ويكون (كوخي) مثل قصر
وبناتي السمر الثلاث
كرم ومامان الكريم
وسجينة موروثية
أنا إن أكن قد خانني
فالخرس تغنينا الإشارة

من طارف خضل وتالد
محسودة من كل حاسد
أيمنه؟ منها عطار
من المحاسن والمحامد
شرف، وفي نبل المقاصد
وزوجة العلم المجاهد
قد صنعت من درر القلائد
تعنولها كل القصائد
بأن لي (صلة وعائد)
النييل في عين المشاهد
بعين عطفك كالفراق
الأقربين عن الأبعاد
من بيت والدها فصاعد
نطقي، فما للفضل جاهد
منهم حمداً لحامد

جعفر الخليلي

بغداد - كراة مريم

المصدر: مجلة الموسم، العددان ٦٣-٦٤، السنة (٢٠) ١٤٢٩هـ-

٢٠٠٨م.

حفلة تكريم الخليلي

بمناسبة انقضاء خمسين سنة على مزاولة جعفر الخليلي الأدب والتأليف والصحافة واعتبار هذه المدة كيوبييل ذهبي كان قد أقام الأستاذ سالم الألوسي مدير الوثائق العام حفلة تكريم للخليلي وأسهم فيها عدد كبير من رجالات العلم والأدب كما مرت الإشارة لذلك وقد أقام بعدها الأديب الشاعر الكبير فؤاد عباس المفتش الخاص بوزارة التربية العراقية حفلة تكريم ثانية للخليلي في بيته المجاور لميدان سباق الخيل، حضرها عدد كبير من رجال الأدب والقانون، وكان بين الحاضرين العلامة خليل الله الخليلي سفير الأفغان في العراق والأردن والخليج، والذي كثيراً ما كان يقول إن ليست النسبة وحدها هي الجامع بيني وبين جعفر الخليلي وإنما هناك تقارب روحي في كل شيء، وكانت فوق المائدة كعكة كتب عليها (أهلاً بالأخلاء) وقد أراد الأستاذ فؤاد عباس صاحب الدعوة ومن حضر الحفلة من الأخلاء المقارنة بين الخليليين فأنشد هذه الأبيات:

لا فرق بين خليلنا وخليلنا	هذا عراقي وذا أفغاني
وكلاهما عند التفاضل أول	مهما بحثت فما له من ثان
كل خليل منكم ياسادتي	وبه تنور مجمع الخلان
أنتم - وإن كان السباق جوارنا -	أجواد فضل لا جواد رهان



بين الخليلي والحنفي

أرجوزة من نظم جعفر الخليلي

«الخليلي يريد أن يدخل في زمرة المعتمدين ويكون إماماً، هذه أرجوزة نظمها جعفر الخليلي وقدمها للعالم الجليل الشيخ جلال الحنفي يرجو منه أن يرشحه لإمامة جامع ليصلي بالناس معتقداً بأن خروجه من دنيا التأليف والأدب والصحافة ودخوله في زمرة المشايخ والأئمة أجدى وأنفع له في دنياه!!».

أبالبيديأخا الفضيلة
يا كنز علم وفنون وأدب
يا من حوى من كل علم فنا
حوى التقى والعز والإباء
حتى غدا فينا عريض الجاه
قد ضربت بفضل الأمثال
يا زهرة الألفاف في الخميعة
يا شاعراً غنى بشعره العرب
ونال في دنياه ما تمنى
وكل ما شاء من الأشياء
وموئل الناس بفضل الله
وأكثرُوا في وصفه وقالوا



أشكو إليك من رزايا الدهر
أهون ما ألقى من المآسي
من سأم ما بعده من سأم
لا قلم باق ولا كتاب
ونسيت أقوامنا نسيانا
وقد قضى من عمره سنينا
مجاهداً في خدمة البلاد
بكل ما قد استطاع واقتدر
فكم كتاب في الفنون ألفا
وأصدر الجرائد الشهيرة
فنال من خصومه العذابا
ومن هموم ضاق منها صدري
ضياع هذا العمر بين الناس
أقل ما فيه فتور الهمم
يفتح فيه للسلوب باب
أن أديباً بينهم قد كانا
خمسين بل أكثر من خمسينا
وكل من قد نطقوا بالضاد
مما يطيق مثله من البشر
عن حاضر القوم وعمن سلفا
وشادها نهجاً لحسن السيرة
وجرعوه في الحياة الصابا

وطالما كادوا له وشمروا
بل طالما هدد باغتياله
وخر ذات ليلة صريعا
وحظه اليوم من (اليوبيل)
فما كان قومنا رأوه
عن ساعد الفتك به وائتمروا
وهو كثير كف عن سؤاله
مضرجاً في دمه نقيعا
تمثال نسيان من القبيل
أو سمعوا به، وقد وعوه

وكل ما أرجوه من صديقي
وذاك أن يلف لي عمامة
ينصب مني بينهم إماما
ويصطفي لي مسجداً ذا برج
فليس من ذنب عليه إن فعل
فإن أكن من قبل قد ضللت
وقس على ذلك الذين تابوا
فذا القياس عندك الأساس
وامض أخي (جلال) بعد عني
فأنت والذين من أمثالك
قد عشتهم ما بيننا أحيارا

تفريج همي وزوال ضيقي
رتيبة الطيات فوق الهامة
كخير من صلي تقي وصاما
وسط أناس بلداء سذج
فالأصل حسن الظن فيما قد حصل
فربما قد تبنت وابتهللت
بعد الضلال واهتدوا وتابوا
وليس من مذهبي القياس
فإنما فنك غير فني
لا تعرفون هذه المسالك
من كل أوضار الدنا أطهار



المصدر: مجلة الموسم، العددان ٦٣-٦٤، السنة (٢٠) ١٤٢٩هـ-

٢٠٠٨م.

وثائق وصور من أرشيف المؤلف
والصحفي جعفر الخليلي

سيد الامام الحجة اية الله الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء
 ماشوقني يا سيد الى التمتع برويتكم وما اشتد
 والجاين عن صحابكم وكلّي رجاء ان تكونوا في صحبة وعافية وان يمد الله عليكم
 لتسعدوا موئلا هذه الامة بعد ان غر وجود انما لكم
 دبعه فنه اوقف سطلعون عليه من صبعة الاستقاء وهو يخص جماعة
 من المرتزفة هم في امر الحاجة الى ماؤك يصارهم من الحر والبرد سينا مملكون
 ادقافا واجعة لم يطعوا ان يفسدوا منهم فحس ان يحسب نوبك سيد
 العم تسفه كل الاتفاقات مع الشريعة والمصلحة كما عودنا في ثناواه الله
 وانتهز هذه الفرصة لعرض فائق اجراما في وحناف راجعا ان تدوموا
 لجميع المسلمين ذخرًا و للمخلصي

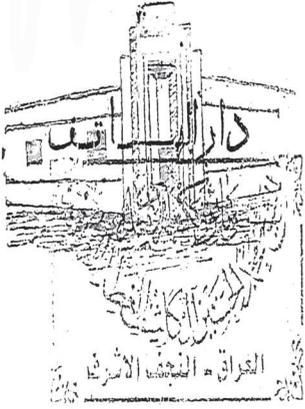
جعفر الخليلي

الخليلي



رسالة من جعفر الخليلي الى الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء

٦/٧/٨

<p>العنوان</p> <p>النجف - العراق - الهاتف</p> <p>ADDRESS</p> <p>NAJAF .IRAQ</p> <p>AL-HATEF</p>		<p>الهاتف</p> <p>جريدة اسبوعية</p> <p>لمصاحبا ورئيس تحريرها</p> <p>جعفر الخليلي</p>
--	---	--



سيد العم محمد الله وليه بسلامه العراق - النجف - الأرشيف

كلمت بكل سرور هدتم النعمة والكرما بسرف هو ان اجدي
 دائما موضع عناية كسرة من لدم وكاني اسطع ان اودي بعض
 الواجب في المنفصل القرب اما الان فرماني ان سعلوا فاني
 اهراماتي واسني فحاف وان سولوا زهر اللعين ولللمس

٤٤٥/١/٥

رسالة من جعفر الخليلي رئيس تحرير جريدة الهاتف الى عمه عام ١٩٤٥ م

١٢٧٢ هـ

بسم الله

سيدي وولاي محمد اسرارم سماحه الشيخ محمد بن جعفر

بعد سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

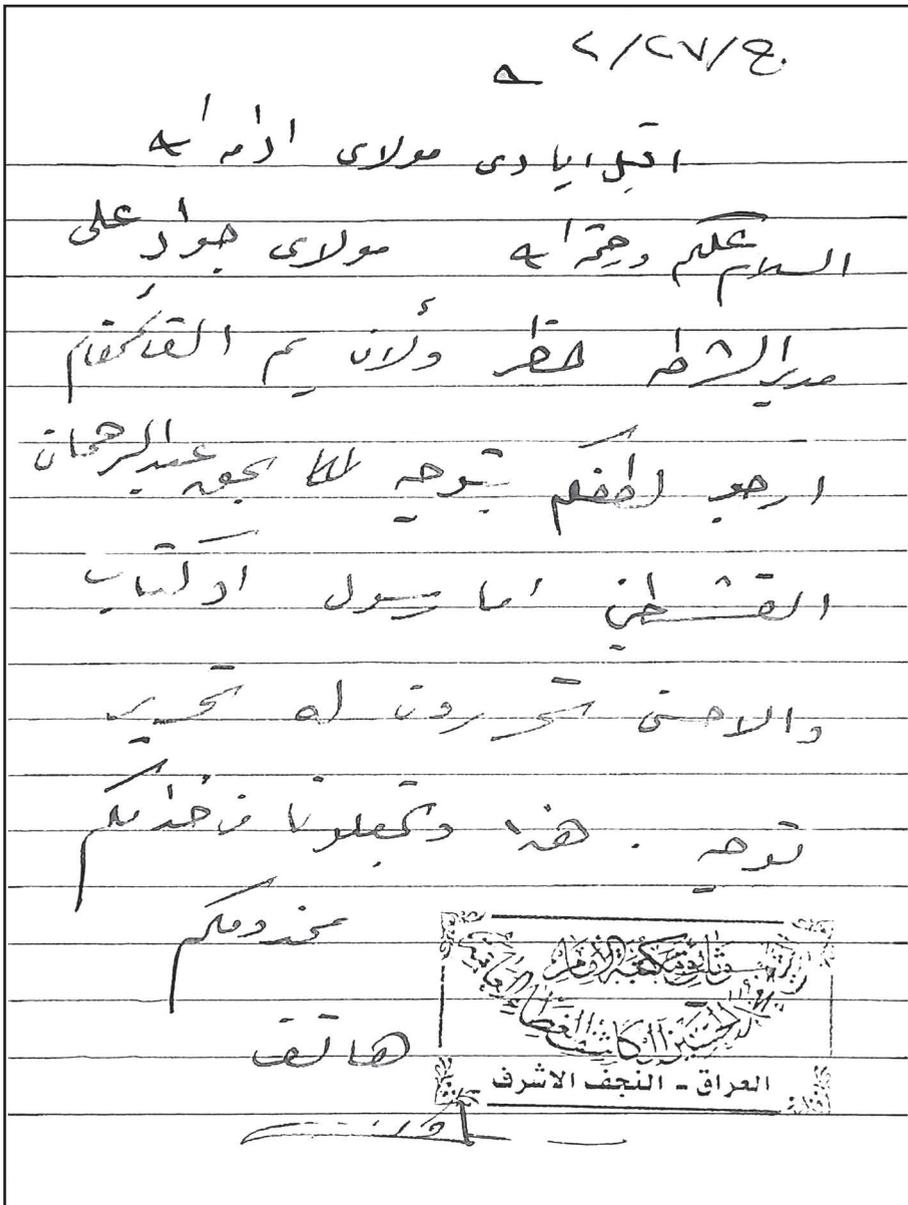
ان سعاده الملقب لم يخرج من داره في امس وليلة
لمرضى طفيف الم به وقد جاء صباح هذا اليوم الاكبر
ولا يزال يشعر بتوكل في جسمه فوضت سعاده
ما امرتم به فب ان يخرج لديكم عصر هذا اليوم
او عند اذا استطاع ذلك وعلى كل حال فاقبلتم
بالوقت الذي ينزولكم فيه قد ساعة او ساعتين
وتفضلوا يا صاحبه السامعه يقولون ان اوقات

الحبيب

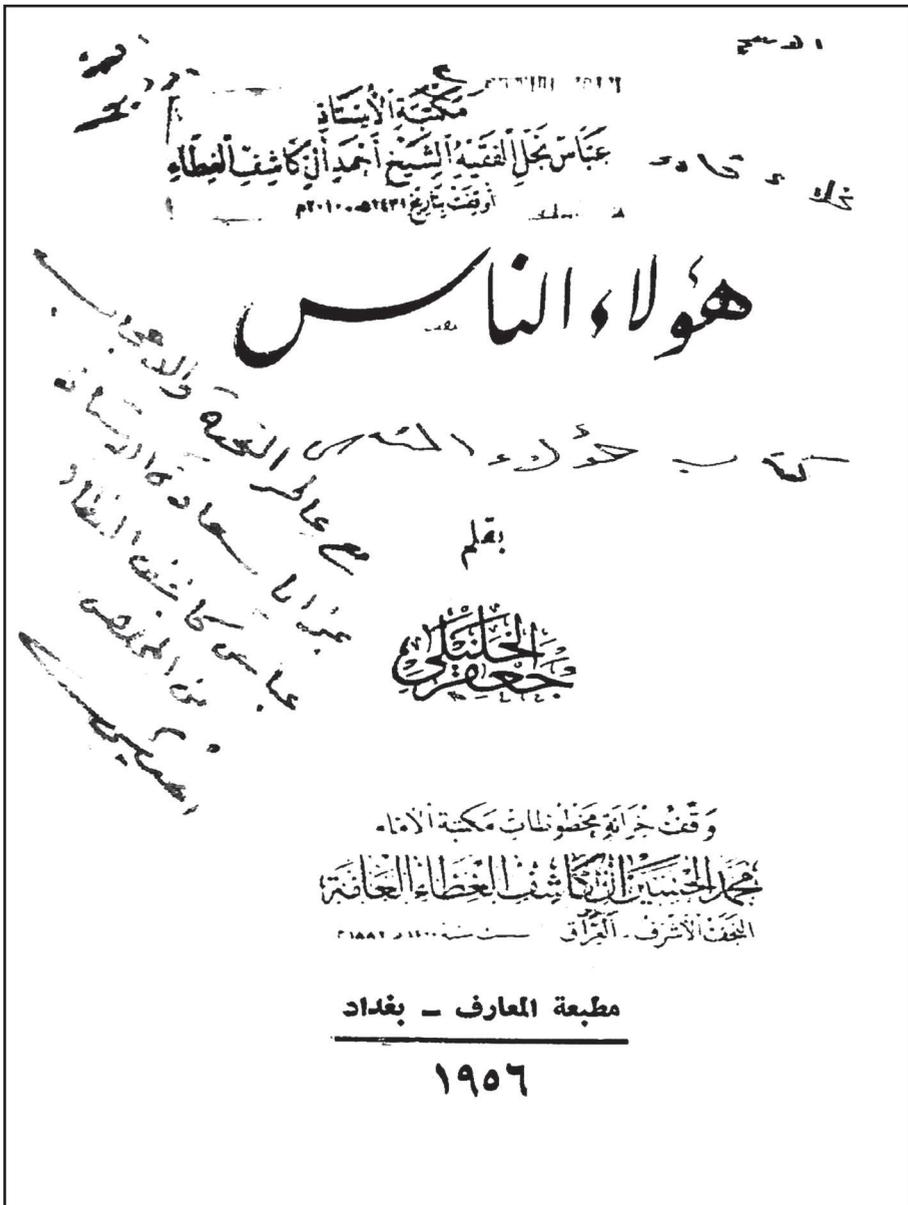
حقيقه
١٢/١٠/٢٧



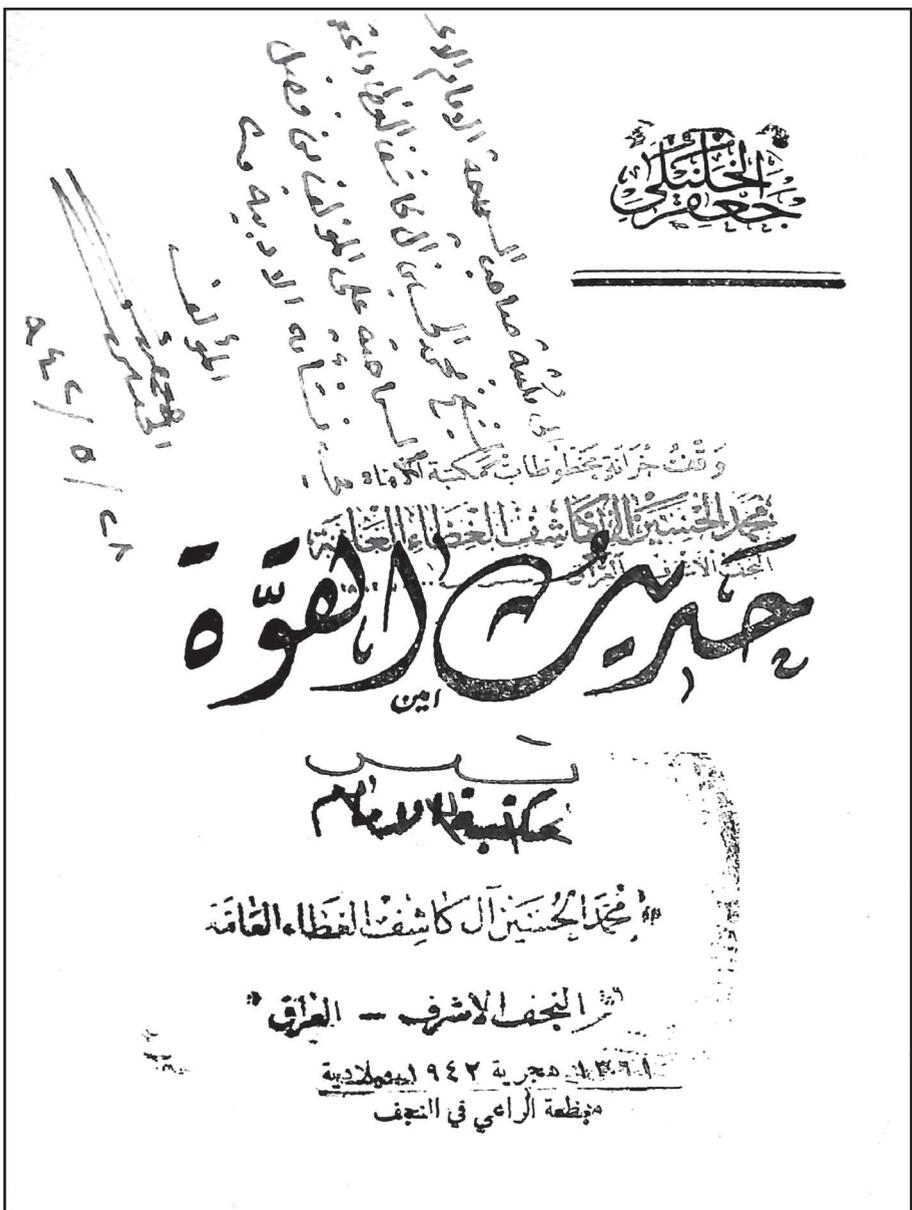
رسالة من جعفر الخليلي الى الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء عام ١٩٣٧م



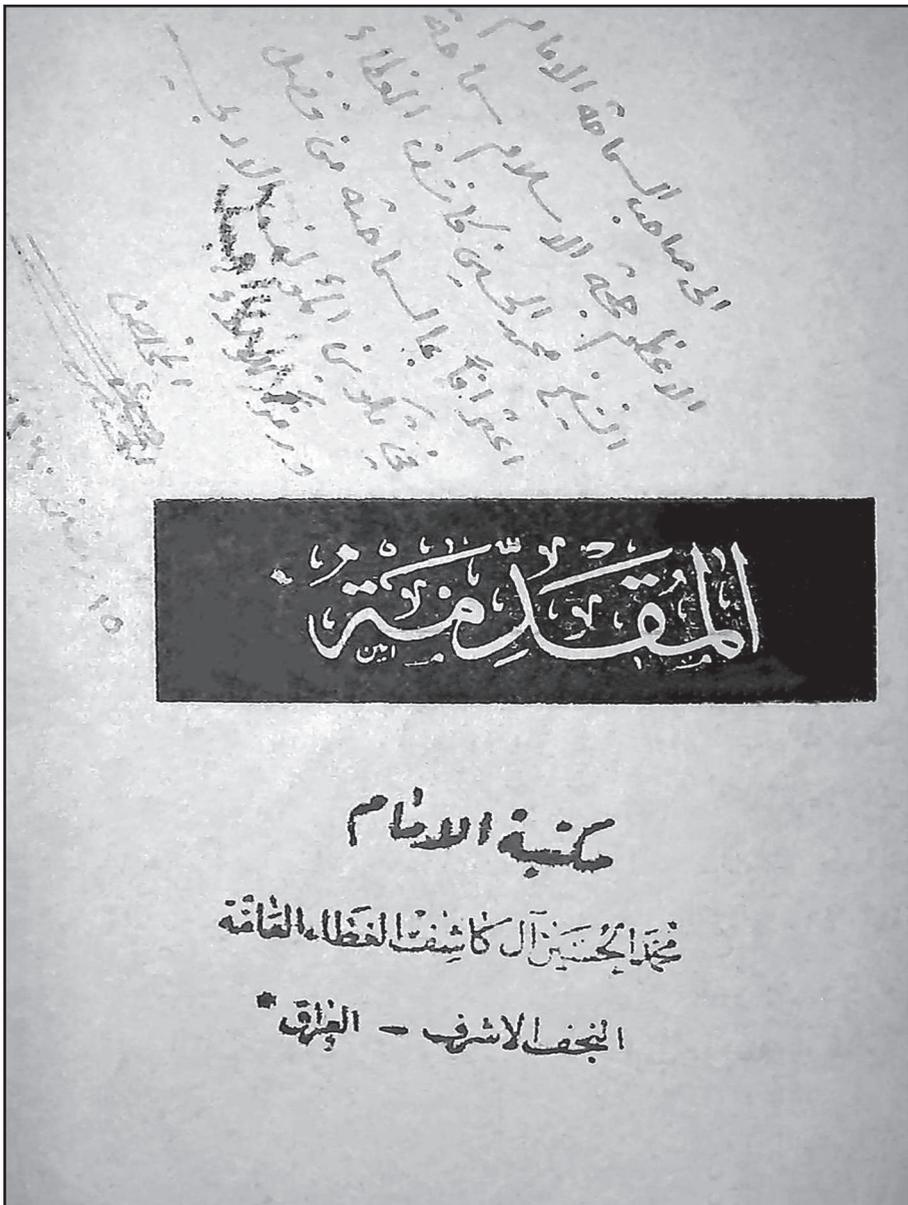
إحدى رسائل جعفر الخليلي رئيس تحرير جريدة الهاتف الى الشيخ محمد الحسين آل
كاشف الغطاء



إهداء كتاب (هؤلاء الناس) من جعفر الخليلي الى الأستاذ عباس آل كاشف الغطاء



إهداء كتاب (حديث القوة) من جعفر الخليلي الى الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء بتاريخ ١٩٤٨/٥/٢٨ م



إهداء أحد الكتب من جعفر الخليلي الى الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء

المطائف

٢ / ١٧١٩

جريدة يومية سياسية
تصدر في كل اسبوع عددا اديا خاصا
صاحبها ورئيس تحريرها
جعفر الخليلي
العنوان - بغداد - جريدة الهاتف

رقم التلفون | المكتب ٧٩٤٦
المسكن ٤٤٢٦

الرقم

التاريخ ١٢٧٢ / ١ / ٥ محرم

DAR ATTAAROF
 ADVERTISING AND PUBLISHING
 A MODERN ADVERTISING AGENCY
 AND PUBLISHING CONCERN
 EQUIPPED TO MEET YOUR ADVERTISING
 AND PRINTING NEEDS
 Baghdad Saadoon Street, Tel. 7878

دار الآروف
 مؤسسة من نوعها في العراق
 مجموعة جهود للمؤلفين والمبدعين والرسامين والمصممين
 تتولى لترويج الفكرة والمشاريع بأوسع
 سرور على التبريد والدعاية
 ببناء شارع السعدون تقنون ٧٨٧٨

التاريخ ١٤٠٣ / ١٠ / ١٩٨١

No. _____ Date _____

العدد

ميرزى السيد عبدالرزاق السارقي

اشكرنا كثيرا على قدومك وبارك الله في الخطوة التي خلوتها في ميدان القصة
 فقد قرأت قصيدتك (انقرت) و(غدا ب الضرب) وانا ارجو ان تكون هاتان
 القصتان بمثابة العطر الذي يقدم الغيت ثم ينهر بعد ذلك باشارة ولاعب
 ان مثل هذه الانها راسعا عليك وقد بدأت توطى هذه القصة بمجهودنا نرجوا ان
 يكمل بالنهاية ودم ذوقنا للفضيلة والتمهل

جعفر الخليلي

DAR ATTAAROF ADVERTISING AND PUBLISHING
 Saadoon Street - Baghdad بغداد - شارع السعدون

الاديب الالمع السيد عبدالرزاق السيد احمد السارقي
 شارع المحاكم -
 مكتب من للطباعة والنشر
 بغداد

رسالة من جعفر الخليلي الى السيد عبد الرزاق السامرائي عام ١٩٦١م



وبما تركه الشعر في نفسي أيام الشباب كان شعر «بشار بن برد» و«أبي نواس» و«المري» و«ذو» ان اعرف المتنبّي وغيره .

ه نعد الآن الى الماضي.. متى كتبت أو صه وكيف..؟

— كنت في السابعة عشر، ان لم أكن في السادسة عشر تماماً، وكان ذلك في نحو سنة ١٩٢٠. وكنت قد تأثرت بعدد من القصص التراجيدية المحزنة فكتب قصة عن حياة أسرة بائمة تسعة وأسميتها (بالنساء) ثم طبعتها في نحو سنة ١٩٢١، وقصتي اليوم معها أشد من قصة المازني مع أول ديوان له أو أول مجموعة شعرية قلم بطبعها، فقد جاء من يسأل المازني بعد عدة سنوات لماذا أنت ساكت عن هذا الذي بدأ يتحلل شعرك وينقله من مجموعتك القديمة وينشره بأسمه كما لو كان هو الشاعر...؟ فقال المازني رحمه الله: هذا ديوان شعر بلغ من قلته ان صار البقالون يلقون به الجبن والريون فكيف تريد ان تذكرني به وأنا أحاول أن أنساه؟ وقصة «النساء» احاول اليوم أن اتسلسها

— آخر كتاب قرأته هو كتاب «النفس وانفعالاتها وامراضها ومعالجتها» للدكتور علي كمال استاذ الامراض المعصية بكلية الطب، وأعتقد أنه اوسع كتاب بالعربية عن عوارض النفس وصور هذه العوارض والنقص الذي يؤدي الى الشذوذ من الأحوال التي توصل اليها العلم والتي لم تزل عبارة عن نظريات، وقد استعرض الدكتور كمال في كتابه هذا جميع صنوف الأمراض النفسية بما يسببه الادمان او نشأة الطفولة أو الحروف أو الشعور بالنقص ومشكلات الجنس والكتب، وغير ذلك من الأسباب، والميزة التي يمتاز بها هذا البحث هو ان كثيرا من الشواهد الواردة فيه انما هي ما وقف عليه المؤلف في معالجته المرضى بنفسه. وعندني ان هذا الكتاب اثنى ما جاء به الموسم الثقافي في هذه السنة، ولو كانت هناك جوائز للمواسم العلمية في البلدان العربية، لما تخلت الجائزة الثمينة عن هذا الكتاب الثمين.

أما أهم الكتب التي ظلت اذكر مفعولها في نفسي وأنا ادراج الى سن الشباب فهي كتاب «نوار الريح» وكتاب «كلية ودمته» وكتب «سعدني الشاعر»

ه مارأيك بكتاب القصة القصيرة في العراق.. وماذا تتوقع لمستقبلها في هذا البلد وما رأيك بكتابتها الشباب..؟

— الحق ان هناك عدداً وان لم يكن كثيراً من يحسن كتابة القصة القصيرة، ولكن القصة سواء الطويلة او القصيرة لا يمكن ان تنمسيو الا في اجواء خاصة من الحرية والاستقرار والطمأنينة. ولقد كانت للقصة القصيرة في العراق بداية حسنة ثم مرت ظروف قاسية بالبلاد اتمتدت القصاصين عن الاستمرار في كتابة القصة او قل حددت مواضعها فلم يستطع القصاص العراقي ان يعالج في قصته ما تتوه به نفسه من الافكار والآراء لذلك فان القصاص العراقي اليوم أشبه بصف من طلاب المدارس الذين قال لهم مدرس الرياضة: «راوحوا في مكانكم ا» وتركهم، وظلوا يراوحون، فلا من حركة غير حركة الرجلين، وهي حركة لا تكفي وحدها لتؤدي وظائف الرياضة كلها.

ه ماهو أغنى كتاب صدر في العراق خلال الفترة الأخيرة وما هي الكتب التي أثرت بك في مطلع حياتك..؟

نص اللقاء الذي أجرته مجلة العاملون في النفط مع جعفر الخليلي في العدد (٧٥) من المجلة في حزيران ١٩٦٨م (صفحة ١)

٥ ماهو دور الحب في إنتاجك الادبي؟ وهل صحيح ان وراء كل رجل عظيم امرأة ١٠٠؟

— الواقع ان دور الحب فيما كتبت لم يكن بالدور المهم الذي يذكر ، اذا استثنينا السلسلة التي نشرتها في جريدة « الشعب » باسم — عندما يحب الشاعر — والتي اعترها البعض ومنهم الاستاذ مشكور الاسدي حقيقة واقعة تعبر اصولها عن قصة ذات جذور اصيلة، وليس معنى ذلك أن الحب أمر ثانوي لا يستحق الاهتمام به ، وانما لان مجيئنا الذي نعيش فيه لا يستطيع ان يهضم مثل هذه المواضيع الطبيعية ، وانا اغبط صديقي الاستاذ حافظ جميل على جسارته التي حملته على ان يهبط للثام قبل فترة في مجلة «العاملون في النفط» عن سميت الوحي الذي اوحى له بنظم القصائد، التي لم يزل الكثير يرونها ممتنماً بها ، والتي منها تلك القصيدة السلسلة الجذابة «يا تين يا توت» ثم نقله بكل جرأة قصة تلك الزميلة «الزلاوية» وغيرها .

أما ان يجوز ان يكون وراء العظيم أو وراء أي رجل بارز امرأة يستمد منها وحيه وقوته ومعنويته فليس في ذلك ما يستدعي العجب . ولكن ليس وراء كل عظيم أو رجل بارز امرأة ، إذ كثيراً ما يروي لنا التاريخ شواهد ابطال كانوا ابطالاً ولم يكن وراءهم لا زوجة ولا أم ولا أخت حتى ولا صديقة ، ومع ذلك فأنا اذهب الى أنه لو كان وراء أولئك الأبطال امرأة ، لضافت ذلك من بطولاتهم ولجودوا في اعمالهم ، ولخرجوا علينا بصور أسمى من صورهم التي عرفناها .

٥ ماهو رأيك بالادب النسائي وبالادبيات العربيات المعاصرات؟ ومن هي أبرزهن في العراق وفي الاقطار العربية الأخرى؟

٥ بكل جهدي لأنها قصة تثير في نفسي الضحك والسخرية من كاتبها ! . لقد كانت محاولة شاب لم يضح بعسده ، وأحمد الله ان ليس لدي اليوم منها نسخة والا لظلت تنصص حياتي كلما نظرت اليها بين كفي .

٥ هل استطاع الادب العراقي بشكل خاص او الادب العربي بشكل عام تحطى حدوده الاقليمية ليصبح أدباً عالمياً؟

— وسيلة الأدب وهي النظم والنثر لا يعوزها شيء ما دامت تقوم على لغة فيها كل قابليات التعبير والتصوير . ففي لغة غنية برهنت في مختلف الادوار التاريخية على قابليتها في الاداء وهذا ما لا يشك فيه أحد حتى المتعصبون الغانم، والمهم بعد ذلك ان نرى محمول هذه اللغة في عصرنا هذا ، أقول في عصرنا هذا لأن الأدب العراقي بصورة خاصة كان مثلاً أعلى للاداب في العصور الإسلامية السابقة ولاسيما العصر العباسي، فالحياة التي نعيشها اليوم تقصها الشيء الكثير لكي تكون حياة ملوثة تمتع في النفوس الحيوية وتكتشف عن الواحي بعيدة المور ، وجميلة المعنى ، لكي يستطيع الأدب ان يتناولها بالشعر أو النثر ، ذلك لأن المعاني والافكار ، والاحاسيس انما تمتع من محط الانسان وبيئته وما يواجه في حياته اليومية ، واذا صح هذا — وهو صحيح على ما أرى — فكيف يستطيع الأدب العراقي أو الأدب العربي ان يتخطى حدوده الاقليمية ليصبح أدباً عالمياً وهو في وسط لم يبلغ بعد الدرجة التي تفنذ الأدب بما يلزم له من أفكار ومعان واحاسيس وتصورات وأخيلة تتناسب والأوساط القمعة بكل الموحات اللازمة للادب العالمي .

— لقد تأخرت المرأة في العالم جميعاً عن أخذ حقها الطبيعي في الحياة والتمتع بالثقافة المطلوبة ، لأن الرجل كان منذ اليوم الأول وحتى هذا اليوم أنانياً لا يسمح لمن يشاركه منزلته حتى ولو كان هذا المشارك أفضل منه ، وهو أناني حتى مع أبناء جنسه فكيف بالجنس الآخر من النساء ، ولذلك كانت حصّة الحياة من نتاج المرأة في العالم ومحصولها الأدبي أقل من نتاج الرجل ومحصوله كثيراً ، والا فليس هنالك مانع طبيعي على ما أرى لكي يجعل أدب الرجل أسمى من أدب المرأة لو أن المرأة المهووة طبعاً قد عاشت كما يعيش الرجل وخبرت الحياة كما خبرها هو .

ومن المؤلف ان يكون عدد الادبيات والشواعر العربيات بناء على تلك الاسباب عدداً محدوداً لا يتجاوز العشرات ومن هؤلاء الادبيات ، على سبيل المثال، الدكتورة سهر القلماوي، والدكتورة بنت الشاطي، وأمينة السعيد، ووداد سكاكيني ولى بعلبكي وألفت الادبي وثريا ملحم ، ومن الشواعر سلمى الخضراء الجبوسي ، ونازك الملائكة ، وفدوى طوقان ، والدكتورة عاتكة الخزرجي، وثمة لدينا المزيد من الادبيات والشواعر ، كجميلة العلابي وفضيلة التائب ومقبولة الخليلي ، التي يجيئ شعرها كثيراً ، ولبية عباس عمارة وتعيمة الوكيل ومهارة التقشبيدي .

أما أبرز الشواعر فمن كالشعراء ، لكل واحدة منهن ميزة تمتاز بها في عالم الشعر والمعاني ، ولقد مال بعضهم في الستين الاخيرة للشعر الحر واتخذت منه طابعا لشعرهن . ومن هؤلاء السيدة نازك الملائكة والسيدة سلمى الجبوسي ، والأسفة فدوى طوقان . لذلك فلن استطع ان أرتي برأيي وامين من هي التي ترشح نفسي لشعرها أكثر من غيرها ، لأنني لا أميل

في مكتبة الأديب مشكور الاسدي تقبع لمحات خاطفة عن الاستاذ جعفر الخليلي لم تر التور بعد ، تتحدث عن طفولته حين كان كععض لدائه كثير البحث عن أعشاش العصافير يتسلق لاجلها الجدران و« الشناشيلات » ، وقد تسلق مرة إحدى الشناشيلات في دار يسكنها الشيخ صادق الايرواني ، فطرق أحد رفاقه من الأطفال باب دار الشيخ وهرب ، ولم يسع للخليلي الهروب فخرح الشيخ والخليلي لا يزال معلقاً خوفاً من بطش صاحب البيت . فطمأنه الرجل الى أنه لن يصيبه بأذى ، ولكنه ماكاد ينزل وتطأ قدماه الارض حتى انهال الشيخ صادق عليه بالضرب ! ولا يزال هذا الشيخ الفاضل حياً يرزق ، وكما رأى جعفر الخليلي سلم عليه ، والخليلي لا يدرى هل يذكر الشيخ الايرواني ذلك الحادث الذي مضت عليه الستون أم أنه نسى؟ وهل هو يسلم عليه اليوم تكفيراً عن الماضي أم أنه يسلم لمجرد الاحترام . ويقول الاستاذ الاسدي :

— ومن ذكرياته التي حدثني بها أيضاً عن طفولته ، ان اطفال محلته في النجف جعلوه لجرأته رئيساً عليهم في «حربهم» مع المحلات الأخرى . وكانت المحلات في بعض الأحيان يهزمو بعضها البعض . وفي إحدى الغزوات التي قام بها الخليلي وجماعة من أبناء محلة «العمارة» على محلة «الحويش» خرج عليهم جموع من سكان المنطقة وكان أغلبهم من البنائين وفي أيديهم آلات وأدوات البناء ، ووقفوا بهم ضرباً ، إلا ان الخليلي استطاع التخلص بحيلة وهي انه لم يهرب ، بل مثل دور المترجم المستطرق الذي لا علاقة له بهذا الغزو ، فلم يلتفت اليه الضاربون !

نص اللقاء الذي أجرته مجلة العاملون في النفط مع جعفر الخليلي في العدد (٧٥) من المجلة في حزيران ١٩٦٨م (صفحة ٢)

الى الشعر الحر ونهجه في النظم . ولقد سلت الملكة فكتوريا مرة عن شخص فقالت : « أفضل ان يسألوا عنه غيري لاني لا أميل اليه واخشى ان انحرف اذا ادليت برأيي من حيث لا أدري فاظلم الرجل من حيث لا أريد . » ومع ذلك فليس بالامكان تجاهل ملكة الشعر الفاتحة عند السيدة نازك الملائكة .

وبالنسبة للشعر العمودي ، انفردت به بقية الشعراء . وأنا أميل الى شعر الدكتور عائكة الخرجي في هذا الميدان ، ففي شعرها الشيء الكثير من براعة النسيج واحكام القافية التي كثيراً ما تأتي في محلها المناسب . وإذا كان المقصود بالسؤال الادب عامة فلكدكتور سهر القلماوي المنزلة التي تجعل منها زعيمة للادب النسوي العربي في عصرنا الحاضر .

• من هو الاديب العربي الذي تتراح الى أدبه اكثر من غيره وماذا ؟..

من الصعب ان يحصر القاري لذته وراحته في ادب واحد ، ذلك لان الوان الادب كثيرة والمتخفين فيه كثر ، ولكل واحد من الادياب طريقة واختصاص . والذي يكتب القصة غير الذي يكتب النقد ، والذي يعلق على الحوادث غير الذي يضع الريبورتاج ، والذي يمتحن الصحافة من الادياب ، غير الذي يدرس الأدب ويمرض لبداعه وتكاته ، ومع ذلك وتويع هؤلاء الادياب والتذادي بهذا من هذه الناحية ، والتذادي بذلك من تلك الناحية فاني أراني متعلقاً بالدكتور طه حسين ، والسبب على ما أرى هو ان أدبه خال من الفضول ، لأنه يقول الذي يحس به ويسبكه في قالب مقبول وجذاب وصحيح من حيث القواعد حتى لقد يتعذر على اللغويين ان يجدوا عليه مأخذاً أو نادراً ما يقع ذلك . وكتاب «الايام» أروع ما كتبه كاتب عربي معاصر ، وعندي ان تصويره للاحاسيس فيه يعتبر من مبتكرات الأدب الحديث الذي أفرد به الدكتور طه حسين . ولولا ذلك لما ترجمت الى لغات اخرى ولما راج كل هذا الرواج . ولما اتخذ منه وحده ذريعة لترشيحه لجائزة نوبل .

• من هو أبرز شاعر عربي في رأيك وأية قصيدة أعجبك من شعره ؟..

أكاد أعين ايليا أما ماضي من الشعراء المتأخرين ، وإذا أردت أن أتخطئه لأنه ليس من الأحياء فالى الجماعفة الذين تجمعهم ورايه الفكرة والصورة عن اسميم بشعراء الفكرا كيلياس فرحات ، واحمد الصافي ، والشاعر القروي ، وجورج صيدح واضراهم .

أما القصيدة التي أعجبتني من ايليا فهي قصيدة «الطين» التي أحدثت ضجة كبيرة بين أضي ماضي وبين الاستاذ روكس العزيري ، والتي أتهم فيها أبو ماضي بسرعة هذه القصيدة من قصيدة بدوية قبل ان والد أبي ماضي كان يحفظها ، والقصيدة عندي من عبون الشعر الحاد .

• مارأيك بجائزة نوبل ولمن ترشح من الادياب العرب لها ؟..

جائزة لا بأس بها وعندي ان الدكتور طه حسين أجدر من غيره بها .

• ماهي مشاريعك الادبية الجديدة ؟..

أقوم الآن باصدار موسوعة تتناول تاريخ العتبات المقدسة منذ القدم حتى هذا اليوم ، يساعديني فيها عدد من كبار اساتذتنا المختصين كالدكتور مصطفى جواد والاستاذ جعفر الخياط والدكتور حسين أمين والاستاذ فؤاد عباس ، والدكتور حسين علي محفوظ ، والدكتور صفاء خلوصي وغيرهم . وقد صدر منها للآن ستة مجلدات وسيصدر قريباً مجلدان آخران .

• هل لك ان تحدثنا عن ذكرياتك الادبية الاولى ؟..

— أنا نجفي عريق في نجفني فان جد أبي لأمه هو السيد محمد الرحاوي شقيق السيد محمود الرحاوي الذي قتل ، وبسبب قتله قامت المركبة التي سميت بمركبة «الزكرت والشمرت» والتي ظلت قائمة اكثر من قرن ، والعراق في النجفية لها معنى خاص ذلك لأن البيئة النجفية وبيئة العلم والأدب بيئة مستقلة تكاد تفرق بين جميع البيئات العربية ، ولا بد للناشي فيها ، والناشي في بيت قديم له بالأدب صلات قديمة ان يشب على حب الأدب واستقصاء تاريخه ومعرفة أهدافه ، فهو يرى في بيته مكتبة يرجع اليها جده وأبوه وأخوه ، ثم يسمع ما يدور في تلك البيوت من أحاديث ومناقشات أدبية ، وتتردد على سمعه أقوال الخطباء الذين يستعرضون مقتل الامام الحسين فيستعرضون في هذا الضمن تاريخ العرب وتاريخ الأدب وما يحتوي عليه من نكت وبدائع ، ثم انه أينما اتجه في النجف فانه يجد من الأدب شاخصاً وشاهداً ، فإذا ما قام هنالك عرس في البيوت فان الثباني لا يحكيها غير الشعر ، وان أصيب البيت بنكة فالعزاء مقصر على الشعر ، ثم ان النجف وهي البلد الصحراوي المجدب الذي قضى نحو ألف سنة وهو يشكو العطش وقلة المؤن حتى سمي بوادي طوى ، وحتى قال فيه الصافي :

صدق الذي سماك في وادي طوى
يا دار ، بل وادي طوى وعسراء
جلست على الانهار بلدان الوري
فغلام أنت جلست في الصحراء

هذا البلد قد انحصرت وسيلة تسليته في الشعر والأدب ، خصوصاً وان الأدب لا بد منه لمن يريد ان يتقنه في الدين ويدرر العلوم ، ومعظم سكان النجف والبيوت التي لها صلة قديمة بالعلم والدرس يدرون بهذا الدور .. دور المقدمات من نحو وصرنف وعلان وبيان ومنطق . وحتى الذين لم يكتب لهم ان يتشأوا في مثل تلك البيوت ، فان للمجالسة وحضور الدواوين والماتم والأعراس التي يشهدونها شيئاً في نجاتهم .

أحيز مرة أحد النجفيين الى دار المعلمين يبتدأ ليؤدي الامتحان فساله المرحوم طه الراوي عن المستنق فلم يجب ، فقال له طه الراوي : « والله لو اني سألت بقالاً نجفياً لما جعل المستنق .. »

هذه البيئة التي يمرض بعضها البعض بالمرض ويهجو بعضها البعض بالشعر ، ويمتدح بعضها البعض بالشعر ، وينسب الكثير منهم بالمباراة والتفقيه ، ويتباهى بملو كعبه في الشعر والأدب لا بد وان تخلق في نفوس أبنائها رغبة في الأدب وحباً لدراسته وتبته . وإذا علمنا ان الشبيبي الأب والأبنا نجفيون ، والشرقي الأب والابن نجفيان ، والصافي وأهله من الشعراء نجفيون ، والجواهري وأباه وأخاه نجفيون ، والجعفري وآل بيته ، والجبوي وأباه نجفيون ، أمنا بان لهذه البيئة فعالية خاصة في رعاية الأدب وتنمية أبنائها بالروح الأدبية . والأدب قديم بالنجف ، وإذا ما عرف الناس هؤلاء عرفوه بفضل ما نعتت لهم الصحف والمجلات ، أما الذين سبقوه فقد كانوا في العصر الذي عاشوا فيه أكثر تمكناً في المجالات الأدبية ، ولكننا لم نعرفهم إلا بعد بحث وتتبّع ، لانعدام وسائل النشر يومذاك . وأريد ان أقول اني وان كنت قد نشأت طالباً من طلاب المدرسة العلمية الحديثة في النجف ، فقد فحنت عيني في مثل هذه البيئة ورأيت في بيتي مكتبة عامرة ، وسمعت مناقشات أدبية وشهدت في الأندية شيئاً كثيراً من تلك المساجلات والمناظرات ، وسمعت من اخبار المقدميين وقصصهم الأدبية ما سمعت ، فاشتركت على قدر ما يستساغ من أمثالي في تقفية الشعر والتندر والتفكه به ، فكان لا بد ان تتولد في نفسي نزعة أدبية ماليت ان أصبحت هوائية أصيلة ، كان من أثرها ان زاولت التدريس مدة ، ثم عدلت بذلك في الصحافة نحو ثلاثين سنة ، اصدرت خلالها ثلاث جرائد كانت آخرتها «الهاتف» التي عاشت عشرين سنة متواصلة دون انقطاع .

نص اللقاء الذي أجرته مجلة العاملون في النفط مع جعفر الخليلي في العدد (٧٥) من
المجلة في حزيران ١٩٦٨م (صفحة ٣)

الجعفرى النابغة

وقد اكون من اعرف الناس بالفقد النابغة الغلاف صالح الجعفرى ان لم اكن اعرفهم به على الاطلاق ، فهو قريب من حيث الابد ، والدم والعتلة ، وهو من ابناء جبال لا تفاوت بينا في العمر الا القليل القليل وهو من زملوطي في الصفاة ، نسا ركبت في حجر جريرة (الجعفر الصادق) بل هو الذي اخذ حجر جريرة هذا الاسم يوم اقدمت على طلب الاليتاز وكان له كعب في هذه الجريرة فكتب خاتم على اية ، ويسجل خواطره ، وعلى صفاها كان ينشر اشعاره ، وقال له ، وقد سجل محبة ما لقيت من الذك بسبب العنف الذي كانت تسعمله الجريرة في مبارية العاليد البالية ،

والجعفرى من بيت عربى في العلم ، والادب ، والمعرفة ، وقد ائجبت بيته بفرعيه - من آل كاشف الغطاء ، وآن الشيخ راضى - عدد من الخول في عالم الفقه ، والشعر ، والادب ، وليس من الغريب ان ينبغ لهذا الفقيه وهو المخم الخول في الجرد فيخلق في الاجواء ، الواقعة من الشعر الرقيق العذب الذي لم يلبث ان عرفه به الناس نابغة من نوابغ الادب وهو لم يزل في شرح الشباب ، واول الكهولة ،

وكان في الخف يومذاك عدد من الشعراء لم يحنوا الا قد ، من تعلمهم في نهم جوهر الشعر ، واستعمال الاستعارات ، والكلمات والامثال ، وكان جل شعرهم بل كله من ضرب النظم لا غير ، واحسب ان القليل بيننا من يعلم بان الجعفرى كان اول المستكرين لهذا العدد الذي بدأ تكاثره ، واول ساع لمح المناركين له في رايه وضمهم اليه في مكانه تلك الطائفة ، ^{والذكرة} ^{كانت} من هؤلاء الذين يحملون عقيدة الجعفرى ٤ - اذ لم تحرف الذاكرة - الدكتور عبد الرزاق محي الدين ، والمعروفين السيد محمود الجوبى ، ومحمد جواد ~~السيد~~ الوداى ، فراحوا يتناولون من كان ينطق عليهم الجود بالهوى والسخريه ~~التي~~ والغمز الذي كانت تنم عليه اشعارهم التي كانوا يملون في مجلس العرس ، او مجلس العزاء ، ودونك هذا الصورت

من الجعفرى لأول مرة، فبالج من أولاد الشويعه المثار اليهم بالشعر
 كوالدهم، وصارت هذه المجالس وولده طويلاً ميا دى عرب
 شعر به، بين الجعبرى والعيم، او الاصحى بين الشباب والشيوخ
 وانا اجزم بانه لولا عقيدتنا الغاط لناخر هذا الوحى، والميل
 للتبديد في الابتكار، ولناخر حين الجعبرى عن اللماق بالجل الذك
 ضرب اروع الاقوال لاعود الشعر، والذي كان من تقايأ قومه اليوم
 الشاعر الكبير الجوهري.

ولم يكن لنا وحدة الذي نفخر به الشعر الفخمي الذي تحد
 في معناه عند بعض اولاد الذين لم يحسوا اذ بيته، والذين كان
 حتى ان يطعن شعركم على ذلك السبل الذي خلفه الجيل المقدم
 من المعاطب المشكرة، والاقوال، والبراعة في الصور،

احول لم يكن لهذا وحدة الذك امتياز به الجعبرى بالرضافة
 الى شعره الرائع، الرائق الذي كان يأخذ بجامع الصلوب من حيث
 الرقة والسلاسة، وانما كان الجعبرى العصب الاول والاكثر
 للبعد الوهاب الصالح في فهم تلمذ الطائفة من ~~الطائفة~~ الشعراء
 الشباب المتكئين من قول الشعر، والقاهرين لمغازيه واهدافه
 في جمعية واحدة هي (جمعية الرابطة العلمية) التي تقوم اليوم بتأبين
 العقيد الجعبرى، كأحد ابرز مؤسسيها، وخالفها في هذا البلد الكريم

وقد كان لهذه الجمعية الفضل الكبير في تعريف اهل العلم والادب والشعر
 بعضهم ببعض في جميع الاقطار العربية، ^{اذ قبل} من زار العراق من ائمة الادب ولم
 يزر الخلف، ويسعى في دار الرابطة من الشعر ما ينيل الصدر، وقول من زار الخلف

من أئمة العالم والأدب ولم يبق في هذه الدار التي كان الجعفر وعبد الوهاب
 الصائفي في طليعة مؤسسيها حضرة عليّة آية الله ^{عليه السلام} وبكيفية أن يكون من هؤلاء
 المحاضرين ، محمد ملك علوية ^{عليه السلام} وعبد الرهاب عزام ، والركبوني ، زكي مبارك ،
 واهد أمين ، وغيرهم من اهل العلوم العربية وجمالها في هذه الدار والفضل في ذلك
 للتوسيع لهذه الجمعية ، وكان صالح الجعفرى ومحمود الجويش في طليعة من
 ينلون جودة الشعر في هذه الحافل ، ويملأونه بين الاستعادة والتجديد والتخصيص
 والجعفرية ، قارىء قليل النظم ، جار على جنبه في القراءة
 حيث تعدّ بصره ، ولربما كان من أوائل جيلنا تدبعا للهن والمجالات
 وما يجد في العالم من حوادث وأكتافات ، وهو بعد ذلك حدث
 بارع ، واسع الخيال ، سريع البديهة ، حاضر الذهن ، يحسن سبيله
 الختلكة اللوحة ، يطبع في أسلوب المحاورة والنقاش
 ويعرف على أن يلجم المصيبة لاني فيصيني تقديم صورة كاملة
 عن نابغة وضع في بناء الحد من حيث المعنى والوصف ، والخيال
 تحليلية واحدة كان لا انسان أكبر في مرمر النهضة الادبية التي
 يتبينها القارئ من شعره ، ومن طريق شعره لهذا يعرف
 القارئ قيمة هذا الفقيه أكثر مما يعرفه من ان الزاعم باط
 تعرف الناس به وخصائمه

وهما الله صالح الجعفرى ، لقد كان شاعرا من الطراز الاول ، بارعاً
 في افكاره واهلانه ، مجرداً في أسلوب تعليمه كمرجع واستاذ من اعلى
 المراجع والاساتيد كجبا في العلوم العربية ، وأن تجنّب به لكبرى ،
 وهزف عليه دائم ، فالخلفه الكبير الاستاذ رياض الجعفرى ، ولذله
 وعشيرته ادعوا بجهن الجراء على قدر ما قدم الفقيه وخلفه من
 الأثر ، وعضو للادب ^{الله} الرضيع والادباء هذه الحيازة الفادحة

جعفر الخليلي

جهد المقل

أبيات متروكة في عشاء مواضع من الماشي أقم للجماعة الجليل
والادب انشاء والكاتب الكبيرا لدا ذعب الحق فاضل في بيت جعفر
الجليل في ١٥/١٠/١٩٧٧

يا من عقد ملك عذرا	كولج برغم عداي قهرا
اهد عقد ملك علي	عدد الخفي شرا وشيرا
اهلا بعبء الحق في	حللك الظلام بلوح بدر
جتم الفضائل ان ترد	عصرا ليا اعدت حضرا
جمع الفنون قديرا	وجهه هاشعرا وشرا

انا ان طهوت للما تكل من طعام الناس طرا
ونحرت وطعان الخراف على سبل الهدى نجرا
ما كنت في عرف الضيافة تحت القبل ابيت اميرا
هنا فكيف اذا عدا ما شاع غناؤك؟ انت ادرك

والماشي اجيب ما يكون من الطعام - وليس سرا -
عيش الفقير من الذي ذاقوا من الدنيا الامرا
ماشي اذالم تسعه ولاتكف عليه صبرا
فللما عشنا وليس واه ما نقات - دهر
ولقد يعز فلم نجد منه الكفاف لنا لشي
عاش الغريبي ونجسبيل العالم طول العمر خفرا
نقات حتى بالزوان من الجوب، وليس نجرا
يايوس قوم زادهم ماشي اذا ما الزند اوري

الظاهر ان صاحب
المطوية والقصيدة المرحوم
لان يصعب تحقيق الماشي على
المادة سررا وتتم الاشارة
به اضافة من اقر الماشي
والنحواله والماشي بل
الطويات.

عبدالله

كله ولاتكفر بنعمه وقل يارب شكرا
جهد المقل وقتك من جهد المقل أهو في عذرا

بغداد - كرامة برم
جعفر الخليل
المطوية

أبيات من قصيدة كتبها الخليل بخط يده الى صديقه الأستاذ عبد الحق فاضل وعلى هامشها تعليق بخط عبد الحق فاضل



صورة لأحد أعداد جريدة الراعي والتي أصدرها الخليلي

عنى

٩ دعه على الجليلين

طوارك البردي سخر انفسى فى كتابه كبير المعاني راعياً لكل ما يبه
 ولا تخشى ان تضالك الموت ففدته فليس يموت القدر رغم اطمينانه
 وملك من ان امه الموت رده خضلا وحب الحب فوق بيابه
 ومثل الحياة الموت صفوا دمه ونزرا ورضيها في رضى خبابه
 ومن نكده الدنيا بقاء ذلك بعد من اذا حملوا ابقولاك درين مشابه
 فوجهه اذا ما غاب بلبه ساعة ووجهه عمل العبد بعد غيابه
 وتدفن فيه بالشرى ان رفته وجودك ان المرء بعض صحابه

اجبت الالروض نيزر بعدكم ولا الغيب يجلو الرضى عند انكابه
 ولا تذب الأيام غنا بفضله ولا العيش في ريعانه وريابه
 ولا الصبر المجلوب يجمع شملنا على كبر عفت بلل رضاء به
 يد مر ترضيه شهذ وبعده امر فذ قنا علقما من رضابه
 ناديه كنتم اذا الكظ سافر نسيه الرهونا في حوده وريابه
 غما وغنا الشادى به زهور حشر فحق يقصر ~~عظمه~~ يقير ايه
 زويت قلب بالدموع وبالجزى فما الدرع فوق الخد غير فذ ايه
 جل كل هلوا الإ بعد رحيلهم وظل الصداق في حزنه والتأبه
 هانت والانس في ذكرباتنا معالم كون ما اخفد في ضبابه
 نبح بجوس البار عن ضلاله وتيقن حشود الخاملين بيابه
 هلت به في الشوط عند فراس فانس فلك الشوط بعض عرابه
 قد عيشة غنا تنام على الطربى حذر خوان حاشد نذبابه
 ما حنت ضيق السحت في رطن بعضهم وصاحته خرط الرب وسط شابه
 تنج حجب في ثياب ابن آدم ولكن يعيش اللئيم تحت اهابه
 نته الذي عاش الحياة بفضله وكان الذي عاشى الحياة بنايه

قصيدة الشيخ الدكتور أحمد الوائلي والتي يؤمن فيها جعفر الخليلي بخط يده

ذِكْرِي مِيلَادِ الطِّفْلَةِ الْجَمِيلَةِ الْحَبِيبَةِ رَزَانَ جَعْفَرٍ

(رَزَانُ) يَا ابْنَةَ زَيْنِ
وَيَا حَفِيدَةَ عَيْنِ
يَا بِنْتَ أُمِّ مَلَائِكِ
كُونِي كَمَا تَمَنَّائِكِ
كَأَهْلِيكَ الْفَتَى طَبْعًا
فَأَنْتَ كُلُّ الْأَمَانِي
لَوْ صُفِّتُ كُلُّ الدَّرَارِي
فَهَدِيَّةٌ لَكَ مَا هُنْتُ
وَكُلُّ مَا أَنْطَفَتْ
وَصُنْعَهَا مِنْ شَعْرِي

السَّبَابِ (عَبْدِ الْحَمِيدِ)
الرَّجَالِ آلِ الْجُودِ
سَمَتْ عَلَى كُلِّ غُورِ
مِنْ طِرَانِ فَرِيدِ
وَجِدْكَ الصَّنْدِيدِ
مِنْ كُلِّ مَا فِي الْوُجُودِ
فَلَا تُدْأِمُنِي عُقُودِ
بِالطَّرِيفِ الْجَدِيدِ
أَهْدِيهِ بَاوَدَةً مِنْ وَرُودِ
وَصُنْعَهَا مِنْ شَعْرِي

التاريخ

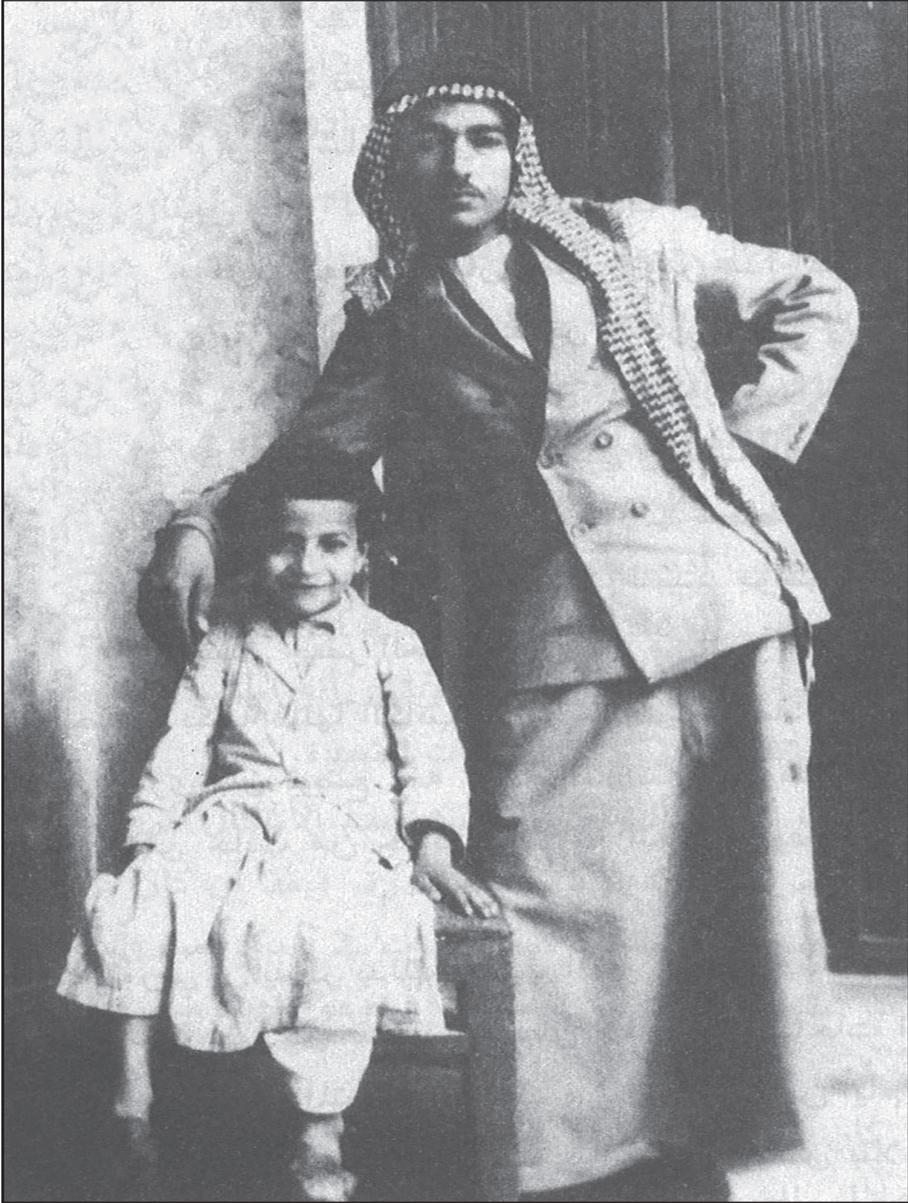
تاريخ : خير - أتنا
تاريخ الميلاد ١٩٨٤ م
به (رزان) - مجيد
جعفر الخليلي



جعفر الخليلي - أحمد الصافي النجفي - ناجي جواد الساعاتي على قارعة الطريق
بيروت



جعفر الخليلي في داره بعمان عام ١٩٨٢م



جعفر الخليلي في شبابه والجالس ابن اخته أمان بن أحمد الخليلي - النجف الأشرف
عام ١٩٢٢م



جعفر الخليلي مع الدكتور عبد القادر القط بفندق فاروق (سوق الغرب - لبنان)

عام ١٩٨٠م



جعفر الخليلي وهو في أواخر أيام حياته



قبر الخليلي في دبي ويظهر فيها صهره الدكتور مظفر الشذر



صورة أخرى لجعفر الخليلي وهو في أواخر عمره



بعث الشاعر أحمد الصافي النجفي هذه الصورة الى جعفر الخليلي بتاريخ
١٦/٢/١٩٥٧م وتحتها مكتوب هذان البيتان:

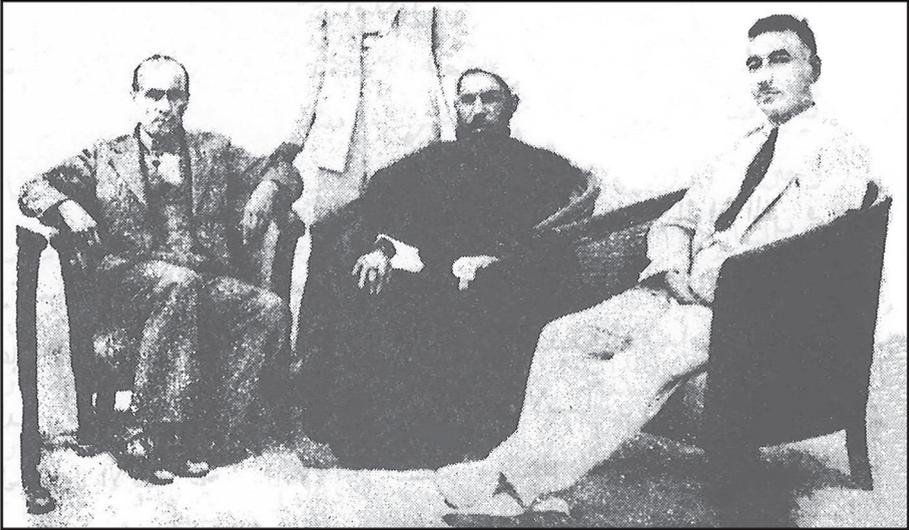
أنظر لرسمي واذكر به عهد التلاقي
لوفاه يوماً لأبدي إليك فرط اشتياقي



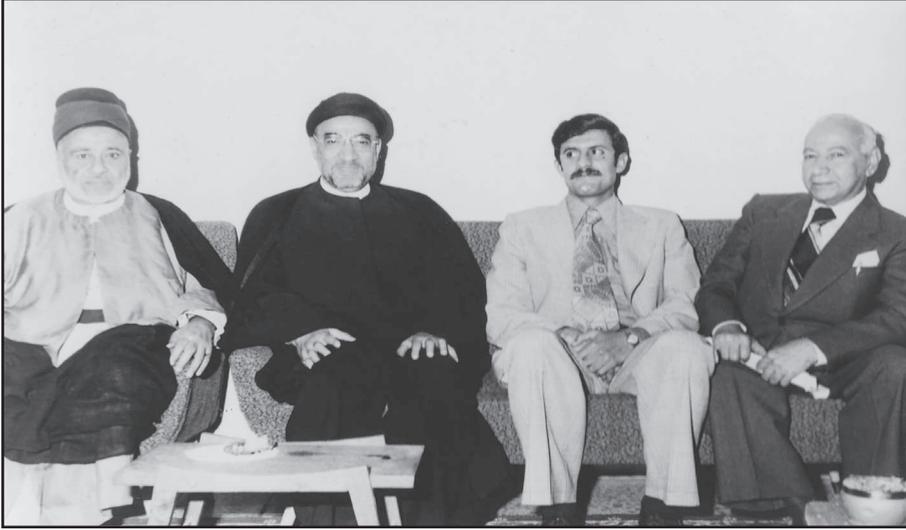
جعفر الخليلي عام ١٩٧٢م



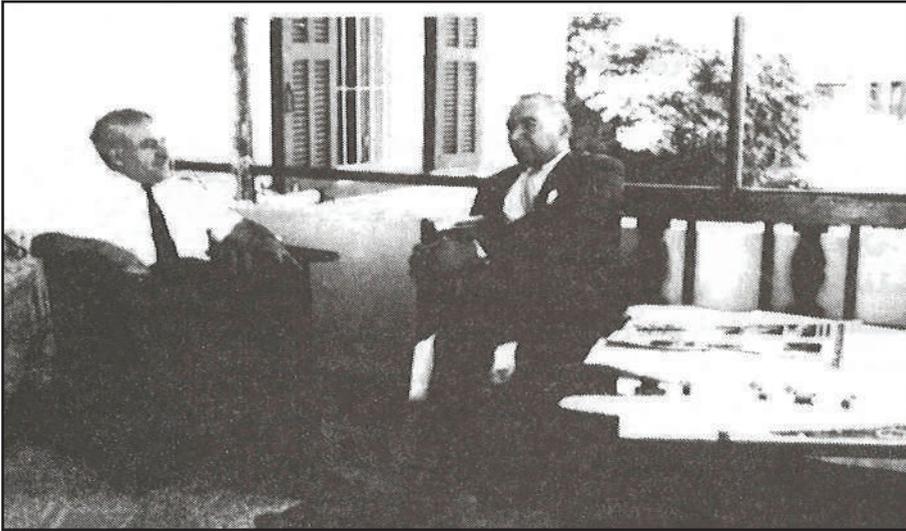
في بيت ناجي جواد - من اليمين علي الفراقي، مجيد حمد، عبد القادر البراك، د. عبد اللطيف حمزة، جعفر الخليلي، نزار الزين، د. عبد الهادي التازي سفير المغرب، عبد المنعم الجادر، ناجي جواد، فخري جواد، عبد الرزاق الحسني، وحيد الدين بهاء الدين



جعفر الخليلي يتوسط الشيخ قاسم محيي الدين والحوماني



جعفر الخليلي في زيارة الى السيد جواد شبر مع أفراد أسرته



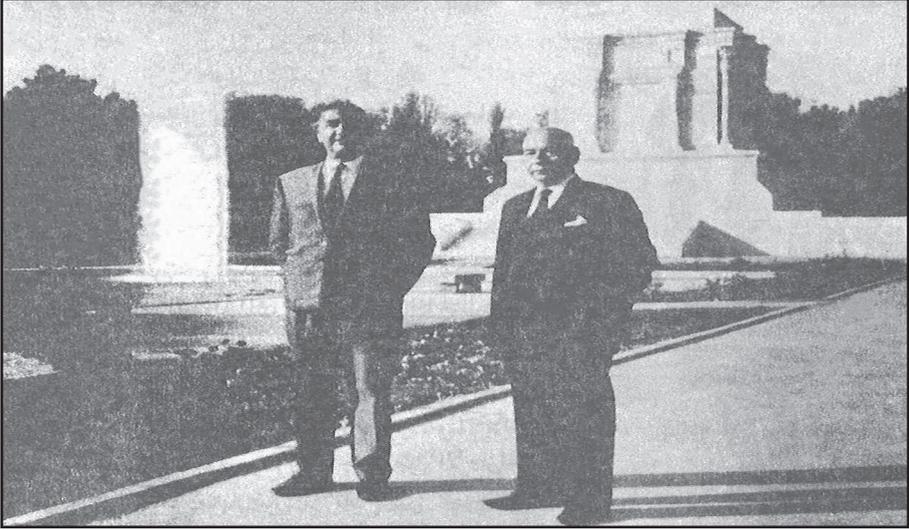
الدكتور أمين زهر مع جعفر الخليلي على شرفة دار الدكتور أمين بسوق الغرب - لبنان



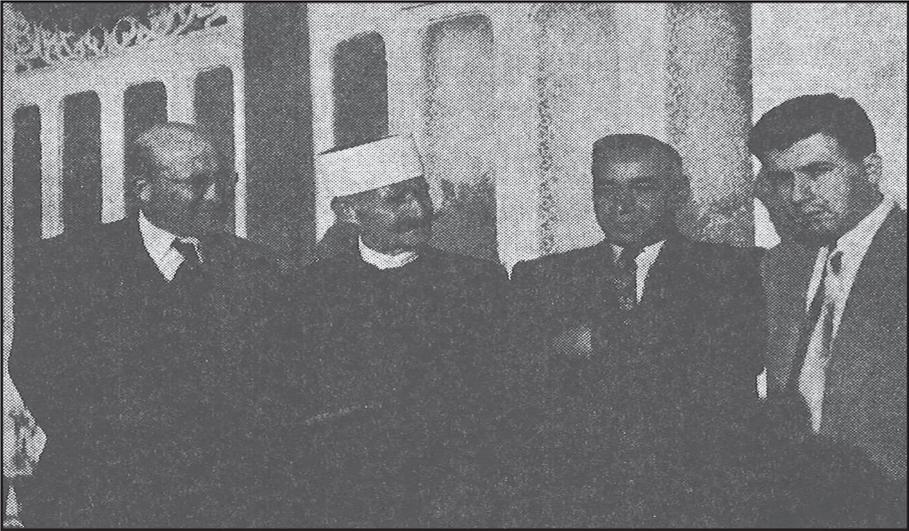
الدكتور مصطفى جواد في أيام مرضه الأخير مع جعفر الخليلي



السيد جعفر حمدي وعبد الباقي حميد وعبد الصاحب البصام وباقر المدني وجعفر الخليلي في وسط الصحراء خلال إحدى الرحلات



جعفر الخليلي مع فؤاد عباس أمام ضريح الفردوسي بطوس



من اليسار إسكندر حريق، الشيخ نسيب مكارم، جعفر الخليلي، الدكتور سامي قائد بيك



من اليسار الدكتور إسماعيل ناجي وعبد المجيد لطفلي وجعفر الخليلي



الثاني من اليمين خليل مردم بك، محمود صبحي الدفترلي، جعفر الخليلي في يوم الجيش الإيراني في مبنى السفارة الإيرانية ببغداد عام ١٩٥١م



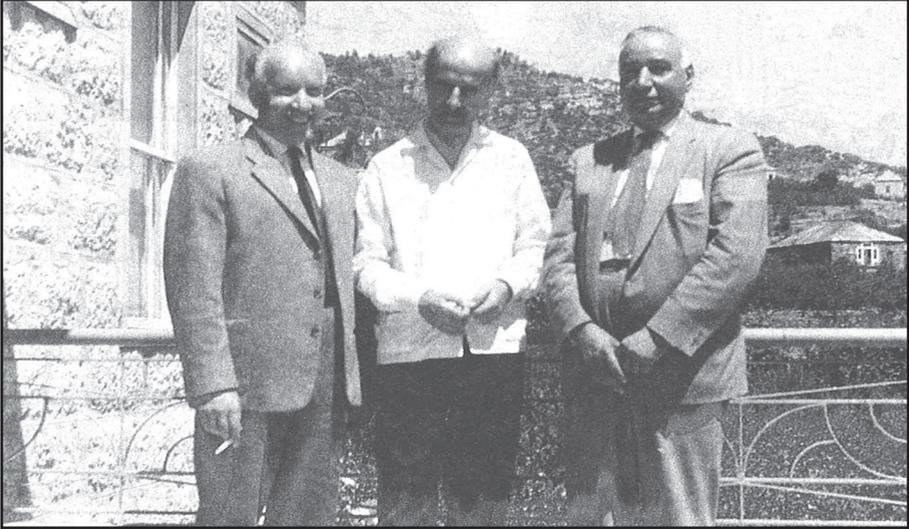
الخليلي متحدثاً مع السفير التونسي محمد الحبيب ويقف الأستاذ روكس بن زائد
العزيمي بينهما



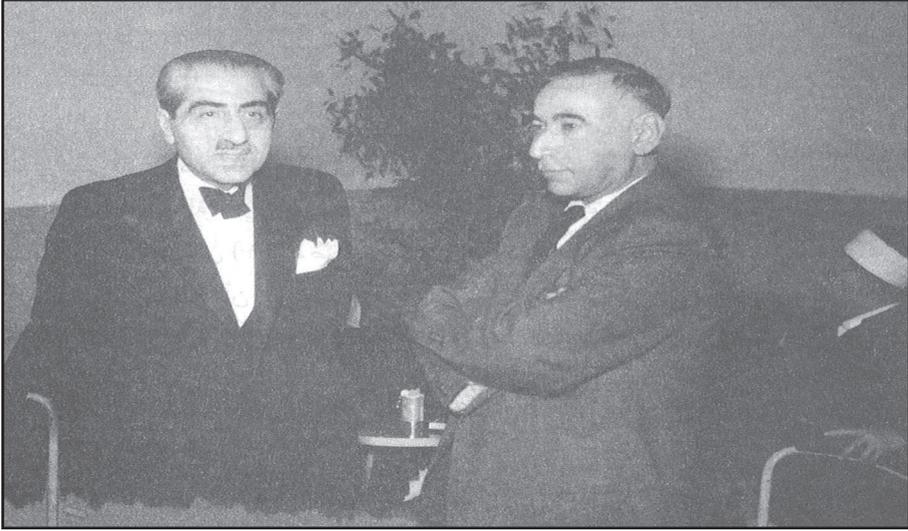
الشيخ عبادي الحسين والسيد محسن أبو طيخ ويظهر خلفهما الأستاذ الخليلي ومرافق
الشيخ عبادي (فالوغا - لبنان) بتاريخ ٢٨/٨/١٩٣٣م



صورة تذكارية لجعفر الخليلي وهو جالس في مكتبه



جعفر الخليلي - ميخائيل نعيمة - ناجي جواد الساعاتي



جعفر الخليبي مع خليل مردم بك الوزير المفاوض السوري في حفلة لتوديع غضنفر
علي خان في مفوضية الباكستان بتاريخ ٢٨/١/١٩٥٢م



في حفل تأبين الخليبي الذي أقامته رابطة الأدب الحديث في القاهرة بتاريخ
٩/٤/١٩٨٥م



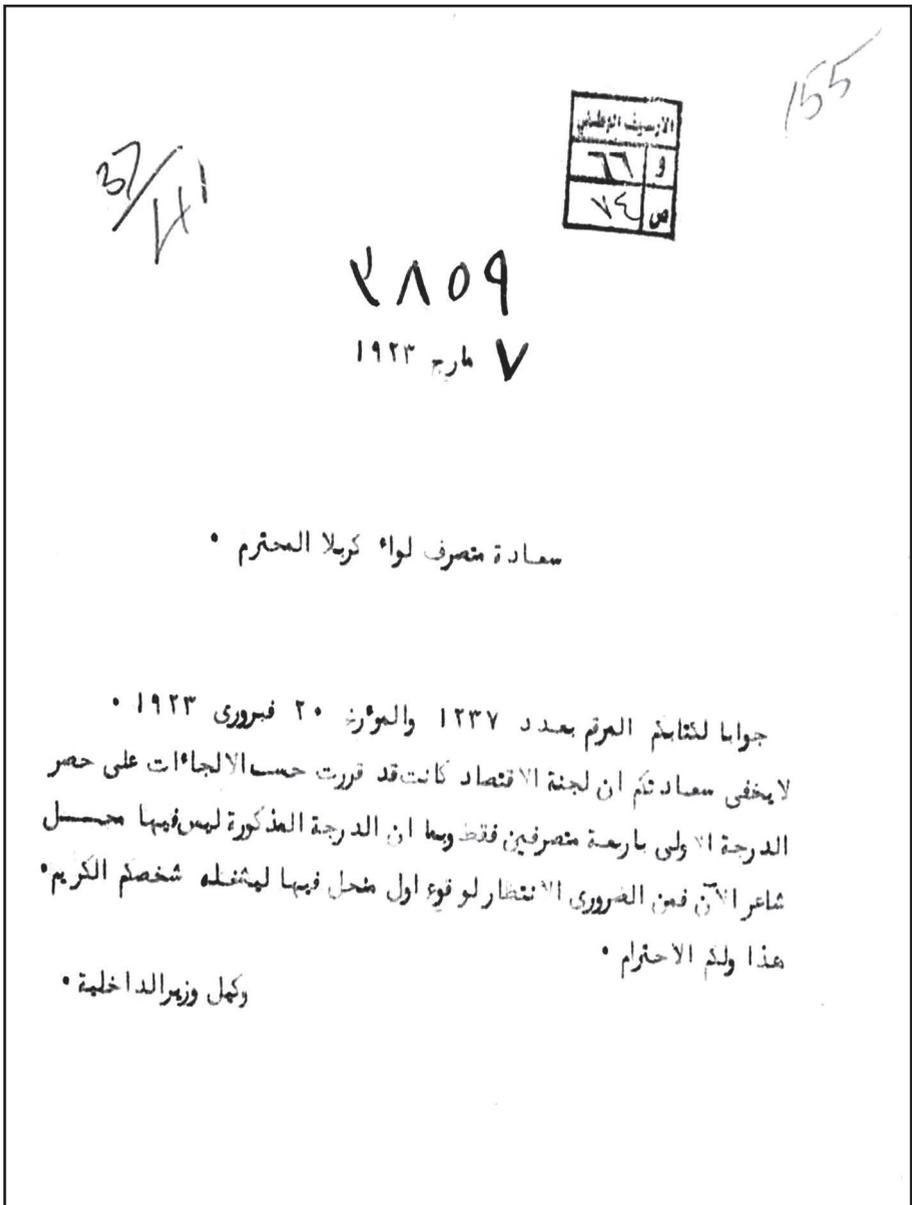
ناجي جواد الساعاتي - أحمد الصافي النجفي - جعفر الخليلي

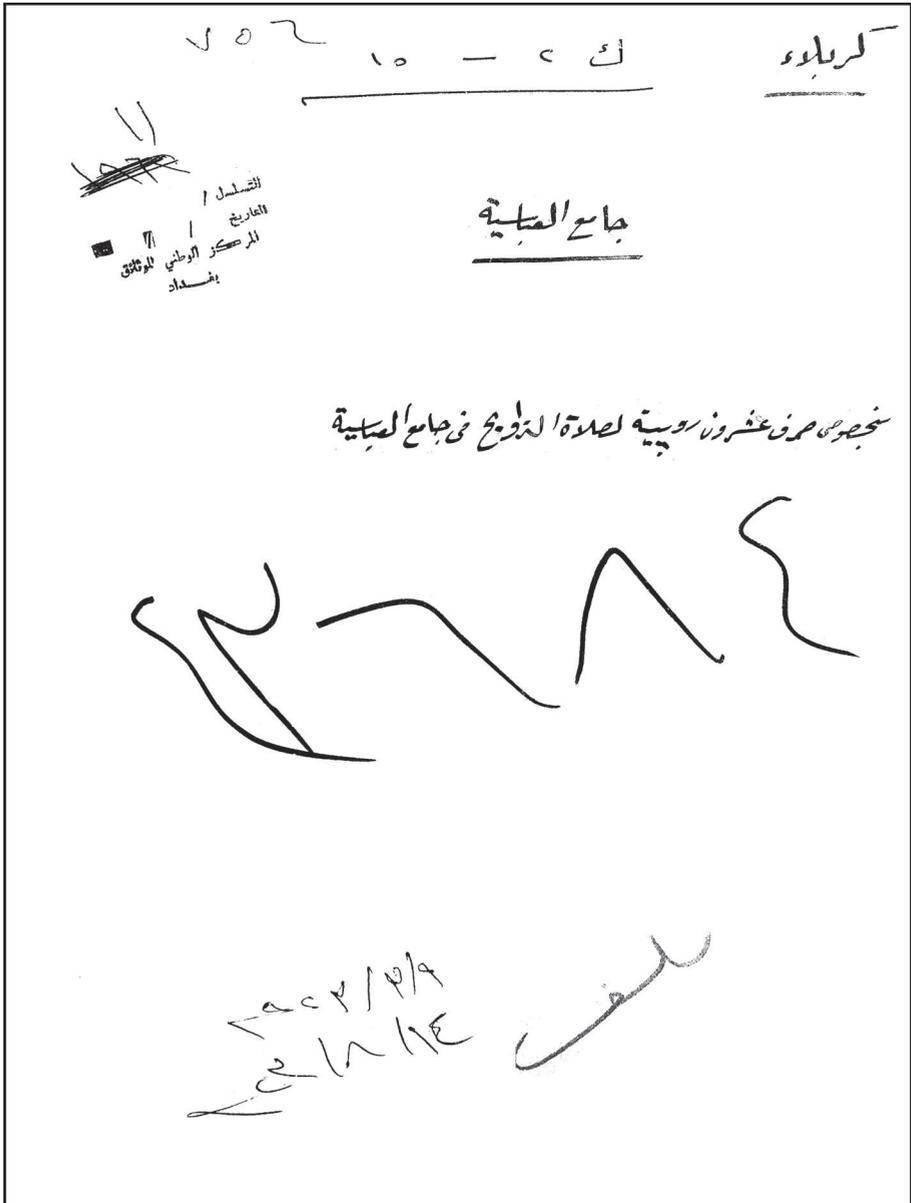


جعفر الخليلي - السيد جواد شبر

المراسلات الرسمية بين
العتبات المقدسة والوزارات العراقية
(القسم الثالث)

﴿أرشيف ينشر لأول مرة﴾





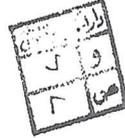
إحدى كتب المركز الوطني للوثائق بخصوص جامع العباسية عام ١٩٢٣م

صاحب المصالي وزير الداخلية المفخمس

تحمة واحتراما

وعمد فجوها لكتابكم المرقم بـ ١٤٤٣٢ والمؤرخ بـ ١٨/الجارى .
 نمدى ان مسألة تممير المأذنة المبحوث عنها تخص هذه الوزارة وهى غير متأخرة عن القيام
 بالواجب واما وزاراتكم الجليلة فلا علاقة لها بها هندا ولعماليكم وانسر الاحترام . ٤
 ٢٤ / تسون الاول / ٩٢٦

وزير الاوقاف

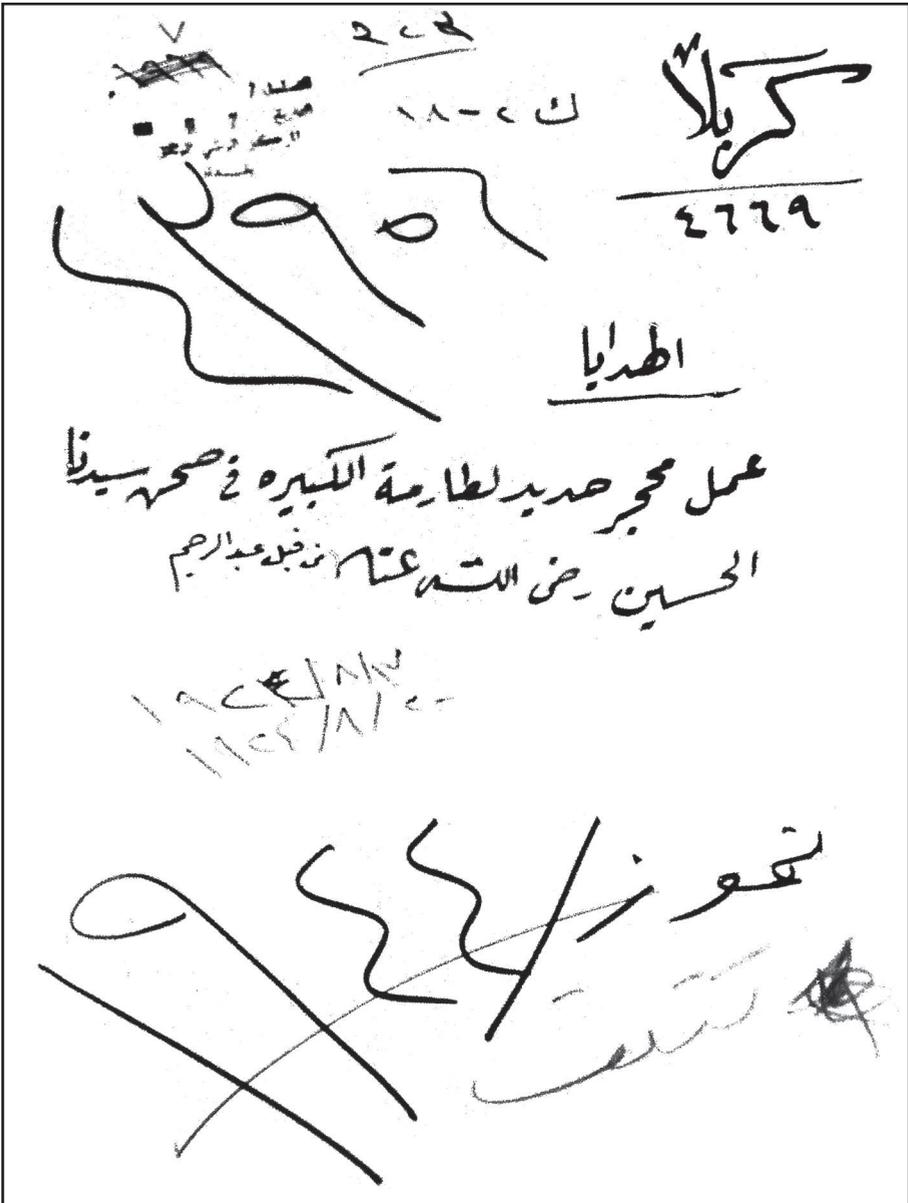


دار الكتب	١٦
١٧	٥٥

دار الكتب
 ١٦
 ١٧
 ٥٥

بلاد نفوسم فيه عن زمن الفداح أهاب بأن بعد ثمانين يوماً بمئة ذلك
 هذا والله أعلم
 ١٨
 ٩٤٤

الإقليم وقد وردت (٦٨)
 الخبايا عبد كفيلاً أيضاً ١٤٠١/٤



إحدى كتب المركز الوطني للوثائق بخصوص هدايا الصحن الحسيني الشريف عام ١٩٢٤م

٤٤

وزارة المالية - الميزانية
العدد ٤١٥٦
التاريخ ١٥٩١/٨/١

الجمهورية العراقية
وزارة الأشغال والإسكان
بغداد

العدد /
التاريخ / ١١٥٩١ م

الى
مديرية المباني العامة

الموضوع: - تكميرات العتبات المقدسة

ندرج لكم ادناه صورة كتاب وزارة الداخلية المرقم ١٣٠١٤ والموين في ١١٥٩١/٧/٢٧
وتنرجح تخليه اصل مرفقات الكتاب المذكور ونرجو الاستمرار من اللجنة المشرفة على العمل في
اسباب عدم تقاضي هؤلاء العمال اجورهم عن مدة اشتغالهم في العتبات المقدسة في الكاظمية
واعطاء النتيجة بالسرعة الممكنة .

صوتي يوسف
مدير الأشغال والإسكان

صورة منه الى
وزارة الداخلية - للتفضل بالاطلاع اشارة لكتابها المشار اليه اعلاه .

صورة الكتاب اعلاه الموجه لهذه الوزارة -

توسل طوبى نسخة من كتاب متصرفية لواء بغداد المرقم ١١١٠٦ والموين في ١١٥٩١/٧/٢٧
مع اصل كافة مرفقاته للاطلاع ونرجو موافقتنا بتفاصيل القضية واسباب عدم صرف الاجور المطالب بها
في حينه وكيفية استمرار العمال باداء الاعمال دون تقاضيهم الاجور طيلة مدة استنواهم بالعصيل
ليتمنى لنا الف خير في الطلب .

موتق / عبد الباقى السلام
م / وزير الداخلية

نسخة منه الى
مديرية المباني العامة
متصرفية لواء بغداد

١١٤

مدا لحد ٢١٧

كتاب من وزارة الأشغال والإسكان الى مديريةية المباني العامة بخصوص تكميرات
العتبات المقدسة عام ١٩٥٦ م

٤٤
٢

الجمهورية العراقية
مديرية المباني العامة
- الميزانية والمناهج -
بغداد - التاريخ ١٥٧٨٠٤
٤٤٤٤-٩

العدد / ٩٠٧٤
التاريخ / ١٥٧٧ / ١٥٩٩

المصحة
منطقة المباني العامة
بغداد

الموضوع / تصمير العتبات المقدسة

ادناه صورة كتاب وزارة الاشغال والاسكان المرقم ٦٤ والتاريخ في ١٥٩ / ٧ / ٢٩ واجين
اطلافا بهذا المتكتم فصوروا تيممنا لنا اعلام الجهات المختصة حسب طلبها .

د. مدير المباني العامة

صورة منه الى -
وزارة الاشغال والاسكان / ٢ - للتعامل بالاطلاع واشارة لكتابها اعلام
وزارة المالية
مصرفية لواء بغداد
شعبة الحسابات
شعبة الميزانية والمناهج - للتعامل
((صورة الكتاب))

تدريج لكم ادناه صورة كتاب وزارة المالية المرقم ١٣٠٩٤ والتاريخ في ١٥٩ / ٧ / ٢٧ او ترفسق
على اصل وثائق الكتاب المذكور وتوجو الاستفسار من اللجنة المشرفة على العمل عن ادماج مستم
تقليدي هو الا اتصال اجورهم عن مدة اشتغالهم في العتبات المقدسة في الكاظمة واطلافا النتيجة
بالمسوحة الممكنة .

مونس يوسف
وزير الاشغال والاسكان

صورة منه الى -
وزارة المالية - للتعامل بالاطلاع اشارة لكتابها المشار اليه اعلام .

((صورة كتاب وزارة المالية))

نوسل طفا نسخة من كتاب مصرفية لواء بغداد المرقم ١٤١٠٩ والتاريخ في ١٥٩ / ٧ / ٢٧
مع اصل كافة مرققاته للاطلاع وتوجو موافقتنا بتفاصيل التقييم واصحاب عدم صرف الاجور المطالب بها في
حينه وكيفية استكمال الاعمال باذات الاعمال دون تأخيرهم الاجور طيلة مدة اشتغالهم بالمعمل ليتمسك
لنا النظر في الطلب .

موقع / عبد الباقى السلام
د / وزير المالية

نسخة منه الى -
مديرية المباني العامة
مصرفية لواء بغداد

٢٠ /

كتاب مديريةية المباني العامة الى منطقة المباني في بغداد بخصوص تعمير العتبات المقدسة
عام ١٩٥٩ م

العدد ١٤٧٢

التاريخ ١٩٥٩/٨/١٨

١٩٥٩

الجمهورية العراقية

وزارة المالية

قسم الميزانية

بغداد

مديرية المباني العامة

الموضوع - تأييد

بلاشارة الى كتابكم المرقم ٩٧٩٤ والمؤرخ في ١٨/٨/١٩٥٩.

• نوافق على قيامكم بالعمل موضوع البحث امانة

وزير المالية

نسخة منه الى -

وزارة الاشغال والاسكان

مديرية المحاسبات العامة

الاضماره

٨/٢٣/٥

الجمهورية العراقية

متصرفية لواء بغداد
المخزنية -
الحدود / ١٠٥٩
التاريخ / ١١ / ٨ / ١٩٥٩

١٢

الى / قائممقامية قضاء الكاظمية .
٢ / تعميم العتبات المقدسة .
=====

كبايكم الرقم ٤٠٠٢ فسي ١١ / ٨ / ١٩٥٩ .
طيا صورة كتاب وزارة المالية - الميزانية - المرقم ١٣٠٩٤ فسي ٢٧ / ٧ / ١٩٥٩ .
الموجه الى وزارة الأشغال والأسكان وصورته الينا ونرجو الأجابة على ما جاء فيه لتتمكن
من الطلب الى الوزارة المذكورة لتسيك المبلغ المطلوب . ولأعلامنا .



اللواء الركن
طارق سعيد فهمي
متصرف لواء بغداد

المرفقات
=====

١ = صورة كتاب

صورة منه الى /
وزارة المالية .
وزارة الأشغال والأسكان .
مديرية البائسي السامسة .

ن / الصوفي / ١٢ / ٨

كتاب متصرفية لواء بغداد الى قائممقامية قضاء الكاظمية بخصوص تعميم العتبات
المقدسة عام ١٩٥٩ م

وزارة المالية - بغداد
 الجبوية العراقية
 وزارة الاعمال والاسكان
 بغداد

العدد / ٢٠٩
 التاريخ - ١٢ / آب / ١٩٥٩م
 التاريخ ١٥ / ٨ / ٥٩

الى " -
 مديرية المباني العامة

الموضوع - تعمير أبنية العتبات المقدسة

تشير الى كتاب مستترفة لآراء كهلاء الرقم ١٠٤٦٦ والمؤرخ في
 ١٩٥٩/٧/٢٢ ونرجوا الاجابة طيه بالسرعة الممكنة .

صوني يوسف
 وزير الاعمال والاسكان

نسخة الى " -
 وزارة الداخلية
 مستترفة لآراء كهلاء

كذا
 ٦/١٢

هذا الحد / ٩

كتاب وزارة الأشغال والإسكان الى مديريةية المباني العامة عام ١٩٥٩م

٤٤

الرقم ٤٤٧٥

التاريخ ١٩٥٩/٨/١٤ م

٤٤٥٢

القسم السري

جمهورية العراق
ديوان مجلس الوزراء
بغداد

وزارة المالية

١٤٢٨٩

نشر الى كتاب مديرية الاوقاف العامة الرقم ١٤٢٨٩ والموضوع
١٩٥٩/٧/٣٠ الموجه اليكم والمرسلة نسخة منه اليها حول زيادة منح
الخيرات المدورة والعتبات المقدسة وتوحيد ماورد في الكتاب المذكور .

(١)
سيد محمد ابراهيم
خوذة الدرس

عبد القادر جميل
رئيس الديوان

١٩٩

صورة الى -
مديرية الاوقاف العامة .

١٤٩٦

٢٠٥

١١/٨/٥٩

كتاب من رئيس ديوان مجلس الوزراء عبد القادر جميل الى وزارة المالية عام ١٩٥٩ م

الجمهورية العراقية
مديرية الأوقاف العامة

مديرية الحسابات - المرفق
العدد ٤٤٨٩
التاريخ ١٩٥٩/٧/٢١

وزارة المالية - ليزانية
العدد ١١٥٤٤
التاريخ ١٩٥٩/٧/٢١

١٩٥٩/٧/٢١

وزارة المالية

الموضوع / منحة الخيرات المددورة والمتبعت

العدد ١١٥٤٤

١٩٥٩/٧/٢١ وخ في ١٩٥٩/٧/٢١
تتم صرح القسب
بأننا كنا قد طلبنا زياره منحة الخيرات المددورة والمتبعت المقدسة في حين انكم وافقتم بكتابكم
المعتم ٨٨٤٦ والمو ٩٥٩/٥/١٨ على زياره منحة الخيرات المددورة والمتبعت المقدسة لمدبريتنا لقا الخيرات المددورة
٢٠٠٠ / ديناراً فقط وللاصحاب الراود وفي كتابنا المعتم ٩٥٩/٦٣٠٩ والمو ٩٥٩/٣/٩
الموصله صورة منه لوزارتكم طي كتاب وشاهدة ديوان مجلس الوزراء المعتم ١٧٨٤ والمو ٩٥٩/٣/٢٢
نرجو النظر في زياره منحة الخيرات المددورة والمتبعت المقدسة لكي نتمكن من التوفيه عن
حالة موظفي المتبعت المقدسة .

مدير
مدى الأوقاف المسام

صورة منه الى -

وشاهدة ديوان مجلس الوزراء - بالاشارة الى كتابنا المعتم ٢٨١٩ والمو ٩٥٩/٥/١١
للتفضل بالاطلاع والتأيد وجا .

مصادق المدير العام

الميزانية - صدور الجواز
رقم
حفظ في ١٩٥٩

ارجو الراقفة بم افبارم بة ليه
المرصن لهم صو / ١٠٠٠٠ ديا - فدر الخيرات
الدره و / ١٠٠٠ ديا - فدر ادرات القبات
المعتم والمهم في ادرية شربنا ابلقبه
الذو - بم معتم - / ٢٠٠٠ ديا - فاصم
المعتم / ١٥٠٠٠ ديا - فدر ادرات القبات فانتا معتم
الزيادة فدر ادرات القبات فانتا معتم
الزيادة فدر ادرات القبات فانتا معتم

٧/٢٩

كتاب مديرية الأوقاف العامة الى وزارة المالية بخصوص منحة الخيرات المددورة
والعتبات المقدسة عام ١٩٥٩م

الجمهورية العراقية
وزارة المالية
قسم الميزانية
بغداد

٤٤
٤٠

نسخته الثانية

العدد ١٢٩٦٦
التاريخ ١٩٥٩/٨/١١

مديرية الأوقاف العامة

بلاشارة الى كتابكم الرقم ١٤٢٨٩ والمؤرخ في ١٩٥٩/٧/٣٠

أن الاعتماد المخصص لمديرتكم في الميزانية هو /١٠٠٠٠ دينار لقاء الخيرات المدورة وقد وافقت هذه الوزارة على زيادته بمقدار /٢٠٠٠ دينار في هذه السنة اما المبلغ ومقداره /٣٠٠٠ دينار الذي يصرف السنوي الى مديرتكم سنويا باسم ادارة الممتلكات المقدسة فإنه جزء من الاعتماد ومقداره (٦٠) ألف دينار المرصد لتعمير الممتلكات المقدسة وادارتها وهذا المبلغ يوزع على الاعمال التي يقتضيها تعمير وترميم الممتلكات المقدسة خلال كل سنة مالمية وما ان هذا التوزيع يتم باقتراح وزارة الاشغال والاسكان ومصادقة هذه الوزارة فإنه بإمكان مديرتكم مفاتحة الوزارة المذكورة بالأمر للاقتصاد في بعض الاعمال لزيادة نفقات الادارة ان كانت هناك ضرورة ملحة وذلك ضمن الاعتماد المصدق

وزير المالية
محمد عبد الباقر

رئاسة ديوان مجلس الوزراء
الأضحية

نسخته الى

جلال / ١٠

كتاب وزارة المالية العراقية الى مديرية الأوقاف العامة بتاريخ ١٩٥٩/٨/١١ م

ب.ع.ع

الجمهورية العراقية

العدد / التاريخ ١٠٢٢٢
١٥٩/٨/١٧

وزارة المالية - العراق
 الرقم ٤١٩٨٠
 التاريخ ١٩٥٨/٩

وزارة المالية
مديرية الخزينة المركزية

الى -

مديرية المحاسبات العامة / صحة الاعمال
التدقيقات

الموضوع / تعمير الروضة الصبا صيغة المقدم
المدة ٣/٢ لغاية ٣١/٣/١٥٨

كتابكم المرقم ٣٣٩٨١ والموضوع فني ١٥٨/١٠/٤
اجريتنا في حساباتنا لشهر آذار / ١٩٥٨ الملحق بصيغة المبلل
١٩٨٩ / ٧٢٧ بتاريخنا بقيد ايراد للحساب المتبادل من منطقة مهابي لواء كركوك
ومصرفه في تاريخنا على المادة (٢) من الفصل (٤٤) متحة تعمير الحسابات المقدم
وادارتها

م.م. مدير الخزينة المركزية
صهدي المتذوق

كفوف

صورة منه المسمى - ٨٨٢

اشارة للكتاب املاه

وزارة المالية للتفضل بالاطلاع
 مديرية المهابي العامة
 متصرفية لواء كركوك
 منطقة مهابي لواء كركوك

كتاب وزارة المالية العراقية الى مديريةية المحاسبات العامة بخصوص تعمير الروضة
العباسية المقدسة عام ١٩٥٩ م

الجمهورية العراقية

وزارة المالية - الميزانية

العدد: ١٠٢٥٢ / التاريخ: ١٧ / ٨ / ١٩٥٩

العدد: ١١٩٧٨ / التاريخ: ١٩ / ٨ / ١٩٥٩

وزارة الداخلية
مديرية الخزينة المركزية

الى: -
مديرية المحاسبات العامة / مديرية الاشراف
العتبات

الموضوع / تمهيد العتبات المقدسة (الروضة الحسينية)
للمدة من ١٠ / ٣ / ١٩٥٨ لغاية ٣١ / ٣ / ١٩٥٨

كتابكم المرقم ٢٣٠١٤ والموضوع ١٩٥٨ / ١٥ / ٤ اجوبنا في حساباتنا لشهر آذار / ١٩٥٨ الملحق بحوية العمل في ١٥ / ٥ / ١٩٥٧ ديناوا بتمهيد ايرادات للحساب المتبادل مع منطقة صباي لسوا كهبلا ومصرفه شتيايا على المادة (١٠٢) من الفصل (٤٣) متحة تمهيد العتبات المقدسة وادارتها

د. مدير الخزينة المركزية
مهدي تالمنذور

صورة منه المرقم ٨١٢

رؤولة البانبة ... للتفضل بالاطلاع
مديرية البانبي العامة
مصرفه لواء كهبلا
مذ طلة صباي الفسوات

اشارة للكتاب اعلاه

كتاب وزارة المالية العراقية الى مديريةية المحاسبات العامة بخصوص تمهيد الروضة الحسينية المقدسة عام ١٩٥٩ م

الجمهورية العراقية

٤٤

وزارة المالية
مديرية الخزينة المركزية

العدد /
التاريخ ١٩٥٩/٨ / ٨

الس : -

مديرية المحاسبات العامة / صحة الاضمان
= الادتبيات

وزارة المالية - العراق
العدد ٤١٩٧٦
التاريخ ١٩٥٩/٨ / ٨

الموضوع / مصروفات تكميم العتبات المقدمة نسبي
طامرا ١٩٥٧/٦/٨ لغاية
٠ ١٩٥٧/١١/٢٤

٧٩
١٠٠

كذلك المرقوم ١٥٥١٠ والموضوع ١٩٥٨/٧/٢٤
اجميدا في حسابات را اشهر اذ او / ١٥٨ الملحق بمرور المبل
٤٦٣ / ٣١٥ ديناراً بتمده ايراداً في الحساب المتبادل مع منطقة مهابي لسوا
بمقدار ومصروفات تكميم على اذ او ٢ (٢) من الفصل (٤٤) مبحث تكميم العتبات
المقدسة وادارياً

ع - مدير الخزينة المركزية
مهدي المندوب

صورة منه الس : -

وزارة المالية - للتعطل بالاطلاع
مديرية المهابي العامة
مصرفية لواء - بغداد
محافظة مهابي - سامرا
محافظة مهابي لواء - بغداد

اعارة للكاتب ام - لاد

٨ / ١ / مرجان

كتاب وزارة المالية العراقية/ مديرية الخزينة العامة الى مديريةية المحاسبات العامة بخصوص تكميم العتبات المقدسة في سامراء عام ١٩٥٩ م

الجمعية العراقية
مديرية المباني العاصمة
الميزانية والمناقص
بغداد

مصرفية لواء بغداد

الموضوع: - تعمير العتبات المقدسة -

- لائحة بتكاليف المرمم ٩٠٧٢ والمؤرخ في ١٩٥٩/٧/٣٠ -

ادناه صورة كتاب مناقحة مباني العاصمة المرمم ٣٩٠١ والمؤرخ في ١٩٥٩/٨/٢ السدي
بوجهه يمتد مطالعتها حول اشتغال المراقبين المرحومين عنكم ؛ والنظر لما ورد فيه توجيه
استحصال تأييد اللجنة المختصة على العمل المشار اليه اعلاه قبل صرف اجور المرمم اليهم بحسب
الاصول .

نسخة الى :-
وزارة الاشغال والامكان (٢) للمفضل بالاطلاع
وزارة المالية
مطلقة مباني العاصمة
شعبة الحسابات
شعبة الميزانية والمناقص - للتحقيب

مدير المباني العام
محمد هادي الحناتي

١٥

صورة الكتاب / جوده لحده المديرية

كتابكم المرمم ٩٠٧٢ والمؤرخ في ١٩٥٩/٧/٣٠ المعلقون كتاب وزارة الاشغال
و- سكان المرمم ٦٤ والمؤرخ في ١٩٥٩/٧/٢٩ .

لدى تدقيق قوائم الاجور المرفقة طي كتابكم المشار اليه اعلاه لاحظنا ان الملاحظ المعين
على الاشراف على العتبات المقدسة من قبل هذه المنطقة السيد حكمت احمد قد وقع على التواضع
ياشتغال العمال لغاية ١٠/٣/١٩٥٨ اي لحد تاريخ انفاكه من وظائفه ؛ وان خلفه الملاحظ الذي
السيد هياهم حيد قد عين مشارفا على العمل بموضوع البحث اعتمارا من تاريخ ١١/٢/١٩٥٨ لذا فان
لغاية ١٠/٣/١٩٥٨ .

لذا فان هذه الدائرة لا يمكنها الجزم باشتغال العمال خلال هذه الفترة بل ان ابرها يعود
اليهبة اعضاء اللجنة المشاره ؛ هذا وان السيد هياهم حيد قد عين مطالعة على عهدة العمال
المرممة ؛ لها والمعونة الى سيادة ربه المهندسين لمباني العاصمة جاء فيها ان هذه القوائم ليست
في اثناء استطلاحي الاشراف على العتبات المقدسة لذلك لا يمكنني البحث في الموضوع ولكي في المقصد
ان الجوبا اليهم كانوا يشغلون في العتبات المقدسة يرايون اعمال سيد الامير الهادي (المطلوب) الخ .
لذا تعدد عليه اصل وثقات كتابكم المشار اليه اعلاه لاتخاذ مايلهم رجاء .

توقيع / طه ابراهيم
محمد سبتة مباني العاصمة

كتاب مديرية المباني العامة الى متصرفية لواء بغداد عام ١٩٥٩م

ك

الجمهورية العراقية
مديرية الاوقاف العامة

مديرية الحسابات - الصرف
العدد
التاريخ ١٩٥٩/٨/٢٧

وزارة المالية - الميزانية
العدد ٢٥٧٢٢
التاريخ ١٩٥٩/٨/٢٧

مديرية الخزينة المركزية

الموضوع / نصف منحة الخيرات المدورة والمعتبات
القدسة لسنة ١٩٥٩ المالية

كتابكم المرقم ٨٣٢٤ والمسمى "....." ووجه في ١٩٥٩/٦/٢٩
استلما مبلغ / ٧٥٠٠ ديناوا عن نصف منحة الخيرات المدورة والمعتبات
القدسة لسنة ١٩٥٩. وقد سلمنا لكم مذكرة اذن القيمة المرقمة ٨٢ / ٦
٩٠٠٠ والوجه رقم ١٦ / ٨ / ١٩٥٩ بالمبلغ المذكور حين استلام
الصك فتخرجوا وسائل النصف المذكور من المنحة وقدره / ٧٥٠٠
ديناوا في شهر تشرين الاول / ١٩٥٩ .

نسخة منه الى -
وزارة المالية - قسم الميزانية - اشارة للكتاب اعلاه - للعلم .
مديرية الحسابات العامة .
مديرية الحسابات (الصرف) للتحقيب .

مديروا لا وقال السلام

ك
٨/٢٥ غ

كتاب مديرية الاوقاف العامة الى مديرية الخزينة المركزية عام ١٩٥٩ م


 الجمهورية العراقية
 متصرفية لواء كربلاء
 المتابع

وزارة المالية - الميزانية
 العدد ٦٧٦٥٤
 التاريخ ١٩ / ٩ / ٦
 العدد / ١٢٨٤٨
 التاريخ ١٩٥٩ / ٩ / ٤

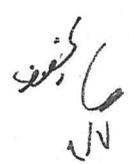
مديرية الماني المتابعة
 الموضوع / تجميعات ائحة المتابعات المقدسة

نشـــــــــــــــــور الى كتاب وزارة الأشغال والأسكان الرقم ٢٥٩ في ١٢ / ٨ / ١٩٥٩
 ونرجو اتخاذ مايلزم للكشف ولتقديم الكشوف الخاصة بتجميعات المتابعات المقدسة سيما وقد صورت
 مدة تزيد على خمسة شهور على اعتماد المبلغ المخصص لهذا الغرض وحتى الآن لم تفد مديريةكم
 المهندس المختص للكشف على ائحتها تمهيدا لتخصيص العال اللازم لاستئناف العمل في الأعمال
 الضرورية فيها واعلامنا
 •

عبود الشنوك
 متصرف لواء كربلاء

نسخة منه الى •
 وزارة الداخلية - للتفضل بالاطلاع هذا وان علما • كربلاء • والتصرف الاقدام
 قد تاحونا بصدور الموضوع وطلبوا اتخاذ مايلزم للمباشرة
 بها مساعدا اقدم وتقبل حلول موسم الشتاء فالمرجو •
 التفضل بتأييده هذه الجهة للجهات المختصة واعلامنا •

وزارة المانية (الميزانية)
 وزارة الأشغال والأسكان


 ل

كتاب متصرفية لواء كربلاء الى مديرية الماني العامة عام ١٩٥٩م

الجمهورية العراقية

وزارة المالية - الميزانية

العدد ١١٥٩ / ٨ / ١٧
التاريخ ١٩٥٩ / ٨ / ١٧

متصرفية لواء بغداد
الخزينة -
العدد ٤٢٢٩٧
التاريخ ١١٥٩ / ١ / ١٥

الى / وزارة الأشغال والاسكان والا سكان .
م / كمبيوتر العتبات المقدسة

أشارة الى المخابرة السنتهية بكتابنا المرقم ٢١٠٥٤ في ١٧ / ٨ / ١٩٥٩ .
وبناء على ما جاء بكتاب قائمقامية قضاء الكاظمية المرقم ٤٣٤٩ في ٢٩ / ٨ / ١٩٥٩ .
تقدم طيبا صورة كتاب القائمة المذكورة المرقم ٣٦٧٧ في ٢٢ / ٧ / ١٩٥٩ .
مع صورة كتابنا المرقم ٣٤٦٨ في ٨ / ٧ / ١٩٥٩ مع كافة مرفقاته
وتسرجو التفضل بالأيعاق الى الجهة المختصة بتسليف لجنة العتبات المقدسة
في القضاء المذكور بالمبلغ الكافي لدفع أجور العمال المذكورين نظرا لنفاذ
المبالغ المحسطة للجنة المذكورة وأهلامنا .

المرفقات
٥٤ كتاب
الخزينة

طوق سعيد قومي
اللواء الركن
متصرف لواء بغداد

صورة منه الى /
وزارة المالية
مديرية العتبات المقدسة
قائمقامية قضاء الكاظمية / اشارة للمخابرة أعلاه .

ن / الصرفي / ١٦٠٩

١/ن

كتاب متصرفية لواء بغداد الى وزارة الأشغال والإسكان عام ١٩٥٩ م

٩٤
٢٠

٩٥

الجمهورية العراقية
مديرية المباني العامة
المناهج والميزانية
بغداد

٩٥

الرقم /
التاريخ ١٥٩/٩/٧

وزارة الاشغال والاسكان ٢/
الموضوع : - الصيانة السنوية لعمود المسببات
القدسة في الكاوية

بناءً على طلب الجهات المستفيدة
تقدم لوزارتكم الكشف الخاص بالعمل اعلاه (مستحق من طبا) والمتطورة على
كلية قدرها (٢١٦٣٨/٠٠٠) ديناراً ، راجين التفضل حفظاً وزارة المباني
لتخصيص العمل اللازم ليتسنى للجنة المؤلفة لصيانة العتبات المقدسة لتنفيذ
العمل المذكور امانة والتكتم باعلامنا .

مدبر التبراني العام

نسخة الى :-
ديوان مجلس الوزراء - للتفضل بالمعلومات
وزارة التخطيط - " مع نسخة من الكشف للتفضل بالاطلاع
مديرية الاوقاف العامة
مديرية المحاسبات العامة
مصرفية لواء بغداد
مديرية اوقاف بغداد
محافظة مباني السامية - اشارة لكتابها الرقم ٤١٦٥ والمؤرخ في ١٥ / ٨ / ١٥٩٩
سادن الروضة الكاوية
لجنة التفتيش
الشمية الفنية الثالثة
الميزانية والمناهج - للمعتقب

٧ / احمد

كتاب مديريةية المباني العامة الى وزارة الأشغال والإسكان عام ١٩٥٩م

٤٤

الجمهورية العراقية - المالية - الميزانية
وزارة الأشغال والإسكان
بغداد

التاريخ - ١٩٥٩ م
العدد / ١٠٥٩ م

التاريخ ١٩٥٩ / ١٢ / ٩
مديرية المباني العامة / ٢

الموضوع / تعميمات العتبات المقدسة

نشير الى كتاب تصريفه لواء بغداد المرقم ٢٣٣١١ والموزع في ١٥٩/١/٥
ونرجو بيان مطالعتكم على ما جاء فيه .
نرفق بطلبه مرفقات الكتاب المشار اليه اعلاه .

عوني يوسف
وزير الأشغال والإسكان

نسخة المراسلة
وزارة المالية
تصريفه لواء بغداد
تأنيده المنظمة

هد الاحد / ١٠

كتاب وزارة الأشغال والإسكان الى مديرية المباني العامة عام ١٩٥٩ م

٩٢

الجمهورية العراقية
مديرية الخزينة المركزية

السند: ١٤٢٢
التاريخ: ١٩٥٩/١٠/١٤

وزارة المالية - العراقية
عدد: ٥٢٢٩٧
التاريخ: ١٩٥٩/١٠/١٤

مديرية الأوقاف العامة
الى

الوزير / مدير الأوقاف العامة

الموضوع: / منحة الخيرات المدورة واقترانها بالاحتياجات المقدسية

بنا على ما جاء في كتاب مديرية الحسابات العامة المرقم ٢٧٦٠٢ والمؤرخ في ١١/١٠/١٩٥٩
نوسل بطلبه مذكرة ان كان في الحوتة ٤٤/٧٥٤٧٨ والمؤرخة في ١١/١٠/١٩٥٩ بالمجلس
(٧٥٥٠٠/-) دينار (صحة الاف وخمسة مائة دينار) عن المنحة المخصصة للخيرات المدورة ادارة
المنحيات المقدسة فنرجو بعد التوقيع عليها ووصول الاستلام ابرازها اليك لتتخذكم بحسب
لذاك يسر
الملاحظات
١- مذكرة في ضبح
صورة منه الى /

مديرية الخزينة المركزية
ابراهيم خليل

وزارة المالية - العراقية
مديرية الحسابات العامة

للمسلم

١٠/١١

كتاب مديريةية الخزينة المركزية الى مديريةية الأوقاف العامة عام ١٩٥٩ م

٤٤
٤٠

الجمهورية العراقية
وزارة الأوقاف والشؤون الدينية
مديرية الحسابات العامة
بغداد
شعبة قسم المشاريع الرئيسية
الاشغال

وزارة المالية - الجزانية
تعداد ٥٤٤٨٨
التاريخ ١٠ / ١١ / ١٩٥٩

الرقم -
مديرية الخزينة المركزية
بغداد

الموضوع / تدقيق حسابات تصبير العتبات المقدسة في الكا...
للمدة من ٥٨/١٢/١٠ لغاية ١٩٥٩/١/١١

نوسل اليكم طيا اشارة تحتون طس (١٩) مستندا مع قائمة بمقاصيل المبلغ ٣١٧١/٢٤٢ ديناراً المصروف تصبير العتبات المقدسة في الكا... لاجرا... تسميته في حساباتكم لشهر آذار / ٥٩ الطحق يقده ايراداً للحساب المتبادل مع منطقة مهابي العاصمة ومصرفا طس العادة (٢) مسن الضل (٤٢) (منحة تصبير العتبات المقدسة وادارتها) واع... لا...

المرفقات / ابطورة واحدة

نسخة منه ال...
وزارة المالية - للمفضل بالاحضلا
مصرفية لرا... سلا... اشارة الى المخابرة الفنية بكتابها المرقم ٢٥٨٤٨ والمور... في ٢٧/٩/١٩٥٩

مديرية مهابي العاصمة
قائمة قسا... الكا...
شعبة التدقيقات
منطقة مهابي العاصمة

اشارة الى كتابها المرقم ١٢٠١ والمور... في ١٩/٣/٥٩ والمخابرة لعلاه وخرجو اجرا... التسوية القيدية اللازمة في حساباتكم لشهر آذار / ٥٩ الطحق يقده المبلغ ٣١٧١/٢٤٢ ديناراً ايراداً للتصريفات المتوقعة ومصرفا طس الحساب المتبادل مع مديرية الخزينة المركزية واع... لا...

محمد الجليل / ١٠/١٠

كتاب مديرية الحسابات العامة في وزارة المالية العراقية الى مديرية الخزينة المركزية في بغداد عام ١٩٥٩ م

٥٧٦٧
 العدد / ٧٢ / ٦٤
 ١٥٩ / ١٠ /

مجموع

الجمهورية العراقية

وزارة المالية

مديرية المحاسبات العامة
 بغداد
 شعبة المقتضىات

وزارة المالية - المديرية العامة
 العدد ٥٢٥٨٨
 التاريخ ١٩ / ١٠ / ١٩٥٩

الى - مديرية الخزينة المركزية
 الموضوع - منحة الخبراء الدورة وادارة
 المقتضىات القديمة

نحو دفع مبلغ قدره / ٧٥٠٠ ديناراً (سبعة آلاف وخمسة مائة ديناراً)
 الى مديرية الاوقاف العامة وقيد / ٦٠٠٠ ديناراً منه صرفاً على المادة ١ / ١ (منحة
 الى الاوقاف لقاء الخبراء الدورة) وقيد الباقى وقدره / ١٥٠٠ ديناراً صرفاً
 على المادة ٢ / (منحة المقتضىات القديمة وادارتها) من الفصل ٢٦ من الميزانية
 واعلاماً .

مدير المحاسبات العامة
 هبة السيد

صورة منه الى -
 وزارة المالية - الميزانية - كتابكم الرقم ١٦٩٤٤ والتاريخ ١٠ / ٧ / ١٩٥٩
 مديرية الاوقاف العامة - اشارة للكتاب اعلاه .

١١ / ٤

كتاب مديريةية المحاسبات العامة في وزارة المالية العراقية الى مديريةية الخزينة المركزية
 عام ١٩٥٩ م

العدد / ١١١٩
التاريخ - ١٧ / ايلول ١٩٥٩ م

الجمهورية العراقية
وزارة الأشغال والإسكان
بغداد

إلى "وزارة المالية"

المالية - الميزانية
٥٠١٦٦
٥٩١٩/٤٠٥

الموضوع / الصيانة السنوية لتعمير العتبات المقدسة في الكاظمية .

تقدم جاء نشر الى كتاب مديرية المباني العامة الرقم ١٠٦٥٧ والمؤرخ في ١٥١/١٧٧ و نرجو
تخصيص المبلغ - ٢١٦٢٣٨ ديناراً لاجراء التعميرات في العتبات المقدسة بالكاظمية امانة
بموجب الكشف المرسل الى وزاراتكم نسخة منه طوي كتاب المديرية اعلاه واعلامنا .
٥٩/٩/٤١

رعوني يوسف
وزير الأشغال والإسكان

الميزانية - مدير الميزانية
رقم
وال
مؤرخ في
١٩
١٧

صورة الى "ديوان مجلس الوزراء"

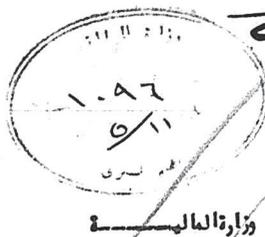
مديرية الاوقاف العامة
مديرية المحاسبات العامة
مديرية العباي العامة
مستوصفة لوزراء بغداد

سيادة معاون المدير العام

نظراً ان وزارة الأشغال
تقدمت بهذا الكشف المنفرد
الى جميع العتبات المقدسة
في الكاظمية ولم ترسل بقية
تسويق الى جميع العتبات
فقد رجاؤنا ارسال اذنيكم
باعتبار

سيرة المدير العام
١- ضعف مبلغ الميزانية (٥٥٧) المذكور
في ميزانية السنة المالية الحالية لتعمير
العتبات المقدسة في لواءي بغداد و كربلاء
و قد اقتدمت وزارة الأشغال و قد سكت
صافي / ٢١٦٢٣٨ ديناراً لتعمير روضة الكاظمية
بمطابقة الاتفاقية
- اذنيكم اعادة طلب اليكم تقديم كشوف
بالاحكام المذكور لتفحصها بجميع العتبات
المقدسة ضمن ميزانية المخصص او ان تشرط
في حالة الاتفاقية عدم تنفيذ الاعمال
التي في روضة الكاظمية - ان لا يسيء
قلعة بقية الاعمال عند اتميز الذي يقع
في الاضداد - ارجو الاضداد
نتمنى ان يفيكم هذا
عقباً من الاضداد
١٩/٤٠٥

الرقم ٢٨١٩
التاريخ ١١/٥/١٩٥٩م



٤٤
الجمهورية العراقية
ديوان مجلس الوزراء
بغداد
وزارة المالية



لم يخل بعد نشير الى كتاب مديرية الاوقاف العامة الرقم ٧٨٩٦ والمؤرخ ١٤٥٣/٥/١٨
الوجه الموجع اليكم والمسئلة نسخة منه الهنا حول زيادة منحة الخيرات المندورة
٥١١٤ وتبين لكم بان سيادة رئيس الوزراء بعد ان اطلع عليه اهد ماورد في
كما ان سيادته يرى ضرورة الترفيه عن موظفي المعاهد الذين يتقاضون
• روايتهم من المنحة المذكورة

عبد القادر جميل
رئيس الديوان

المزانية - صدور الجواب
رقم ٨٨٤٦
١٩ / ١ / ١٩٥٩
حفظ في ١٨

لا يزال الكتاب رهن التوضيح

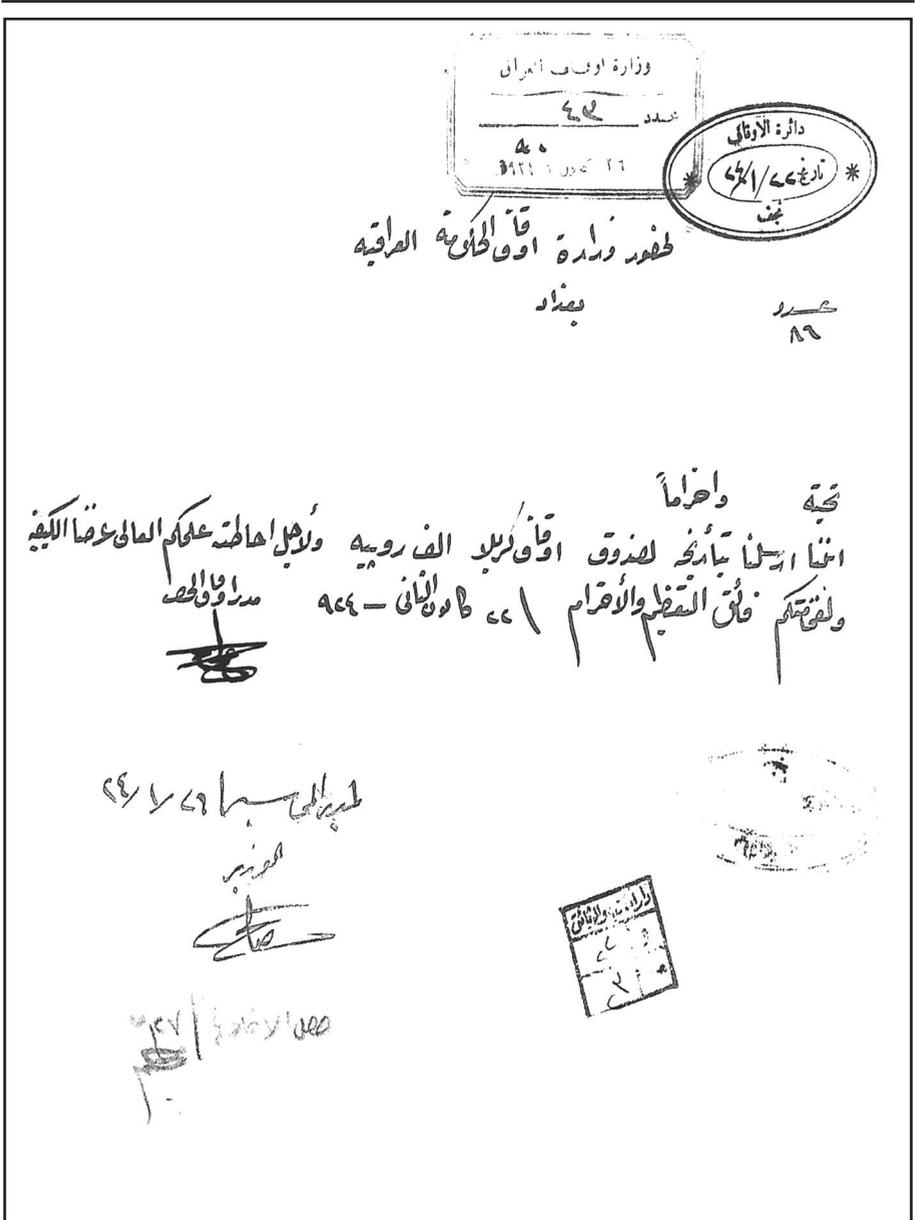
١٨

صورة الى •
مديرية الاوقاف العامة •

الادارة
والتنسيق
مديرية الاوقاف العامة
بغداد
١٨

 Ministry of Finance. وزارة المالية Baghdad. بغداد	CPSI...613...1017...1,000 Pads...27-S-22 G. F. 12. استعمارة عمومية (١٢)
إلى: وزارة الداخلية الجليلية The Ministry of Interior. Baghdad.	No. F. 308/10 6532 26/3/23
Dated Baghdad the 22nd March 1923 ١٩٢٣ آذار ٢٢	التاريخ ١٩٢٣ آذار ٢٢ مفكرة
Memorandum. ther to my No.1881 dated 21/2/1923 reference to Mutasarrif, Karbala dated 25/2/1923, after due consideration I am not prepared, in future, to grant any car allowances to Mutasarrifs, in any way to take such action as would require officials holding these appointments to consider the ownership of a car by them as necessary for the efficient performance of their duties. In two cases in the past I have agreed to the grant of car allowances to Mutasarrifs, in one case the final necessity of the grant of expensive assistance in disposal of a car in lieu of the possibility of having to purchase private cars for their owners vacate the appointments which the use of a car on duty is not admitted as necessary is one case. It must be avoided by Government as far as possible. It may be essential for the efficient administration of Liwas that on occasions Mutasarrifs should use a car but when such occasions arise mechanical transport could be used and recovery of the cost claimed under	الحاقا لكتابتنا رقم ١٨٨١ تاريخ ١٩٢٣/٢/٢١ وإشارة الى كتاب متصرف لواء كربلاء رقم ١٢٢٩ تاريخ ١٩٢٣/٢/٢٥ بعد النظر في هذا الموضوع قد قررنا عدم الترخيص في المستقبل بمنح مخصصات السيارات الى الموظفين ولا اتخاذ اي شيء من الاجراءات مما يستلزم يحمل الموظفين الذين من هذه الدوائر مستقدون بان تطلبهم سيارات خصوصية في احوالهم الرسمية وقد رخصنا بمنح مخصصات السيارات في حا دتتين في الماضي وفي احداهما اقتضى تكبد خسارة حين شراء السيارة ثانية من الموظف يجب التجنب بقدر الامكان من اعادة شراء السيارات التي يترك اصحابها الوظائف التي كان مسن المسلم فيها بأن وجودها كان ضروري لتأدية الاعمال الرسمية ومن المسلم به انه في بعض الظروف المحيطة في بعض الالوية والتي فيها يضطر المعصفون لاستعمال السيارات فان في مثل هذه الاحوال يمكن استثمار سيارات وسوف تمتص لهم

كتاب وزارة المالية العراقية الى وزارة الداخلية عام ١٩٢٣م



رسالة من مدير أوقاف الحلة الى وزارة الأوقاف العراقية عام ١٩٢٤م

اعلام

٢	٥٥
٩	٥٥

هبة المديون
 بناءً على طلب مفديته كبرياد بلقنا المرح السيد كبري بالاسراع بالاعزام الى
 كبري بقول وطلب التناج الى هناك لادعاهم لمل ذلك كما سبق بيانه في
 الاعلام المؤرخ ب ١٩٠٤ و١٩٠٤ و١٩٠٤ هذا ما نرم وعرض اليكم
 اه كورح
 بهد نفقات
 بقدم الاعمال لوزيرة الفهم
 حارة كور الكسابة
 فاسب كنت بموجب ايم
 منا بعم كوزير الفهم

١٥٥١.
العدد - بغداد / ٧/١
التاريخ - ٥٨/٧/٤٤

وزارة المالية - العراق
مديرية المحاسبات العامة
الاشغال

١٦٥٤
٥٨٧/٤٤

الى - مصرفية لواء بغداد

الموضوع - صروفات تمير المعونات المقدسة في سامراء
للعدة من ١٥٧/١/٧٨ لغاية ٥٧/١١/٧٢

١- اشارة الى كتاب معلقة بهاني لواء بغداد الرقم ٢٦٦٦ والتاريخ في ١١/١٣/١١٥٨ .
لقد تم تدقيق المستندات المرسلة على كتاب المعلقة اثناء البائع ٥٥ مستنداً يحصل
٢٦٦٧/٧١ ديناراً وفق القائمة المرفقة المصدرة عن المعونات المقدسة في سامراء للعدة
المذكورة راجعاً ملاحظة الاختلافات الطالية والاجابة عليها بالسورة المكتبة .

٢- ان اكثر الطوابيع المعلقة على تواريخ لاجور المصال قد اخطت من قبل اصحاب الاستحقاق
بالظم القهية بدلا من ظم الجبر فترجى وتنبه اللجنة الى ملاحظة هذه الجهة في المستقبل
لم تدون المبالغ وتمت كتابة فسي حقل المصا دقة على الصرف في جميع تواريخ اجور العمال
تيرجى ملاحظة ذلك في المستقبل .

٣- المستند الرقم ٤٤/

لم يوقع العراز هادي احمد المصدرة اجوره بموجب المستند اعلاه تأييداً لقبضه المصلح
لذا تعمد اليكم طياً الصفحة الثالثة والمستند لاكمالها واخذتها اليكم .

٤- المستند الرقم ٥٤/

لم يدون في حقل الایام ازا اسم البنات محمد الحاج حسين الاشارات التي تشير الى
استغاله ٧/ الایام الطالب باجورها ضمن المستند اعلاه فتمتع بحظه الصفحة الاولى
من المستند لوضع التاشيرات المطلوبة والاطاعة .

٥- صوفتم للعامل المدونة اسماؤهم ادناه اجورا بوجبة على اساس ٣٥٠ فلماً فحسب حسين
امها صرف المجهج بمعدل ٣٠٠ فلماً فقط كما جاء في سائر المستندات الاخرى فيرجى
استرداد جميع الزيادة حسباً هو مؤثر ازا كل منهم وتهدا ايراداً من الصابسات
وملاحظة هذه الجهة بكل دقة في المستقبل واعلانها .

رقم المستند	اسم العامل	عدد الايام	الزيادة
٤٧	محمد خلف	٥	٠/٢٥٠
٤٦	حطاب الصنين	١	٠/٥٠٠
٥١	صطفى اسط	٤	٠/٢٠٠
٥٢	حطاب الصنين	٤	٠/٢٠٠
٥٥	ياسين بلاغي	٦م	٠/٣٢٥
٥٥	جوزي احمد	٦م	٠/٣٢٥

مصحح

كشفت
C
٧/٤

كتاب مديرية المحاسبات العامة الى متصرفية لواء بغداد عام ١٩٥٨ م

الجمهورية العراقية
 وزارة المواصلات والاشغال
 مديرية الحسابات

العنوان البرقي : مواصلات بغداد
 الى

مصرفية لواء كربلاء

العرض - تصحیح العتبات المقدسة

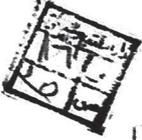
بالاشارة الى كتابكم الرقم ١٠١٠١ والمورخ في ١٢/٨/١٩٥٨.
 يرجى مراجعة كتابنا الرقم ٨٦٥٠ والمورخ في ١١/٨/١٩٥٨ للموجه الى وزارة
 المالية ونسخة منه اليكم حول الموضوع .

وزير المواصلات والاشغال
 بهكار ارمانيان

نسخة منه الى
 وزارة المالية
 مديرية المينائي الناصرية
 مديرية الاوقاف الناصرية

١٤/٤

كتاب وزارة المواصلات والأشغال الى مصرفية لواء كربلاء بخصوص تعميم
 العتبات المقدسة بتاريخ ١٦/٨/١٩٥٨م



وزارة المالية - الخزانة
العدد ١٨٢٢٤
التاريخ ١٩٥٨/٨/٢١

الجمهورية العراقية
مستوى الأمانة العامة
الحسابات - الصرف
العدد / - ١٥٨٠٨
التاريخ / ١٩٥٨/٨/ ٢١

مدوية الخزانة المركزية

الموضوع / اوصاف مبلغ

تشير الى كتاب مدوية الحسابات العامة الترتيب ١٥٢٠٢ والمصنوع في ١٧/٢/١٩٥٨
وتوجد صرف المبلغ (/ ٦٥٠٠) دينار الى هذه المدوية عن منحة الخيرات الطرية، منحصرة
تصوير المعينات المقدسة واعلامها .

مدوية الأوقاف العام

صورة منه الى -

وزارة المالية - مدوية الميزانية العامة
وزارة المواصلات والاشغال
مدوية الحسابات العامة .

لتفضل بالمعلم .

كضبط
١٨٢٢٤

كتاب مديرية الأوقاف العامة الى مديرية الخزانة المركزية عام ١٩٥٨ م

٢	٣
٤	٥

 العدد
٧٤

حضر معالي وزارة الأوقاف الجليلة
 وزارة الأوقاف العراقية
 عدد ٢٠٨
 تاريخ ١٤٥٠ هـ

تفضيلاً واذناً!
 اضم بطرد ورقة تحتوي على اتيار القضية لغير ما ذكره سيدنا الحسين عبد السلام استم
 الامير والوزير بيد سما - الحضرة الامام محمدى واعلاناً بقبول تنظيم ورقة الصرف
 واقعة الفرية من المما - الرضيم فضا عدونه بضم ورقة الصرف ويتوخى البلاغ من التبعة لهذا
 ولتعاكم ببارضام والتنظيم
 ١٧١ هـ

مدير اوقاف كربلاء
 الرخصة الجارية
 ١٧٩

قضية المدير العام المزمع
 اعض لتفتيكم بان اللجنة قد سرت القبول فطلب نفعه غير وسين روييه واغتر
 انه رفضت من سما الحضرة محمدى بوجهي السيد الذي بيده. ولم تستر البينات كديده
 ودرج الرسم لفضله
 والامر اليكم ا. ب. ب.

في اللجنة
 في التاريخ
 في التاريخ

كتاب مدير أوقاف كربلاء الى وزارة الأوقاف العراقية عام ١٩٢٥م

رقم الملف ٤٧١٢
 التاريخ ١٥/٤/١٩٦١
 وزارة الصحة لواء كربلاء
 مديرية الإدارة العامة
 التاريخ ١٩ نيسان ١٩٦١
 العدد ٤٧١٢
 الى وزارة الصحة - كربلاء
 م / استمارات والوفيات والولادات

اشارة لكتايكم المرقم ١٠٨١٦ والمرفق في ٨/٤/١٩٦١
 لقد سبقنا وارسلنا اليكم استمارات الولادات والوفيات لشهران الثاني ١٩٦١
 طي كتابنا المرقم ٢٣٧٢ والمرفق في ٤/٤/١٩٦١ فرفقنا عليها استمارات الولادات والوفيات
 لشهر شباط ١٩٦١ حسب التوجيهات التالية اما استمارات شهر آذار ١٩٦١ فقد اعدت
 الاستمارات المعادة الى طبابة صحة مدينة الكوفة اليها لاعادة تنظيمها بصورة صحة
 طي كتابنا المرقم ٢٥٦٥ والمرفق في ١١/٤/١٩٦١ وعند ورودها اليها ستقدمها اليكم فوراً

بموجب المرفق عن طريق
 لجنة لاجتياز بنسبه تم
 في
 لرفقات المرفقات
 صوت من قبل
 استمارات الولادات والوفيات
 رقم ٤٠٤١
 رقم ٤٠٤٢
 رقم ٤٠٤٣
 رقم ٤٠٤٤
 رقم ٤٠٤٥
 رقم ٤٠٤٦
 رقم ٤٠٤٧
 رقم ٤٠٤٨
 رقم ٤٠٤٩
 رقم ٤٠٥٠

٤ - استمارات ثلاثة منها تعود للوحدات الصحية التي تدار من قبل الاطباء ووحدة موحدة
 لكافة الاستمارات

٥ - استمارة الوفيات موحدة لوفيات الاجانب
 استمارة الوفيات الموحدة للوحدات الصحية التي تدار من قبل الموظفين الصحيين

صورة منه الى مديرية الخدمات الطبية العامة مع اربعة موحدة ثلاثة لوفيات
 ووحدة للولادات

٦ - مديرية التخطيط العام في وزارة الداخلية مع اربعة نسخ لكل من
 موحدة الولادات والوفيات

طبابة صحة مدينة الكوفة تؤكد كتابنا المرقم ٢٥٦٥ في ١١/٤/١٩٦١
 وترجو سرعة اعادة تنظيم الاستمارات المنوية عنها
 اعلاه على ضوء ما جاء به وارسالها اليها فوراً وان
 كل تأخير سيوقع على عاتق المسئول عنها

٤٧١٢

ابراهيم / التومحي ٤/١٥

٤٧١٢
 ٤٧١٢
 ٤٧١٢
 ٤٧١٢
 ٤٧١٢

٤٤

الجمهورية العراقية
وزارة المالية
مديرية المطابع العامة
بغداد
شعبة - التدقيقات

معمل
٥٢٤
٥٢٤ / ١٠٠ / ١٠٠
مدينة الخزنة المركزي

العدد / ٢٢٢ / ١٤٧
التاريخ / ١٠٠ / ١٠٥٨ / ١٠٠

العددون / ضمة الخيرات - المدورة وادارة المعتمات المقدسة

الطابا بكتابنا العرقم ١٥٣٠٢ والمسنون في ١٧ / ٧ / ١٥٥٨
تبرو يبيع ملح قدره /- ٦٥٠٠٠ ديناراً (سنة آلاف وخمسة مئطراً) الى
مدينة الاوقاف العامة وقد /- ٥٠٠٠٠ ديناراً منه صرفاً نهائياً على المادة ١ / (ضمة
الى الاوقاف لظاه الخيرات المدورة) من الفصل ٤٢ / من الحزانية وقد الهائي وقد صدره
/ - ١٥٠٠٠ ديناراً صرفاً نهائياً على المادة ٢ / (ضمة حمير المعتمات المقدسة) مسن
الفصل المذكور .

مدير المطابع العام

نسخة منه الى -

{ وزارة المالية - مدينة الميزانية العامة
 { وزارة المواصلات والاعمال خال
 { مدينة الاوقاف العام

١٦٧ خالد

كتاب وزارة المالية العراقية الى مديرية الخزينة المركزية عام ١٩٥٨ م

25



ترجمة

براسطة مضمرة من صاحب السادة مفرق لداوود كبر البرادع
مخبراً عن حالة المندوب السامي في العراق

أنا المرفوعين بسأنا أذناه اربعة اشخاص من اربيل رانسء من اهالي كلفرو امرو ممالك
 الهندستان . لقد اتينا الى الزيادة كبريو قبل بضعة اشهر وقرضنا مننا أننا ن
 رلها امراضهم والهرصني وقرضنا ما كان لدينا من القود والاسباب لمضربها
 وآلان قنبنا محتاجين ومضطربين بأشد الضغط والضنك ولما من احد
 ياعدنا بأخا رننا الارطنا . فالحجنا ان نرفع شكوانا لفتحناكم منرجين
 ان تنفصلوا علينا بأخا رننا الى عديتنا (كلفرو) ونا اول الرطيد باسأناكم
 علينا ولكم الشكر والمنه ١٧ سبدر ١٢٤٤

البرهان المرصبي محمد بن سيرة بن حنين
 من اهالي كلفرو من ممالك الهندستان
 ان كنيته حالاً فو كبر في دالارصم تاظم صاحب

رسالة مترجمة من مجموعة من أهالي كلنهو من ممالك الهندوستان الساكنين في كربلاء
 الى المندوب السامي في العراق عام ١٩٢٢م

26

الدارة متصرف لواء كربلاء

عدد ٦٨٤٩

التاريخ - ١٨ ايلول ١٩٢٢

لحضور وزارة الداخلية الجليله

MINISTRY OF INT.
وزارة داخلية العراق
رقعة الموادم 18393
التاريخ 20/9/22

الأستاذ الوكيل
المراسل
المراسل

توقرا وتمعظما وبمدان بيد مر نضي حسين من اهالي لکنجور
وتلا تدوات من رفقاته رفعاوا بنا عريضة لنقدمها لخاصة
الندوب السامي مترجمين فيها اعطاء الامر بنقلهم الي وطنهم
بناء علي عدم وجود مصاريف سفرهم لديهم .

اني اقدم لهما ليكم العريضة المذكوره باللغة الهندية وترجمتها -
بالمرسمة وارجو تقديمها لحضور نخامة الندوب السامي وانتظر
الجواب لابلاغه لهؤلاء الفقراء الذين لم يبق لديهم شيئا يتمكنون
من اكمال انفسهم به الي وطنهم .

هنا وتخلوا بقبل فائق احتراماتي .

متصرف لواء كربلاء .

K.S.
draft prepared
to send
HC

99

H.S.

كتاب متصرف لواء كربلاء الى وزارة الداخلية العراقية عام ١٩٢٣م

أنا الطفي
وزير الأوقاف

طفه صاحب المعالي حفظه
٥٨
كر بلاء
١٤٤٣



بعد عرض الاحترام
ان تعيرات جامع العباسية من مدة شهرين قد تعطلت لعدم وجود الدراهم
وقد وقف التبعات الا حد عقادة الالبيات واذا بقى الجامع على هذه
الحالة اول مطرة يكون على حاله البق والمصنفات التي صرفت عليه يكون
كسبا فاسترح المعصرة يا سيال اربعة الاف روبية لاطال ما بقى منه
وبذلك يتسبون الربح وتحافظون المبالغ التي صرفت والامر لفضي منكم سيد
وتعد برادقاف كربلاء
١٤٤٣
عبد
١٠٦٥



الرددية المحاسب
المدارة الخيرات
نفقة
قد ضا اعطى ار ان يسبح الهارات العائة لشجة النجب
على هم مدامون على اذا بالتمس بدم اعطاء المصانة بذلك
نبار عليه بيقته كناية الجواب عن نولك التشرح | ١٧ تموز ١٤٤٣
الرددية اق: ربطه وصاحبه ١٧

٤٢

٢٢ عرضية

٤-٤

بالحية العريضة المربعة من قبل الشيخ علي الحاج سلمان من اهالي كربلاء
يطلب نزع الغادر قرار حل جمعية التثقيف الاسلامي في كربلاء ~~من~~ ^{بمقتضى} الاموال
نظامها التثقيفية والهيئية .

ادبه بان سيقه وبنيت كل من محافظة كربلاء ^{٤٤} ~~من~~ ^{بمقتضى} مديرية اربيل ^{٤٤} ~~من~~ ^{بمقتضى} اربيل
لهذه الولاية بان اعضا ^{٤٤} ~~من~~ ^{بمقتضى} من العناصر الحاورة على الثورة واهداف التقدمية
ومن دعاة الطائنية والجمعية تعمل لصلحة دولة ائمتها (ائمان) استقلال
الظنون والمناسبات لبس الدعايات المضمنة وتثوية الحقائق بتوجيه
من المدعو (محمد مهدي التيرزي) ولذا قد تقرر حل ^{٤٤} ~~من~~ ^{بمقتضى} وقوا احكام قانون
الخدمة الوطنية رقم (٤) لسنة ١٩٦٥ م .

يرجى الاطلاع ان نسيت حفظ وتلخيص موقوع لدى الرجوع امكم

~~ص~~
١٠/٧

٢٠٢

١- بعد الاطلاع وحين ان شاء من الجمع قد صدر حسب
صلاصة الوزارة بمرجى قانون الاسماء الوطنية خاتمة
لا مجال لاعادة النظر الزرار ان انه يعتبر قطعياً
فان تم فقط اسريرة . ١٣٠٠

~~ص~~
١٠/٧

ارمر الالمدع ^{٤٤} ~~من~~ ^{بمقتضى} الاموال
العريضة المربعة

لا مكان ^{٤٤} ~~من~~ ^{بمقتضى} بقرار قطعياً
منها مجال للاعتراض عليه .
يحتفظ بالطلب

~~ص~~
١٠/٧

١٠/٧
١٠/٧
١٠/٧

٤٤

برقية

الى وزارة الداخلية مكره محكمة بداءة كربلاء

من / محافظة كربلاء

العدد / ٨٧٢٨

التاريخ ٨ / ٥ / ١٩٧١

وزارة الداخلية - مديرية المبيدات
٤٦٤٧
١٩٧١ / ٥ / ٨

توجد كميات من الادوية في مستودع القرآن الحكيم التابع لجمعية التثقيف الاسلامي في كربلاء المنحلة التي تجرى تصفيتها ووجد موجوداتها حاليا من قبل محكمة بداءة كسريلا (٠) ولاجل تأمين الاستفادة منها والحيلولة دون تلفها يرجى الموافقة على رفع اليد عنها وتحويلها الى العيادة الطبيعية الشمسية في كربلاء للتصرف بها تحقيقا للصلحة العامة واهلنا .

شبيب المالكي

محافظة كربلاء

١٤ / ٥ / ١٩٧١

الصفار

٤٠٣

١٩٧١ / ٥ / ٨

برقية من محافظة كربلاء الى وزارة الداخلية العراقية بخصوص ادوية مستوصف القرآن الحكيم التابع لجمعية التثقيف الاسلامي في كربلاء عام ١٩٧١ م

ع

٢٠٣

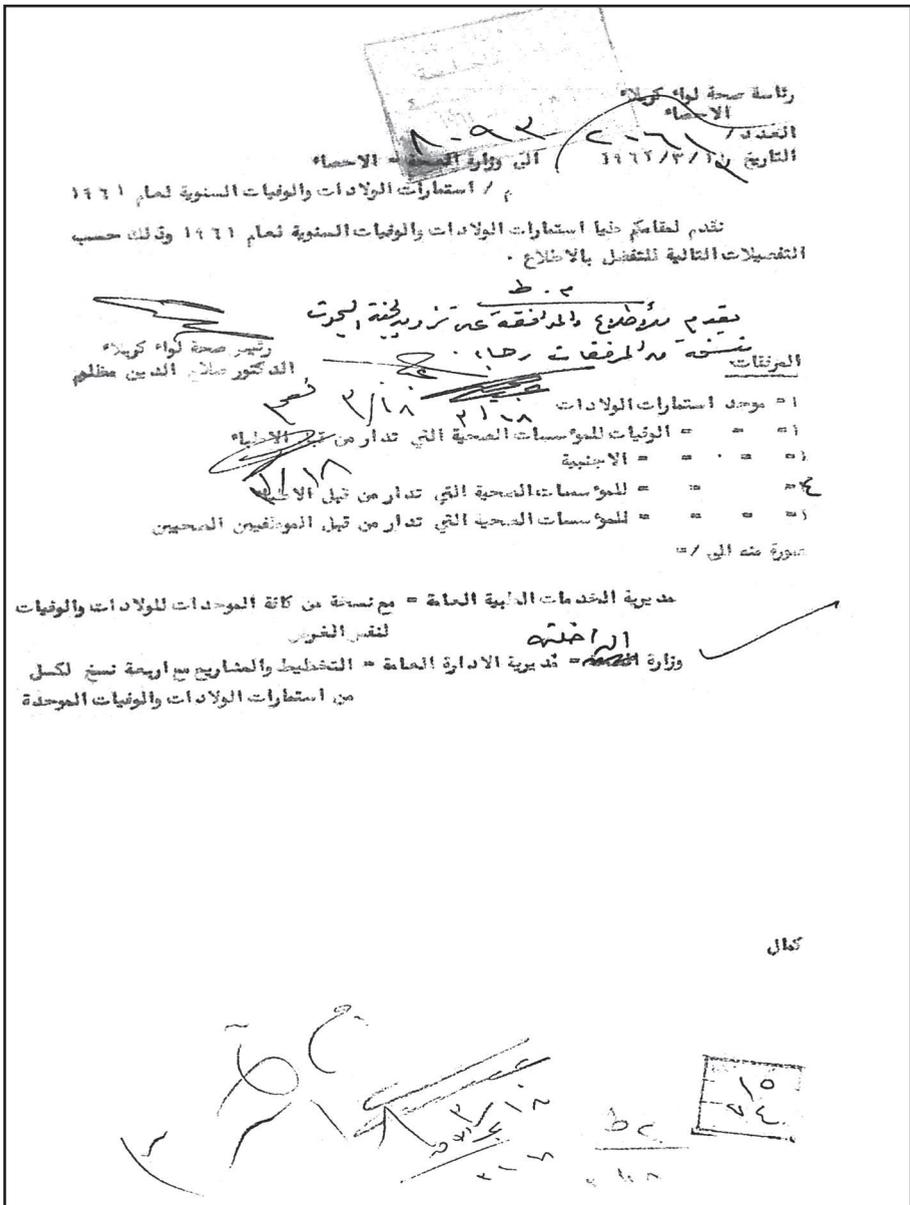


الموضوع / تحويل اودية

بطلب برتبة محافظ كربلاء تبين في بيانته تو جدليات من الاودية
 الى المستوصف التابع لجمعية التفتيش الاسلامي المتمثلة في كربلاء
 والتي تجرى تصفية من بصرتها من ارباب كربلاء ولاجل الاستدانة من
 هذه الاودية والمحلولة دون تعلقها من المرافقة مع وضع
 ابيد عن هذه الاودية وتحويلها الى العيادة السنية في كربلاء
 عند الحاجة (كما ان قانون الجرح - بما في ذلك اسرار المحليات السنية
 المتبقية نتيجة التفتيش توزع حسب نظامها فان لم ير جد في
 هذا اودو جد ولكن طريقة التوزيع غير مكنة فالاقول بضرورة تسليم
 المجموعات الى جمعية مفاسد لاني الاطحة عليها او الى اهلها الكليات
 المتخيرة . ولما ارجو ان نظام الجرح المتخذ له هذا الطاعة وان
 تمت على وراثة اهلها كما انما سفت الذكر في حالة اكلها الدقائ
 ونظرا لما سفت محافظ كربلاء وجمعية تفتيش الاودية فتمت اودو
 زعم الاودية والارزوم انما سفت ديوانها في الجمعية وتحويل الاودية
 العائدة كحدها الى العيادة السنية في كربلاء .

لعمري
 ٥ / ١٢
 ١٤١٢

بخصوص اودية مستوصف القرآن الحكيم التابع لجمعية التفتيش الاسلامي في
 كربلاء عام ١٩٧١ م



كتاب رئاسة صحة لواء كربلاء الى وزارة الصحة العراقية عام ١٩٦٢م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجمهورية العراقية
العتبة المقدسة

المدعى: السيد / علي الفسور

الرقم: ١٩٧٠/٨/٢٥

الموضوع: جمعية التثقيف الاسلامي في كربلاء

وزارة الداخلية / الجمعية

الموضوع / جمعية التثقيف الاسلامي في كربلاء

بالاشارة الى الحريضة المرفوعة من قبل الشيخ عدنان عبدالامير البلداوي محاسب الجمعية المذكورة اعلاه وعضو هيئتها الادارية الى السيد وزير الداخلية وصورتها الينا

اجرينا التحقيق السري الدقيق على ضوء ما اوضحه المستدعي بحريضته من معلومات فتبين مايلي /

ان معظم اعضاء الهيئة الادارية لجمعية التثقيف الاسلامي في كربلاء هم من العناصر الحاقدة على الثورة وهدافها التقدمية ومن دعاة الطائفية وان الجمعية تحمل لمصلحة ايران باستغلالها الظروف والمناسبات لبيت الدعايات المعرضة وتشويه الحقائق مستمدة ذلك من توجيهات المدعو محمد مهدي الشيرازي وجماعته

لذا فان الجمعية خالفت ما ورد في المادة الرابعة من قانون الجمعيات رقم (١) لسنة ١٩٦٥

ولذلك فاننا نرتأى حلها

للتفضل بالاطلاع وما تقررونه رجاء

السرا

مناظم كرم

مدير الأمن المسام

صوره منه الى /

مديرية امن محافظة كربلاء - كتابكم المرقم ٢٠٦٩ والتاريخ في ١٩٧٠/٨/٢٥

للعلم رجاء

وزارة الداخلية
مديرية الأمن العامة

مديرية الضحية الخامسة

العدد / ٥٥٩٥٨

التاريخ / ٦/٩٨

السرا

٩/١٢

صبري الدليمي / ٨/٣١

كتاب (سري) مديرية الأمن العامة الى وزارة الداخلية العراقية بخصوص جمعية التثقيف الاسلامي في كربلاء عام ١٩٧٠ م

٢٥

٢٥/٤

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة الداخلية
مديرية الداخلية العامة

الشعبة الحيوانات

الرقم ٣-٤٠٠/٢١٠

التاريخ ١٩٦٩/٣/٢٢

ختم الواردة

الى :-

وزارة العموميّة
وزارة العمل والشؤون الاجتماعية
وزارة رعاية الشباب
مديرية الامن العامّة
م / جمعية التقشف الاسلامي في كربلاء

والحافا بكتابتنا م ج / ٢٩ في ١٩٦٩/١/٨

نوسل بطلبه نسخة من محضرى الانتخاب وتوزيع النصاب للجمعية
البدكسورة الوارد اليها بكتاب متصرفية لواء كربلاء ٢٨٥٦ في
١٨/٢/١٩٦٩ للاطلاع .

٢٢/٤

وزير الداخلية

نسخة منه الى :-
متصرفية لواء كربلاء / كتابها اعلاه

عبد الرحمن / ١٨

كتاب وزارة الداخلية العراقية الى كل من وزارة التربية ووزارة العمل والشؤون الاجتماعية ووزارة رعاية الشباب ومديرية الأمن العامة عام ١٩٦٩م

٢.

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٥/٤/٦٦

متصرفية لواء كربلاء

التحرير

الجمعيات

الرقم ٢٨٥٦

التاريخ ١٨ / ٤ / ١٩٦٩

ختم الواردة

وزارة الداخل - مديرية الجمليات

السوردة

١٦١٢

تحت

التاريخ

١٩٦٩/٤

الجمليات

وزارة الداخلية

الى :-

الموضوع / محضو انتخاب

نقدم لمقامكم طياً ثمان نسخ من محضو انتخاب الهيئة الادارية لجمعية

التتقيف الاسلامي في كربلاء " و ممثلها توزيع المناصب على الاعضاء الفائزين

للتفضيل بالاطلاع رجا " .

المرفقات

٨ - نسخ محضو انتخاب

٨ - توزيع المناصب

محمد علي الخطيب

م . متصرف لواء كربلاء

لر

ختم

١٤

ح / الزهبي

كتاب متصرفية لواء كربلاء الى وزارة الداخلية العراقية بخصوص انتخاب الهيئة الادارية لجمعية التتقيف الإسلامي في كربلاء عام ١٩٦٩م

(محضر انتخاب الهيئة الادارية لجمعية التثقيف الاسلامي بكربلاء)

٩٦٩/٢/١٠

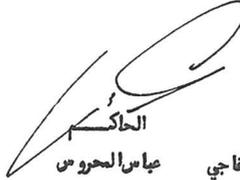
اشارة لاحكام القانون المرقم ١ لسنة ٩٦٥ و اشارة لكتاب متصرفية لواء كربلاء (الجمعيات) المرقم ٢٠٤٤ والمؤرخ ٩٦٩/٢/١٠ عليه حضرت هذا اليوم بقر الجمعية المذكورة وحضر ممثل الشرطة وممثل الامن هادي مهدي عبد الحسين وحضر من اعضاء الجمعية (٣١) عضواً من اصل (٣٦) عضواً وبذلك فقد اصبح النصاب كاملاً وعليه ولغرض انتخاب الهيئة الادارية استناداً لاحكام الفقرة (ب لاج) من المادة السابعة من نظام جمعية التثقيف الاسلامي بكربلاء فقد بوشر باجراه الانتخاب ووزعت الاوراق على الاعضاء الحاضرين وحده استلام الاوراق وفرزها فازكل من السادة المدرجة اسماؤهم ادناه كل على الاصوات المسجلة امام اسمه .

صوتا



٣١	١ - السيد مرتضي القزويني
٣١	٢ - عبد الزهرة الكبيسي
٣١	٣ - حمزة طاهر الزبيدي
٣٠	٤ - ضياء حمزة الزبيدي
٢٦	٥ - عدنان عبد الايسر
١٧	٦ - جواد الخطاط
١٢	٧ - عبد الصاحب كسوان

ب وقد اصبح السادة المذكورين اعلاه اعضاء الهيئة الادارية واما السادة كميل عبد الكريم فقد فاز على احد عشر صوتاً وهدى الحسين القزويني (٩ / اصوات بيوسف الواجدي (٦) اصوات وهدى الحسين جواد الحلواني (٢) صوتاً وحمد المجاهد (٢) صوتاً . وقد فاز كل من مكي وحمد الشيخ هاشم والمسيد احمد الفالي وحسين ابو القاسم والمسيد علي الفالي وشاكر الزبيدي ومهدي القزويني على صوت واحد . وان الاشخاص المذكورين يعتبرون اعضاء احتياط وقد تمت الانتخابات بروج وديه وختم المحضر .






الحاكم
 عياد المحروس

ممثل الشرطة
 المعاون حمزة الخفاجي

ممثل الامن
 المفوض هادي مهدي

الكاتب الاول
 عبد الرزاق الخفاجي

محضر انتخاب الهيئة الإدارية لجمعية التثقيف الإسلامي في كربلاء عام ١٩٦٩ م

٦ / ٥ / ٥

بسم الله الرحمن الرحيم



وزارة الداخلية - مديرية الجمعيات
تحت الوارده
عدد...
تاريخ...
١٩٦٨



متصرفية لواء كربلاء
التحرير
الجمعيات

الرقم ١٨٩٨٩
التاريخ ١٩٦٨ / ١٢ / ١

١١

الى :- طالبى تأسيس جمعية التثقيف الاسلامي في كربلاء -
الشيخ حمزة الشيخ طاهر الزبيدي ورفقاه
الموضوع / تأسيس جمعيتهم

فوسل لكم طيماصل كتاب وزارة الداخلية (الجمعيات) المرقم
٢٦٢٣ في ٤ / ١٢ / ١٩٦٨ راجين اجراء التصحيحات اللازمة
في نظام جمعيتكم على ضوء ماورد في الكتاب المذكور اعلاه وتزويدنا بتسليم
نسخ من النظام المصحح .

عبد الصاحب محمود القزغولي

الرفقات (اصل كتاب)
نسخة منه المر .

وزارة الداخلية (الجمعيات) كتابها اعلاه للتفصيل بالاطلاع .

الصفار

كتاب متصرفية لواء كربلاء الى طالبى تأسيس جمعية التثقيف الإسلامى في كربلاء
الشيخ حمزة الشيخ طاهر ورفقاه عام ١٩٦٨ م

١٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

متصرفية لواء كربلاء
التحرير
الجمعيات
الرقم ١٧٤٥٢
التاريخ ١٩٦٨/١١/١٢

وزارة الصحة (الاحصاء)
الموضوع / فتح مستوصف اهلسي

امارة لكتايكم الرقم ٤٣٩٨٢ فـ ١٢ / ١١ / ١٩٦٨
المحظون الى جمعية التثقيف الاسلامي في كربلاء ومقرته البناراجين التريـت
لحس صدور اجازة الجمعية المذكورة من قبل وزارة الداخلية وفق القانون -
وسمعلكم به لسك .
عبد الصاحب محمود القرمولي
متصرف لواء كربلاء

نسخة منه الى -
وزارة الداخلية (الجمعيات) ان تاه بصورة كتاب وزارة الصحة المنوه -
عنه اعلاه للتفضل بالاصلاح رجاء .
رئاسة صحة اللواء - اشارة الى المخابرة اعلاه للعلم رجاء .
صورة الكتاب

جمعية التثقيف الاسلامي (كربلاء)
بالاشارة لبرصتكم المؤرخه في ١٨ / ١١ / ١٩٦٨ .
يرجى اعلامنا باسم الطبيب المسرف والمسؤول عن المستوصف على ان -
يقدمه خطيا بالاشراف والمسؤولية كما ونرجو تزويدنا باسماء ذوي المهن الصحية
الدرجة عناوينهم ادناه والذين سيعملون في المستوصف المراد فتحه
من قبلكم على ان يكونوا مجازين بممارسة المهنة من قبل هذه الوزارة مع نسخة
من نظام جمعيتكم الداخلي .
١- المضدين ٢- الموظفين الصحيين ٣- الممرضات ٤- الصيادلة
وزير الصحة

الصغار

كتاب متصرفية لواء كربلاء الى وزارة الصحة العراقية بخصوص فتح مستوصف
أهلي في كربلاء عام ١٩٦٨ م

٢٥ / ٨ / ١٩٦٩

بسم الله الرحمن الرحيم



منتصرفية لواء كربلاء
التحرير
جمعيات

الرقم ٥٠٩

التاريخ ١٩٦٩ / ١ / ٢٤

الى :- طالبي تأسيس جمعية التثقيف الاسلامي في كربلاء
الشيخ حمزة طاهر الزبيدي - ورفقاه

الموضوع / تامين جمعياتهم

نوسل لكم طيا اصل كتاب وزارة الداخلية (الجمعيات) المرقم
٢٩ في ١٩٦٩ / ١ / ٨ الموجه اليكم حول الموضوع وبالنظر لتوفر الشروط
القانونية في نظام الجمعية المراد تاسيسها بشكله المصحح فانها
تعتبر موجهة ستة بانقضاء المدة القانونية المنصوص عليها في المادة الخامسة
من قانون الجمعيات رقم (١) لسنة ١٩٦٠ التي تصادف قسسي
١٩٦٩ / ٢ / ٤ فنرجو مراعاة حكم القانون ونظام الجمعيات.

عبد الصاحب محمود القرطوبي
منتصرف لواء كربلاء

نسخة منه الى :-
وزارة الداخلية - الجمعيات / كتابها اعلاه للتفضل بالاطلاع رجاء .
مديونة سرية اللواء
مديونة امن اللواء
ملاحظ الجمعيات

الصقار /

كتاب منتصرفية لواء كربلاء الى طالبي تأسيس جمعية التثقيف الإسلامي في كربلاء
الشيخ حمزة طاهر الزبيدي ورفقاه عام ١٩٦٩ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٧

ختم الواردة

نسخة الدائرة

٢٥/٤/١٦



وزارة الداخلية

مديرية الداخلية العامة

الشعبة الجمعيات

الرقم ٤٠٧ / ١٩

التاريخ ١٤٧٠ / ١١ / ٨

الـ

طالبني تأسيس جمعية التثقيف الاسلامي في كربلاء
 الشيخ حمزة طاهر الزبيدي ورقفاه
 بواسطة متصرفية لواء كربلاء

م / تأسيس جمعية

بالا شماره التي طلبكم المسجل لدينا في ١٩٦٨ / ١٢ / ٢٠ الوارد بكتاب
 متصرفية لواء كربلاء / م / ٩٢٢ في ١٩٦٨ / ١١ / ٢٠ وجوابكم على طلب التصحيح
 المراد بكتاب المتصرفية المذكورة المسجل لدينا في ١٩٦٨ / ١ / ٤
 بالنظر لتوفر الشروط القانونية في نظام الجمعيات المراد تأسيسها بشكله الصحيح
 فأنها تعتبر مؤسسة باقتضاء المادة القانونية المنصوص عليها في المادة الخامسة
 من قانون الجمعيات رقم (١) لسنة ١٩٦٠ التي تصادف في ١٩٦٩ / ٢ / ٤ .
 فترجو مراعاة حكم القانون ونظام الجمعيات .

١١/١٧

وزير الداخلية

١٧

سيد لوزر

١٧

١٧

صورة منه مع نسخة من النظام الى / -

وزارة العمل والشؤون الاجتماعية
 وزارة التربية
 رئاسة ديوان الاوقاف
 مديرية الامن العام
 مديرية المحاسبات العامة

صورة منه الى / -
 متصرفية لواء كربلاء
 مديرية الجمعيات / للتأشير
 شعبة الارشاد والترجمة

الحاقا بكتابنا م ج / ٢٦٢٣
 في ١٩٦٨ / ١٢ / ٤

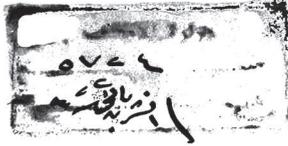
١٨

١٨

١٨

ساي / ٧

كتاب وزارة الداخلية العراقية الى طالبني تأسيس جمعية التثقيف الاسلامي في كربلاء
 الشيخ حمزة طاهر الزبيدي ورقفاه بتاريخ ١٩٦٩ / ١ / ٨ م



ادارة مصرف لواء كربلاء

عدد ٧٨٧٥
التاريخ ٢٦ تشرين الأول ١٩٢٢

لحدود وزارة الاوقاف الجليله .

تحية واحتراما وبعد فبخطه اقدم لصالكم عريضة متعهد صقل طابوق النحاس
لعارة سيدنا الحسين عليه السلام ومن مندرجاتها يتضح لصالكم ان التعهد
المعروف بمشترحم اعطائه اجرة الطابوق الذي صقله سابقا ولم يحو فيها لحد -
الان وكذا لك يرجو اعطائه مبلغا كافيا محسوبا علي اجرتة المقبلة حيث انه
رجل كاسب ولا يمكنه القيام بعمل الصقل ما لم تحصل لديه مؤنة المعيشة كما
انه لم يكن مجبوراً علي اجراء ما متعهد به قبل قبضه الاجرة .
فالرجاء الفات نظر لصالكم الي ما يدعوه وصدور الامر العاجل بالعمل قبل غوات
الوقت وحلول موسم الشتاء هذا ولصالكم فائق الاحترام .

مصرف لواء كربلاء

عبدالله

ادارة اوقاف كربلاء

عميد



من

٢٤

حضرت العميد المحترم

١ - عاين تمام اذرة ما تياتي بالمناسه لان فدرجه الي حد اذ اوقاف كربلاء وذلك حسب عاين اذرة فليجوز
من اذرة المالكين عندهم اعطاه اجرة الصقال
٢ - وبما ان اعطاه الاجرة حقا فليجوز ان لا يعجزه شيه اذرة المالكين الى امدن لم يمس
انفقته في هذه المسئلة سابقاً بل يطلبه للمسا على اذرة ما يملكه في نظره والتفت الوفاء
التأمينات [ببوتيرة] يفتق للوفاء عند عدم اجد المفعول بانعام به وذلك
وسرل للمالك والمصلحة هذا والود والكم ()
الاصح ()

عبدالله

عدد
١٠٢٨
كشيرة لخصير مديرة الخيف بناءً على تشرية ما بيننا منكم بخصوص
١- ارسال نسخة الاف وثلثمائة ردييه الى الخيف .

الى دائمة الخيرات ؟

لقد ارسلنا لمديرة الخيف لمراد اربعة الاف ردييه بموجب هيك على حساب
كشيرة (١٠٢٨) تشرية اوله٢٢٢٢ عدد ١٤٠ ونظراً للكتاب الوارد من مديرة الخيف
انه قد سلم ثلثة الاف ردييه بموجب سند الوصل الموعود (١٧ تشرية اوله٢٢٢٢
عدد ١١٢ واخيراً ارسل ثلثة الاف وثلثمائة ردييه (١٠ تشرية اوله٢٢٢٢ .
بناءً على ما يجب اللتابة لمديرة الخيف بارسال سند الوصل مقابل الاربعة الاف ردييه
المرسلة بموجب هيك على حساب اللور الى المركز . وجاه الثلثة الاف وثلثمائة
ردييه التي ارسلت من مديرة الخيف يقضى ارسال سند الوصل لمديرة
المذكورة واعطاء المعلومات بذلك . (١٠ تشرية المذ٢٢٢٢



٢٨٢

CPSL...685...1098...1,060 Pads...6-12-23

From ١٤١٥٨ G, F. 12.

الدارة متصرف لواء كربلاء من ١٦ / ٨ / ١٩٣٢ بتاريخ (١٧) ايار

To حضور وزارة الداخلية الجبلية الى ٥٧٦٦ No. ١٦ لفة

الاشرف الوطني

و ب

١٣

١٣

Dated _____ the _____ 192

التاريخ ١٣ ابريل ١٩٣٢

Memorandum. مفكرة

الموضوع - قانون الطوابع .

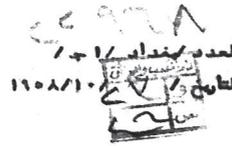
تعظيماً وتوقيراً - وجوباً للأمر السليبي المرقم ١٠٥٠٨ و ٢٣/٢١
 تموز ١٩٢٤ والمتمم بالأمر المرقم ١١٢٦٤ و ٦/٥ آب ١٩٢٤
 نعرض ان كافة بلديات هذا اللواء تصبى احكام قانون الطوابع علي
 سندات الائتمار وغيرهما من المعاملة حرفياً و بالتالي تنزل
 تجرى التدقيقات علي كافة الاوراق الناجمة الي رسم الطابع من قبيلها
 ولا يوجد فيها عقد التزامات بدون ان يختم لها مقاوله كما لا توجد -
 التزامات امضاءها بدون مقاوله - ولمالككم فائق الاحترام .

متصرف لواء كربلاء .

ص .

١٤/٤

كتاب متصرف لواء كربلاء الى وزارة الداخلية العراقية بخصوص قانون الطوابع
 بتاريخ ١٣ آب ١٩٣٢ م



العدد ١٩٥٨/١٠/٢٧
التاريخ ٢٧/١٠/١٩٥٨

وزارة المالية - العراق
العدد ٤٤٤٢٥
التاريخ ٥٨١٠٢٧

الجمهورية العراقية
وزارة المالية
مدينة المحاسبات العامة
بغداد
شعبة / الاضفال

الى :- مصرف لواء بغداد

الموضوع / مصروفات المعبات المقدسة (جامع سلمان باك)

بالاشارة الى كتاب حطقة ماني لواء بغداد المرقم ٤٥٠٢ والمؤرخ في ١٩٥٨/١٠/١٦

لقد تم تدقيق المستندات المرسله اليها بصحة الكتاب اعلاه والبالغ عددها (٢٦) مستندا بمبلغ (٢٢٣٥/٢٢٢) ديناراً ومبلغ ملي ملاحظاتها عما راجين اعلاناً بتاريخ تهديكم المبلغ ٦٠٠ فلماً ايراداً - للحسابات ومراعاة العمل باحكام عشرون المرقم ٤٨٤٠ والمؤرخ في ١٩٤٧/٣/١٠ بشأن التوقيع بقلم الحسب بدلا من قلم التوقيمة .

١- نرجو ملاحظة ضرورة تدوين مبالغ المستندات رقمها وكاتبه في المستقل وعدم الاكتفاء بتدوينها رقم فقط كما جاء في المستندات المرقمة ٢٨ و ٢٦ و ٣٠ و ٣١ و ٣٢ و ٣٥

٢- المستند المرقم ٣٠ بمبلغ ١٤٢/٤٥٠ ديناراً لاحظنا انكم اجهتم تعديلات على تأشير اشتغال العامل حسين حمد الصروفه اجرته بموجب المستند اعلاه للايام ٤ و ٥ و ٥٨/٢/٧٧ دون اى توقيع يبرز هذا التصحيح لذا نرجو ان تؤيدوا لنا بان النوا اليه قد اشتغل فعلا في الايام المذكورة وملاحظة ذلك في المستقل .

٣- لاحظنا ان لجنة الاستلام لم تحترف على كافة مستندات الشتمات باستلامها المواد المذكورة فيها - واستتمالها في العمل فنرجو تأييد ذلك الان وملاحظة هذه الناحية في المستقل .

كفوض

مدير المطبوعات العام
بمدينة المحاسبات العامة

نسخة منه الى :- ١/٥

وزارة المالية / للتفعل بالاطلاع .
مدينة الماني العامة / اشارة الى الكتاب اعلاه - للاطلاع .
للمصطفية قضاء بغداد

معلقة ماني الماصصة / يرجى اجراء تسوية تودعة في حساباتكم لشهر اذار الطحق ٥٨/ بتهد الهلـــــــخ

٢٢٣٥/٢٢٢ ديناراً ايراداً لحساب التسليفات المتتوية وصرفها من الحساب -
الضبادل مع مدينة الخزينة المركزية واعلاها .

مدينة الخزينة المركزية / نرسل طها اشارة واحدة تحتوي على (٢٦) مستندا وفق الجدول المرفق بمبلغ ٢٢٣٥/٢٢٢ ديناراً يرجى اجراء تسويته في حساباتكم لشهر اذار الطحق ٥٨/ بتهد ايراداً للمصالح الضبادل مع حطقة ماني العامة وصرفها نهاها على الطارة ٢/ من الفصل ٤٢/ حقة تصير المعبات المقدسة وادارتها واعلاها .

للتدقيق - للمعلم

كتاب وزارة المالية العراقية الى متصرفية لواء بغداد بخصوص مصروفات جامع سلمان باك عام ١٩٥٨ م

٢٨٥

٢٢

١٤٤٢٠

١٧/٨/١٣

عدد المخططة

دائرة متصرف لواء البصرة

البلديات ١٥/٢

التاريخ ١٣ آب ١٩٢٤

الى -

خبرة رئيس بلدية البصرة المحترم

- قائدكم تشارب ابن الصليب
- القرنه
- مدير ناحية الزبير

العربي - قانون الطوايح

تحية واحترام • طلت اعراضناكم لكتابته الرقم بحدود ٢٢٢٤ والوجه
٢٨ تمز سنة ١٩٢٤ ونوسو المساواة باهداء المساواة اللازمة عن كيفية تابع
قانون الطوايح في سندات الالتزامات الساندة الى البلديات لموسها على فحاسة
وزارة الداخلية البلدية هذا ولكم الاحترام

متصرف لواء البصرة
احمد

نسخة منه •

✓ نقباسة وزارة الداخلية البلدية اشارة للعكوة المرتبه بحدود ١١٢٦٤ والعرضه
٦/٥ آب سنة ١٩٢٤ •

احمد - ١٦٨

كتاب دائرة متصرف لواء البصرة الى كل من رئيس بلدية البصرة وقائم مقام قضاء
أبي الخصيب وقائم مقام قضاء القرنة ومدير ناحية الزبير بخصوص قانون الطوايح
بتاريخ ١٣/٨/١٩٢٤م

الجمهورية العراقية
مديرية الخزينة المركزية

١٢٥٨٢

العدد

التاريخ
وزارة الأوقاف

إلى مدير الأوقاف العامة

التاريخ ١٩٥٨ / ١٠ / ٢٤

٤٤
٢٠

الوضع مخاض الخيرات للصورة وإدارة
العتبات المقدسة

بناءً على ماجاء بكتاب مديرية المحاسبات العامة المرقم ٢٤٦٨ و التاريخ ١٩٥٨/١٠/٢٨
نوسل بطيه مذكرة اذن الدخ المرقم ٥٥٩٥٠٨/١٧ والمورخه في ١٩٥٨/١٠/٢٨ بالمبلغ
/ـ ٦٥٠٠ دينار ((ستة الاف وخمسمائة دينار)) فتوجو بحد التوقيع عليها وربط وصل الاستلام
ابرازها ادنيا لذكرويدكم بصك لقايتها


 مدير الخزينة المركزية
 ابراهيم خليل

الموقفات
 ١- مذكرة دض
 صرته الى
 وزارة المالية - مديرية الميزانية العامة -
 = المواصلات والا شغال
 مديرية المحاسبات العامة
 للعلم

٣٠/٢٨


 كسب
 كسب


 السيد
 السيد

كتاب مديرية الخزينة العامة الى مديرية الأوقاف العامة بخصوص منحة الخيرات
المدورة وإدارة العتبات المقدسة عام ١٩٥٨ م

٢٤
٢٠

الجمهورية العراقية
مديرية الاوقاف العامة
مديرية الحسابات - الصرف
العدد ٢٤٠٩ / ٢١٥٩
التاريخ ١١ / ١١ / ١٩٥٨

مديرية الخزينة المركزية

الموضوع / منحة الخيرات المدورة وادارة
العتبات المقدسة

كاتبكم الموقر ١٢٠٨٢ والم ووخ ني ١٨ / ١٠ / ١٩٥٨
اسلطت المبلغ / ٦٥٠٠ ديناراً عن النصف الثاني من منحة الخيرات المدورة وادارة العتبات
المقدسة لسنة ١٩٥٨ الحالية . وقد زوداكم بحمل القبض حين تسليم الصالح المبلغ المذكور من ائتمتكم .

مدير الاوقاف العام

صورة منه الى -

- وزارة الطاعة - مديرية الميزانية العامة
- وزارة المواصلات والاشغال
- مديرية الحسابات العامة
- مديرية الحسابات (الصرف)

اشارة لكاتب مديرية الخزينة المركزية اعلاه للمعلم .

كفينا
١١ / ٢

كتاب مديرية الأوقاف العامة الى مديرية الخزينة المركزية بخصوص منحة الخيرات
المدورة وإدارة العتبات المقدسة عام ١٩٥٨ م

١٩٢

CP&I...690...1142...1,000 Pads...19-10-22
G. P. 12.
استمارة عمومية (١٢)

From ادارة متصرف لواء كربلاء من

To لحضرة مدير ادارة اوقاف بغداد المحترم الى: ١٤٠١ No. مرة

Dated ١٨ شباط ١٩٢٣ the 192

Memorandum. ١٩٢ الموافق العاين

مفكرة

بعد التحية وجواباً لكتابكم المرقم ٤١٠ والمؤرخ ٥ شباط ١٩٢٣ فيما يتعلق بتصميم طابوق مئارة سيدنا الحسين عليه السلام .

بناءً على تخويلكم امرنا مدير الاوقاف بلزوم المباشرة بالعمل فهران المدير العمومي اليه افادنا بكتابه المرقم (١) والمؤرخ ١٨ شباط ١٩٢٣ ان الكشف علي التميمير المراد اجرائه قد جرى بوقته بمبلغ ٣٠ الف روبية تقويماً وذلك بالنظر الي الدراهم الموقوفة لتلك المئارة وانه بعد ذلك وردت دراهم اخرى من الواقف لاكمال كافة طابوق المئارة ولا كن لا يعلم المدير بمقدارها .

فعليه نرجوان تنقلوا مدتها بارسال الذي روبية للمباشرة بالتصميم وبيان مقدار الدراهم الموقوفة مع ارسال ورقة الكشف كي تكون علي علم من المقصحات علي بصيرة من المقدار الاصلي وليحذركم خالص الاحترام .

متصرف لواء كربلاء

صورة لجناب مدير اوقاف كربلاء بالاشارة لكتابه رقم ١ والمؤرخ يوم الحال .

الى الادارة لاجراء الاجاب

عبدالله
عبدالله
عبدالله

من

البريد مائة

كتاب متصرف لواء كربلاء الى مدير إدارة أوقاف بغداد عام ١٩٢٣ م

الرقم - ٢٥٣ / ٢٠٠٤



قرار مجلس الشورى

اجتمع مجلس شورى الاوقاف بمجلسه الخاص والمصغر المنعقد بتاريخ ١٦ / ٦ / ٢٠٠٨ م
وتناقش وبتقرر بحسب شعبة الحقوق الموضح في ١٤ / ٦ / ٢٠٠٨ المرفق بشأن تسليم امانة للمعابد
التي تشهد من قبل الاشخاص الطائفة والمتمثلة بـ
١- لدى التدميين وجد ان هناك جوامع ومساجد جديدة يتطالب مشيدينها او اصحابها
المنطقة التي تدمع فيها استلامها وادارتها من قبل مديرية الاوقاف العراقية ولما كانت
هذه المديرية مفيدة بإدارة المعابد الموقوفة عندما حسب شروط الوافدين وهي غير ملزمة
بإستلام معابد جديدة ليست لها موقوفات من ادراتها لهذا يرى المجلس
ان يحقق مايلي عندما يمرض على المديرية المذكورة طلب استلام المعبد
١- ان يكون للمعبد المنشأ موقوفات من مستغلات او مستغلات او نقود تكفي لادارة المعبد
وادارته

- ٢- ان تكون حالته المصانة جيدة ومناسبة
- ٣- ان يقع في منطقة هي في حاجة اليه
- ٤- ان يسجل مع موقوفاته ونظماً متبوعاً بالظاهر
- ٥- ان يفتقر استلام المعبد بموافقة هذا المجلس وتصدق بين الوزير المسؤول
ومسك وبإلا تغلق



ع ٢٤ / ٥٠

أحد قرارات مجلس شورى الأوقاف بشأن إدارة المساجد عام ١٩٥٨ م

الجمهورية العراقية
وزارة المالية
قسم الميزانية
بغداد

العدد ٥٦٢
التاريخ ١٩٥٩/٣/٣١

رئاسة ديوان مجلس الوزراء

الموضوع - منحة الخيرات المدورة

بلاشارة الى كتابكم المرقم ١٧٨٤ والمؤرخ في ١٩٥٩/٣/٢٢ -
نظرا الى ضرورة تخصيص الاعتمادات اللازمة للمصروفات
الاكثر ضرورة لايصح هذه الوزارة النظر في زيادة المنحة وقدرها
- / ١٠٠٠٠ دينار المخصصة للخيرات المدورة -

وزير المالية
مديرة الاوقاف العامة
الاضابة

نسخة منه الى :-
سيدان الوزير
سيدان
٢/٢١

سيدان المدير العام
٢١٢٠

عبد الكريم / ٢٩

كتاب وزارة المالية العراقية الى رئاسة ديوان مجلس الوزراء بخصوص منحة الخيرات
المدورة بتاريخ ١٩٥٩/٣/٣١ م

الجمهورية العراقية
 وزارة الأوقاف والشؤون الدينية
 قسم الميزانية
 بغداد

العدد ٥٠ / س
 التاريخ ١٩٥٩ / ٢ / ٢٤

٤٤
 ٤٠

سري :
 مديرية الأوقاف العامة

الموضوع / بناية جامع نقرة السلطان

بلاشارة الى كتاب وزارة الداخلية المرقم ٣٠٦٠٩ والمؤن في
 ٠ ١٩٥٩ / ٢ / ٥

لاحظت هذه الوزارة بأن القرار المتخذ بمسؤولية مديريتك عن ادارة -
 المعابد الموقوفة فقط وعدم مسؤوليتها عن معابد جديدة ليست لها
 موقوفات تؤمن ادارتها كان قد صدر في العهد البائد وبالنظر لاختلاف
 العهد بين ضرورة رعاية بهوت الله دون تفريق او تمييز فترجو هذه
 الوزارة اتخاذا مايلزم لاعادة النظر في القرار السابق

وزير المالية
 محمد حديد

سيادة الوزير
 السيد /
 ٤١٤

نسخة منه الى -
 وزارة الداخلية
 الاضطرارية

٢٢ / جلال

كتاب وزارة المالية العراقية الى مديريةية الأوقاف العامة بخصوص بناية جامع نقرة
 السلطان عام ١٩٥٩ م

٤٤
٢٠

الجمهورية العراقية
مديرية الاوقاف العامة
مديرية الحسابات - الصرف
العدد ٦٢٠٩ / ٢١٥٢
التاريخ ١١ / ١١ / ١٩٥٨

وزارة المالية - الميزانية
السند ٤٥١٤
التاريخ ١١ / ١١ / ١٩٥٨

مديرية الخزينة المركزية
الموضوع / منحة الخيرات المدونة بادارة
الامتعات المقدسة

كاتبكم الموقر المبرم ١٠٢٥٨٢ والمتمم ١٠٨ / ١٠ / ١٩٥٨
استلمت الجليل / ٦٥٠٠ ديناراً عن النصف الثاني من منحة الخيرات المدونة بادارة الامتعات
المقدسة لسنة ١٩٥٨ الطالبة • وقد زودناكم بحمل القيمة حين تسلم الصائها الجليل المذكور من يد انوثكم.

شورى
مدير الاوقاف العام

صورة منه الى -

وزارة الطالبة - مديرية الخيرات العامة •
وزارة المعاملات والاشغال
مديرية الحسابات العامة
مديرية الحسابات (الصرف) •

اشارة لكاتب مديرية الخزينة المركزية اعلاه لنظم •

كفينا
١١ / ١١

كتاب مديرية الأوقاف العامة الى مديرية الخزينة المركزية عام ١٩٥٨ م

الرقم ٥٨٨٢
 التاريخ ١١/١٠/١٩٥٨
 وزارة الخارجية
 الجمهورية العراقية
 وزارة الخارجية
 بغداد
 الموضوع / المساهمة في تشييد وإصلاح مساجد لبنان

في جلسة مجلس الوزراء المضمدة بتاريخ ٨ / ١١ / ١٩٥٨ علي كتابكم
 برقم ج / ٤٠٦٤ / ٤٠٦٤ / ١٠٢ و تاريخ ٢١ / ١٠ / ١٩٥٨ الباحث عن طلب بعض الشخصيات
 الصلة في لبنان مساهمة العراق في الانفاق على اصلاح المساجد في لبنان والعراق بمس
 عرض الموضوع على المجلس لاتخاذ بقرار مناسب في هذا الشأن . وطلي كتاب وزارة الطلبة
 برقم م / ١٥٧٥ و تاريخ ١ / ١١ / ١٩٥٨ سألني ابدت فيه عدم وجود اعتماد في ميزانية السنة
 الطلبة الحالية بساعد على المساهمة في المشروع المذكور -
 وبعد المناقشة قرر المجلس تأجيل النظر في الموضوع في الوقت الحاضر وعند
 تحسن الموقف التالي في المستقبل في وزارة الطلبة بساعد القرار في أمر المساهمة .
 لقد اتقرن هذا القرار بمصادقة مجلس السيادة .

عبد القادر جميل
 رئيس الد -
 السيد عبد القادر جميل
 رقم الد -
 السيد عبد القادر جميل
 رقم الد -

وزارة الطلبة (٢)
 مديرية الاطفاء العامة
 اعطارة الى السفارة المذكورة اعلاه .

كتاب رئاسة ديوان مجلس الوزراء الى وزارة الخارجية العراقية بخصوص المساهمة في
 تشييد وإصلاح مساجد لبنانية عام ١٩٥٨ م

٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة الداخلية
مديرية التجميع العامة

التسوية التجميعات
الرقم ١١٠٢/٤٠٠
التاريخ ١١/١٠/٧١

ال :-

رئاسة ديوان رئاسة الجمهورية
الموضوع / تحويل أدوية

اعلمنا محافظة كربلاء ببرقيتها ٨٧٢٨ فـ..... ١٩٧١/٥/٢٤ بأنه توجد كميات من الأدوية في المستوصف التابع لجمعية التثقيف الاسلامي في كربلاء الشاملة والمليت الموافقة على رفع اليد عن هذه الادوية وتحويلها الى العيادة الطبية الشعبية . كربلاء للاستفادة منها والحيلولة دون تلفها . وبالتدار لعدم وجود نسي في نظام الجمعية لبيّن الجهة التي تؤمن اليها اموال الجمعية عند حلها لذلك فانتمنا نوجد استحصال موافقة السيد رئيس الجمهورية على تحويل هذه الادوية الى العيادة الطبية الشعبية في كربلاء استنادا الى احكام المادة - التاسعة والعشرين من قانون الجمعيات رقم (١) لسنة ١٩٦٠ واعلاننا .

وزارة الصحة
محافظة كربلاء - اشارة الى برقيتها اعلاه علما بانها وصلت ضمن البريد الاعتيادي .
محكمة يداية كربلاء - اشارة الى البرقية اعلاه
مديرية التجميعات

٥٠/١٠٠

٥٠/١٠٠

كتاب وزارة الداخلية العراقية الى رئاسة ديوان رئاسة الجمهورية بخصوص تحويل الأدوية التابعة لجمعية التثقيف الإسلامي في كربلاء المنحلة عام ١٩٧١ م

رقم الصادرة ٨٢٠٦
التاريخ ١٩٥٨/١٠/٥

ندوة الأوبرا

الجمهورية العراقية
وزارة المالية
مديرية الميزانية العامة
بغداد

متصرفية لواء كربلاء

الموضوع / بيع صبات كونكريت

بالإشارة الى كتابكم المرقم ١٤٠٠٤ والمؤرخ في ١٩٥٨/٩/٣٠
تؤيد هذه الوزارة كتابها المرقم ١٢٨١ والمؤرخ في
١٩٥٦/١/٣٠ حول الموضوع

١٥

١٠/٤

نسخة من " -
الاضطراب

سيادة المدير العام
١٠/٤

جلال / ١٠/٤

٦٤٩٧
٤٤٧٧

المعروفات

	تعميرات الصحة	تعميرات المارة	يكوت
داخل خزانه ١٩٤٤	٥٠٠	.	٥٠٠
تشرين اول	٤٠٠٠	.	٤٠٠٠
تأني	٤٤٠٠	.	٤٤٠٠
كانون اول	٤٧٦٥	.	٤٧٦٥
تأني ١٩٤٤	١٤٠١٩/٦	.	١٤٠١٩/٦
تسليم	١٧٩٩٠/٦	٤٠٠٤	١٩٩٩٤/٦
يكوت	٤٨٠٦٧٦/١٤	٤٠٠٤	٤٠٦٧٦/١٤

حساب المدير المعتم

ان الذي صرف لتعمير المارة ومن سينما الحين كما تم اعلانه (١٩٠٦٧٦) ربيع و (١٩) انه . لم رأينا الا خمسة واربعون الفاً روبية مقيدة في قيود الودقات سوى وجبت احبارة شئت هذا المبلغ المهمه وانما قد سلم لتعمير الماكينة واليوم لاجباً دائرة الحسابات العمومية وجبت هذا المبلغ قد سلم لالا والآن موجود في الخزينة ولاجل دفعها لصدور الودقات قد تم كتابتها لوزارة المالية الجليله (٤٤) مائة ١٩٤٤

الرجاسة المرحوبين المعروف على منارة سيدنا الحسين الذهبية

نقطه منكم ودمم | ٤٤
٤٤
٤٤



داخل سياره ١٩٤٤
١٤٥٧/٨
١٤٤٤/٨
٤٤٠٠
٤٤٤٤

٦٥١٠
٤٤٩٠

عند شتبا في جداول السوربة الوارده من شبة كبره لم وجبت شيئاً صرف منارة سيدنا الحيد الذهبية سور (٤٠٠٤) روبية الاطقة في شديناط على ما

الرجاسة المرحوبين بيان المعروف هذا

فقط المدير المعتم
ان التعيرات لا تسلم بالمعروف - ان ما عليها ذلك لان هذه العمارة هي من عمارة المعتمات
وانتم ايكم بجمع ١٩٤٤ مائة ١٩٤٤

فقط المدير المعتم
نقطه منكم ودمم | ٤٤
٤٤
٤٤

عدد الاوراق

١ دائره الواردات والاسرار ١٦٩٢ د المحاسبة عبدالله ٥/٤/٥عبدالله
المهندسي
التعليق٥ رئيس الكتاب عبدالله٦ المدير عبدالله٧ معاون الشخصي عبداللهالمرجوا مطالمة الاوراق المربوطة وبيان عما اذا بقي شئ فبما يجب عمله
تتحفظ

عن وزير الاوقاف

الموضوع : - كربلاء

تم تصويقي تعميم القريه بباب الطاق

الواقعة في كربلاء

عبدالله
١٩٢١مإحدى أغلفة أضاير وزارة الأوقاف والذي يتضمن تعميم قهوة باب الطاق الواقعة
في كربلاء عام ١٩٢١م

الجمهورية العراقية

٦-٤

التاريخ
المستند
رقم

دائرة وزارة الداخلية

رقم الاشارة ٦/ك/٢٥

العنوان مديرية الجمعيات

الموضوع جمعية التثقيف الاسلامي في كربلاء

اشارة الى المحافظ الربوية

١٩٦٨/٧/١
١٩٦٨/٧/١

١٣٥

٥/٤/٦

إحدى أغلفة أضاير وزارة الداخلية العراقية - مديرية الجمعيات بخصوص جمعية التثقيف الإسلامي في كربلاء عام ١٩٧١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد متصرف لواء كربلاء المقدسة الاستاذ  بنكر حسن الحداد المحترم .
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
سبق وان قدمنا طلبا الى سيادتكم بتأسيس جمعية باسم (جمعية القرآن
الحكيم في كربلاء المقدسة ، وحيث قيل لنا ان جمعية بهذا الاسم موجودة في
التجف الا شرف لدا نطلب منكم التفضل بمنحنا اجازة تأسيس جمعية باسم
(جمعية التثقيف الاسلامي في كربلاء) ولكم الشكر ودمتم في ١٠/٦/١٩٦٨
اسماء الاعضاء

الاسم واللقب	العمر	المهنة	السكن الجنسيه التوقيع
١- السيد مرتضى محمد صادق القزويني	١٩٢٩	خطيب	باب بغداد عراقي
٢- الشيخ حمزه الشيخ ظاهر الزبيدي	١٩٠٦	امام جماعه	حي الحسين عراقي
٣- الشيخ عبد الزهراء الشيخ فلاح الكعبي	١٩١٤	خطيب	العباسية الشرقيه عراقي
٤- الشيخ محمد جواد علي الخطاط	١٩٠٣	خطاط	حيدرسيه عراقي
٥- عبد الصاحب حسن الكشوان	١٩٢٦	خادم الروضتين المخيم	عراقي
٦- الشيخ عبد الحسين محمد جواد الحلواني	١٩٤٥	معلم	باب السلاله عراقي
٧- الشيخ كميل الشيخ عبد الكريم المعلم	١٩٥٠	معلم	باب التجف عراقي
٨- الشيخ عدنان عبد الامير البلادوى	١٩٤١	معلم	باب التجف عراقي
٩- الشيخ مكي سلمان البحراني	١٩٢٦	طالب علم	باب الطاق عراقي
١٠- الشيخ ضياء الشيخ حمزه الزبيدي	١٩٤٢	مدير مدرسه حي الحسين	عراقي
١١- الشيخ محمد مهدي القصاب	١٩٤٠	طالب علم	باب الخان عراقي
١٢- السيد يوسف السيد مرتضى الواجدي	١٩٣٦	معلم السعديه	عراقي

طلب تأسيس جمعية التثقيف الإسلامي في كربلاء بتاريخ ١٠/٦/١٩٦٨م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



سـرى

متصرفية لواء كربلاء
الإعلامات
الجمعيات
الرقم سـ / ٩٤٤

التاريخ ١٩٦٨ / ١١ / ١٢

وزارة الداخلية (الجمعيات) - ٧٧

الموضوع / طلب تأسيس جمعية

١٩٦٧

١٢ / ١١ / ١٩٦٨ فـ ٢٤١٧ كتابكم

نقدم لمقامكم طياً النسخة الثانية من اصل طلب

الشيخ حمزه الشيخ طاهر الزبيدي الموثق في ١٠ / ٦ / ١٩٦٨ -

مع نسخ النظام الداخلي للجمعية المراد تأسيسها باسم

(جمعية التثقيف الاسلامي في كربلاء) حسب الطلب للتفضل

بالاطلاع واعلاننا رجاءاً .

عبد الصاحب محمود القزفولي

متصرف لواء كربلاء

المرفقات - ١ - طلب

- نسخ نظام

الصفار /

كتاب متصرفية لواء كربلاء الى وزارة الداخلية العراقية (الجمعيات) بخصوص
تأسيس جمعية التثقيف الإسلامي في كربلاء عام ١٩٦٨ م

محمد حسين

الموضوع طلب تأسيس جمعية



لما ان استخرج عبد الزهراء الكعب من قدم طلباً الى هذه الوزارة: بين فيه
 بانه قدم الى مقره لاداء مهامه لثأب جمع باسم (جمعية النفع الاعلى)
 وانه يطلب الاذن بتأسيس الجمعية ، وبعه الاتصال بالمقره: اجرتنا
 تباً بالكتبه بنيت بان الطلب قد تم اليه عن ان مديره ان الوزارة
 اوعيت برفض الطلب عند كان ذلك الينا ان مديره ان الوزارة
 باعتبار ان الطلب على لبي تأسيس الجمعية هم من دعاة الطائفة والفرقة
 وانها رغم كان اعادة التكرار مع مديره ان الوزارة فانها اجرت على
 رأيها السليم . فطلبنا الى المقره ارسال المعاملة التي للبت فيها
 حسب احكام قانونها الجيد .

بطلبه كتاب المقره ترسل جمعية المعاملة ان شتم تسجيله
 والى ذلك على رأي مديره ان الوزارة العاين حبه داً بالاضافة الى
 وزارة العدل والشؤون الاجتماعية ووزارة ^{وزارة التعليم} ديوان الاوقاف والخطبة است

فارس جواد الار

محمد حسين

11 / 11 / 1958

مرفقة لكم اجازة من دمشق صورة للدوا و
 الاقوال بجمعية لاداء في هذه الجمعية

محمد حسين

11 / 11 / 1958



- ٤ -

١٠-٩ إضافة جبا - (سواء ان يتقرر اعتبار الجهاد من المانحة الخاصة
الى غير المنفعة (و) المصلحة العامة).

١٠- إضافة جبا (تخصيص احوال ال) بعبارة - (فتر اعم في ليفة)

البر - دة في المادة الثالثة عشر منه
١١- إضافة مادة التي ينص فيها على ان الرئيس واجب المال يوم كان على الملوك
د عنداء الحرب بصورة مشتركة.

١- جوار الاطلاع وقد نسبوذا ان طلب المالك في الجهاد

الشخصي المرسوم في نظام الجهاد بعبارة صريحة لواء كربلاء قبل

المداد اذ في - المرسوم بالتأسيس وذلك ليكون النظام حثوف

مطلبا في قانون الجهاد - فاه جوار الامر



١٤١١

مرفوعة لدرهم
@
١٤١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



وزارة الداخلية
مديرية الداخلية العامة

الرقم
التاريخ ١٩٦٨/١٢/٢٠

الجمعية
٢٢٢

ختم الواردة

نسخة لائحة

الى :- طالبى تأسيس جمعية الشقيف الاسلامي في كربلاء
الشيخ حمزة الشيخ طاهر الزبيدي ورفقاه
بواسطة مصرفية لواء كربلاء

بالاشارة الى طلبكم الوارد الينا بكتاب مصرفية لواء كربلاء س/ ١٢٢٠ فـــــــــي
١٩٦٨ / ١١ / ٢٠ المسجل لدينا في ١٩٦٨ / ١٢ / ٢٠

لدى تدقيق نظام الجمعية المراد تاسيسها المرفق بالطلب المشار اليه في ضوء قانون
الجمعيات رقم (١) لسنة ١٩٦٠ لوضع لزم اجرا مايلي فيه :-

- ١- احلال عبارة (في الالوية) بدلا عن عبارة (في جبين انحاء الجمهورية) الواردة في المادة الثانية منه .
- ٢- اضافة عبارة (بعد الحصول على موافقة الجهات المختصة) الى آخر كل من الفقرات (ب ه ز) من المادة الثالثة منه .
- ٣- احلال عبارة (رقم - ا -) بدلا عن عبارة (رقم / ١١) الواردة في الفقرة (١) من المادة الرابعة منه .
- ٤- اضافة عبارة (ثم تبت الهيئة الادارية في الطلب وتصدر قرارها بالقبول والرفض ويحق لمن يتقرر رفض طلبه الاعتراض على ذلك لدى الهيئة العامة في اول اجتماع لها ويكون قرارها بهذا الشأن نهائيا) الى آخر الفقرة (٢) من المادة الرابعة منه .
- ٥- اضافة عبارة (وللعضو المفضل حق الاعتراض على قرار ضله لدى الهيئة العامة في اول اجتماع لها ويكون قرارها بهذا الشأن نهائيا) الى آخر الفقرة (٣) من المادة الرابعة منه .
- ٦- اضافة عبارة (وذلك من قبل الهيئة العامة في اجتماعها السنوي الاعتيادي) الى آخر الفقرة (د) من المادة السادسة منه .
- ٧- اعادة صياغة الفقرتين (ا و ب) من المادة العاشرة منه بما يتضمن عدم النص على الحد الادنى ليدلي الانتماء والاشتراك وتحديد مقدار هذين البدلين بمبلغ معين وبالنسبة ليدل الاشتراك يقتضي بيان المدة التي يدفع عنها هذا البدل (سنويا او شهريا) .
- ٨- اضافة عبارة (على ان يراعى بهذا الشأن احكام قانون الناصيات والاكتابات رقم (٢) لسنة ١٩٦٢ الى آخر الفقرة (هـ) من المادة العاشرة منه .
- ٩- اضافة عبارة (بعد ان يتقرر اعتبار الجمعية من المنافع العامة) الى آخر الفقرة (و) من المادة العاشرة منه .
- ١٠- اضافة عبارة (تصفية اموالها) بعد عبارة (فتراعى في كيفية) الواردة في المادة - الثانية عشرة منه .

- / يتبع / -

كتاب وزارة الداخلية العراقية الى طالبى تأسيس جمعية الشقيف الإسلامى في كربلاء
الشيخ حمزة الزبيدي ورفقاه عام ١٩٦٨ م (صفحة ١)

بسم الله الرحمن الرحيم



وزارة الداخلية
مديرية الداخلية العامة

ختم الواردة

التسبقة

الرقم

التاريخ

٢٠٠٠

الى :-

١- اضافة مادة اليه ينص فيها على ان الرئيس وامين الطال يوقعان على
الصكوك ومستندات الصرف بصورة مشتركة .
لذلك فاننا استنادا الى احكام الفقرة الثانية من المادة الخاصة من
قانون الجمعيات رقم (١) لسنة ١٩٦٠ نرجو اجراء التصحيحات اللازمة في
نظام جمعيتكم وفق ما تقدم وتزويدنا بشان نسخ من النظام .

١٤٧٤

وزير الداخلية

نسخة منه مع نسخة من النظام /
وزارة العمل والشؤون الاجتماعية
وزارة التربية
رئاسة ديوان الاوقاف
مديرية الامن العام
نسخة منه الى /
مصرفية لواء كربلاء
مديرية الجمعيات / للتصديق .

لقد اعد هذا النظام به نظر لما له من
من لزوم ارفاق بقية التصحيحات في
نظام جمعية الشقيف الاسلامي المراد
النسابة له من تصحيحا له نظام
الجمعية / فان رجو التصحيح عليه

١٤٧٤

المشعدي ١٢/٢

١٤/٩

كتاب وزارة الداخلية العراقية الى طالبى تأسيس جمعية الشقيف الإسلامى فى كربلاء
الشيخ حمزة الزبيدي ورفقاه عام ١٩٦٨م (صفحة ٢)

العدد ١٨٧١٧
التاريخ ١٩٥٩/١١/١١

نسخة الدائرة

الجمهورية العراقية
وزارة المالية
مديرية الميزانية العامة
بغداد

مديرية المباني العامة

الموضوع - الصيانة السنوية لتعمير المقدمات المقدسة
في كربلاء والنجف والكوفة والمسيب

بالاشارة الى كتابكم المرقم ١٣٤٨٨ والمؤرخ في ١١/١١/١٩٥٩ -

١ - يلاحظ من الكشوف المرفقة بكتابكم المشار اليه اعلاه والخاصة بالموضوع ان المبلغ المطلوب صرفه لتنفيذ هذه الكشوف يبلغ / ٣٧٩٢٩ دينار في حين ان المتبقى من الاعتماد المخصص للبادية (٢) مئحة لتعمير المقدمات المقدسة من الفصل (٣٦) من الميزانية يبلغ / ٣٥٣٦٢ دينار لذا نرجو تعديل مبالغ هذه الكشوف بحيث لا تتجاوز كلفتها عن المبلغ المتبقى من الاعتماد .

٢ - توافق على صرف مبلغ لا يتجاوز / ٣٥٣٦٢ دينار بطريقة الامانة لاجراء التعميرات التقديرية في المقدمات المقدسة في كربلاء والنجف والكوفة والمسيب محسوبا على المادة (٢) مئحة لتعمير المقدمات المقدسة وادارتها من الفصل ٣٦ من الميزانية .

وفيهما

وفيهما

نسخة منه الى -

ديوان مجلس الوزراء
وزارة الاشغال والاسكان
مديرية الاوقاف العامة
" المساجد "

متصرفية لواء الحلة
" كربلاء "

الاختصاص

١٥ / عيود

كتاب وزارة المالية العراقية الى مديرية المباني العامة بخصوص صيانة العتبات المقدسة في كربلاء والنجف والكوفة والمسيب عام ١٩٥٩ م

العدد ١٩٥٩

التاريخ ١٩٥٩/١١/١٩

١٤٤٥
١٥
١٤٤٥

مكتب الدائر والادارة

الجمهورية العراقية
وزارة المالية العامة
مديرية الميزانية العامة
بغداد

متصرفية لواء كربلاء
تعمير العتبات المقدسة

بالاشارة الى كتابكم المرقم ١٧٣٢٥ والمؤن فسي
٠١٩٥٩/١١/١٩

نرجو ملاحظة كتابنا المرقم ١٨٧١٧ والمؤن فسي
٠١٩٥٩/١١/١٨ حول الموضوع

وزير المالية
عبد الباقى السلام

نسخة منه الى -
وزارة الاسكان
مديرية المباني العامة
الاضبارة

ح

كتاب وزارة المالية العراقية الى متصرفية لواء كربلاء بخصوص تعمير العتبات
المقدسة عام ١٩٥٩ م

